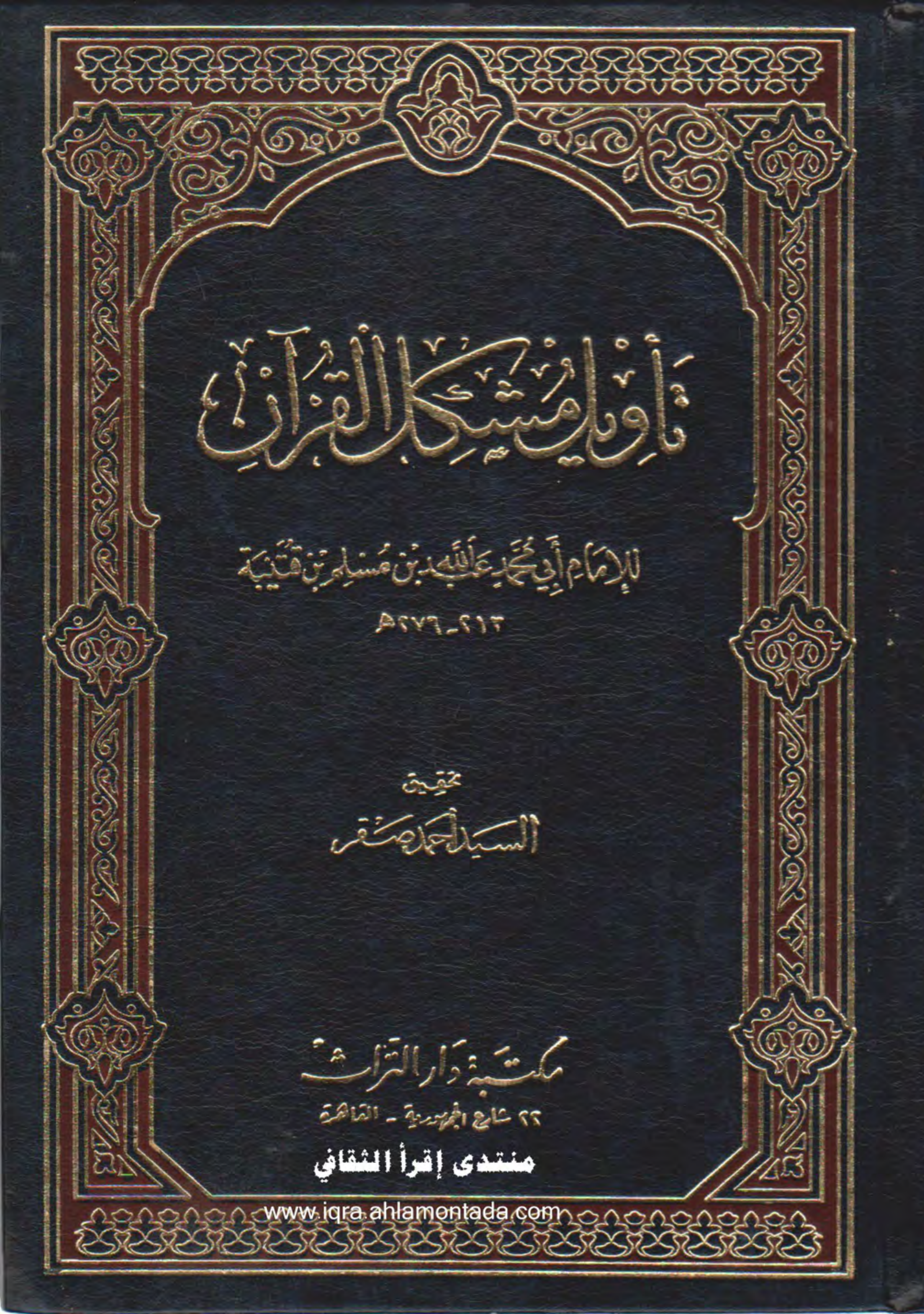


تأويل مشكل القرآن
للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
٢١٣-٢٧٦هـ
تحقيق
السيد أحمد صقر
مكتبة دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة
منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

تأويل مشكل القرآن

للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
٢١٣ - ٢٧٦ هـ

تحقيق
السيد أحمد صقر

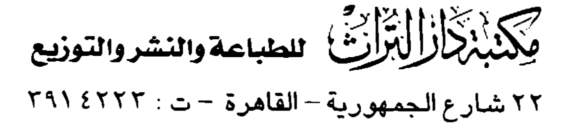
مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م

طبعة جديدة منقحة

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع : ٥٠٢٨ / ٧٣



٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة - ت : ٣٩١٤٢٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أكبرتُ ابن قُتيبة منذ أن قرأت له فى فجر الشباب، وصَبَتْ نفسى إلى كتبه، فتطلَّبتها، وحرصتْ على دراستها بعزمة قوية، وهمة فتيَّة، ونفس مَشُوقة، وحس جميع. وكنتُ كلما أمعنت فى قراءتها وأدمنت النظر فيها تجلَّت لى عظمتها، وظهرت قيمتها، وتبينت دقائقها، وتهديت إلى مراميها؛ واستبان لى من نضرة طلاوتها، ورفافة مائيتها، ورصانة أسلوبها، وجمال عرضها، وحسن تنسيقها وتبويبها ـ ما يزيدنى إعجابًا بها، وإعظامًا لمؤلفها.

ثم تعاقبت الأعوام، وتنوعت القراءات، وتغيرت القيم، وتبدلت الأنظار؛ وظل إعجابى بابن قتيبة وكتبه مكينًا ركينًا، بل ازداد تأصلاً وتمكنًا؛ بما ازددت من معرفة به، وبَصَرٍ بكتبه.

وابن قتيبة خليق بالإعجاب، جدير بالإعظام؛ فقد أخلص نفسه وفكره وعقله لدينه ولغته، وقضى حياته مجاهدًا فى سبيل إعزازهما، والتمكين لهما فى نفوس شباب الإسلام، ودَرْء شبه أعداء الدين والعربية والعرب، بما ألَّف من كتب، ودرس من دروس. لا يبتغى بذلك طلب المَثَالَةِ بين الناس، أو المَنَالَةِ منهم، أو الجاه عندهم؛ بل ابتغى بما عمل وجه الله، وتحقيق المثل العظيم الذى رسمه لنفسه منذ أن عقل أمرها؛ وهو الجهاد الدائب فى سبيل الدين واللغة، حتى قضى نحبه رضىً النفس، مذكورًا بلسان الصدق فى الآخرين.

وقد أثابه الله على إخلاصه، بما أفاض على كتبه من القبول، وعطف نحوها من القلوب والعقول؛ فلست ترى أديبًا أو متأدبًا قرأ من كتبه إلا وهو يحس نحوها بالمودة، ونحوه بالتقدير.

وقد دفعنى إعجابى بابن قتيبة، وعرفانى بقدر كتبه: أن أنشر ما بقى منها، نشرًا قويمًا، يسهل سبل الانتفاع بها، ويظهر القراء على ما فيها من روائع العلوم، وبدائع

الآداب والفنون.

والحق أن كتب ابن قتيبة دائرة معارف شاملة، تمثل أرقى ما وصل إليه الفكر الإسلامى، فى القرن الثالث الهجرى. ومن ثَمَّ فهى خليقة بالدرس، جديرة بالنشر.

* * *

وابن قتيبة من أسرة فارسية، كانت تقطن مدينة «مرو»، ولسنا نعرف عن نسبه أكثر من أنه: «عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المَرْوَزِىُّ».

وقد ولد فى سنة ٢١٣هـ فى أواخر خلافة المأمون.

وقد اختلف المؤرخون له فى تعيين المدينة التى ولد بها، فقال السمعانى، والقفطى: إنه ولد ببغداد. وقال ابن النديم، وابن الأنبارى، وابن الأثير: إنه ولد بالكوفة.

وقد اتفقوا على أنه نشأ ببغداد التى كانت تموج حينئذ بأعلام العلماء فى كل فن، وتهوى إليها أفئدة المثقفين والمتعلمين من كل أنحاء الدولة الإسلامية.

وقد كان ابن قتيبة ـ منذ شبابه الباكر ـ ذا نفس طُلَعة، توَّاقة إلى المعرفة، دفعته إلى أن يتعلق من كل علم بسبب، وأن يضرب فيه بسهم. وقد اقتضاه ذلك أن يغشى مجالس علماء الحديث والتفسير والفقه والنحو واللغة والكلام والأدب والتاريخ؛ فغَشِىَ من مجالسهم ما غشى، وثَقِفَ عنهم ما ثقف؛ مما مكَّن له من أسباب القوة، وهيأ من وسائل التفوق والتبريز.

* * *

وقد تتلمذ ابن قتيبة لطائفة من أعلام عصره، وروى عن جمع من مشاهير دهره، وأخذ عن كثير من أعيانه وأماثله. نذكر منهم ما يلى:

١ ـ والده «مسلم بن قتيبة». وقد أشار إلى ذلك فى (عيون الأخبار ١/١٤٢، ٢/٣٠٧) حيث يقول: «حدثنى أبى، عن أبى العتاهية» و«حدثنى أبى، أحسبه عن الهيثم بن عدى».

٢ ـ أحمد بن سعيد اللحيانى، صاحب أبى عُبيد: القاسم بن سلاَّم، وقد حدثه اللحيانى بكتاب الأموال، وكتاب غريب الحديث لأبى عبيد، فى سنة ٢٣١هـ، وكان عمر ابن قتيبة ـ إذ ذاك ـ ثمانية عشر عامًا.

٣ ـ أبو عبد الله: محمد بن سلاَّم الجُمحى البصرى، صاحب طبقات الشعراء (١٣٩ ـ ٢٣١هـ).

٤ ـ أبو يعقوب: إسحاق بن إبراهيم، المعروف بابن راهويه (١٦١ ـ ٢٣٨هـ). وهو إمام جليل فى الفقه والحديث. صحب الشافعى وناظره، وروى عنه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وأحمد بن حنبل الذى قال عنه: «لا أعرف لإسحاق بالعراق نظيراً».

٥ ـ حرملة بن يحيى التَّجيبى، صاحب الشافعى (١٦٦ ـ ٢٤٣هـ).

٦ ـ القاضى يحيى بن أكثم، المتوفى سنة ٢٤٢هـ. وقد أخذ ابن قتيبة عنه بمكة.

٧ ـ أبو عبد الله: الحسين بن الحسين بن حرب السلمى المروزى، المتوفى سنة ٢٤٦هـ.

٨ ـ دِعْبِل بن على الخُزاعى الشاعر (١٤٨ ـ ٢٤٦هـ).

٩ ـ أبو عبد الله: محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلى البصرى، المتوفى سنة ٢٤٨هـ .

١٠ ـ أبو إسحاق: إبراهيم بن سفيان الزيادى، تلميذ سيبويه، والأصمعى، وأبى عبيدة، المتوفى سنة ٢٤٩هـ.

١١ ـ أبو حاتم: سهل بن محمد السجستانى، المتوفى سنة ٢٤٨ أو ٢٥٠ أو ٢٥٥هـ.

قال الأزهرى فى مقدمة التهذيب (ص١١): «وكان أبو حاتم السجستانى أحد المتقدمين، جالس الأصمعى وأبا زيد وأبا عبيدة، وله مؤلفات حسان، وكتاب فى قراءة القرآن جامع... وقد جالسه شِمْر، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة؛ ووثقاه».

١٢ ـ محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن الربيع الزيادى البصرى، الملقب ببؤبؤ، المتوفى سنة ٢٥٢هـ.

١٣ ـ أبو يعقوب: إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصواف الباهلى البصرى، المتوفى سنة ٢٥٣هـ.

١٤ ـ أبو عبد الله: محمد بن يحيى بن أبى حزم القُطَعِىُّ البصرى، المتوفى سنة ٢٥٣هـ.

١٥ ـ أبو الخطاب: زياد بن يحيى بن زياد الحسَّانى البصرى، المتوفى سنة ٢٥٤هـ.

١٦ ـ شبابة بن سوار، المتوفى سنة ٢٥٤هـ.

١٧ ـ أبو عثمان الجاحظ، المتوفى سنة ٢٥٤هـ. وقد أجاز ابن قتيبة ببعض كتبه، كما صرح به ابن قتيبة فى عيون الأخبار، حيث يقول (٣/١٩٩ و٢١٦ و٢٤٩): «وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه؛ قال...».

١٨ ـ أبو يعقوب: إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشَّهيد البصرى، المتوفى سنة ٢٥٧هـ.

١٩ ـ أبو طالب زيد بن أخزم الطائى البصرى، الذى قتله الزنج فى سنة ٢٥٧هـ.

٢٠ ـ أبو الفضل: العباس بن الفرج الرياشى، تلميذ الأصمعى، الذى قتله الزنج بالبصرة وهو قائم يصلى فى مسجده سنة ٢٥٧هـ.

٢١ ـ أبو سهل الصفَّار: عبدة بن عبد الله الخزاعى الكوفى، نزيل البصرة، المتوفى سنة ٢٥٨هـ.

٢٢ ـ عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدى، المتوفى سنة ٢٦٠هـ.

٢٣ ـ أبو بكر: محمد بن خالد بن خداش بن عجلان المهلبى البصرى الضرير.

٢٤ ـ أبو سعيد: أحمد بن خالد الضرير. قال أبو منصور الأزهرى عنه فى مقدمة التهذيب (ص١١): «وكان طاهر بن عبد الله استقدمه من بغداد، فأقام بنيسابور، وأملى بها كتبًا فى معانى الشعر والنوادر. وردّ على أبى عبيد حروفًا كثيرة من كتاب غريب الحديث. وكان لقى ابن الأعرابى، وأبا عمرو الشيبانى، وحفظ عن الأعراب نكتًا كثيرة، وقدم عليه القُتيبى فأخذ عنه».

٢٥ ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب ابن أخى الأصمعى، الذى عده الزبيدى فى الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين.

* * *

أخذ ابن قتيبة عن هؤلاء الأعلام، كما أخذ عن غيرهم ممن أعرب عن أسمائهم، وممن أبهمها واكتفى بأن يقول: «حدثنا بعض مشايخنا» أو نحو ذلك. كما أخذ عن الكتب المسموعة وغير المسموعة من كتب العرب والعجم.

وهذه ينابيع ثقافته الغزيرة، ومناهل معارفه الجمَّة.

وليس يكفى أن يكون الإنسان جمَّ المعرفة، غزير الثقافة، ليكون مؤلفًا ممتازًا، بل لا بد له ـ مع ذلك ـ من طبيعة مواتية، وفكر مرتب، وعقل مركز، وذوق مصفًّى، وذهن ناقد، وبيان ساحر، وحافز نفسى غلاب. وكل ذلك قد توافر لابن قتيبة، وتهيأ له؛ فمكَّنه من أن يؤلف كتبًا عظيمة: امتازت بالأصالة والجدّة، والطرافة والدقة، وحسن الترتيب والتنظيم. وكانت لونًا جديدًا خلا من شوائب الاستطراد والتخليط ومساوى التأليف والتصنيف.

* * *

صنف ابن قتيبة مصنفات كثيرة، بلغت عدتها ـ فيما يقول أبو العلاء المعرى ـ خمسة وستين مصنفًا، نذكر من أنبائها، ما علمناه، فيما يلى:

(١) كتاب الوزراء:

لم يذكره أحد ممن ترجم له، وقد ذكره ابن منظور فى لسان العرب (١٣/ ١٤٣) إذ يقول: «والعربُ تُسمِّى مَنْ يعمل جُفون السيوف خَلاَّلاً. وفى كتاب الوزراء لابن قُتيبة فى ترجمة أبى سَلَمة حَفْص بن سليمان الخَلاَّل فى الاختلاف فى نسبه، فرَوَى عن ابن الأعرابىِّ أنه منسوب إلى خِلَلِ السيوف من ذلك».

(٢) كتاب آلة الكتاب:

لم يُذكر كذلك فى ترجمته، وقد ذكره ابن السِّيد البطليوسى فى الاقتضاب حيث يقول (ص٨٧): «ويقال للشحمة التى تحت برية القلم: الضَّرَّة، شبهت بضرَّة الإبهام، وهى اللحمة فى أصلها. كذا قال ابن قتيبة فى «آلة الكتاب» وهو المعروف، وخالف ذلك فى «أدب الكتاب» فقال: الأَلْية: اللَّحمة التى فى أصل الإبهام، والضَّرّة: اللحمة التى تقابلها».

وفى (ص٨٨): «وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتاب: آلة الكتاب...». وفى (ص٥٩): «وقد ذكر ابن قتيبة هذا الكلام فى آلة الكتاب وغير ذلك من كتبه». وكذلك ذكره فى ص٨٤.

(٣) كتاب صناعة الكتابة:

وهو غير معروف كسابقيه، ولكن نقل منه الخزاعى فى كتابه (تخريج الدلالات

السمعية، ص٣٥٨) عند كلامه على كلمة ديوان وأن جمعها دواوين ودياوين: «وقال ابن قتيبة فى صناعة الكتابة: وإنما جمعوه بالياء على لفظه. قال: وداله بالكسر ولا تفتح».

ومما يوثق صحة هذا النقل من صناعة الكتابة، وأنه كتاب غير أدب الكتاب ـ أن الخزاعى ذكر فى الباب الرابع من كتابه، وهو الذى عقده لذكر أسماء التواليف التى خرّج منها كتابه ـ فى كتب اللغة: «أدب الكاتب لأبى محمد: عبد الله بن مسلم بن قتيبة»، وفى كتب الأدب: «عيون الأخبار لابن قتيبة والمعارف له. . . وصناعة الكتابة لأبى جعفر أحمد بن محمد بن النحاس، وصناعة الكتابة لابن قتيبة».

(٤) كتاب الوحش:

ذكره ابن قتيبة فى (الأنواء، ص٤١) حيث يقول: «قال ابن مضرِّس الأسدى:

ويوم من الشعر كأنَّ ظباءه كواكبُ مقصور عليها صقورها

يريد أنها قد كَنَسَتْ. وقد ذكرت هذا فى كتاب «الوحش» بأكثر من هذا الشرح».

(٥) كتاب الصيام:

ذكره أيضًا فى (الأنواء، ص١١٨) حيث يقول: «ويتعرف من المنازل بأن الهلال إذا طلع فى أول ليلة من شعبان فى «الشَّرَطَيْن» فإن كان شعبان تامًا طلع فى أول ليلة من شهر رمضان فى «الثُّرَيَّا» وإن كان شعبان ناقصًا طلع فى «البُطَيْن»، وهذا أمْر يضيق ويصعب على الناس، ويكثر فيه التنازع والاختلاف؛ فنسخه رسول الله ﷺ بقوله: «إذا غُمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين». وقد ذكرتُ مثل هذا فى الكتاب الذى ألفته فى الصيام».

(٦) كتاب غريب الحديث:

وكان إلى منتصف القرن الرابع يُعَد ثانى اثنين ذهبا بإعجاب العلماء وتقديرهم فى هذا الفن.

قال أبو سليمان الخطابى فى مقدمة كتاب غريب الحديث: «فكان أول من سبق إليه ودل عليه أبو عبيد: القاسم بن سلاَّم؛ فإنه قد انتظم عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث، فصار كتابه إمامًا لأهل الحديث، به يتذاكرون، وإليه يتحاكمون. ثم انتهج نهجه أبو محمد: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، فتتبع ما أغفله

أبو عبيد من ذلك، وألف فيه كتابًا لم يَأْلُ أن يبلغ به شَأْوَ المبرِّز السابق».

ولم يودعه شيئًا من الأحاديث المودعة فى كتاب أبى عبيد إلا ما دعت إليه حاجة من زيادة شرح وبيان أو استدراك أو اعتراض، فجاء مثل كتاب أبى عبيد أو أكبر منه.

وقد قال ابن قتيبة فى مقدمته: «وكنت زمانًا أرى أن كتاب أبى عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث، وأن الناظر فيه مستغن به. ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة، فوجدت ما ترك نحوًا مما ذكر؛ فتتبعت ما أغفل، وفسَّرته على نحو مما فسر. وأرجو ألا يكون بقى بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال».

ثم قال الخطابى بعد أن ذكر جماعة من مصنفى الغريب وأثنى عليهم: «ثم إنه ليس لواحد من هذه الكتب التى ذكرناها أن يكون شىء منها على منهاج أبى عبيد فى بيان اللفظ، وصحة المعنى، وجودة الاستنباط، وكثرة الفقه. ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة فى إشباع التفسير، وإيراد الحجة، وذكر النظائر، وتخليص المعانى».

ولم يبق من غريب الحديث إلا الثلث الأول والثلث الأخير، فى الخزانة الظاهرية بدمشق برقمى ٣٤، ٣٥ ـ لغة.

وقد ذكره ابن قتيبة فى كتاب أدب الكاتب (ص٧٠)، وكتاب عيون الأخبار (٢/ ٢٤٤، ٤/ ٩)، وكتاب الأشربة (ص١٠٩)، وكتاب تأويل مختلف الحديث (ص١٤، ٢١١، ٢٦٨)، وكتاب المسائل (ص١٥)، وكتاب الشعر والشعراء (٢/ ٦٨٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص١٢٨، ١٣٨).

وقد ألف الحسن بن عبد الله الأصبهانى، المعروف بلغدة، كتابًا فى نقده أسماه «الرد على ابن قتيبة فى غريب الحديث».

(٧) إصلاح الغلط فى غريب الحديث لأبى عبيد:

استدرك ابن قتيبة فيه على أبى عبيد فى نيِّف وخمسين موضعًا، وهذا الكتاب ـ فيما أرى ـ من أهم كتب ابن قتيبة وأعظمها أثرًا فى تاريخه، فقد تعاظم كثير من العلماء ـ فى عصره وبعد عصره ـ أن يعرض مثله بالنقد لأبى عبيد.

وترجع قيمته كذلك إلى أنه من بواكير كتب النقد العلمى.

وقد قدم له بمقدمة رائعة، مليئة بالمعانى والأفكار، وبدأها بدءًا ظريفًا إذ يقول: «لعل ناظرًا فى كتابنا هذا يَنْفِرُ من عنوانه، ويستوحش من ترجمته، ويربأ بأبى عبيد ـ

رحمه الله ـ عن الهفوة، ويأبى له الزلة، ويتحشم قَصْبَ العلماء، وهتك أستارهم. ولا يعلم ما تقلَّدناه من إكمال ما ابتدأ: من تفسير غريب الحديث، وتشييد ما أسس، وأن ذاك هو الذى ألزمنا إصلاح الفساد، وسد الخَلَل. على أنا لم نقل فى ذلك الغلط: إنه اشتمال على ضلالة، أو زيغ عن سنة، وإنما هو فى رأى قضى به على معنى مستتر، أو حرف غريب مشكل.

وقد يتعثر فى الرأى جِلَّة أهل النظر والعلماء المبرِّزون، والخائفون لله الخاشعون؛ فهؤلاء صحابة رسول الله ﷺ ورضى عنهم ـ وهم قادة الأنام، ومعادن العلم، وينابيع الحكمة، وأولى البشر بكل فضيلة، وأقربهم من التوفيق والعصمة ـ ليس منهم أحد قال برأيه فى الفقه إلا وفى قوله ما يأخذ به قوم، وفيه ما يرغب عنه آخرون. . . وكذلك التابعون. . . والناس يختلفون فى الفقه، ويرد بعضهم على بعض فى الحلال أنه حرام، وفى الحرام أنه حلال، وهذا طريق النجاة أو الهلكة؛ لا كالغريب والنحو والمعانى التى ليس على الهافى فيها كبير جناح؛ كالشافعى يرد على الثورى، وأصحاب الرأى، وعلى معلمه مالك بن أنس.

وأبو عبيد يختار من أقاويل السلف فى الفقه، ومن قراءتهم، ويَرْذُل منها، ويدل على عورات بعضها بالحجج البينة.

وعلماء اللغة أيضًا يختلفون، وينبه بعضهم على زلل بعض. والفرَّاء يرد على إمامه الكسائى، وهشام يرد على الفراء، والأصمعى يخطِّئ المفضَّل. . . وهذا أكثر من أن يحاط به، أو يوقف من ورائه.

ولا نعلم أن الله عز وجل أعطى أحدًا من البشر مَوْثقًا من الغلط، وأمانًا من الخطأ، فنستنكف له منها، بل وصل عباده بالعجز، وقرنهم بالحاجة، ووصفهم بالضعف والعجلة، فقال: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]، و﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧]، و﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦].

ولا نعلمه خص بالعلم قومًا دون قوم، ولا وَقَفَه على زمن دون زمن، بل جعله مشتركًا مقسومًا بين عباده، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول، وينبه المقلَّ منه على ما أغفل عنه المُكثر، ويحييه بمتأخِّر يتعقب قول متقدِّم، وتالٍ يعتبر على ماضٍ.

وأوجب على كل من علم شيئًا من الحق أن يظهره وينشره، وجعل ذلك زكاة

العلم، كما جعل الصدقة زكاة المال. وقد قيل: اتقوا زلة العالم؛ وزلة العالم لا تعرف حتى تُكشف، وإن لم تعرف هلك بها المقلدون؛ لأنهم يتلقونها من العالم بالقبول، ولا يرجعون إلا بالإظهار لها، وإقامة الدلائل عليها، وإحضار البراهين.

وقد يظن من لا يعلم من الناس ولا يضع الأمور مواضعها أن هذا اغتياب للعلماء، وطعن على السلف، وذكر للموتى؛ وكان يقال: اعف عن ذى قبر. وليس ذاك كما ظنوا؛ لأن الغيبة سب الناس بلئيم الأخلاق، وذكرهم بالفواحش والشائنات. وهذا هو الأمر العظيم المشبه بأكل اللحوم الميتة. فأما هفوة فى حرف، أو زلة فى معنى، أو إغفال، أو وهم أو نسيان ـ فمعاذ الله أن يكون هذا من ذلك الباب، أو أن يكون له مشاكلاً أو مقاربًا، أو يكون المنبِّه عليه آثمًا؛ بل يكون مأجورًا عند الله، مشكورًا عند عباده الصالحين، الذين لا يميل بهم هوًى، ولا تدخلهم عَصَبية، ولا يجمعهم على الباطل تحزُّب، ولا يلفتهم عن استبانة الحق حسد. وقد كنا زمانًا نعتذر من الجهل فقد صرنا الآن نحتاج إلى الاعتذار من العلم، وكنا نؤمِّل شكر الناس بالتنبيه والدلالة فصرنا نرضى بالسلامة. وليس هذا بعجيب مع انقلاب الأحوال، ولا يُنكر مع تغير الزمان، وفى الله خَلَف، وهو المستعان.

ونذكر الأحاديث التى خالفنا الشيخ أبا عبيد ـ رحمه الله ـ فى تفسيرها، على قلتها فى جنب صوابه، وشكرنا ما نفعنا الله به من علمه؛ معتدين فى ذلك بأمرين، أحدهما: ما أوجبه الله على من علم فى علمه، والآخر: ألاَّ يقف ناظر فى كتبنا على حرف خالفناه فيه، فيقضى علينا بالغلط، ونحن من ذلك ـ إن شاء الله ـ سالمون. وما أولاك ـ رحمك الله ـ بتدبر ما نقول، فإن كان حقًا، وكنت لله مريدًا ـ أن تتلقاه بقلب سليم. وإن كان باطلاً، أو كان فيه شىء ذهب عنا ـ أن تردنا عنه بالاحتجاج والبرهان، فإن ذلك أبلغ فى النصرة، وأوجب للعذر، وأشفى للقلوب».

(٨) تفسير غريب القرآن:

وهو فى حقيقة أمره متمم لمشكل القرآن. وقد قال ابن قتيبة فى (المشكل ص٨٩): «وأفردت للغريب كتابًا كى لا يطول هذا الكتاب».

وقال فى مقدمة الغريب: «نفتتح كتابنا هذا بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ فنخبر بتأويلهما واشتقاقهما. ونتبع ذلك ألفاظًا كثر تردادها فى الكتاب لم نر بعض

السور أولى بها من بعض. ثم نبتدئ فى تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله؛ إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتابًا جامعًا كافيًا بحمد الله. وغرضنا الذى امتثلناه فى كتابنا هذا أن نختصر ونكمل، وأن نوضح ونجمل؛ وألا نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل، وألا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد، فإنا لو فعلنا ذلك فى نقل الحديث لاحتجنا أن نأتى بتفسير السلف، رحمة الله عليهم، ولو أتينا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التى ألفها نَقَلة الحديث. . .».

ثم ذكر أنه لم يذكر اختلاف العلماء، ولم يقم الدلائل على المختار منها؛ لأنه لو تكلف ذلك لأسهب فى القول، وأطال الكتاب، وقطع منه طمع المتحفظ، وباعده من بُغية المتأدب.

ثم ذكر أن كتابه هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين. لم يخرج فيه عن مذاهبهم، ولم يتكلف فى الحروف التى ذكرها إلا اختيار أولى الأقاويل فى اللغة، وأشبهها بقصة الآية.

وبيَّن أنه نبذ منكر التأويل، ومنحول التفسير. ثم سرد نماذج مختلفة من هذا المنكر والمنحول، وقال على إثره: «وبالله نستعين، وإياه نسأل التوفيق للصواب».

(٩) كتاب الأنواء:

ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعانى ١/ ٣٧٥، ٧٣٨.

وقال فى مقدمته: «هذا كتاب أخبرت فيه بمذاهب العرب فى علم النجوم: مطالعها ومساقطها، وصفاتها وصورها، وأسماء منازل القمر منها وأنوائها، وفرق ما بين يمانيها وشاميها، والأزمنة وفصولها، والأمطار وأوقاتها، واختلاف أسمائها فى الفصول، وأوقات التَّبدِّى لتتبع مساقط الغيث، وارتياد الكلأ، وأوقات حضور المياه. وما أودعته العرب أسجاعَها فى طلوع كل نجم: من الدلالات على الحوادث عند طلوعه. وعن الرياح وأفعالها، وتحديد مهابها، وأوقات بوارحها. وعن الفلك والقطب والمجرَّة والبروج والنجوم، والخُنَّس، والشمس والقمر ودَرَارِىّ الكواكب ومشاهرها، والاهتداء بها. وعن السحاب ومخائله، ماطره ومُخْلِفه، والبروق: خُلَّبها وصادقها، وأمارات خِصْب الزمان وجُدوبته، إلى غير ذلك.

وكان غرضى فى جميع ما أتيت به الاقتصار على ما تعرف العرب فى ذلك

وتستعمله، دون ما يدعيه المنسوبون إلى الفلسفة من الأعاجم، ودون ما يدعيه أصحاب الحساب؛ فإنى رأيت علم العرب هو: العلم الظاهر للعيان، الصادق عند الامتحان، النافع لنازل البر، وراكب البحر، وابن السبيل. يقول الله جل وعز: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧]، فكم من قوم حاد بهم الليل عن سواء السبيل فى لجج البحار، وفى المَهامه والقِفار، حتى أشرفوا على الهلاك، ثم نجاهم الله بنجم أمرَّه، أو بريح استنشأها.

وقال ابن أحمر وذكر فلاة:

يُهِلُّ بالفَرْقَدِ رُكْبانُها كما يُهِلُّ الراكبُ المُعْتَمِرْ

وهؤلاء قوم ضلوا الطريق، وتمادت بهم الحيرة، حتى خشوا الهلكة، ثم لاح لهم الفرقد فعرفوا به سَمْتَ وجهتهم، فرفعوا أصواتهم بالتكبير كما يرفع المُعْتمر صوته بالتلبية.

ويقال: إن أعلم العرب بالنجوم: كلب وبنو شيبان، وإن العلم من كلب فى ماوية، ومن شيبان فى مُرَّة.

صحبنى رجل من الأعراب فى فلاة ليلاً، فأقبلتُ أسأله عن محالِّ قوم من العرب ومياههم، وجعل يدلنى على كل محلة بنجم، وعلى كل خباء بنجم، فربما أشار إلى النجم وسمّاه، وربما قال لى: تراه، وربما قال لى: وَلِّ وجهك كذا - أى: اجعل مسيرك بنجم كذا - حتى تأتيهم. فرأيتُ النجوم تقودهم إلى موضع حاجاتهم، كما تقود مهَايع الطريق سالك العمارات.

ولحاجتهم إلى التقلب فى البلاد، والتصرف إلى المعاش، وعلمهم أن لا تقلُّب ولا تصرُّف فى الفلوات إلا بالنجوم - عُنُوا بمعرفة مناظرها.

ولحاجتهم إلى الانتقال عن محاضرهم إلى المياه، وعلمهم أن لا نُقلة إلا لوقتٍ صحيح يوثق فيه بالغيث والكلأ - عُنُوا بمطالعها ومساقطها.

هذا مع الحاجة إلى معرفة وقت الطَّرْق، ووقت النِّتاج، ووقت الفِصَال، ووقت غَوْر مياه الأرض وزيادتها، وتأبير النخل، ووقت يَنْع الثمر، ووقت جِداده، ووقت الحصاد، ووقت وباء السنة فى الناس، وفى الإبل، وغيرها من النَّعَم؛ بالطلوع والغروب.

وقد يحتاج نازل المدن، وسالك العمارات ـ وإن كان مستغنيًا فى بعض الأحوال عن هذا الشأن ـ إلى معرفته، مُسْتَظْهِرًا به النوائب فى الأسفار والنكبات، ومعرفة ما يعرفون: من علامات الخِصْب والجَدْب، وعلامات السحاب الماطر، والسحاب المُخْلِف، والبروق الصادقة والكاذبة، والرِّياح اللاقحَة والحائلة، ومعرفة المغارب والمشارق، والزَّوال، والفَجْرَين، والشَّفَقَيْن؛ ومعرفة سَمْت القبلة.

وقد كان هذا الشأن عزيزًا، والمَعْنِيُّون به قليلاً، والأدب غَضٌّ، والزمان زمان ـ فكيف به اليوم: مع دُثُور العلم، وموت الخواطر، وإعراض الناس؟!

وقد قيَّدت بهذا الكتاب أطرافًا من هذا الفن؛ أدركتُ بعضها بالتوقيف، وبعضها بالاعتبار، واستخرجت بعضها من الأشعار، ونبهت على إغْفال من أغفل من الشعراء، وخالَفَ ما عليه أكثرهم، لشبهة دخلت عليه.

وما أبْرَأ إليك بعدُ من العَثْرَة والزَّلة، وما أستغنى منك ـ إن وقفت على شىء ـ من التنبيه والدلالة، ولا أستنكف من الرجوع إلى الصواب عن الغلط، فإن هذا الفن لطيف خفىٌّ، وابن آدم إلى العجز والضعف والعجلة، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]. ونحن نسأل الله أن ينفعنا وإياك بالعلم، ويعرِّفنا قدره، ويجعل شغلنا بالعمل المقرِّب منه، ويؤتينا بفضله أفضل ما آتاه مَنْ أمَّله بخير نيَّة، وأرشد هدًى إليه، إنه الواسع الكريم».

وقد ذكر ابن قتيبة فى كتاب «الأنواء» من كتبه: كتاب «تأويل مشكل القرآن» فقد ذكر فى (ص٩) رأيًا فى قوله تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦]، ثم قال: «وهو قول أبى عبيدة، وهذا قول قد بيَّنت فساده فى كتابى المؤلف فى تأويل مشكل القرآن».

ولم ينص فى المشكل على أن هذا الرأى لأبى عبيدة، بل نسبه لبعض أهل اللغة، وقد قلت فى التعليق عليه: «يلوح لى أن ابن قتيبة يقصد بقوله هذا أبا عبيدة. . .» راجع: تأويل مشكل القرآن، (ص٢٢٣، ٢٢٦).

وذكر أيضًا كتاب الميسر والقداح فى ص١٠، فإنه أنشد قول الراعى:

إذا لم يكن رِسْلٌ يعود عليهمُ ضَرَبْنا لهم بالشَّوْحَطِ المُتقوَّبِ

ثم قال: «والشوحط المتقوب: يعنى القداح التى يضرب بها. وقد بينت هذا فى كتاب الميسر». وما أشار إليه موجود فى كتاب الميسر والقداح ص٥٢.

وذكر أيضًا كتاب «الوحش» فى ص٤١؛ وهو من الكتب المفردة.

(١٠) كتاب فضل العرب والتنبيه على علومها:

ذكره ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء ١/٨، ٥٠، وفى عيون الأخبار ٢/ ١٨٥؛ ونقل منه نُتَفَة فى وصف الشعر. وقد طبع قسم مما وجد منه فى كتاب (رسائل البلغاء) للأستاذ محمد كرد على.

(١١) كتاب الميسر والقداح:

ذكره ابن قتيبة فى كتاب إصلاح الغلط (لوحة ٢٦ ـ ب)؛ حيث يقول: «وقد ذكرت هذا فى كتاب الميسر بأكثر من هذا الشرح، ولم يحتمل هذا الكتاب أن نتجاوز فيه مقدار ما ذكرنا. فإذا آثرت أن تعرف أمر الميسر وكيفيته، ويَضِحُ لك ما ذكرته فى هذا الحديث أكثر من هذا الوضوح ـ نظرت فى ذلك الكتاب إن شاء الله».

وقد طبعه الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٢هـ.

(١٢) كتاب المعارف:

ذكره ابن قتيبة فى مقدمة عيون الأخبار. وقد طبع مرارًا؛ وأول من طبعه المستشرق «وستنفل» سنة ١٨٥٠م.

وقد جاء فى مقدمة كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة ص١، عن أحمد بن عبيد الله ابن أحمد قال: «أملى علينا أبو بكر: محمد بن يحيى الصولى، رحمه الله، هذا الكتاب، وكان سبب إملائه إياه علينا: أن رجلاً ممن كان يحضر مجلسه يحضر مجلس أبى بكر: محمد بن القاسم الأنبارى، رحمه الله، فرأى يومًا فى يده كتابًا، فأخذه يقرؤه، فوجد مجلدًا من كتاب الزاهر؛ فقال: هذا منقول من كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة؛ كما نقل أبو محمد بن قتيبة كتابه فى المعارف من كتاب المحبر لابن حبيب...». وقد طبع كتاب المحبر فى الهند سنة ١٣٦١هـ بتصحيح الدكتورة «إيلزه ليحتن شتيتر» إحدى العالمات بأمريكا. وقد قرأت كتاب المحبر، وقارنت بينه وبين المعارف؛ فتبينت تجنِّى الصولى، وإسرافه فى قوله: إن المعارف منقول منه.

وتفصيل القول فى ذلك يقع فى موضعه من مقدمة طبعة المعارف إن شاء الله. وأظن أن المسعودى يقصد كتاب المعارف فى كلامه على تاريخ أبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢هـ؛ حيث يقول: «إن ابن قتيبة أخذ ما ذكره وجعله عن نفسه».

وقد ذكر ابن قتيبة كتاب الشعر والشعراء فى كتاب المعارف ص٢٣٨.

(١٣) كتاب عيون الأخبار:

وفيه عشرة كتب:

- كتاب السلطان.
- كتاب الزهد.
- كتاب الحرب.
- كتاب الإخوان.
- كتاب السؤدد.
- كتاب الحوائج.
- كتاب الطبائع والأخلاق.
- كتاب الطعام.
- كتاب العلم.
- كتاب النساء.

وقد طبعته دار الكتب المصرية فى سنة ١٣٤٣هـ طبعة يشيع فيها التصحيف والتحريف. ولعل مرد ذلك إلى أنه من أوائل الكتب التى تولى القسم الأدبى تحقيقها. وقد أشار ابن قتيبة فى مقدمته إلى كتاب الأشربة، كما أشار إليه فى ١/ ٣٢٥، وإلى كتاب أبيات المعانى ١/١٥٨، وكتاب الشعر والشعراء ٢/ ١٨٥، ٣/ ٢٤٧، وكتاب العرب ٢/ ١٨٥، وكتاب غريب الحديث ٢/ ٢٤٤، ٤/ ٩.

وقال أبو بكر بن دريد، وقد تذاكر مع جماعة من جلسائه متنزهات الدنيا، وسمّى كل منهم أنزه مكان رآه: «هذه متنزهات العيون، فأين أنتم عن متنزهات القلوب؟ فقالوا له: وما هى؟ فقال: عيون الأخبار لِلْقُتَبِىِّ، والزّهرة لابن داود، وقلق المشتاق لابن أبى طاهر».

(١٤) كتاب أدب الكاتب:

ويحتوى على أربعة كتب:

ـ كتاب المعرفة.

ـ كتاب تقويم اللسان.

ـ كتاب تقويم اليد.

ـ كتاب الأبنية.

وقد طبع منه اثنا عشر بابًا فى ليبزج سنة ١٨٧٧م، ثم طبع كاملاً فى ليدن سنة ١٩٠١م، وطبع بعد ذلك بمصر مرارًا.

وقد شرح خطبته أبو الكرم المبارك بن الفاخر المتوفى سنة ٥٠٠هـ. وأبو القاسم: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى المتوفى سنة ٣٥٠هـ. ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية كتبت سنة ٥٨٦هـ.

وشرح أبياته أحمد بن محمد الخارزنجى، المتوفى سنة ٣٤٨هـ.

وقد شرحه أبو محمد: عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسى المتوفى سنة ٤٢١هـ، وسمى شرحه: «الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب». وقد جعله ثلاثة أجزاء، قصر الأول منها على شرح الخطبة، والثانى على التنبيه على الأغلاط، والثالث على شرح الأبيات. وقد طبع ببيروت سنة ١٩٠١م.

وجاء فى بغية الوعاة، فى ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن المرسى أبى العباس ابن بلال المتوفى قريبًا من سنة ستين وأربعمائة: «ونسب إليه ابن خلصة النحوى شرح أدب الكاتب المسمى بالاقتضاب، وذكر أن ابن السِّيد البطليوسى أغار عليه وانتحله».

وقد شرحه أيضًا أبو منصور: موهوب بن أحمد الجواليقى المتوفى سنة ٥٣٩هـ؛ وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ، وقدم له المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى.

كما شرحه سليمان بن محمد الزهراوى تلميذ أبى القاسم الزجاجى.

وشرحه أبو إبراهيم: إسحاق بن إبراهيم الفارابى؛ صاحب ديوان الأدب.

وشرحه أبو جعفر: أحمد بن داود بن يوسف الجذامى، المتوفى سنة ٥٩٧هـ.

وشرحه أبو الحزم: الحسن بن محمد بن يحيى بن عليم البطليوسى، المتوفى سنة ٥٧٦هـ.

وقد ألف أبو الحسن: محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان كتابًا فى نقده أسماه: «غلط أدب الكاتب».

وقال ابن خلدون في مقدمته (ص٥٥٣) أثناء كلامه على علم الأدب: «وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهى أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفروع عنها!».

وقال ابن خلكان فى (وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٧): «والناس يقولون: إن أكثر أهل العلم يقولون: إن «أدب الكاتب» خطبة بلا كتاب، و«إصلاح المنطق» كتاب بلا خطبة. وهذا فيه نوع تعصب عليه، فإن أدب الكاتب قد حوى من كل شىء، وهو مُفَنَّن، وما أظن حَمَلَهم على هذا القول إلا أن الخطبة طويلة، والإصلاح بغير خطبة...».

(١٥) كتاب الشعر والشعراء:

طبع هذا الكتاب للمرة الأولى فى ليدن سنة ١٨٧٥م، ثم أعيد طبعه فيها سنة ١٩٠٢م بتحقيق المستشرق الكبير «دى غويه»، وطبع بعد ذلك فى مصر وفى غيرها، وكان آخرها طبعة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر التى طبعها فى مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٣٦٤، ١٣٦٦؛ وهى فى جزأين عرضت لهما بالنقد فى مجلة الكتاب فى عدد يونية ١٩٤٦؛ ص٢٩٥ ـ ٣٠٩، وعدد ديسمبر ١٩٥٠م؛ ص٩٢٨ ـ ٩٣٤.

وقد ذكر ابن قتيبة فى هذا الكتاب من كتبه: كتاب الأشربة ١/ ١٣٨، ٢/ ٨٢٧، وكتاب العرب ١/ ٨، ٥٠، وكتاب غريب الحديث ٢/ ٦٨٤.

(١٦) كتاب المسائل والأجوبة، فى الحديث واللغة:

طبعه الأستاذ حسام الدين القدسى فى مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩هـ.

ويبدو أن هذه الطبعة غير كاملة؛ لأنى وجدت ابن السيد قد نقل منه نصًا فى ص٢٧ ليس له أثر فيها.

وقد أشار ابن قتيبة فى هذا الكتاب إلى (غريب الحديث) ص١٥.

(١٧) كتاب الاختلاف فى اللفظ، والرد على الجَهْمِيَّة والمُشَبِّهة:

وقد طبعه القدسى فى مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩هـ بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى.

(١٨) كتاب تأويل مشكل الحديث:

رواه عنه حفيده عبد الواحد بن أحمد، كما فى فهرس ابن خير ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

طبع بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٦هـ، باسم: «تأويل مختلف الحديث».

وهو كتاب فريد، تحدث فيه عن موقف علماء الكلام من أهل الحديث، وما تحدثوا عنهم به: من شتى التهم والمثالب؛ وعرض بالنقد لما ذهب إليه النظَّام: من اعتراضه على أبى بكر وعمر وعلى، وطعنه على ابن مسعود وحذيفة وأبى هريرة. ونقد كذلك ثُمامة بن الأشرس، ومحمد بن الجهم البرمكى، والجاحظ، وأبا الهُذيل العلاَّف، وغيرهم؛ وعرض لأهل الرأى، وأبان عن منابذتهم للكتاب والسنة. وأدار الجزء الأكبر من كتابه على الأحاديث التى ادُّعِى عليها التناقض والاختلاف ومخالفة القرآن، والأحاديث التى زعموا أن النظر يدفعها وحجة العقل تدمغها؛ فكشف عن معانيها التى صرفهم عن فقهها الهوى الجموحُ، ولَفَتَهُم عن وجه الحق فيها إلحادُ الضمائر والقلوب والعقول.

(١٩) كتاب الأشربة[1]:

طبعه المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٢٦٦هـ، بتحقيق الأستاذ محمد كرد على، وهى طبعة رديئة، مليئة بالتصحيف والتحريف، وقد نقدت بعض ما فيها فى سلسلة مقالات نشرتها بمجلة الرسالة سنة ١٩٤٩م فى العدد ٨٢٩ وما بعده.

(٢٠) كتاب المعانى الكبير:

قال ابن النديم: «إنه يحتوى على اثنى عشر كتابًا، منها:

كتاب الفرس، ستة وأربعون بابًا.

كتاب الإبل، ستة عشر بابًا.

(١) راجع: ابن خير (ص٢٦١).

كتاب الحرب، عشرة أبواب.

كتاب القدور، عشرون بابًا.

كتاب الديار، عشرة أبواب.

كتاب الرياح، أحد وثلاثون بابًا.

كتاب السباع والوحوش، سبعة عشر بابًا.

كتاب الهوام، أربعة عشر بابًا.

كتاب الأيمان والدواهى، سبعة أبواب.

كتاب النساء والغزل، باب واحد.

كتاب الشيب والكبر، ثمانية أبواب.

كتاب تصحيف العلماء، باب واحد».

وقد طُبع ما وجد من هذا الكتاب فى الهند سنة ١٣٦٨هـ، فى ثلاثة مجلدات بلغ عدد صفحاتها (١٢٧٠) صفحة من القطع الكبير، غير فهارسها.

وقد أشار ابن قتيبة إلى هذا الكتاب فى (عيون الأخبار ١/١٥٨) حيث يقول: «وقد فسرت هذا الشعر فى كتابى المؤلف فى أبيات المعانى، فى خلق الفرس»؛ وما أشار إليه موجود فى المعانى ١/ ١١٠ - ١١٢.

وقد أشار فى (المعانى) إلى كتاب الأنواء، ص٣٧٥، ٧٣٨.

والكتاب الثانى عشر من كتاب المعانى - وهو: «تصحيف العلماء» - من الأقسام الضائعة من الكتاب. وقد ألف ابن المَرْزُبان عبد الله بن جعفر بن درستويه (٢٥٨ - ٣٤٧) فى نقده كتابًا جعل عنوانه: «الرد على ابن قتيبة فى تصحيف العلماء».

(٢١) كتاب عيون الشعر:

قال ابن النديم: «يحتوى على عشرة كتب، منها:

- كتاب المراتب.
- كتاب القلائد.
- كتاب المحاسن.
- كتاب المشاهد.
- كتاب الشواهد.

ـ كتاب الجواهر.

ـ كتاب المراكب».

(٢٢) كتاب التقفية:

قال ابن النديم: «هذا كتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء، نحو ستمائة ورقة، بخط برك، وكانت تنقص ـ على التقريب ـ جزأين، وسألت عن هذا الكتاب جماعة من أهل الخط؛ فزعموا أنه موجود، وهو أكبر من كتاب البندنيجى، وأحسن من كتبه».

(٢٣) كتاب العلم:

قال ابن النديم: «نحو خمسين ورقة».

(٢٤) كتاب جامع النحو الكبير.

(٢٥) كتاب جامع النحو الصغير.

(٢٦) كتاب الحكاية والمحكى.

(٢٧) كتاب الخيل.

(٢٨) كتاب إعراب القرآن.

(٢٩) كتاب ديون الكتاب.

(٣٠) كتاب فرائد الدر.

(٣١) كتاب خلق الإنسان.

(٣٢) كتاب القراءات.

وقد أشار إليه فى (تأويل مشكل القرآن، ص١١٥).

(٣٣) كتاب دلائل النبوة.

ويسميه القاضى عياض فى المدارك: «أعلام النبوة».

وقد ذكره السخاوى فى (الإعلان بالتوبيخ ص٩١)، ورواه عنه قاسم بن أصبغ وابنه أحمد، كما فى فهرس ابن خير ص١٥١.

(٣٤) كتاب جامع الفقه.

(٣٥) كتاب حكم الأمثال.

(٣٦) كتاب آداب العشرة.

(٣٧) كتاب التفسير. ذكره القاضى عياض.

(٣٨) كتاب معجزات النبى ﷺ. ذكره أبو الطيب الحلبى فى مراتب النحويين.

(٣٩) كتاب تأويل الرؤيا. ذكره ابن قتيبة فى مقدمة عيون الأخبار.

(٤٠) كتاب استماع الغناء بالألحان.

(٤١) كتاب الرد على القائل بخلق القرآن.

(٤٢) كتاب آداب القراءة.

(٤٣) كتاب الجوابات الحاضرة.

(٤٤) كتاب تأويل مشكل القرآن.

أشار إليه ابن قتيبة فى (أدب الكاتب ص١٩) وفى (تأويل مختلف الحديث ص٨٣، ٣١٤)، وفى كتاب (الأنواء ص٩)، وفى كثير من صفحات (تفسير غريب القرآن).

وقد ذكر فيه من كتبه: كتاب (القراءات) ص٤٥، وكتاب (تفسير غريب الحديث) ص٢٨، ٤٥، ٥٨، ٩٩، ٢٠٥، وكتاب (تفسير غريب القرآن) ص٢٥.

(٤٥) كتاب الجراثيم:

وتوجد منه نسخة خطية عتيقة، فى المكتبة الظاهرية (٥٩ ـ لغة)، تقع فى ٤٤٠ صفحة؛ كتب عليها: «كتاب الجراثيم، مستوعب لأسماء أصول العالم والبهائم والوحش والطير والسباع والهوام، وكل نَسَمة تعرف، ومتصرفاتهم، وأفعالهم، وأسماء أنواع الأرض والشجر والنبات؛ وغير ذلك، والوحوش، وقوافى الشعر. تأليف: أبى محمد: عبد الله بن مسلم». ومجلد كتاب الجراثيم هذا يحتوى على عدة كتب لغوية، نشر منها «الأب موريس بويجس» كتاب: «النعم والبهائم والوحش والسباع والطير، وحشرات الأرض» سنة ١٩٠٨م، ونسبه لأبى عبيد: القاسم بن سلاَّم.

كما نشر الدكتور «أوغست هفنر» كتاب: «النخل والكرم» فى مجلة المشرق، ونسبه للأصمعى. ثم أعاد نشره «الأب لويس شيخو» فى المجموعة اللغوية التى سماها: «البلغة فى شذور اللغة» ولكنه لم يرتض نسبته للأصمعى، ونسبه لأبى عبيد؛ وقال:

«ومما يحملنا إلى نسبته لأبى عبيد أن الشروح للمفردات توافق ما جاء فى لسان العرب والمخصّص منسوبًا لأبى عبيد أكثر منها للأصمعى، ومن المحتمل أيضًا أن يكون الكتاب لأبى حاتم السجستانى تلميذ الأصمعى. . .».

وقد نشر «شيخو» أيضًا ـ من كتاب الجراثيم ـ كتاب: «الرحل والمنزل»، وشك فى نسبته لابن قتيبة؛ لأنه لم يذكره أحد ضمن مصنفاته، ومال إلى أنه لأبى عبيد؛ لأن معظم مضامين هذا الكتاب قد رويت فى اللسان والمخصص منسوبة له.

وقد نشر أيضًا منه فى تلك المجموعة فصلاً عنوانه: «أبواب اللبن والشراب»، ولم يحاول نسبته إلى أحد غير ابن قتيبة.

ولسنا نستطيع أن نتبين: هل هذه الكتب المنشورة من كتاب الجراثيم لابن قتيبة أم هى ملحقة به؟ لأنا لم نحصل بعد على صورة منه، كما لا نستطيع كذلك أن ندفع الكتاب عن ابن قتيبة لأن المترجمين له لم يذكروه فى كتبه، ولأن بعض شروح الكتب التى يحتويها توافق ما نسب فى كتب اللغة لأبى عبيد، أو للأصمعى، أو لغيرهما، فمن طبيعة التأليف اللغوى النقلُ ولا سيما عن أعلامها السابقين، ولم يزعم المترجمون ولا زعم لهم زاعم أن الكتب التى يذكرونها لمن يترجمون لهم هى على سبيل الحصر والاستقراء.

(٤٦) كتاب معانى القرآن:

وقد قرأه عليه قاسم بن أصبغ، المتوفى سنة ٣٤٠هـ. وذكره القاضى عياض فى ترجمة ابنه أحمد.

* * *

هذه أسماء كتب ابن قتيبة بعد إسقاط ما كرره المترجمون له، فقد ذكروا له كتبًا كثيرة، وهى فى حقيقة أمرها أجزاء من كتب؛ ككتاب: «الفرس» الذى ذكره القفطى، وهو من «معانى الشعر»، وكتاب: «تقويم اللسان» الذى أشار إليه صاحب كشف الظنون، فإنه من «أدب الكاتب»، وكتاب: «المراتب والمناقب» الذى ذكره ابن النديم وهو من «عيون الشعر»، وكتاب: «الأبنية» الذى ذكره القاضى عياض، فإنه من «أدب الكاتب».

وعدة الكتب التى ذكرناها هنا سبعة وأربعون كتابًا، منها أربعة كتب تشتمل على اثنين وخمسين كتابًا، كما سبق، فأين بقية كتبه التى قال أبو العلاء المعرى إنها خمسة وستون كتابًا؟ هل هى كتب أخرى مستقلة ضل عن التاريخ ذكرها؟ أم هى أجزاء من تلك الكتب المشتملة على كتب عدّها العادون كتبًا مفردة؟ علم ذلك عند علام الغيوب.

ولست أميل إلى تصديق صاحب «التحديث بمناقب أهل الحديث» فى قوله الذى انفرد به: إن كتب ابن قتيبة زهاء ثلاثمائة كتاب. فلو كان ذلك كذلك لاهتم ابن النديم ببيانها، كما صنع فى تراجم المؤلفين المكثرين؛ من أمثال أبى عبيدة، والمدائنى، وهشام الكلبى.

* * *

وقد نُسب إلى ابن قتيبة كتاب مشهور شهرة بطلان نسبته إليه؛ وهو كتاب: «الإمامة والسياسة».

وهل يُسيغ هذه النسبة عقل، مع عرفانه بأن مؤلف «الإمامة والسياسة» ذكر أنه استمد معارفه من أناس حضروا فتح الأندلس فى سنة ٩٢هـ، وأن موسى بن نصير غزا مدينة مراكش فى زمن الرشيد، مع أن ابن قتيبة ولد فى سنة ٢١٣هـ، ومات فى سنة ٢٧٦هـ، ولم تبن مدينة مراكش إلا فى سنة ٤٥٤هـ فى عهد يوسف بن تاشفين، سلطان المرابطين؟!

إن هذا وحده يدفع نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة، فضلاً عن قرائن وأدلة أخرى كلها يثبت تزوير هذه النسبة.

* * *

وقد نسبت إليه أيضًا: «وصية إلى ولده»؛ نشرها الدكتور إسحاق موسى الحسينى فى مجلة الجامعة الأمريكية ببيروت، عن مجموعة خطية محفوظة بمكتبة تلك الجامعة، كتبت فى الإسكندرية سنة ٤٨٦. وقد أقبلت على قراءة هذه الوصية فرحًا مشوقًا، وما إن فرغت من قراءتها حتى كان الشك فى نسبتها إليه قد قرَّ قراره فى نفسى؛ لأن معانيها سطحية مفككة، وأفكارها ساذجة مختلجة، وأسلوبها يباين أسلوب ابن قتيبة

المشرق الرصين، وإن شئت فاقرأ فيها قول كاتبها: «يا بنى، إذا لقيتَ أحدًا من إخوانى وأصحابى فأقرئهم منى السلام، وأخبرهم عنى بالله عزّ وجلّ، قال: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٦١]، ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]. واعلم أن الله عز وجل بنى دارًا لمن لا دار له، يجمع فيها من لا فعل له».

«يا بنى، قد صحبت لك طوائف من الناس، وبلوت أخبارهم؛ فما رأيت طائفة أجلَّ وأعظم قدرًا من أهل الفقر إلى الله عز وجل، والفاقة والمسكنة إلى الله عز وجل، فالزمهم وجالسهم واخدمهم بنفسك، وتواضع لهم بجسمك، وتقرَّب إلى الله عز وجل بالنظر إليهم، ووَاسِهم بما قدرت عليه، وتغافل عن زلاتهم، وأحسن ظنك بهم، فإن الله عز وجل يؤيدهم إذا ماتوا إن شاء!».

«وعليك بمجالسة الفقراء أهل الفقر والمسكنة إلى الله، واخدمهم بنفسك، وتحبَّب إلى الله عز وجل فى المحبة لهم، وابذل لهم مالك وجاهك، وتبرَّكْ بدعائهم، ودُم على صحبتهم؛ فإن لهم يوم القيامة دُولة، وعند الله تعالى شفاعة».

«يا بنى، إنى راغب إلى الله فى مسألتى له: أن يجعلك خَلَفًا من بعدى، تخلفنى فى علمى ومذهبى».

«يا بنى، طب عن الأمة نفسًا، وارض بالرحمن أُنسًا، فما أحد يعدل فى الخبرة فلسًا».

وما أظن إلا أن هذه الفقرات ستثير فى نفسك الشك إن كنت لكتب ابن قتيبة من القارئين، كما أنى لا أعلم لابن قتيبة مذهبًا صوفيًا يتمنى أن يخلفه ابنه فيه، ولو كان لتحدث عنه الصوفية وغيرهم. على أن هذه «الوصية» قطعة من كتاب لم يصل إلينا كاملاً، وآية ذلك ما جاء فى ص٧: «واعلم يا بنى أن أصول البدع كلها من خمسة: من القَدَرِيَّة، والمُرْجِئة، والجَهْمِيَّة، والرافضة، والخوارج. ومنها تتشعب الفرق كلّها حتى تنتهى إلى ثلاث وسبعين فرقة؛ للذى جاء به الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون منها هالكة، والواحدة منها ناجية: الذى أنا عليه وأصحابى». والجهمية: الذين يقولون إن القرآن مخلوق، ويؤمنون بالقدر، ويقولون إن الله عز وجل حالٌ فى كلّ شىء، كالشىء فى الشىء، وكالروح

فى الجسد. والخوارج: هم الذين يقولون بتقديم الشيخين أبى بكر وعمر، ويرون إمامتهما، ويتبرءون من عثمان وعلىٍّ. وقد بينت وسميت أئمتهم فى هذا الكتاب».

وليس فى «الوصية» بيان عن الخوارج، ولا تسمية لأئمتهم، وكان خليقًا بناشرها أن يشير إلى ذلك.

ولو كانت تلك الوصية لابن قتيبة حقًا لَمَا كانت إلا لابنه أحمد، ولو كانت له لَحدَّث بها فيما حدَّث عن أبيه، ولأكثر من التحديث بها لأسباب شتى: من حوافز النفس، ودواعى الاجتماع.

* * *

وكان من شأن ابن قتيبة أن يخلو إلى نفسه فى بيته، فيؤلف كتبه، ويجوِّد تأليفها، ثم يخرجها للناس ويُقرئها لمن شاء من طلاب علمه وأدبه.

وقد تتلمذ له عدد كبير، نذكر منهم ما يلى:

(١) ابنه أحمد، قال القاضى عياض فى ترجمته له فى كتاب «المدارك»: «أبو جعفر بن قتيبة؛ هو أحمد بن عبد الله بن مسلم الدينورى، البغدادى النشأة. كان مالكىّ المذهب، من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه، وكان يحفظها كما يحفظ القرآن، ويردّ فيها من حفظه النقطة والشكلة؛ وما معه نسخة! كان أبوه أبو محمد حفَّظها إياه فى اللوح، وعدتها أحد وعشرون مصنفًا: كتاب المشكل، معانى القرآن، غريب القرآن، غريب الحديث، عيون الأخبار، مختلف الحديث، التفسير، الفقه، المعارف، أعلام النبوَّة، العرب والعجم، الأنواء، طبقات الشعراء، معانى الشعر، إصلاح الغلط، أدب الكتاب، الأبنية، النحو، المسائل، القراءات.

سمع منه خلق عظيم من الجِلَّة بالعراق ومصر؛ كأحمد بن ولَّاد، وأبى جعفر النّحاس، وأبى عاصم المظفَّر بن أحمد، وأبى على القالى، وغيرهم من جِلَّة أهل الأدب والرواية.

وكان مجلسه لعيون الناس، وأعيان النبهاء. ولم يكن عنده حديث إلا ما فى كتب أبيه. ولى قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. وردَهَا وقد لبس السَّوادَ، وحكم فى جامعها، واستخلف الفقيه أبا الذكر المالكى على فَرْض النساء. وكان فى خلقه حدةً. وتوفى فى ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين بمصر، بعد صَرْفه، وكانت ولايته

القضاء بمصر ثلاثة أشهر.

وله ابن اسمه عبد الواحد، روى عن أبيه؛ سمع منه أبو عبيد الله الوشاء المصرى».

وقال الخطيب البغدادى، فى ترجمة عبد الواحد ١١/٨: «يُكْنَى عبدُ الواحد أبا أحمد. ذكر: أنه ولد ببغداد فى سنة سبعين ومائتين، وانتقل إلى مصر فسكنها، وروى بها ـ عن أبيه عن جدّه ـ كتبه. سمع منه أبو الفتح بن مسرور البَلْخِى، وقال: كان ثقة».

ومن الكتب التى قرأها أبو على القالى (٢٨٨ ـ ٣٥٦هـ) على أبى جعفر: أحمد ابن عبد الله بن مسلم بن قتيبة: كتاب عيون الأخبار، وأدب الكاتب.

وقد قرأ عليه كتبَ أبيه كلّها: أبو القاسم الآمدى، المتوفى سنة ٣٧٠هـ.

وقد قرأها جميعًا على الآمدى: أبو غالب محمد بن بُشْرَان بن دينار، المتوفى سنة ٤٠٩هـ.

قد قرأ على أحمد أيضًا: أبو الفتح محمد بن جعفر المراغى، وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى؛ شارح خطبة أدب الكاتب.

(٢) أحمد بن مروان المالكى، المتوفى سنة ٢٩٨هـ. ومما رواه عنه: كتاب تأويل مختلف الحديث؛ وقد وصل إلينا بروايته.

(٣) أبو بكر: محمد بن خلف بن المَرْزُبان، المتوفى سنة ٣٠٩هـ.

(٤) أبو القاسم: إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ، المتوفى سنة ٣١٣هـ. وقد روى عن ابن قتيبة كل مصنفاته.

(٥) أبو محمد: عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السكَّرى، المتوفى سنة ٣٢٣هـ. وقد سمع منه غريب الحديث، وإصلاح الغلط فى سنة ٦٢٨هـ. وقد وصل إلينا من روايته عنه: كتاب المسائل والأجوبة، وإصلاح الغلط.

(٦) أبو القاسم: عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمى، المتوفى سنة ٣٣٤هـ.

(٧) الهيثم بن كليب الشَّامى، المتوفى سنة ٣٣٥هـ. وقد أخذ عنه الأدب خاصة.

(٨) قاسم بن أصبغ الأندلسى (٢٤٧ ـ ٣٤٠هـ). الذى رحل إلى المشرق فى سنة ٢٧٤هـ، وقد قرأ عليه المعارف، وشرح غريب الحديث.

(٩) عبد الله بن جعفر بن دُرَسْتويه الفَسَوِىُّ (٢٥٧ ـ ٣٥٥هـ)، وقد وصل إلينا من رواياته عنه: كتاب الأشربة.

(١٠) أبو القاسم: عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد الأزْدِىّ، المتوفى سنة ٣٤٨هـ.

(١١) أبو بكر: أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدِّينَوَرِى. وقد روى عنه: مختلف الحديث.

(١٢) أبو بكر: أحمد بن محمد بن الحسن الدينورى. قرأ عليه: تأويل مختلف الحديث؛ كما قال ابن بطَّة.

(١٣) أبو عبد الله: محمد بن أبى الأسود البلثى، المتوفى سنة ٣٤٣هـ.

(١٤) أبو اليسر: إبراهيم بن أحمد الشيبانى البغدادى، المتوفى سنة ٢٩٨هـ.

(١٥) أبو العباس: أحمد بن محمد بن عميرة الأروائى المَرْوَزِى.

(١٦) أبو العباس: محمد بن على بن أحمد الكرجى، مات سنة ٣٤٢هـ.

(١٧) أبو رجاء: محمد بن حامد بن الحارث البغدادى، المتوفى سنة ٣٤٣هـ.

* * *

هؤلاء هم الذين وقفنا على أنهم تتلمذوا لابن قتيبة، وقرأوا عليه كتبه كلها أو بعضها، ونهضوا بأمانة نشرها على الآفاق.

ولقد كان ابن قتيبة كريمًا بعلمه، سَمْحًا فى إقراء كتبه، لم يُؤْثَر عنه أنه حبسها عن طلابها حتى يقبض أجره، كما أُثِرَ عن قرينه أبى العباس المبرد (٢١٠ ـ ٢٨٥هـ)؛ الذى كان يساوم طلابه ويمتنع عن تحديث جماعتهم إذا كان فيهم فرد واحد لم يدفع أجره مقدمًا؛ ولو كان هذا الفرد غريبًا حَرِبيًا.

* * *

وظل ابن قتيبة يقرئ كتبه ببغداد إلى حين وفاته فى خلافة المعتمد الذى بويع سنة ٢٥٦هـ، ومات سنة ٢٧٩هـ.

وكان سبب وفاة ابن قتيبة، فيما يقول تلميذه أبو القاسم: إبراهيم الصائغ: «أنه أكل هريسة فأصاب حرارة، ثم صاح صيحة شديدة، ثم أُغمى عليه إلى وقت صلاة الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ؛ فما زال يتشهَّد إلى وقت السَّحَر، ثم مات،

وذلك أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين».

وقد روى الخطيب البغدادى رواية أخرى عن تاريخ وفاته، فقال (١٠/ ١٧٠): «قرأت على الحسن بن أبى بكر، عن أحمد بن كامل القاضى، قال: ومات عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِى فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين». وهى رواية مدخولة؛ لأن الثابت الذى لم يَشُبْهُ شك أن قاسم بن أصبغ الأندلسى سمع منه لما رحل إلى بغداد، وكانت رحلته فى سنة ٢٧٤هـ.

وقد جاء فى المنتظم لابن الجوزى (٥/ ١٠٢): «وذكر بعض أهل النقل أنه مات بالكوفة، ودفن إلى جنب قبر أبى حازم القاضى»؛ وهو قول مجهول، لم يعبأ به أحد من المؤرخين.

وقد جاء فى (ص٢٠٠ من طبقات النحويين واللغويين) لأبى بكر: محمد بن الحسن الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩هـ: أن ابن قتيبة «توفى سنة ست وتسعين ومائتين»، ولا مراء فى أن «تسعين» محرفة عن «سبعين».

* * *

لم يتول ابن قتيبة من المناصب ـ فيما علمنا ـ إلا منصب القضاء بالدِّينَوَر؛ ولذلك قيل له: الدِّينَوَرِىّ. ولسنا نعرف فى أى سنة تولى قضاء هذه المدينة، ولا مدة بقائه على قضائها، ولا سبب خروجه منه، ولا نعلم من الذى ولاّه، وإن كان يغلب على ظننا أن الذى ولاه الوزير أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان؛ وزير المتوكل ثم المعتمد. وكان المتوكل قد استوزر محمد بن الفضل الجرجرائى مديدة بعد قتله لمحمد ابن عبد الملك الزيات فى سنة ٢٣٣هـ، ثم كثرت السعايات به فعزله، وقال: أريد حَدَثًا أستوزره؛ لأنى قد ضجرت من المشايخ. فأُشير عليه بعبيد الله بن يحيى بن خاقان. وظل عبيد الله وزيرًا حتى قتل المتوكل فى سنة ٢٤٧هـ؛ وفى سنة ٢٤٨هـ نكَبَه الخليفة المستعين ونفاه إلى بَرْقَة، وعاد عبيد الله إلى بغداد سنة ٢٥٣هـ. ثم استوزره المعتمد فى شعبان سنة ٢٥٦هـ، ولبث فى وِزَارته حتى مات، وكان سبب موته أنه لعب فى الميدان مع خادم له اسمه «رشيق» فصدمه، فسقط عبيد الله عن فرسه، ومات من يومه؛ فصلى عليه «الموفَّق» ومشى فى جنازته، وذلك يوم الجمعة لعشر خلون من ذى القعدة سنة ثلاث وستين ومائتين.

وقد كان بين ابن قتيبة وبين عبيد الله مودَّة حملته على أن يصنِّف له كتاب: «أدب الكاتب»؛ وأن يقول عنه فى مقدمته: «. . . فالحمد لله الذى أعاذ الوزيرَ أبا الحسن - أيده الله - من هذه الرذيلة، وأبانَهُ بالفضيلة، وحباه بخيم السلف الصالح، وردَّاه رداء الإيمان، وغشَّاه بنوره، وجعله هدًى من الضلالات، ومصباحًا فى الظلمات، وعرَّفه ما اختلف فيه المختلفون على سنن الكتاب والسنة؛ فقلوب الخيار به مُعْتَلِقَةٌ، ونفوسهم إليه مائلة، وأيديهم إلى الله فيه - مظانَّ القبول - ممتدة، وألسنتهم بالدعاء له شافعة: يَهْجَعُ ويستيقظون، ويغفُل ولا يغفلون؛ وحُقَّ لمن قام لله مقامه، وصبر على الجهاد صبره، ونوى فيه نِيَّتَهُ - أن يُلبسه الله لباسَ الضمير، ويُرَدِّيه رداء العمل الصالح، ويَصُور إليه مختلفات القلوب، ويسعده بلسان الصدق فى الآخرين».

والذى رجح ظنى - فى أن عبيد الله بن يحيى هو الذى ولَّى ابن قتيبة قضاء «الدينور» - قول أبى القاسم الزجاجى فى (شرح خطبة أدب الكاتب ص٣٨) تعقيبًا على قول ابن قتيبة «فالحمد لله الذى أعاذ الوزير أبا الحسن»: «يعنى: الخاقانى، وهو عبيد الله بن يحيى الخاقانى؛ لأنه عمل له هذا الكتاب، فأحسن صلته، واصطنعه وصرَّفه».

وإنى أرى أن ابن قتيبة ألف «أدب الكاتب» لعبيد الله فى وزارته للمعتمد، لا فى وزارته للمتوكل، وقد وَزَرَ للمعتمد من سنة ٢٥٦ إلى سنة ٢٦٣هـ. وهذا الرأى الذى ارْتَأَيْتُهُ يتعارض على ما ذهب إليه ابن السيد والجواليقى؛ فإنهما ذهبا إلى أنه ألفه له فى وَزارَته للمتوكل؛ حيث يقول ابن السيد فى (الاقتضاب ص٢٤): «يعنى عبيد الله ابن يحيى بن خاقان، وكان وزير المتوكل فعمل له ابن قتيبة هذا الكتاب، وتوسل به إليه؛ فأحسن عبيد الله صلته، واصطنعه، وعنى به عند المتوكل، حتى صرَّفه فى بعض أعماله». ويقول الجواليقى فى (شرحه ص٤٤): «يعنى بالوزير عبيد الله بن يحيى ابن خاقان، كاتب المتوكل؛ لأنه عمل له هذا الكتاب، فاصطنعه، وأحسن صلته».

ولا مراء فى أنهما أخطآ فى ذلك خطأ مبينًا، والدليل على خطئهما لَاحِبٌ لا يَنفُذ فيه طعن طاعن، ولا يَطُورُ به رَيْبُ مُرتاب؛ فقد قال ابن قتيبة بعيد كلامه على الوزير: «وأى موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتَّاب، اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه، وارتضاه لسره؛ فقرأ عليه كتابًا ذكر فيه «حاضرُ طيئ» فصحَّفه تصحيفًا

ضحك الحاضرين». وقال ابن السِّيد فى (شرحه ص٢٧): «هذا الكاتب هو شجاع بن القاسم، كاتب أوتامش التركى، وكان يتولى عرض الكتب على المستعين أحمد بن محمد المعتصم، وكان جاهلاً لا يحسن القراءة». وقال الجواليقى فى (ص٥١): «هذا: شجاع بن القاسم كاتب أوتامش التركى؛ قرأ على المستمعين، وصحَّف هذه اللفظة، فقال: حاء ضرطى».

ولو قد فطن ابن السيد والجواليقى لما نقلاه عن الزجاجى: من أن ابن قتيبة يقصد بالكاتب شجاع بن القاسم، وبالخليفة المستعين؛ لَمَا تردَّيا فى هذا الخطأ، فإن المستعين قد بويع بالخلافة سنة ٢٤٨هـ، وخُلع فى سنة ٢٥٢هـ.

فكيف يتصور أن يؤلف ابن قتيبة هذا الكتاب لعبيد الله أيام وزارته للمتوكل، مع أنه يذكر فى مقدمته قصة جرت للخليفة المستعين مع كاتبه شجاع بن القاسم؟! حقًا إن هذا لشىء عجاب.

* * *

وقد اتصل ابن قتيبة بالأمير محمد بن عبد الله بن طاهر؛ فأغدق عليه من معروفه؛ لعرفانه بقدره، ولأن إكرام العلماء والأدباء سجيَّة من سجاياه النبيلة، ورثها عن أبيه عبد الله بن طاهر، أمير خراسان، المتوفى سنة ٢٣٠هـ.

ومن مظاهر إكرام عبد الله للعلماء: مواقفه الخالدة مع أبى عُبيد: القاسم بن سلاَّم، المتوفى سنة ٢٢٣هـ. عرض عليه أبو عبيد كتابه «غريب الحديث»؛ فاستحسنه وقال: إن عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لَحقيق أن لا يُحْوَج إلى طلب المعاش، وأجرى له عشرة آلاف درهم فى كل شهر. وكان كلما أهداه أبو عبيد كتابًا من مؤلفاته حمل إليه مالاً خطيرًا. وكَرَمُ عبد الله بن طاهر إرْثٌ كذلك من والده طاهر بن الحسين ـ حين مضى إلى خراسان ـ بمدينة مَرْو، فطلب رجلاً يحدثه، فقيل له: ما ههنا إلا رجل مؤدِّب؛ فأُدخل عليه أبو عبيد القاسم بن سلاَّم، فوجده أعلم الناس بأيام الناس، والنحو، واللغة، والفقه، فقال له: من المظالم تركُك أنت بهذا البلد. فدفع إليه ألف دينار، وقال له: أنا موجَّه إلى خراسان إلى حرب، وليس أحب استصحابك؛ شفقًا بك، فأنفق هذا حتى أعود إليك. فألَّف أبو عبيد «الغريب المصنف» إلى أن عاد طاهر من خراسان، فحمله معه إلى سُرَّ مَنْ رأَى.

ومن مظاهر إكرام «آل طاهر» للعلماء ما صنعه طاهر بن عبد الله: من استقدامه لأبى سعيد الضرير من بغداد إلى نَيْسابور، وتكفُّله بمعيشته؛ ليفرغ إلى تعليم الناس ما حمل من علم وأدب. وقد قدم عليه ابن قُتيبة من بغداد: فأخذ عنه، وانتفع به، وكان له قدوة حسنة.

ومن مظاهر إكرامهم العلماء كذلك: استقدامهم إلى هَراة الحافظَ أبا جعفر السرخسى، المتوفى بنيسابور سنة ٢٥٣هـ.

وقد جرى محمد بن عبد الله بن طاهر على شاكلة قومه: فى العناية بالعلماء والأدباء، والإلطاف لهم، وعرَف هؤلاء قَدْرَه، ونبَّهوا من ذكره ـ وما كان خاملاً ـ وأهدوا إليه مؤلفاتهم وما جادت به قرائحهم؛ منذ أن كان شابًا يافعًا.

ولقد سجَّل ابن قتيبة شعوره نحوه فى رسالة كتب بها إليه، وأثبتها فى (عيون الأخبار ٢/ ٢٢٢)؛ حيث يقول: «وكتبتُ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر: أما شكرى للأمير على سالف معروفه: فقد أغار وأنْجَد. وأما ابتهالى إلى الله فى جزائه عنى بالحُسْنى: فإخلاص النية عند مظان القبول. وأما أملى: فأحياه ـ على بعد العهد ـ بلاؤُه عندى؛ إذ كان ما تقدم منه شافعًا فى المزيد، وفُسْحَةُ وعده إياى عند مفارقتى له؛ إذ كان مُؤْذنًا بالإيجاز. وأما زللى فى التأخر عما أوجب الله على له: فمقرونٌ بالعقوبة فيما حَرِمْتُه من عزِّ رياسته، ونباهة صُحْبته، وعلوِّ الدرجة به؛ وإن كنت سائر أيام انقطاعى عنه مُعْتَلِقًا بسبب لا خِيارَ معه».

ولست أعلم لابن قتيبة علاقة بعظماء عصره، سوى علاقته بعبيد الله بن خاقان، ومحمد بن عبد الله بن طاهر.

وقد أشار هو إلى علاقة لم يفصح عنها فَانْبَهم أمْرُها علينا؛ حيث يقول فى (عيون الأخبار ١/ ٢٨): «وكتبتُ إلى بعض السلاطين كتابًا، وفى فصل منه: ولم يزل حَزَمَةُ الرجال يَسْتَحْلون مرارة قول النُّصحاء، ويستهدون العيوبَ، ويستثيرون صواب الرأى من كلٍّ حتى الأَمَة الوَكْعاء، ومن احتاج إلى إقامة دليل على ما يدَّعيه: من مودته، ونقاء طويَّته، فقد أغنانى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطرار؛ إذ كنت أرجو بدوام نعمتك، وارتفاع درجتك، وانبساط جاهك ويدك ـ زيادة الحال».

* * *

آراء العلماء فى ابن قتيبة

١ ـ قال أبو منصور الأزهرى (٢٨٢ ـ ٣٧٠هـ) فى مقدمة كتاب (التهذيب ص١٣): «وإذ فرغنا من ذكر الأثبات المتقدمين، والثِّقات المبرِّزين: من اللغويين؛ وتسميتهم طبقة، إعلامًا لمن غَبِىَ عليه مكانهم من المعرفة، كى يعتمدوهم فيما يجدون لهم من المؤلفات المروية عنهم ـ فلنذكر بعَقِب ذكرهم أقوامًا تسموا بسِمَة المعرفة وعلم اللغة، وألفوا كتبًا أودعوها الصحيح والسقيم، وحشوها بالمُزَال المفسد، والمصحَّف المغيَّر، الذى لا يتميز ما يصحُّ منه إلا عند النَّقَّاب المبرِّز، والعالم الفَطِن؛ لنحذِّر الأغمار اعتماد ما دونوا، والاستنامة إلى ما ألَّفوا. فمن المتقدمين: الليث بن المظفَّر. . . وقُطْرُب. . .».

ثم عرض الأزهرى للجاحظ، وتلميذه ابن قتيبة، فقال (ص١٥): «وممن تكلم فى لغات العرب بما حضر لسانه، وروى عن الأئمة فى كلام العرب ما ليس من كلامهم: عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، وكان أُوتى بسطة فى لسانه، وبيانًا عذبًا فى خطابه، ومجالاً واسعًا فى فنونه، غير أن أهل المعرفة بلغات العرب ذمُّوه، وعن الصدق دفعوه، وأخبر أبو عمر الزاهد أنه جرى ذكره فى مجلس أحمد بن يحيى [ثعلب]، فقال: اعزُبوا عن ذكر الجاحظ، فإنه غير ثقة ولا مأمون.

وأما أبو محمد: عبد الله بن مسلم الدِّينَوَرِى: فإنه ألف كتبًا فى مشكل القرآن وغريبه، وألف كتاب غريب الحديث، وكتابًا فى الأنواء، وكتابًا فى أدب الكَتَبة، ورد على أبى عبيد حروفًا فى غريب الحديث، سماها: «إصلاح الغلط»؛ وقد تصفحتها كلها، ووقفت على الحروف التى غلط فيها وعلى الأكثر الذى أصاب فيه. فأما الحروف التى غلط فيها: فإنى أثبتها فى مواقعها من كتابى، ودللت على موضع الصواب فيما غلط فيه.

وما رأيت أحدًا يدفعه عن الصدق فيما يرويه: عن أبى حاتم السِّجْزِىِّ، والعباس ابن الفرج الرِّياشى، وأبى سعيد المكفوف البغدادى.

فأمّا ما يستبد فيه برأيه: من معنى غامض، أو حرف من علل التصريف والنحو؛

مشكل، أو حرف غريب ـ فإنه ربما زلّ فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة.

وألفيته يحدث بالظن فيما لا يعرفه، ولا يحسنه.

ورأيت أبا بكر بن الأنبارى ينسبه إلى الغفلة، والغباوة، وقلّة المعرفة. وقد ردّ عليه قريبًا من ربع ما ألَّفه من مشكل القرآن».

وللأزهرى عنه كلمة أخرى، وردت فى (اللسان ٣٣٦/١٣): «وقال القُتَيْبِيُّ فى تفسير قوله تعالى ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:٢٨]، أى فرَّقْنا، وهو من زال يَزُول وأَزَلْتُه أنا. قال أبو منصور: وهذا غلَط من القُتيبى، ولم يميِّز بين زال يَزُول، وزال يَزِيل، كما فعل الفرَّاء».

وقد عرض أبو منصور الأزهرى للكلام على رواية ابن قتيبة، أثناء حديثه عن أبى حامد الخَارزَنْجى البُشْتِى، فى مقدمة التهذيب، إذ يقول: «وممن ألف فى عصرنا هذا فصحَّف وغيَّر، وأزال العربية عن وجهها: أحمد بن محمد البُشتى، فإنه ألف كتابًا سمّاه «التكملة»، أومأ إلى أنه كمَّل بكتابه كتاب «العين» المنسوب إلى الخليل بن أحمد. ونظرتُ فى أول كتاب البُشتى فرأيته أثبت فى صدره الكتب المؤلفة التى استخرج منها كتابه، فعدّدها وقال: استخرجت ما وضعته فى كتابى من هذه الكتب، ولعل بعض الناس يبتغى العَنَتَ بتهجينه والقَدْح فيه لأنى أسندت ما فيه إلى هؤلاء العلماء من غير سماع، وإنما إخبارى عنهم إخبارٌ عن صحفهم، ولا يُزرى ذلك على من عرف الغَثَّ من السمين، وميَّز بين الصحيح والسقيم، وقد فعل مثلَ ذلك أبو تُراب صاحب كتاب «الاعتقاب»، فإنه روى عن الخليل، وأبى عمرو بن العلاء، والكسائى؛ وبينه وبين هؤلاء فترة، وكذلك القُتَيْبِيّ: روى عن سيبويه، والأصمعى، وأبى عمرو؛ وهو لم ير منهم أحدًا».

ثم عقب الأزهرى على قول البُشْتى هذا بقوله (ص١٦): «قد اعترف البشتى بأنه لا سماع له فى شىء من هذه الكتب، وأنه نقل ما نقل إلى كتابه من صحفهم، واعتل بأنه لا يُزرى ذلك بمن عرف الغثَّ من السمين.

وليس كما قال؛ لأنه اعترف بأنه صَحَفى، والصحفى إذا كان رأس ماله صحفًا قرأها فإنه يُصحِّف فيكثر؛ وذلك أنه يخبر عن كتب لم يسمع بها، ودفاتر لا يدرى أصحيح ما كُتب فيها أم لا؟ وإن أكثر ما قرأنا من الصحف التى لم تُضبط بالنقط

صحيح، ولم يتول تصحيحها أهلُ المعرفة ـ لَسقيمة، لا يعتمد عليها إلا جاهل.

وأما قوله «إن غيره من المصنفين رووْا فى كتبهم عمن لم يسمعوا منه، مثل أبى تُرَاب والقُتَيْبِى»: فليس رواية هذين الرجلين عمن لم يرياه حجة له؛ لأنهما وإن كانا لم يسمعا مِنْ كل مَنْ رَوَيا عنه، فقد سمعا من جماعة من الثقات المأمونين. فأما أبو تراب... وأما القُتَيْبِى فإنه رجل سمع من أبى حاتم السِّجْزِى كتبه، وسمع من الرِّياشى فوائد جَمَّة، وكانا من المعرفة والإتقان بحيث تُثْنَى بهما الخناصر، وسمع من أبى سعيد الضرير، وسمع كتب أبى عُبيد، وسمع من ابن أخى الأصمعى.

وهما ـ أى أبو تراب وابن قتيبة ـ من الشهرة وذهاب الصِّيت والتأليف الحسن بحيث يُعْفَى لهما عن خطيئة غلط، ونَبْذِ زلَّة تقع فى كتبهما...».

٢ ـ قال أبو الطيب الحلبى، المتوفى سنة ٣٥١هـ، فى كتاب (مراتب النحويين، ص١٣٧): «وكان أبو محمد: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرى أخذ عن أبى حاتم، والرِّياشى، وعبد الرحمن ابن أخى الأصمعى. وقد أخذ ابن دريد عن هؤلاء عنهم، وعن الأُشْنَانْدَانِىِّ، إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات.

وكان يشرع فى أشياء لا يقوم بها: نحو تعرضه لتأليف كتابه فى النحو، وكتابه فى تعبير الرؤيا، وكتابه فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وعيون الأخبار، والمعارف، والشعراء، ونحو ذلك، مما أَزْرَى به عند العلماء، وإن كان نَفَقَ بها عند العامة ومن لا بصيرة له».

وهذا كلام لا نَعُوج به، ولا نُعرِّج عليه، لأنه لم يصدر إلا عن عالم قد أعمى الحقد قلبه الذى فى صدره، وأضلّه الحسد المستكنُّ فى أطواء نفسه، وجعلت «العَصَبية» البغيضة على عينه غشاوة تحجب عنه نور الحق، وتنطقه بغير الصدق.

وليس أدل على فساد هذا الرأى، وانتكاس هذا الحكم، من أن ابن قتيبة ظل نافقًا بكتبه عند ذوى البصائر والعقول: من الخاصة والعامة، وظلت مكانته ملحوظة من العلماء بعيون الإجلال والإكبار، على اختلاف الأجيال والأعصار، منذ كان إلى يوم الناس هذا.

ولكنها العصبية المقيتة ـ قاتلها الله ـ ما قاربت شيئًا إلا أفسدته وحطَّت من قدره،

ولا داخلت إنسانًا إلا شانته وغضّت من ذكره.

٣ ـ قال الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبىّ النيسابورى، المعروف بابن البيّع (٣٢١ ـ ٤٠٥هـ): «كان ابن قتيبة يتعاطى التقدم فى العلوم، ولم يرضه أهل علم منها! وإنما الإمام المقبول عند الكل: أبو عُبيد».

وهذا كلام يقطُر حقدًا وعصبية وحسدًا.

وقد ألهبت نار الحسد الموقدة عقل الحاكم، واطلعت على فؤاده؛ فهذى هذيان المحموم، وهمز ابن قتيبة ولمزه بقوله: «أجمعت الأمة على أن القُتيبىَّ كذاب»!!

وقد نقل هذه الكلمة الجائرة الفاجرة الحافظ الذهبى فى (ميزان الاعتدال ٢/ ٧٧) وعقب عليها بقوله: «هذه مجازفة قبيحة وكلام من لم يخف الله».

ونقلها مرّة أخرى، وقال فى إثرها: «هذا بغى وتخرُّص؛ بل قال الخطيب: هو ثقة». وعقب عليها مرَّة ثالثة فقال: «ما علمت أحدًا اتهم القتيبىَّ فى نقله، مع أن الخطيب قد وثَّقه، وما أعلم الأمة أجمعت إلا على كذب الدَّجال ومُسَيْلِمة».

٤ ـ وقال الحافظ السِّلَفِى: أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهانى الجروانى، المتوفى سنة ٥٧٦هـ: «كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ولكن الحاكم بضده من أجل المذهب».

وقد فسرت كلمة «المذهب» فى قول السِّلَفى هذا بتفسيرين: فقال الصلاح العلائى: إن السلفى أراد بالمذهب ما نُقل عن البيهقى والدارقطنىٍّ من أن ابن قتيبة كان كرَّامِيًّا يميل إلى التشبيه، منحرفًا عن العِتْرة.

ثم قال العلائى: «وهذا لا يصح عنه، وليس فى كلامه ما يدل عليه، ولكنه جارٍ على طريقة أهل الحديث فى عدم التأويل».

وقال الحافظ ابن حجر شهاب الدين أحمد بن على، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، فى (لسان الميزان ٣/ ٣٠٨): «والذى يظهر لى أن مراد السِّلَفِى بالمذهب: النَّصَب؛ فإن فى ابن قتيبة انحرافًا عن أهل البيت، والحاكم على ضد من ذلك. وإلا فاعتقادهما معًا ـ فيما يتعلق بالصفات ـ واحد».

٥ ـ قال الدارقطنى: أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى (٣٠٦ ـ ٣٨٥هـ): «كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه، منحرفًا عن العترة، وكلامه يدل عليه».

٦ ـ قال البيهقى: أبو بكر أحمد بن الحسين (٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ): «كان ابن قتيبة يرى رأى الكرَّامية».

٧ ـ قال ابن تغرى بردى فى (النجوم الزاهرة ٣/ ٧٥) بعد أن نقل كلام الدارقطنى والبيهقى: «وكان ابن قتيبة خبيث اللسان، يقع فى حق كبار العلماء».

٨ ـ قال ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق: «كان ابن قتيبة صادقًا فيما يرويه، عالمًا باللغة والنحو، وكتبه مرغوب فيها».

٩ ـ قال مسلم بن قاسم: «كان ابن قتيبة لغويًا كثير التأليف، عالمًا بالتصنيف، صدوقًا، من أهل السنة».

١٠ ـ قال الخطيب البغدادى (٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ) فى (تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠): «هو صاحب التصانيف المشهورة، والكتب المعروفة، وكان ثقة، دينًا، فاضلاً».

وقال عنه فى كتاب (المتفق والمفترق): «شهرته ظاهرة فى العلم، ومحلُّه من الأدب لا يحقر».

١١ ـ قال نِفْطَوَيْه: أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة (٢٤٤ ـ ٣٢٣هـ): «كان ابن قتيبة إذا خلا فى بيته وعمل شيئًا جوَّده، وما أعلمه حكى شيئًا فى اللغة إلا صدق فيه».

١٢ ـ قال ابن حزم: أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ): «كان ابن قتيبة ثقة فى دينه وعلمه».

١٣ ـ قال إمام الحرَمين: أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله الجُوينى (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ): «ابن قتيبة هَجَّام ولُوج فيما لا يحسنه». وقد نقل ابن حجر هذه الكلمة فى لسان الميزان، ثم علق عليها بقوله: «كأنه يريد كلامه فى الكلام».

١٤ ـ قال الحافظ الذهبى: محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ـ ٧٤٨هـ) فى (ميزان الاعتدال ٢/ ٧٧): «أبو محمد: صاحب التصانيف، صدوق، قليل الرواية». وقال فى (تذكرة الحفاظ ٢/ ١٨٧): «ابن قتيبة: من أوعية العلم، لكنه قليل العمل فى الحديث».

١٥ ـ قال ابن الجوزى: أبو الفرج عبد الرحمن بن على، المتوفى سنة ٥٩٧هـ، عنه فى (المنتظم ٥/ ١٠٢): «وكان عالمًا ثقةً دينًا فاضلاً، وله التصانيف المشهورة».

١٦ ـ قال الحافظ ابن كثير إسماعيل بن عمر، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، فى (البداية والنهاية ١١/٤٨، ٥٧): «ابن قتيبة النحوى اللغوى: صاحب المصنفات الكثيرة، البديعة المفيدة، المحتوية على علوم حجة نافعة؛ أحد العلماء والأدباء، والحفاظ الأذكياء؛ كان ثقةً نبيلاً».

١٧ ـ قال أبو بكر بن دُريد (٢٢٣ ـ ٣٢١هـ) وقد سئل عن ابن قتيبة، فقال: «ربوة بين جبلين»، يريد أن ذكره قد خَمَلَ بنباهة ثعلب والمبرِّد، كما قال الجرجانى.

١٨ ـ أما ابن تيمية: تقى الدين أحمد بن عبد الحليم، المتوفى سنة ٧٢٨هـ فقد ذكر فى (تفسير سورة الإخلاص، ص١٢١) أن الإمام أحمد بن حنبل يذهب إلى أن الراسخين فى العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه. ثم عقب على ذلك بقوله: «وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة، منهم: ابن قتيبة، وأبو سليمان الدمشقى، وغيرهما». وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق بن راهويه، والمتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله فى ذلك مصنفات متعددة، قال فيه صاحب (التحديث بمناقب أهل الحديث): «وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء الفضلاء، أجودهم تصنيفًا، وأحسنهم ترصيفًا، له زهاء ثلاثمائة مصنف. وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق، وكان معاصرًا لإبراهيم الْحَرْبِىّ، ومحمد بن نصر الْمَرْوَزِى، وكان أهل المغرب يعظمونه، ويقولون: من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة! ويقولون: كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه لا خير فيه. ويقال: هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة؛ فإنه خطيب السنة، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة».

١٩ ـ وقال ابن خِلِّكان: أبو العباس أحمد بن محمد (٦٠٨ ـ ٦٨١هـ) عنه فى (وفيات الأعيان ٢/٢٤٦): «كان فاضلاً ثقة، وتصانيفه كلها مفيدة...».

* * *

تلك هى آراء العلماء الأقدمين فى ابن قتيبة؛ أوردناها كما رأيناها، ويعنينا هنا أن نتبين وجه الحق فيما قُرِفَ به من تُهم، وعُضِهَ به من مثالب.

وسبيلنا إلى ذلك: أن نوازن بين ما قالوه عنه، وما قاله غيرهم، وما قاله فى كتبه ـ موازنة دقيقة، قوامها العدل الخالص من شوائب الهوى، والإنصاف الباسل الذى لا يبالى على مَنْ وجبت الحجة، وحقَّت كلمة الخطأ والضلال.

فإن كان ما قالوه حقًا أيدناه بالمثل والشواهد التى تجعل القلوب إليه صاغية، والعقول جانحة جنوحًا لا خيار فيه.

وإن كان ما ذهبوا إليه مَيْنًا أبدينا عواره، وهتكنا أستاره؛ بما نورده من الأدلة الناصعة، والبراهين القاطعة، ثم قَدِمنا إليهم فكشفنا عن أسباب ضِغْنهم عليه، وكراهيتهم له، وبينا أسرار اختلافهم عليه، ومنازع وقيعتهم فيه.

* * *

* لقد اتهمه الحاكم بأنه كذاب قد أجمعت الأمة على كذبه؛ ولم يؤيد دعواه بمثال واحد، بل لجأ إلى التهويل والتهويش بإجماع الأمة. وتلك أكذوبة بَلْقاء لم تجد مصدِّقًا أو مُظاهِرًا، ولا تستحق أن نعرض لها بالتوهين، وحسبها نقد الذهبى لها، وحسبنا إجماع الأزهرى، والخطيب البغدادى، ومسلم بن قاسم، والحافظ السِّلَفى، وابن النديم، ونِفْطَوَيْه، وابن حزم، وابن كثير، وابن الجوزى، وابن خلِّكان ـ حسبنا إجماع هؤلاء الأعلام على أن ابن قتيبة كان ثقةً فى قوله، صادقًا فى روايته، مُصَدَّقًا.

* وقد اتهمه الدارقطنى بأنه كان يميل إلى التشبيه، منحرفًا عن العِتْرة.

* واتهمه البيهقىّ بأنه كان كرَّاميًا.

وليس بين هذين الاتهامين من فرق فى المعنى؛ فكلاهما ينسبه إلى التشبيه، والانحراف عن آل البيت رضوان الله عليهم؛ فإن الكرّامية ـ الذين تابعوا محمد بن كرَّام على رأيه ـ كانوا يذهبون إلى التجسيم والتشبيه، ويتهمون عليًا فى صبره على ما جرى مع عثمان وسكوته عنه، ويرون تصويب معاوية فيما استبد به من الأحكام الشرعية: قتالاً على طلب قتلة عثمان، واستقلالاً ببيت المال.

فهل كان ابن قتيبة يذهب حقًا إلى التشبيه؟ وهل كان منحرفًا عن آل البيت؟ أم أن هذا وذاك قد افتُرى عليه، ورُمى به بغير الحق، كما رُمى بالكذب زورًا وبُهْتَانًا؟!

أما نسبة ابن قتيبة إلى التشبيه والتجسيم: فهى من منكر القول وزوره:

وكيف يصح فى الأذهان أن يكون ابن قتيبة من المشبِّهة وهو مؤلف كتاب: «الاختلاف فى اللفظ، والرد على الجهمية والمشبِّهة»؟!

كيف يكون منهم وهو القائل فى كتابه هذا (ص٢٩): «فنحن نقول كما قال الله، وكما قال رسوله، ولا نتجاهل، ولا يحملنا ما نحن فيه من نفى التشبيه على أن ننكر

ما وصف به نفسه، ولكنا لا نقول كيف البيان، وإن سُئلنا نقتصر على جملة ما قال، ونمسك عما لم يقل»؟!

كيف يكون منهم وهو الذى يقول فى (ص٣٢): «فنحن نؤمن بالنفخ وبالروح، ولا نقول كيف ذلك؛ لأن الواجب علينا أن ننتهى فى صفات الله إلى حيث انتهى فى صفته، أو حيث انتهى رسولُه ﷺ، ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه، ونمسك عما سوى ذلك»؟!

كيف يكون منهم وهو الذى يقول فى (ص٤٥): «. . . ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء فى النفى عارضوهم بالإفراط فى التمثيل؛ فقالوا بالتشبيه المحض، وبالأقطار والحدود. . . وكلا الفريقين غالط، وقد جعل الله التوسط منزلةَ العدل، ونهى عن الغلوِّ فيما دون صفاته من أمر ديننا؛ فضلاً عن صفاته، ووَضَع عنا أن نفكر فيه: كيف كان؟ وكيف قدّر؟ وكيف خلق؟ ولم يكلفنا ما لم يجعله فى تركيبنا ووُسْعِنا. وعَدْلُ القول فى هذه الأخبار: أن نؤمن بما صحّ منها بنقل الثقات لها، فنؤمن: بالرّؤية والتجلّى، وأنه يَعْجَبُ، وينزل إلى السماء، وأنه على العرش استوى، وبالنفس واليدين؛ من غير أن نقول فى ذلك بكيفيَّة أو بحدٍّ، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت.

فنرجو أن نكون فى ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدًا، إن شاء الله تعالى»؟!

أيقول هذا القولَ السَّوِيَّ من يقول بالتشبيه والتجسيم؟ إن ابن قتيبة قد نهج فى كلامه هذا نهج النمط الأوسط من السلف الصالح، وسلك سبيلهم متبعًا غير مبتدع.

قال أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى (٤٧٩ ـ ٥٤٨هـ) فى كتابه (الملل والنحل): «وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل، ولم يهدفوا للتشبيه، فمنهم: أحمد بن حنبل، وسفيان الثورى، ومالك بن أنس إذ قال: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

فهل بين قول مالك بن أنس وبين قول ابن قتيبة فرق؟ كلا، ولكن البيهقىَّ والدارقطنىّ قد كذبا عليه حين رمياه بالتشبيه، كما كذب الحاكم فى رميه بالكذب.

* * *

* **وأما القول «بأن ابن قتيبة كان منحرفًا عن آل البيت» فمحض افتراء عليه، كسابقه.**

وقد لجأ قارفوه بهذه التهمة الخطيرة إلى إلقاء الحكم إلقاء دون تثبيته فى النفوس بالمثال؛ شأنهم فى كل ما رموه به من تهم، وألصقوا به من وصمات.

ولكن من دفع هذه التهمة عنه هيِّن ليِّن: لا يحوج إلى إعمال فكر، أو إجالة رَوِيَّة، أو كدِّ خاطر؛ ولكنه يحتاج إلى قليل من الأناة فى قراءة قوله الذى أفصح به عن رأيه فى علىٍّ كرم الله وجهه، وأعرب به عن تقديره لمكارمه ومفاخره، ومكانه السامى من رسول الله ودين الله، ومكانته من الفضل والبأس، والعلم والدين جميعًا.

قال ابن قتيبة فى كتاب (الاختلاف فى اللفظ والردّ على الجهمية والمشبّهة، ص٤٧): «. . . وقد رأيت هؤلاء أيضًا ـ حين رأوا غُلُوَّ الرَّافضة فى حب علىٍّ، وتقديمه على مَنْ قدَّمه رسول الله ﷺ وصحابته عليه، وادعائهم له شركة النبى ﷺ فى نبوّته، وعلم الغيب للأئمة من ولده، وتلك الأقاويل والأمور السِّرِّية التى جمعت إلى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة، ورأوا شتمهم خِيارَ السَّلف، وبُغضَهم وتبرؤهم منهم ـ قابلوا ذلك أيضًا بالغلو فى تأخير علىٍّ كرم الله وجهه، وبَخْسِه حقَّه، ولحنوا فى القول وإن لم يصرحوا إلى ظلمه، واعتدوا عليه بسفك الدماء بغير حق، ونسبوه إلى الممالأة على قتل عثمان رضى الله عنه، وأخرجوه بجهلهم من أئمة الهُدَى إلى جملة أئمة الفتن، ولم يوجبوا له اسم الخلافة لاختلاف الناس عليه، وأوجبوها ليزيد بن معاوية لإجماع الناس عليه، واتهموا مَنْ ذكره بخير. وتحامى كثير من المحدِّثين أن يحدِّثوا بفضائله كرَّم الله وجهه أو يُظهروا ما يجب له، وكلّ تلك الأحاديث لها مخارج صحاح. وجعلوا ابنه الحسين عليه السلام خَارِجيًّا، شاقًّا لعصا المسلمين، حَلاَلَ الدَّم؛ لقول النبى ﷺ: «من خرج على أمَّتى وهم جَميعٌ فاقتلوه كائنًا من كان». وسووا بينه ـ فى الفضل ـ وبين أهل الشورى؛ لأن عمر لو تبيَّن له فضلُه لقدَّمه عليهم ولم يجعل الأمر شورى بينهم. وأهملوا من ذَكَرَهُ، أو روَى حديثًا من فضائله؛ حتى تحامى كثير من المحدِّثين أن يتحدَّثوا بها، وعُنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ومعاوية كأنهم لا يريدونهما بذلك وإنما يريدونه. فإن قال قائل: أخو رسول الله ﷺ: علىٌّ، وأبو سِبْطيه: الحسن والحسين، وأصحاب الكساء: علىّ

وفاطمة والحسن والحسين ـ تَمَعَّرَت الوجوهُ، وتنكَّرت العيونُ، وطَرَّتْ حسائكُ الصدور. وإن ذكَرَ ذاكرٌ قول النبى ﷺ: «مَنْ كنتُ مَوْلاهُ فعلىٌّ مولاه»، و: «أنت منِّى بمنزلة هارون من موسى»، وأشباه هذا ـ التمسوا لتلك الأحاديث المخارج لينتقصوه ويبخسوه حقَّه؛ بغضًا منهم للرافضة، وإلزامًا لعلىٍّ عليه السلام ـ بسببهم ـ ما لا يلزمه. وهذا هو الجهل بعينه.

والسلامة لك أن لا تهلك بمحبَّته، ولا تهلك ببغضته، وأن لا تحمل عليه ضِغْنًا بجناية غيره. فإن أنت فعلتَ فأنت جاهل مُفْرِط فى بغضه. وأن تعرف له مكانه من رسول الله ﷺ: بالتربية والأخوَّة والصِّهر، والصبر فى مجاهدة أعدائه، وبَذْل مُهجته فى الحروب بين يديه، مع مكانه فى العلم والدين والبأس والفضل، من غير أن تتجاوز به الموضع الذى وضعه به خيار السلف؛ لِمَا تسمعه من كثير من فضائله، فهم كانوا أعلم به وبغيره، ولأن ما أجمعوا عليه هو العِيان الذى لا يُشَك فيه، والأحاديثُ المنقولة قد يدخلها تحريف وشَوْبٌ.

ولو كان إكرامُك لرسول الله ﷺ هو الذى دعاك إلى محبة مَنْ نَازَعَ عليًا وحاربَه ولعنه ـ إذ صحب رسول الله ﷺ وخَدَمه، وكنت قد سلكت فى ذلك سبيل المستسلم ـ لَأَنْتَ بذلك فى علىٍّ عليه السلام أوْلى؛ لسابقته، وفضله، وخاصِّيته، وقرابته، والدناوة التى جعلها الله بينه وبين رسول الله ﷺ عند المُبَاهلة؛ حين قال تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ فدعا حَسَنًا وحُسينًا ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ فدعا فاطمة عليها السلام ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] فدعا عليًا عليه السلام. ومن أراد الله تَبْصِيرَه بَصَّره، ومن أراد به غير ذلك حيَّره».

هذا كلام ابن قتيبة الذى صوَّر فيه ـ فى قوة ووضوح ـ مشاعره نحو علىٍّ وآله، وعبَّر عما يَجُنُّه فؤاده من محبتهم وإجلالهم، وحسن الرأى والاعتقاد فيهم.

فهل يصدر هذا الكلام العذب عمن يجتويهم، ويسىء الظن بهم؟ وهل يدخل فى نطاق المعقول أن يقوله من يُتَّهم بالانحراف عنهم؟

ولكن القوم أصموا آذانهم عنه، وأطبقوا أعينهم دونه، واستغشوا ثياب العصبية الصفيقة، ثم ذهبوا يتناقلون رميه ببغض آل البيت، والميل عن مودَّتهم، لموجدة يجدون مسَّها فى نفوسهم عليه.

ولعل من أسباب هذه الموجدة تلك الرواية التى رواها عن الشعبى فى «تأويل مشكل القرآن»، حيث يقول فى ص٢٤٩: «وكان أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم - وهم مصابيح الأرض، وقادة الأنام، ومُنْتَهى العلم - إنما يقرأ الرجل منهم السورتين والثلاث والأربع والبعض والشطر من القرآن، إلا نفرًا منهم: وفّقهم الله لجمعه، وسهّل عليهم حفظه... قال الشعبى: توفى أبو بكر، وعمر، وعلى - رحمهم الله - ولم يجمعوا القرآن. وقال: لم يختمه أحد من الخلفاء غير عثمان. ورُوى عن شريك، عن إسماعيل بن أبى خالد أنه قال: سمعت الشعبى يحلف بالله عز وجل: لقد دخل علىٌّ حفرته وما حفظ القرآن».

ولقد أثارت هذه الرواية ثائرة أبى الحسين أحمد بن فارس، المتوفى سنة ٣٩٥، فقال فى كتاب (الصاحبى، ص١٧٠): «وابن قتيبة يطلق إطلاقات منكرة، ويروى أشياء شنعة؛ كالذى رواه عن الشعبى: أن أبا بكر وعمر وعليًا توفوا ولم يجمعوا القرآن، وأن عليًا دخل حفرته وما حفظ القرآن، وهذا كلام شَنِع جدًا...».

* * *

أما قول إمام الحرمين: «إن ابن قتيبة هجّام ولُوج فيما لا يحسنه»؛ فإنه يريد كلامه فى الكلام، كما قال ابن حجر. ولابن قتيبة كلام عن هذا العلم لا يروق فى نظر رجل انغمس فيه من فَرَقه إلى قدمه، وقضى حياته فى تحقيق مسائله؛ كإمام الحرمين. فقد قال فى كتاب (الاختلاف فى اللفظ، والرد على الجهمية والمشبِّهة، ص١٢) - أثناء رده على ما تأولته الجهمية: «ولم أعد فى أكثر الرد عليّهم طريق اللغة؛ فأما الكلام فليس من شأننا، ولا أرى أكثر مَنْ هلك إلا به، ويحمل الدين على ما يوجبه القياس...».

وقال فى كتاب (تأويل مختلف الحديث، ص١٥): «وقد تدبرت مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون، ويعيبون الناس بما يأتون، ويبصرون القَذَى فى عيون الناس وعيونهم تَطْرِف على الأجذاع، ويتهمون غيرهم فى النقل ولا يتهمون آراءهم فى التأويل. ومعانى الكتاب والحديث، وما أودعاه - من لطائف الحكمة، وغرائب اللغة - لا يدرك بالطفرة والتولُّد، والعَرَض والجوهر، والكيفية والكميَّة والأَيْنيَّة، ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج،

واتسع لهم المخرج، ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة، وحب الأتباع، واعتقاد الإخوان بالمقالات، والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضًا. . .».

وقال فى ص٧٤: «وكنتُ فى عنفوان الشباب، وتطلُّب الآداب، أَحبُّ أن أتعلَّق من كل علم بسبب، وأن أضرب فيه بسهم، فربما حضرت بعض مجالسهم ـ وأنا مغترٌّ بهم، طامع أن أَصْدُر عنه بفائدة، أو كلمة تدل على خير، أو تهدى لرشد ـ فأرى من جرأتهم على الله تبارك وتعالى، وقلّة توقِّيهم، وحملهم أنفسهم على العظائم ـ لطرد القياس، أو لئلا يقع انقطاع ـ ما أرجع معه خاسرًا نادمًا».

* * *

وأما قول ابن تغرى بردى: «كان ابن قتيبة خبيث اللسان، يقع فى حق كبار العلماء» فغير صحيح أيضًا.

والذى دفعه إلى هذا القول أنه من الأحناف أصحاب الرأى والقياس، وقد عرض لهم ابن قتيبة بالنقد فى كتاب «تأويل مختلف الحديث»، وقال فى ص٦٢: «ثم نصير إلى أصحاب الرأى، فنجدهم أيضًا يختلفون ويقيسون، ثم يدَعُون القياس ويستحسنون، ويقولون بالشيء ويحكمون به ثم يرجعون».

ثم ضرب لذلك أمثلة خطيرة رجع فيها أبو حنيفة عن رأيه؛ رواها عن أستاذه إسحاق بن راهويه، الذى قال عنه فى ص٦٥: «ولم أر أحدًا ألهج بذكر أصحاب الرأى وتنقصهم، والبعث على قبيح أقاويلهم، والتنبيه عليها ـ من إسحاق بن إبراهيم الحنظلى، المعروف بابن راهويه. وكان يقول: نبذوا كتاب الله تعالى وسنن رسوله ﷺ ولزموا القياس».

وعدد ابن قتيبة من ذلك مسائل كثيرة رواها عنه، كما روى مسائل أخرى تدل ـ كما يقول ابن راهويه ـ «على تحكم أبى حنيفة فى الدين، ومخالفة كتاب الله».

ثم قال ابن قتيبة فى ص٧٠: «وكيف يطرد لك القياس فى فروع لا تتفق أصولها والفرع تابع للأصل؟! وكيف يقع فى القياس: أن يُقطَع سارق عشرة دراهم ويُمْسَك عن غاصب مائة ألف درهم، ويُجلَد قاذف الحرّ ويُعْفَى عن قاذف العبد العفيف، وتُستبرأ أرحام الإماء بحيضة ورحم الحرة بثلاث حيضات، ويُحصن الرجل بالعجوز الشوهاء السوداء ولا يُحْصَن بمائة أمة حسناء، ويُوجب على الحائض قضاء الصوم

ولا يوجب عليها قضاء الصلاة، ويُجْلَد فى القذف بالزنا أكثر من الجلد فى القذف بالكفر، ويُقْطَع فى القتل بشاهدين ولا يُقطع فى الزنا بأقل من أربعة؟!».

فأنت ترى أن ابن قتيبة لم يكن خبيث اللسان فى حديثه عن أهل الرأى، وإنما عرض لهم بالنقد العلمى فى بعض ما ذهبوا إليه، وروى عن أساتذته ما تدعو ضرورة البحث إلى روايته، وإذا تحدث عن رأيه تحدث بأسلوب مهذب مؤدب، لا يصح وصفه بالخبث، ولا نعته بالوقيعة.

وقد خدعت كلمة ابن تغرى بردى هذه الأستاذ محمد كرد على، وجعلته يقول فى مقدمته لكتاب الأشربة، ص٤:

«اشتد ابن قتيبة على مخالفيه ولا سيما المعتزلة منهم، وفى كتابه (تأويل مختلف الحديث) طعن مبرًح فى الجاحظ، قال فيه: إنه أكذب الأمة، وأوضعهم لحديث، وأنصرهم لباطل، فتجلًى حسده تجليًا ظاهرًا.

هجًن ابن قتيبة الجاحظ وكفًره، ورماه بأعظم كبيرة وهى الكذب، وسجل عليه أنه أكذب واحد فى الأمة؛ لأنه كتب فى أشياء تنفع فى تربية العقول فى الدنيا، كما كتب كلّ ما ينفع فى الدين؛ وابتدع أدبًا يسلًى ويعلًم.

فهل من العدل أن يرمى بوضع الحديث وتشدده وتشدّد أهل مذهبه - فى تحرى السليم من السقيم فى الحديث - لا يحتاج إلى دليل؟!».

إن ابن قتيبة لم يظلم الجاحظ، ولم يهجّنه حسدًا من عند نفسه، ولم يتهمه بالكذب؛ لِمَا زعمه الأستاذ، بل أنصفه وقال فيه ما له كاملاً غير منقوص، ونقده فى بعض رأيه بما لا يسع المسلم الحقيقى إلا نقده وردّه على قائله كائنًا من كان.

وإليك نص كلام ابن قتيبة فى كتاب (تأويل مختلف الحديث)، قال فى ص٨١:

«ثم نصير إلى الجاحظ وهو آخر المتكلمين والمعاير على المتقدمين، وأحسنهم للحجة استثارة، وأشدهم تلطفًا لتعظيم الصغير حتى يعظم، وتصغير العظيم حتى يصغر، ويبلغ به الاقتدار أن يعمل الشىء ونقيضه، ونجده يقصد فى كتبه للمضاحيك والعبث، يريد بذلك استمالة الأحداث وشرّاب النبتذ. ويستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم؛ كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان، وذكر الحجر الأسود، وأنه كان أبيض فسوًده المشركون وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا، ويذكر

الصحيفة التى كان فيها المنزل فى الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة، وأشياء من أحاديث أهل الكتاب فى تنادم الديك والغراب، ودفن الهدهد أمّه فى رأسه، وتسبيح الضّفدع، وطوق الحمامة، وأشباه هذا مما سنذكره فيما بعد، إن شاء الله. وهو ـ مع هذا ـ من أكذب الأمة، وأوضعهم لحديث، وأنصرهم لباطل».

هذا هو رأى ابن قتيبة فى الجاحظ، وهو يَلْقَفُ ما يقول عنه الأستاذ محمد كرد على.

ولست أدرى: كيف استباح لنفسه الطعن فى ابن قتيبة بذلك الأسلوب التهكمى مع أنه لم يستطع أن ينقد مما قاله حرفًا واحدًا؟!

أتُراه كان ينتظر منه تقريظ الجاحظ لاستهزائه بحديث رسول الله ﷺ؟!

ومن دلائل وضع الجاحظ للأحاديث ما حدث به أبو العيناء بعد توبته عن وضعها؛ قال: «أنا والجاحظ وضعنا حديث فَدَكَ، وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه، إلا ابن أبى شيبة العلوى فإنه قال: لا يشبه هذا الحديث أوله، وأبى أن يقبله».

وكذلك وضع الجاحظ فى كلام العرب ما ليس منه، ونسب ذلك إلى أئمة اللغة، وقد سجّل عليه ذلك أبو العباس: ثعلب، إذ يقول: «اعزبوا عن ذكر الجاحظ؛ فإنه غير ثقة ولا مأمون».

ولا مراء فى أن الجاحظ قد صنع كثيرًا من نصوص الأدب وعزاها إلى غيره من العرب تارة، والأعاجم أخرى.

وهذه كلها دلائل تدل على أن ابن قتيبة لم يصف أستاذه الجاحظ إلا بما عرفه من خلاله ونوازعه، ولم يحاول «أن يسحب عليه ذيل النسيان» كما يقول الأستاذ محمد كرد على رحمه الله.

وأعجب مما سبق قول الأستاذ محمد كرد على عن ابن قتيبة:

«ورمى أيضًا أبا الهُذَيل العلاَّف بما ليس فيه، ووصفه بأنه كذاب أفَّاك، وطعن فيه أشنع طعن.

وكذلك كان حظ ثُمامة بن الأَشْرَس منه ـ وهما من الأئمة ـ ورمى هذا برقة الدين، وتنقّص الإسلام، والاستهزاء به.

وطعن فى النظَّام أيضًا وهو الذى رد على الملحدين والدُّهْريين، شطرًا كبيرًا من عمره».

ولست أدرى: من أين علم الأستاذ أن ابن قتيبة افترى على أبى الهذيل الكذب ووصفه بما ليس فيه؟!

هل قرأ كتب «التوحيد» فألفى فيها ما يكذبه؟

أم هل قرأ كتب «التراجم» فوجد فيها تكأة له فى تكذيبه؟

إنه لم يقرأ شيئًا من هذه ولا تلك! وآية ذلك أن وصف ابن قتيبة له بالبخل ورقة الدين مسطور فيها جميعًا.

وقد كرر الجاحظ فى كتبه وصفه له بالبخل، وقال عنه: «إنه كان أبخل الناس». ووصفه كذلك بأوصاف كثيرة فى طليعتها النفاق!

واتفق المترجمون له والباحثون فى مذهبه الكلامى على أن دينه كان من بيت العنكبوت:

قال الخطيب البغدادى فى (ترجمته ٣/٣٦٦): «وكان أبو الهذيل خبيث القول، فارق إجماع المسلمين، ورد نص كتاب الله إذ زعم أن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيها حتى لا ينطقوا بكلمة ولا يتكلموا بكلمة؛ فلزمه القول بانقطاع نعيم الجنة عنهم، والله يقول: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥]. وجَحَد صفات الله التى وصف بها نفسه، وزعم أن علم الله هو الله، وقدرة الله هى الله! فجعل الله علمًا وقدرة، تعالى الله عما وصفه به علوًا كبيرًا».

ومذهب أبى الهذيل - فى انتهاء حركات أهل الجنة والنار - قريب من مذهب جَهْم ابن صَفْوان الذى زعم أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان، ويفنى من فيهما، حتى لا يبقى إلا الله وحده، كما كان وحده لا شىء معه، بل إن مذهبه شر من مذهب جَهْم - كما يقول البغدادى فى «الفَرْق بين الفِرَق» - «لأن جَهْمًا - وإن قال بفناء الجنة والنار - فقد قال: إن الله قادر بعد فنائهما أن يخلق غيرهما، وأبو الهذيل زعم أن ربّه لا يقدر بعد انتهاء الحركات على تحريك ساكن، أو إحياء ميت، أو إحداث شىء».

ويقول البغدادى عنه أيضًا فى ص٧٢: «وفضائحه تَتْرَى، تكفِّره فيها سائر فرق الأمة: من أصحابه فى الاعتزال، ومن غيرهم».

أفبعد ذلك يصح اتهام ابن قتيبة بأنه وصف أبا الهذيل بما ليس فيه، طعنًا بغير الحق وتشنيعًا؟!

وكما كان ابن قتيبة منصفًا صادقًا فى حكمه على أبى الهذيل العلاَّف فإنه كان كذلك صادقًا منصفًا فى حكمه على «ثُمامة بن الأشرس» بأنه كان يتنقص الإسلام ورسول الإسلام، ويحقد عليهما حقدًا غليظًا منكرًا.

ولا أريد أن أنقل من حصائد لسانه ونزوات بنانه فى ذلك شيئًا.

وحسبى أن أورد بعض ما قاله البغدادى عنه فى (ص١٠٢، ٢٠٤): «وكان زعيم القَدَرية فى زمان المأمون والمعتصم والواثق، وانفرد عن سائر أسلافه المعتزلة ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيهما».

وأما طعن ابن قتيبة فى «النظَّام» فشاهده من الصدق والأمانة قول البغدادىّ فى (الفرق بين الفرق، ص٨٠): «وجميع فرق الأمة ـ من فريقى الرأى والحديث، مع الخوارج والشيعة والنَّجَّارِيَّة، وأكثر المعتزلة ـ متفقون على تكفير النظام».

ويتضح من ذلك كله: أن ابن قتيبة لم يغال «فى طعنه بما لم يناسب عظمة علمه وأخلاقه»، ويتبين أنه إنما انتهج فيه النهج الذى رسمه لنفسه؛ وهو أن يُصْحِر بالحق فيما ارتأى، لا يجنح لظلم، ولا يتبع الهوى.

* * *

وكان من أشد العلماء عداوة لابن قتيبة: أبو بكر: محمد بن القاسم الأنبارى (٢٧١ ـ ٣٢٨هـ)، تلميذ أبى العباس: ثعلب، ورائد تلك الطائفة التى رمته بالكذب، وعداوة العترة، والذهاب إلى التشبيه والتجسيم. فقد كان ابن الأنبارى أستاذًا للدارقطنى، وكان الدارقطنى أستاذًا للحاكم، وكان الحاكم أستاذًا للبيهقى.

وقد نسبه إلى الغفلة والغباوة، وقلة المعرفة، وردّ عليه قريبًا من ربع ما ألفه من مشكل القرآن؛ كما حدث الأزهرى. وعمل «رسالة المشكل» التى قصرها على نقده ونقد أستاذه أبى حاتم السجستانى، وأملى كتاب «المشكل» فى سنين كثيرة، ولم يبلغ فيه إلا إلى سورة طه.

ولم يصل إلينا من كتبه التى تناوله فيها بالنقد غير كتاب «الأضداد» ، الذى نقد فيه بعض ما ذهب إليه فى كتابيه: «إصلاح الغلط»، و«تأويل مشكل القرآن».

وقد سلك فى نقده له غير سبيل الحق، وسجل عليه العلماء الذين قرءوا كتبه أنه كان يردّ عليه أقواله كلها، ويتعسف فى طعنه، ويحتج لردّه بأوابد اللغة وشواذّها.

قال الشريف المرتضى (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ) فى كتابه: «غرر الفوائد ودرر القلائد» المشهور بالأمالى (٢/ ١٣): «ووجدت أبا بكر: محمد بن القاسم الأنبارى يطعن على جواب من أجاب فى قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، بأن معناه: كادت تبلغ الحناجر. ويقول: كاد لا تُضمَر، ولا بد من أن يكون منطوقًا بها، ولو جاز ضميرُها لجاز: «قام عبد الله»، بمعنى: كاد عبد الله يقوم، فيكون تأويل «قام عبد الله»: لم يقم عبد الله، لأن معنى «كاد عبد الله يقوم»: لم يقم.

وهذا الذى ذكره ابن الأنبارى غير صحيح. ونظن أن الذى حمله على الطعن فى هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة؛ لأن من شأنه أن يرد كلّ ما يأتى به ابن قتيبة، وإن تعسف فى الطعن عليه!!

والذى استبعده غير بعيد؛ لأن «كاد» قد تضمر فى مواضع يقتضيها بعض الكلام وإن لم تكن فى صريحه. ألاَ ترى أنهم يقولون: أوردت على فلان ـ من العتاب والتوبيخ والتقريع ـ ما مات عنده، وخرجت نفسه، ولما رأى فلان فلانًا لم يبق فيه روح، وما أشبه ذلك. ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة، ولا بد من إضمار «كاد» فيه. . . وإذا كان الأمر على ما ذكرنا لم يمتنع أن يقال: قام فلان، بمعنى: كاد يقوم، إذا دلت الحال على ذلك، كما يقال: مات، بمعنى: كاد يموت.

فأما قوله: «فيكون تأويل قوله قام عبد الله: لم يقم عبد الله» فخطأ؛ لأنه ليس معنى كاد يقوم: أنه لم يقم، كما ظن، بل معناه أنه قارب القيام، ودنا منه. فمن قال: قام عبد الله، وأراد كاد يقوم، فقد أفاد ما لا يفده: لم يقم».

ومعلوم أن هوى المرتضى ليس مع ابن قتيبة؛ فهو لا يكاد يصرِّح باسمه إلا فى معرض النقد والتخطئة، ولكن غلو ابن الأنبارى فى تحامله على ابن قتيبة دفعه إلى أن يقول ذلك، وأن يقول تعقيبًا على نقد آخر: «إن ما ذكره ابن الأنبارى لا يقدح فى كلام ابن قتيبة».

وقال ابن تيمية فى (تفسير سورة الإخلاص ص١٣٣): «وأما اللغويون الذين يقولون: إن الراسخين لا يعلمون معنى المتشابه، فهم متناقضون فى ذلك، فإن هؤلاء

كلهم يتكلمون فى تفسير كل شىء من القرآن، ويتوسعون فى القول فى ذلك؛ حتى ما من أحد إلا وقد قال فى ذلك أقوالاً لم يُسبق إليها، وهى خطأ. وابن الأنبارى الذى بالغ فى نصرة ذلك القول هو من أكثر الناس كلامًا فى معانى الآى المتشابهات، يذكر فيها من الأقوال ما لم يُنقل عن أحد من السلف، ويحتج لما يقوله فى القرآن بالشاذ من اللغة، وهو قصده بذلك الإنكار على ابن قتيبة، وليس هو بأعلم بمعانى القرآن والحديث وأتْبَع للسنة من ابن قتيبة، ولا أفْقه فى ذلك، وإن كان ابن الأنبارى من أحفظ الناس للغة، لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة».

وترجع عداوة ابن الأنبارى لابن قتيبة إلى أسباب ثلاثة، تجمعها كلمة واحدة، وهى «التعصب»:

أولها: أن ابن الأنبارى من نحاة الكوفة المتعصبين، وابن قتيبة من البصريين، ولكنه لم يكن متعصبًا لمذهبه، بل مزج بين المذهبين؛ فتعصب عليه ابن الأنبارى كما تعصب على معاصره أبى الحسن بن كيسان الكوفى المتوفى سنة ٢٩٦هـ؛ لأنه مزج بين النحويين، وكان ميله إلى مذهب البصريين أكثر. قال أبو على القالى، تلميذ ابن الأنبارى: «كان أبو بكر بن الأنبارى شديد التعصب على ابن كيسان والتنقص له، وكان يقول: خلط فلم يضبط مذهب الكوفيين ولا مذهب البصريين، وكان يفضل الزجَّاج عليه»؛ مع أن أبا بكر بن مجاهد يقول عنه: أبو الحسن بن كيسان أنحى من الشيخين؛ يعنى: ثعلبًا والمبرِّد.

والسبب الثانى فى تنقص ابن الأنبارى لابن قتيبة: تلك الرواية التى رواها فى (تأويل مشكل القرآن) عن الشعبى: من أن عليًا دخل حفرته وما حفظ القرآن. فقد أحفظته عليه، كما أحفظت ابن فارس والشريف المرتضى.

والسبب الثالث: تأليف ابن قتيبة لكتاب «إصلاح الغلط». وقد ذكر هذا السبب ابن تيمية فى (تفسير سورة الإخلاص ص١٣٣)، حيث يقول: «وقد نقم ابن الأنبارى وغيره على ابن قتيبة كونه رد على أبى عُبيد أشياء من تفسير غريب الحديث. وابن قتيبة قد اعتذر من ذلك، وسلك فى ذلك مسلك أمثاله من أهل العلم، وهو وأمثاله يصيبون تارة، ويخطئون أخرى».

إن ابن قتيبة لم يخطئ فى فكرة نقده لأبى عبيد، كما لم يخطئ فى فكرة مزجه

بين النحويين؛ فما كان أبو عبيد ـ على جلالة قدره وسمو مكانته ـ إلا إنسانًا يخطئ ويصيب، ويؤخذ من كلامه ويرد، وقد أخطأ وعرف معاصروه وغيرهم خطأه، كإسحاق الموصلى، وأبى سعيد الضرير، وأبى سليمان الخطَّابى. وما خُصَّ مذهب الكوفيين بالصواب فى كل مسألة من مسائله.

وما كان نقد ابن قتيبة لأبى عبيد، ولا مزجه بين المذهبين ـ إلا مظهرًا من مظاهر التحرر العقلى الذى فُطر عليه، وجعله دائمًا يثنى على كل من أتى بحسن من قول أو فعل، ويرد الردىء منهما على صاحبه، غير ناظر إلى شرفه ولا تقدمه.

وقد شرح ذلك فى غير موضع من كتبه، فقال فى مقدمته لكتاب (الشعراء، ص٦): «ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر، مختارًا له، سبيل من قلَّد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره؛ بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلاً حظه، ووفَّرت عليه حقه؛ فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه فى متخيَّره، ويَرْذُل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانه، أو أنه رأى قائله. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد كثر هذا المحدَثُ وحسُن حتى لقد هممت بروايته. ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصَّ به قومًا دون قوم، بل جعل ذلك مشتركًا مقسومًا بين عباده فى كل دهر، وجعل كل قديم حديثًا فى عصره».

وكذلك قال فى مقدمة عيون الأخبار: «وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان متخيَّر اللفظ، لطيف المعنى، لم يُزْرِ به عندنا تأخر قائله، كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدمه؛ فكل قديم حديث فى عصره، ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم، ووضع الموجود، ورفض المبذول، وحب الممنوع، وتعظيم المتقدم وغفران زلته، وبخس المتأخر والتجنِّى عليه. والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا، ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم».

وأبلغ من ذلك كله ـ فى الدلالة على تحرر عقله، وانطلاقه من إسار التقليد والتزمت ـ روايته لأدب المجون، ودفاعه عن ذلك، حيث يقول: «وسينتهى بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة، وما رُوى عن الأشراف والأئمة فيهما. فإذا مرَّ بك أيها

المتزمت حديث تستخفه أو تستحسنه، أو تعجب منه، أو تضحك له ـ فاعرف المذهب فيه وما أردنا به. واعلم أنك إن كنت مستغنيًا بتنسكك فإن غيرك ممن يترخَّص فيما تشددت فيه محتاج إليه، وأن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيُهيأ لك على ظاهر محبتك. ولو وقع فيه توقى المتزمتين لذهب شطر بهائه، وشطر مائه، ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل إليه معك، وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين. وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة ـ فلا يحملنَّك الخشوع أو التخاشع على أن تُصعِّر خدك، وتعرض بوجهك، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم، وإنما المأثم فى شتم الأعراض، وقول الزور والكذب، وأكل لحوم الناس بالغيب... ولم أترخص لك فى إرسال اللسان بالرفث على أن تجعله هِجِّيراك على كل حال، وديدنك فى كل مقال، بل الترخص منى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها تنقصها الكناية، ويذهب بحلاوتها التعريض.

وأحببت أن نجرى فى القليل من هذا على عادة السلف الصالح فى إرسال النفس على سجيتها، والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع، ولا تستشعر أن القوم قارفوا وتنزَّهتَ، وثَلَموا أديانهم وتورَّعتَ».

وهذا كلام رائق معجب، ينبغى أن نتلقاه بالتقدير والإجلال، ولا سيما إن تمثلنا أنه قيل فى القرن الثالث، وأن قائله رجل من رجال الدين يؤلف فى التفسير والحديث، وينصب نفسه للدفاع عنهما ضد نزعات الشك الفلسفى التى نجمت نواجمها فى ذلك العصر.

* * *

تأويل مشكل القرآن

وكان كتاب «تأويل مشكل القرآن» ثمرة طيبة من ثمار ذلك الدفاع القويم الذى أبلى فيه ابن قتيبة بلاء حسنًا. فقد هاله ما رأى من كثرة الشكوك التى تثار حول القرآن، والمطاعن التى تسدَّد نحوه، وخشى أن تكون عاقبة أمرها خسرًا للأغمار والأحداث؛ فانتدب نفسه لِدَرْئها، وتبيين عِوَجِها، وردِّ كيدها إلى نحور أصحابها. وقد أعانه على ذلك امتلاكه لزمام البيان المشرق الرصين، واقتداره على النقد العلمى المتين، وشمول معارفه، وزكاء مداركه، وسعة عقله الذى تمثّل أدبين، وتثقف ثقافتين؛ هما العربية والفارسية.

يحدثنا ابن قتيبة ـ عما بعثه إلى تأليف هذا الكتاب، وما صنعه فيه ـ فيقول فى (ص٨١): «وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولَغَوْا فيه وهجروا، واتبعوا ﴿مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران:٧]، بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول؛ فحرَّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قَضَوْا عليه بالتناقض، والاستحالة، واللَّحْن، وفساد النظم، والاختلاف. وأدْلَوْا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغُمْرَ، والحدَثَ الغِرَّ، واعترضت بالشبه فى القلوب، وقدحت بالشكوك فى الصدور. . .

فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمى من ورائه بالحجج النيِّرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يَلْبِسُون، فألَّفْتُ هذا الكتاب جامعًا لتأويل مشكل القرآن، مستنبطًا ذلك من التفسير بزيادة فى الشرح والإيضاح، وحاملاً ما لم أعلم فيه مقالاً لإمام مطّلع على لغات العرب؛ لأُرى المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأى، أو أقضى عليه بتأويل. ولم يجز لى أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير؛ إذ كنت لم أقتصر على وحى القوم حتى كشفته، وعلى إيمائهم حتى أوضحته، وزدت فى الألفاظ ونقصت، وقدَّمت وأخَّرت، وضربت لبعض ذلك الأمثال والأشكال حتى يستوى فى فهمه السامعون»

وقد عرض لما صنع مرّة أخرى ـ بعد أن شرح معنى المتشابه والمشكل ـ إذ يقول فى

(ص١٤٥): «وأصل التشابه أن يشبه اللفظُ اللفظَ في الظاهر والمعنيان مختلفان. . . ومنه يقال: اشتبه عليَّ الأمر؛ إذا أشبه غيره فلم تكد تَفْرُق بينهما. وشبَّهت عليَّ؛ إذا لبَّست الحق بالباطل. . . ثم يقال لكل ما غمض ودقَّ متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره. . .

ومثل المتشابه: المشكل؛ وسمِّى مشكلاً لأنه أشكل، أى دخل فى شكل غيره، فأشبهه وشاكله. ثم يقال لما غمض ـ وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة ـ مشكل، وقد بينت ما غمض من معناه لالتباسه بغيره، واستتار المعانى المختلفة تحت لفظه، وتفسير المشكل الذى ادُّعِيَ على القرآن فساد النظم فيه».

وقد ذكر ابن قتيبة فى مقدمته: أن فضل القرآن لا يعرفه إلا «من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها فى الأساليب، وما خصَّ الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس فى جميع الأمم أمة أُوتيت ـ من العارضة والبيان، واتساع المجال ـ ما أوتيته العرب. . .»، ثم ذكر حال العرب فى مبانى ألفاظها وإعرابها، وألوان فروقها بين معانى الألفاظ، وتحدث عمّا لها من الشعر «الذى أقامه الله لها مُقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعًا، ولآدابها حافظًا، ولأنسابها مقيِّدًا، ولأخبارها ديوانًا لا يَرِثُّ على الدهر ولا يبيد على مرّ الزمان. . .».

ثم قال فى (ص٨٠): «وللعرب المجازات فى الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبةَ الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص.

وبكل هذه المذاهب نزل القرآن، ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نُقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرّومية، وتُرجمت التوراة والزّبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية، لأن العجم لم تتسع فى المجاز اتساع العرب. ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال:٥٨] لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذى أُودِعَتْه حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتُظهر مستورها، فتقول: إن كان

بينك وبين قوم هُدْنَةٌ وعهد، فخفت منهم خيانة ونقضًا، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم، وآذِنْهُم بالحرب، لتكون أنت وهم فى العلم بالنقض على استواء. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف:١١] إن أردت أن تنقله بلفظه لم يفهمه المنقول إليه، فإن قلت: أنمناهم سنين عددًا، لكنت مترجمًا للمعنى دون اللفظ. وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان:٧٣] إنْ ترجمته بمثل لفظه استغلق، وإن قلت: لم يتغافلوا، أدَّيتَ المعنى بلفظ آخر».

وأعتقد أن كلام ابن قتيبة فى مسألة ترجمة القرآن هو القول الفصل الذى يجب التمسك به، وعدم العدول عنه.

* * *

بدأ ابن قتيبة كتابه بالحكاية عن الطاعنين؛ فسرد مطاعنهم على اختلاف أنواعها، ثم عقد أبوابًا للرد عليهم فى وجوه القراءات، وما ادعوه على القرآن من اللحن، وما نحلوه من التناقض والاختلاف بين آيه، وما قالوه فى المتشابه. كما أجاب عن قولهم: ماذا أراد بإنزال المتشابه فى القرآن مَنْ أراد لعباده الهدى والبيان؟!

ثم ذكر بعد ذلك أبواب المجاز؛ لأن أكثر غلط المتأولين كان من جهته، وبسببه تشعبت الطرق، واختلفت النحل.

وطريقته فى إيراد أبواب المجاز أنه يذكر ما أتى منها فى كتاب الله، يُعقبه بأمثاله: من الشعر ولغات العرب، وما استعمله الناس فى كلامهم.

وقد بدأ بباب الاستعارة، ثم باب المقلوب، وباب الحذف والاختصار، وباب تكرار الكلام والزيادة فيه، وباب الكناية والتعريض، وباب مخالفة ظاهر اللفظ معناه.

ثم ذكر باب الأبواب فى الكتاب، وهو باب تأويل الحروف التى ادعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم، فتحدث عن الحروف المقطعة، واختلاف المفسرين فيها. ثم خلص من الكلام عليها إلى الكلام على مشكل سور القرآن؛ فيذكر ما فى السورة منه ثم يؤوله، ولكنه لم يرتب السور على حسب ترتيبها المعروف فى المصحف، بل ذكرها حسبما عَنَّ له من مشاكلها. وقد لا يستوفى الكلام على مشاكل السورة التى يذكرها؛ فيعيد ذكرها مرة أو مرات، مثلما فعل فى سورة البقرة والأنعام، وسورة

النحل والنساء. فقد تحدّث عن مشكل السورتين الأوليين فى أربعة مواضع، وتحدث عن مشكل الثانيتين فى ثلاثة.

كما أنه لم يعرض لكل سور القرآن، والسورةُ الوحيدة التى استوفى تأويلها، وشرحها كلها ـ من بين السور التى ذكرها ـ هى سورة الجن؛ لما فيها من إشكال وغموض، بما وقع فيها من تكرار «إن» واختلاف القراء فى نصبها وكسرها، واشتباه ما فيها من قول الله وقول الجن.

وبعد أن فرغ ابن قتيبة من تأويله لمشكل السور التى ذكرها عقد بابًا عظيم القدر، بالغ الأهمية؛ وهو «باب اللفظ الواحد للمعانى المختلفة»، تحدث فيه عن نيِّف وأربعين لفظًا من الألفاظ التى جاءت فى القرآن متحدة المبانى، مختلفة المعانى؛ كالقضاء والبلاء، والأمّة والرؤية والإمام والإسلام، والفتنة والسلطان، والضلال والنسيان، والحساب والكتاب.

ثم ذكر ابن قتيبة بعد ذلك «باب تفسير حروف المعانى، وما شاكلها من الأفعال التى لا تتصرف»؛ كأين، وأنَّى، ولولا، ولوما، ولا جَرَم، وتعالَ، وهلُم، ورويدًا، ولدن.

ثم ختم كتابه بباب «دخول بعض حروف الصفات مكان بعض».

ومما هو جدير بالملاحظة: أن عنوان هذا الباب والذى قبله مظهر من مظاهر مزج ابن قتيبة بين كلام الكوفيين والبصريين:

فحروف المعانى تعبير بصرى؛ ذكر المفضل بن سلمة الكوفى فى كتاب «البارع» الحروف التى جاءت لمعانٍ ـ بعد أن ذكر أبنية الكلام ـ فقال: «والحد الثالث من الكلام: الأحداث؛ وهى التى يسميها أهل البصرة: حروف المعانى».

وحروف الصفات تعبير كوفى؛ قال السيوطى فى (همع الهوامع ٢/ ١٩): «حروف الجر، ويسميها الكوفيون حروف الإضافة؛ لأنها تضيف الفعل إلى الاسم، أى توصله إليه، وحروف الصفات لأنها تحدث صفة فى الاسم، فقولك: جلست فى الدار، دلت «فى» على أن الدار وعاء للجلوس، وقيل: لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات».

* * *

ولأبواب المجاز التى ذكرها ابن قتيبة فى هذا الكتاب قيمة تاريخية كبيرة؛ لأنها

ستضيف إلى معارفنا عن تطور البلاغة شيئًا جديدًا. فالشائع الذائع بين الخاصة وغيرهم: أن البلاغة العربية طَفَرت من نِثار الجاحظ المبثوث فى كتبه، إلى «بديع» ابن المعتز، طفرةً واحدة. ولم يعرف أحد أن ابن قتيبة قد أسهم فى تكوينها وتطورها بنصيب موفور. فظهور تلك الأبواب فى هذا الكتاب يظهرنا على تلك الحلْقة المفقودة فى تاريخ البلاغة، ويضيف إلى أمجاد ابن قتيبة مجدًا آخر عظيم الشأن، سيذكره الذاكرون كلما تحدثوا عن تاريخ البلاغة ونشأتها.

ولن يستطيع باحث أن يغفل صنع ابن قتيبة فى استخراج ما فى القرآن من أنواع المجاز وتبويبها أبوابًا مفصلة بلغت عدة صفحاتها أربعًا وخمسين ومائة؛ قبل أن يؤلف ابن المعتز كتاب «البديع» فى سنة أربع وسبعين ومائتين؛ بسنوات وسنوات.

* * *

ولباب «اللفظ الواحد للمعانى المختلفة» كذلك قيمة تاريخية عظيمة، فقد رَجَعَ ابنُ قتيبة المعانى المختلفة للفظ الواحد إلى أصل واحد نشأت منه، وتفرعت عنه.

ومن أمثلة ذلك أنه ذكر كلمة «القضاء»، وبين معانيها المختلفة التى تصير إليها، ثم ختم بحثه بقوله (ص٤١٣): «وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد». وكذلك قال بعد تبيينه لمعانى «القنوت» (ص٤٢١): «ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة؛ لأن جميع هذه الخلال من الصلاة والقيام فيها والدعاء وغير ذلك يكون عنها». وقال بعد ذكره لمعانى كلمة «الأمر» (ص٤٦٦): «وهذا كله وإن اختلف فأصله واحد».

وبذلك يكون لابن قتيبة فضل السبق إلى القول برد مفردات المادة اللغوية إلى أصولها المعنوية المشتركة؛ لأنه أسبق من ابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢هـ، ومن أستاذه أبى على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٧هـ، ومن ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ. بل إنى أذهب إلى أن فكرة ابن قتيبة هذه هى التى أوحت إلى ابن فارس تأليف كتابه «مقاييس اللغة»، كما أوحت إليه تلك المباحث اللغوية ـ التى تضمنها تأويل مشكل القرآن ـ تأليف كتاب «الصاحبى» فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها. والذى يقارن بين الكتابين يجد أن ابن فارس قد اعتمد على تأويل مشكل القرآن كل الاعتماد، وانتفع بمباحثه انتفاعًا عظيمًا، ونقل منها إلى كتابه نقولاً كثيرة من غير أن يشير إلى ذلك، وإن أشار ـ وقليلاً ما يصنع ـ فإنما يشير إشارة مبهمة غامضة؛ كقوله فى

(ص١٢): «وقال بعض علمائنا»، وقوله فى (ص١٢٤): «وقال بعضهم». وقد أشرت إلى بعض ما نقله فى مواضعه من الكتاب.

وابن فارس حريص على أن لا يذكر اسم ابن قتيبة، إلا إذا حاول نقده. وهو فى نقده له مغرض متحامل متعجل، وقد دفعته العجلة إلى الخطأ، وعدم التمييز بين كلام ابن قتيبة وبين قوله عن الفراء فى «لا جَرَم»؛ فنسب قول الفراء إلى ابن قتيبة وخطأه فيه، كما أشرت إلى ذلك فى تعليق على (ص٤٩٤).

* * *

وقد عمد أبو عبد الله: محمد بن أحمد بن مطرِّف الكنانى القرطبى (٣٨٧ ـ ٣٥٤هـ) إلى كتابى: تأويل مشكل القرآن، وتفسير غريب القرآن، فجمع بينهما ـ كما يقول ـ فى كتاب أسماه «القرطين». وهذا العمل ليس من العلم ولا من التأليف فى شىء، ولا يدل إلا على سوء التفكير والتدبير، بل هو مسخ للكتابين، وتقطيع لأوصالهما، وبعثرة لمضمونهما بعثرة تُضِلُّ الأفهام والأفكار، ولا تسيغها الأذواق ولا العقول.

ولقد زعم ابن مطرِّف فى مقدمته أنه لم يُحِل الكلام فى كلا الكتابين عن جهته، ولا غيَّر من لفظه، ولا زاد فيه، ولا نقص منه. ولكن فعله خالف قوله؛ فقد نقص منهما كثيرًا وزاد فيهما قليلاً، واتبع فيما حذف هواه الذى أضله عن سنن العلماء، وليس أدل على ذلك من أنه حذف من تأويل مشكل القرآن الصفحات (١١٠ ـ ١١٥)؛ وعلل حذفه لهذه الصفحات بقوله (٢/ ١٥): «وباقى الباب لم أكتبه؛ لما فيه من الطعن على حمزة، وكان أورع أهل زمانه، مع خلو باقى الباب من الفائدة!». وسيعلم كل قارئ لهذه الصفحات ما تضمنته من الفوائد العلمية والتاريخية الجليلة، وسيحكم بأن ابن مطرف كان ينطق عن الهوى فى حكمه.

* * *

وقد اعتمدت فى نشر هذا الكتاب على ثلاث نسخ:

الأولى: نسخة دار الكتب المصرية (٥١٨ تفسير) وهى بخط أبى طالب بن عبد الواحد ابن عبد المحسن بن أبى الوفاء الأنصارى الدمشقى، المعروف ببرهان الدين، وقد كتبها فى سنة ٥٥٨هـ، وقد قرئت على أبى منصور الجواليقى، وعدد أوراقها ١٣٤ ورقة،

وتنقص من أولها ورقة، ومقاسها ١٥×١١ سم، وتشتمل الصفحة منها على خمسة عشر سطرًا، وعلى هوامشها بعض تعليقات، وهى مضبوطة بالحركات، ورمزها «ج».

والنسخة الثانية: نسخة مكتبة مراد ملاّ، كتبت سنة ٥٣٢هـ، وهى فى ١١٧ ورقة، ومقاسها ١٩,٥×٢٥,٥ سم، وعدد سطور صفحتها ٢٠ سطرًا.

والنسخة الثالثة: نسخة دار الكتب المصرية (٦٦٣ تفسير) وهى مكتوبة فى سنة ٣٧٩هـ بخط محمد بن أحمد بن يحيى، وعدد أوراقها ٨٥ ورقة، ومقاسها ١٥×٢١ سم، وعدد سطور الصفحة ٢٦ سطرًا. ولئن كانت هذه النسخة أقدم النسخ عهدًا، فإنها أقلهن وزنًا؛ لأن كاتبها كان يجتوى الشعر فكان إذا مر بشعر حذفه، ولم يفلت منه إلا قليل، وهى كذلك تنقص كثيرًا من النصوص. ولكثرة المحذوف منها، واستحالة الإشارة إلى أوله وآخره فى هوامش الصفحات دون التطويل الممل ـ رأيت إثبات الفروق بين النسخ فى آخر الكتاب. ولعل ذلك مما يريح جمهرة القراء.

* * *

ولقد حرصت فى شرحى لهذا الكتاب على تخريج أبياته، وربط موضوعاته بأماكنها من كتب الأدب والتفسير، ونقلت ـ من الآراء ـ ما دعت إليه ضرورة البحث، وأومأت إلى ما لم أنقل. وكان قصدى فى ذلك إما تعضيد رأى، أو توهين قول، أو تفصيل مجمل، أو توضيح مبهم، أو الإشارة إلى مصدر فكرة، أو اتفاق خاطر؛ ليكون الدارس للكتاب على بينة مما ذكره ابن قتيبة من مشكل القرآن، محيطًا بفقه المسائل التى عرض لها، جامعًا لأطراف الآراء ووجوه المذاهب فيها.

وما أريد أن أعرض لما صنعت بتزكية أو توثيق، تأدبًا بأدب السلف الصالح، وتأسيًا بقول أبى سليمان الخطَّابى فى ختام مقدمته لتفسير غريب الحديث: «فأما سائر ما تكلمنا عليه فإنا أَحقاء بأن لا نزكيه، وأن لا نؤكد الثقة به، وكل من عثر منه على حرف أو معنى يجب تغييره، فنحن نناشده الله فى إصلاحه، وأَداء حق النصيحة فيه، فإن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه، ونحن نسأل الله ذلك، ونرغب إليه فى دركه، إنه جواد وهوب».

واقتداء بقول ابن قتيبة: «وما أبرأ إليك بعدُ من العَثْرة والزلَّة، وما أستغنى منك ـ إن وقفت على شيء ـ عن التنبيه والدلالة، ولا أستنكف من الرجوع إلى الصواب

عن الغلط. فإن هذا الفن لطيف خفى، وابن آدم إلى العجز والضعف والعجَلة، وفوق كل ذى علم عليم».

ونحن نسأل الله أن ينفعنا وإياك بالعلم، ويعرفنا قدره، ويجعل شغلنا بالعمل المقرب منه، ويؤتينا بفضله أفضل ما آتاه مَنْ أمَّله بخير نية وأرشد هُدًى، إنه الواسع الكريم.

القاهرة فى يوم الاثنين: ١٧ من رمضان ١٣٩٣هـ
١٣ من أكتوبر ١٩٧٣م

السيد أحمد صقر



صورة الصفحة الأولى من النسخة المرموز إليها بحرف « د »

عن من كان منهم ١٦٥

قال الله تبارك وتعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده أي من عباده
ونقول أخذت هذا عنك ومنك ٥ وكذلك من يقول
فلان عن قول الفقيه من فلان أي عنه ... فلان ...
أي عنه ٥

على بمعنى عند

قال الله تبارك وتعالى ولهم علي ذنب أي عندي ذنب ٥

اللام مكان إلى

قال الله تبارك وتعالى ما خلقناهما إلا بالحق أي للحق ٥

تم كتاب أسماء المشكل

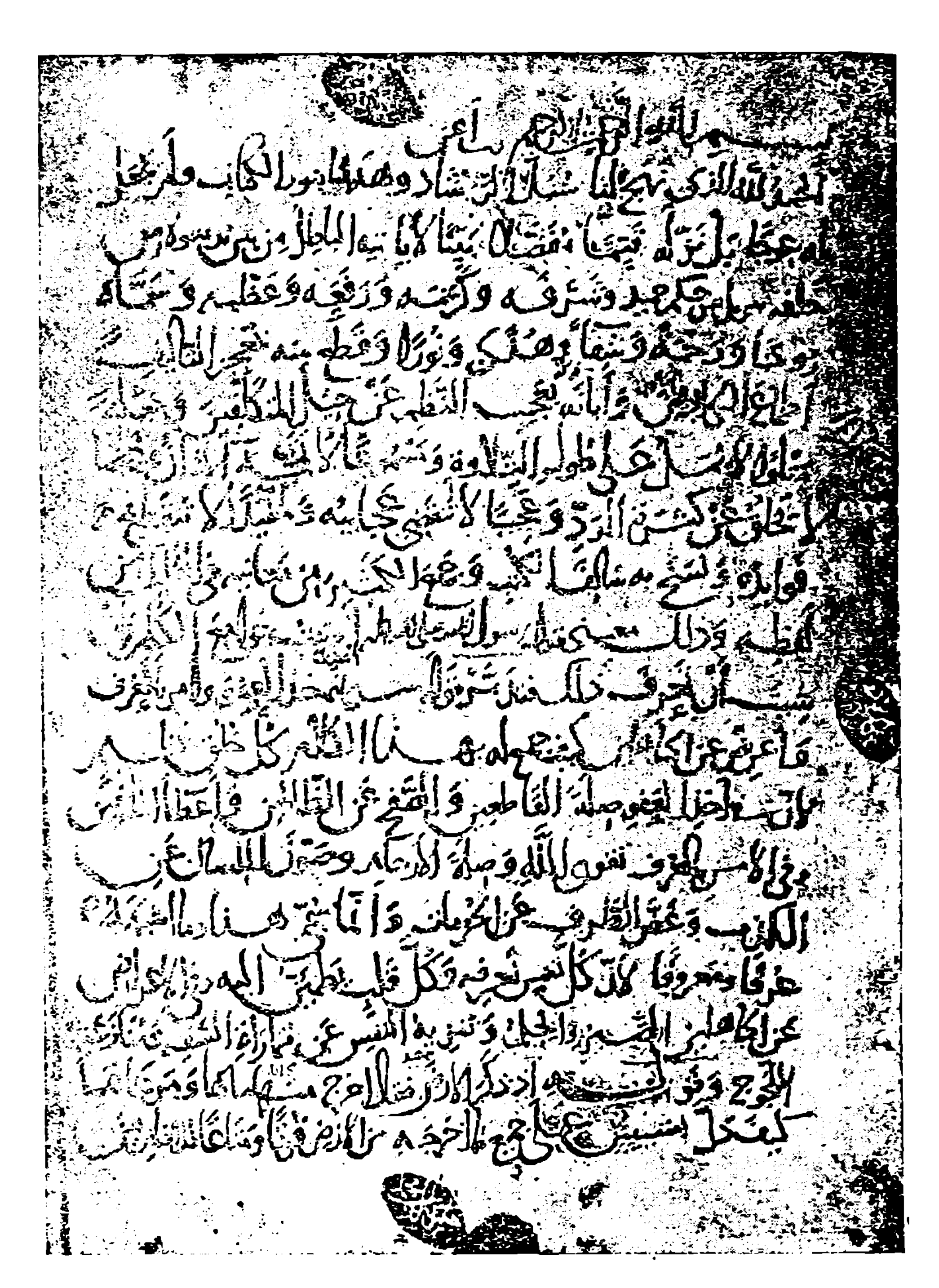
والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على محمد النبي ... دائما
وآله وسلم كثيرا وحسبنا الله ... وبعد وفاتنا
ونعم الوكيل والمعين ربنا ونعم المولى ونعم النصير

وكتب محمد بن أحمد بن يحيى رحمه الله في شهر ربيع الآخر
من سنة تسع وسبعين وثلثمائة رحم الله كاتبه ومن نظر
فيه من المسلمين آمين رب العالمين ويقول يوسف ...
ويبقى الكتاب وقال

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا به وزدنا علما
ينفعنا ٥ الحمد لله بجميع محامد الله ما علمنا منها
وما لم نعلم على جميع نعم الله ما علمنا منها وما لم نعلم
وعلى جميع خلق الله ما علمنا منهم وما لم نعلم ٥

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة المرموز إليها بحرف « د »



صورة الصفحة الأولى من النسخة المرموز إليها بحرف « م »



صورة الصفحة الأخيرة من النسخة المرموز إليها بحرف « م »

تأويل مشكل القرآن

للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

٢١٣ - ٢٧٦ هـ

تحقيق

السيد أحمد صقر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة:

الحمد لله الذى نَهَج لنا سُبل الرّشاد، وهدانا بنور الكتاب، ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عوَجًا﴾[1] [الكهف:١]، بل نزّله قيِّمًا مفصّلاً بيِّنًا ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢] وشرَّفه، وكرَّمه، ورفعه وعظّمه، وسماه رُوحًا[2] ورحمة[3]، وشفاء وهُدًى[4]، ونورًا[5].

وقطع منه بمعجز التّأْليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النَّظْم عن حِيَل المتكلِّفين، وجعله مَتْلُوًّا لا يُمَلُّ على طول التِّلاوة، ومسموعًا لا تَمُجُّه الآذان، وغَضًّا لا يَخْلُق على كثرة الرد، وعجيبًا لا تنقضى عجائبه، ومفيدًا لا تنقطع فوائده، ونَسَخَ به سالف الكتب.

وجمع الكثير من معانيه فى القليل من لفظه، وذلك معنى قول رسول الله ﷺ: «أُوتيتُ جَوَامِعَ الكَلِم»[6].

---

(١) انظر تفسير غريب القرآن للمؤلف ص٢٦٣.

(٢) فى سورة الشورى:٥٢، وفى البرهان للزركشى (١/ ٢٧٣ ـ ٢٨١): «اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا...» ثم أعقبها بشرحها، وقد نقل السيوطى ذلك كله فى الإتقان (١/ ٨٦ ـ ٨٩).

(٣) فى سورة الجاثية: ٢٠.

(٤) فى سورة فصلت: ٤٤.

(٥) فى سورة الشورى: ٥٢.

(٦) أخرجه مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٣٧١، ٣٧٢)، وأخرجه البخارى فى كتاب الجهاد: باب قول النبى ﷺ: «نصرت بالرعب» (٦/ ٩٠)، وفى كتاب التعبير: باب المفاتيح فى اليد (١٢/ ٣٥٣)، وفى كتاب الاعتصام: باب قول النبى ﷺ: «بُعثت بجوامع الكلم» (١٣/ ٢٠٩)، والنسائى فى كتاب الجهاد: باب وجوب الجهاد (٢/ ٥٢، ٥٣)، والترمذى فى أبواب السير: باب ما جاء فى الغنيمة (١/ ٢٩٣)، كلهم من حديث أبى هريرة.

وهو عند أحمد فى المسند من حديث عبد الله بن عمرو (٢/ ١٧٢، ٢١٢)، ومن حديث أبى هريرة =

فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبر قوله سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] كيف جمع له بهذا الكلام كل خُلُق عظيم؛ لأن فى «أخذ العفو»: صِلةَ القاطعين، والصفحَ عن الظالمين، وإعطاءَ المانعين.

وفى «الأمر بالعرف»: تقوى الله، وصِلةَ الأرحام، وصونَ اللسان عن الكذبِ، وغَضَّ الطَّرْف عن الحُرُمَات. وإنما سُمِّيَ هذا وما أشبهه «عُرْفًا» و«معروفًا»؛ لأن كل نفس تعرفه، وكل قلب يطمئنُّ إليه.

وفى «الإعراض عن الجاهلين»: الصبر، والحلم، وتنزيه النفس عن مُمَاراة السَّفيه، ومنازعة اللَّجوج.

وقوله تعالى إذ ذَكَر الأرض فقال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١] كيف دَلَّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتًا ومتاعًا للأنام، من العُشب والشجر، والحَب والثمر والحَطَب، والعَصْفِ[1] واللِّباس، والنّار والملح؛ لأن النار من العيدان، والملح من الماء.

وينبئك أنه أراد ذلك قوله: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣].

وفكِّرْ فى قوله تعالى حين ذكر جنات الأرض فقال: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤] كيف دَلَّ على نفسه ولُطْفه، ووحدانيته، وهَدَى للحُجَّة على مَنْ ضلَّ عنه؛ لأنه لو كان ظُهور الثمرة بالماء والتُّربة لَوجب فى القياس

= (٢/ ٢٥٠، ٢٦٤، ٢٦٨، ٤١٢، ٤٤٢، ٤٥٥، ٥٠١) الحلبى، وعند الدارقطنى فى السنن (٢/ ٤٨٥) من حديث ابن عباس، وقد أورده ابن رجب فى جامع العلوم والحكم (١/ ٤ ـ ٦) أيضًا من حديث أبى موسى الأشعرى.

وفى اللسان (٩/ ٤٠٤): «يعنى القرآن وما جمع الله عز وجل بلطفه من المعانى الجمة فى الألفاظ القليلة، كقوله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وفى صفته ﷺ: أنه كان يتكلم بجوامع الكلم، أى أنه كان كثير المعانى، قليل الألفاظ».

وقال الجاحظ فى معرض حديثه عن بلاغة الرسول: والذى يدلك على أن الله عز وجل خصه بالإيجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة المعانى قوله ﷺ: «نُصرت بالصَّبا وأُعطيت جوامع الكلم» راجع البيان والتبيين(٢/ ٢٨).

(١) فى اللسان (١١/ ١٥٢): «العصف: ورق الزرع وما يؤكل منه».

ألاَّ تختلف الطعوم، ولا يقع التَّفَاضُل فى الجنس الواحد، إذا نَبت فى مَغْرِسٍ واحد، وسُقى بماءٍ واحد، ولكنَّه صنع اللطيف الخبير.

ونحو قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم:٢٢] يريد اختلاف اللُّغات، والمناظر، والهيئات.

وفى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨] يريد: أنها تُجمَعُ وتُسَيَّرُ، فهى لكثرتها كأنها جامدة واقفة فى رَأى العين، وهى تسير سير السحاب.

وكل جيش غَصَّ الفضاءُ به، لكثرته، وبُعْد ما بين أطرافه، فقَصُرَ عنه البصر ـ فكأنه فى حسبان الناظر واقف وهو يسير.

وإلى هذا المعنى ذهب الجَعْدِىُّ فى وصف جيش فقال:

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ ... وُقوفٌ لِحَاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ [1]

وفى قوله جلَّ ذكره: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٧٩] يريد أن سَافِكَ الدَّم إذا أُقِيد منه ارتدع مَنْ كان يَهُمُّ بالقتل، فكان فى القصاص له حياة وهو قَتْل.

وأخذه الشاعر فقال:

أَبْلِغْ أبا مالكٍ عنِّى مُغَلْغَلَةً ... وفى العِتَابِ حياةٌ بين أقْوَامِ [2]

(١) البيت للنابغة الجعدى فى اللسان (٤/ ٢٣٥)، وقد نسبه له ابن قتيبة فى كتاب المعانى (٢/ ٨٩١) وقال: «أرعن: جيش كثير مثل رَعْن الجبل، والرعن: أنف يتقدم من الجبل فينسلّ فى الأرض، والطود: الجبل؛ أى من كثرتهم تحسب أنهم وقوف وركابهم تسير...». وانظره فى تفسير الطبرى (٢٠/ ١٥).

(٢) البيت غير منسوب فى اللسان (١٤/ ١٨)، وهو فى أمالى اليزيدى من أبيات لبعض المتقدمين، وفى عيون الأخبار (١/ ٩١) لأبى القمقام الأسدى، وفى العقد الفريد (١/ ٨٠) لهشام الرقاشى، وفى البيان والتبيين لهمام الرقاشى (٢/ ٣١٦، ٣/ ٢٠٢، ٤/ ٨٥)، وله فى الخزانة (٣/ ٣٤٥)، وفيه وفى العقد وأمالى اليزيدى: «أبلغ أبا مِسْمع». والمغلغلة ـ بفتح الغين ـ الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد، كما فى اللسان (١٤/ ١٨).

يريد أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب فكفُّوا عن القتل، فكان فى ذلك حياة.

وأخذه المتمثِّلون فقالوا: «بعض القتل إحياءٌ للجميع»[١].

وقالوا: «القتل أقلُّ للقتل»[٢].

وتبيَّن قوله فى وصف خَمْرِ أهل الجنة: ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلاَ يُنزِفُونَ﴾[٣] [الواقعة: ١٩] كيف نفى عنها بهذين اللفظين جميع عيوب الخمر، وجمع بقوله ﴿وَلاَ يُنزِفُونَ﴾ عدم العقل، وذَهاب المال، ونفادَ الشراب.

وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٢، ٤٣] كيف دلَّ على فضل السَّمع على البصر، حين جعل مع الصمم فقدان العقل، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان النظر.

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦] فدلَّ على أن المنافقين شرُّ مَنْ كفر به، وأَوْلاهم بمَقْته، وأبعدهم من الإنابة إليه؛ لأنه شرط عليهم فى التوبة الإصلاح والاعتصام، ولم يشرط ذلك على غيرهم.

ثم شرط الإخلاص؛ لأن النِّفاق ذنب القلب، والإخلاص توبة القلب.

ثم قال: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦] ولم يقل: فأولئك هم المؤمنون.

ثم قال: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤] [النساء: ١٤٦] ولم يقل: وسوف يؤتيهم الله، بُغْضًا لهم، وإعراضًا عنهم، وحَيْدًا بالكلام عن ذكرهم.

وقوله فى المنافقين: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤] فدلَّ على جُبنهم، واستِشرافهم لكل نَاعِرٍ ومُرْهِجٍ[٥] على الإسلام وأهله.

(١) فى البيان والتبيين (٢/ ٣١٦): «وقال بعض الحكماء: قتل البعض إحياء للجميع».

(٢) فى الصناعتين ص١٣١، والنكت فى إعجاز القرآن ص٢: «القتل أنفى للقتل».

(٣) انظر الحيوان للجاحظ (٣/ ٨٦).

(٤) انظر تفسير القرطبى (٥/ ٤٢٥).

(٥) فى اللسان (٣/ ١٠٩): «الرَّهَج: الغبار، والشَّغَب». وفيه (٧/ ٧٨): «الناعر: الصائح».

وأخذه الشاعر ـ وأنَّى له هذا الاختصار ـ فقال:

ولو أنَّها عُصْفورةٌ لَحسِبْتَهَا مُسوَّمةً تَدْعُو عُبَيْدًا وأَزْنَمَا[١]

يقول: لو طارت عصفورة لحسبتها من جُبْنك خيلاً تدعو هاتين القبيلتين.

وقال الآخر:

ما زلتَ تَحْسَبُ كلَّ شيءٍ بعدهم خيلاً تكُرُّ عليكمُ ورِجالا[٢]

وهذا فى القرآن أكثر من أن نَستقصيَه.

* * *

وقد قال قوم بِقُصور العلم وسوء النظر فى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾[٣] [الكهف:١٧]: وما فى هذا الكلام من الفائدة؟

وما فى الشمس إذا مالت بالغَدَاة والعَشِيِّ عن الكهف من الخبر؟

ونحن نقول: وأىُّ شىءٍ أَوْلى بأن يكون فائدة من هذا الخبر؟ وأىّ معنى ألطف مما أَوْدَعَ الله هذا الكلام؟

(١) قال ابن قتيبة فى كتاب المعانى (٢/ ٩٢٧): «وقال العوَّام بن شَوْذَب فى بسطام بن قيس يصفه بالجبن وفر يوم العُظالَى: ولو أنها عصفورة... وأزنما. أى لو أن عصفورة طارت لحسبتها من جبنك خيلاً معلَّمة، تدعو عُبيداً وأزنما، أى شعارهم: يال عبيد يال أزنم». والبيت من قصيدة للعوَّام فى النقائض ص٥٨٥، وله فى الجمهرة لابن دريد (٣/ ١٩)، واللسان (١٥/ ١٦٩)، والعقد (٥/ ١٩٥)، ومعجم الشعراء ص٣٠٠، ولعميرة بن طارق فى نقائض جرير والأخطل، ولمغيرة بن طارق فى أمالى اليزيدى ص٦٦، ولجرير فى شرح شواهد المغنى ص٢٢٧، وللبُعيث أو جرير فى حماسة البحترى ص٢٦١، وغير منسوب فى الحيوان (٥/ ٢٤٠)، وديوان المعانى (١/ ١٩٥)، والمقاييس (١/ ١١٨)، وعيون الأخبار (١/ ١٦٦)، وللعوام بن عبد عمر فى الوساطة ص٢٥٩، ٤٣٦، ولابن حوشب من أبيات فى معجم البلدان (٦/ ١٨٦).

(٢) البيت لجرير يهجو به الأخطل، كما فى نقائض جرير والأخطل ص١٨٩، وديوانه ص٤٥١، والحيوان (٥/ ٢٤٠)، والمختار من شعر بشار ص٩، وشرح شواهد الشافية ص١٢٥، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص٢٢٧، وغير منسوب فى الصناعتين ص١٦٦، وحماسة البحترى ص٢٦١.

(٣) فى اللسان (٥/ ٤٢٣): «قال الفراء: وازورارها فى هذا الموضع: أنها كانت تطلع على كهفهم ذات اليمين فلا تصيبهم، وتغرب على كهفهم ذات الشمال فلا تصيبهم. وقال الأخفش: تزاور عن كهفهم أى تميل...».

وإنما أراد عز وجل أن يُعرِّفنا لطفه للفتية، وحفظه إياهم فى المَهْجَع، واختياره لهم أصلح المواضع للرّقود، فأعلَمنا أنه بوأَهم كهفًا فى مَقْنأة[1] الجبل، مستقبلاً بنات نَعْش[2]، فالشمس تَزْوَرُّ عنه وتستدبره: طالعة، وجارية، وغاربة. ولا تدخل عليهم فتؤذيَهُم بحرِّها وتلفحهم بسمومها، وتُغيِّر ألوانهم، وتُبلى ثيابهم. وأنهم كانوا فى فجوة من الكَهف ـ أى متَّسعٍ منه ـ ينالهم فيه نسيم الريح وبردها، وينفى عنهم غُمَّةَ الغار وكربه.

وليس جهلهم بما فى هذه الآية من لطيف المعنى بأعجب من جهلهم بمعنى قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[3] [الحج: ٤٥] حتى أَبْدَءُوا فى التعجُّب منه وأعادوا، حتى ضربه بعض المُجَّان لبارد شعره مثلاً.

وهل شىءٌ أبلغُ فى العِبْرة والعظةِ من هذه الآية؟ لأنه أراد: أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها، فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالعُتُوِّ، وأبادهم بالمعصية، فيروا من تلك الآثار بيوتًا خاويةً قد سقطت على عروشها، وبئرًا كانت لشرب أهلها قد عُطِّل رِشَاؤُهَا، وغارَ معينُها، وقصرًا بناه مَلِكُهُ بالشِّيد[4] قد خلا من السُّكْن، وتداعى بالخراب؛ فيتعظوا بذلك، ويخافوا من عقوبة الله وبأسه مثلَ الذى نزل بهم.

ونحوه قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

ولم يزل الصالحون يعتبرون بمثل هذا، ويذكرونه فى خطبهم ومقاماتهم، فكان سُليمان ﷺ إذا مرّ بخراب قال: يا خَرِب الخَرِبين أين أهلك الأوَّلون؟

وقال أبو بكر رضى الله عنه فى بعض خُطبه: «أين بانو المدائن ومُحَصِّنُوها بالحوائط؟ أين مُشيِّدو القصور وعامروها؟ أين جاعِلو العجب فيها لمن بعدهم؟ تلك

---

(١) فى اللسان (١/ ١٣٠): «المقنأة: الموضع الذى لا تصيبه الشمس».

(٢) فى اللسان (٨/ ٢٤٨): «وبنات نعش: سبعة كواكب، أربعة منها نَعْشٌ لأنها مُربَّعة، وثلاثةٌ بناتُ نَعْشٍ».

(٣) انظر تفسير الطبرى (١٧/ ١١٥ ـ ١١٧).

(٤) فى اللسان (٤/ ١٢٠): «الشيد ـ بالكسر ـ كل ما طُلى به الحائط من جِصٍّ أو مِلاط».

منازهم خالية، وهذه منازلهم فى القبور خاوية، هل تُحِسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم رِكْزًا[(١)]».

وهذا الأسْوَدُ بن يَعْفُر[(٢)] يقول:

مــاذا أُؤَمِّلُ بعدَ آل مُحَرِّقٍ ... تَركوا منازلَهم وبعــدَ إيادِ[(٣)]

أهلِ الخَــوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبَارِقٍ ... والقَصْرِ ذى الشُّرُفَاتِ من سِنْدادِ[(٤)]

نزلــوا بأنْقرةٍ يَسيل عليهُمُ ... مــاءُ الفراتِ يَجِيءُ من أطْــوَادِ[(٥)]

أرضٌ تَخيَّرهــا لطِيب مَقيظِهَا ... كعــبُ بن مَامَــة وابنُ أُمِّ دُؤَادِ[(٦)]

جرَتِ الرياحُ على محلِّ ديارهم ... فكأنَّهم كـانوا على ميعــادِ

فَأَرَى النعيـمَ وكلَّ مــا يُلْهَى به ... يومًا يصير إلى بِلًى ونَفَــادِ[(٧)]

وهذه الشّعراءُ تبكى الديار، وتَصِفُ الآثار، وإنما تسمعهم يذكرون دِمَنًا وأوتادًا، وأثَافِيَّ ورمادًا، فكيف لم يعجبوا من تَذكُّرِهم أهل الديار بمثل هذه الآثار، وعجبوا من ذكر الله، سبحانه، أحسن ما يُذْكَرُ منها وأوْلاه بالصِّفة، وأبلغه فى الموعظة؟

* * *

(١) فى اللسان (٧/ ٢٢٢): «الرِّكز: الحِسُّ والصوت الخفىُّ».

(٢) جعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من شعراء الجاهلية (ص ١٢٢ ـ ١٢٤)، وترجم له أبو الفرج فى الأغانى (١١/ ١٣٤ ـ ١٣٩)، وابن قتيبة فى الشعر والشعراء (١/ ٢١٠، ٢١١)، وأبياته من قصيدة فى المفضليات ص٢١٧، وهى فى العقد (٣/ ١٨٩)، ومعجم البلدان (٥/ ١٥).

(٣) محرق: لقب للملك عمرو بن هند ملك الحيرة، وسمى محرقًا لأنه حرق بنى تميم، وقيل: بل حرق نخل اليمامة، وهو لقب الحارث الأكبر الغسانى، انظر العمدة (٢/ ٢١٧ ـ ٢١٩)، وإياد: قبيلة مشهورة، وانظر لمهلكها: الشعر والشعراء (١/ ١٥١، ١٥٢)، والأغانى (٢٠/ ٢٣ ـ ٢٥).

(٤) فى (م): «أرض الخورنق»، والخورنق: قصر بالحيرة. والسدير: نهر أو قصر بالحيرة. وبارق: ماء بالعراق. وسنداد: نهر كان بين الحيرة إلى الأُبُلَّة.

(٥) أنقرة التى يعنيها الشاعر: بلد بالحيرة بالقرب من الشام. والأطواد: جمع طود، وهو الجبل.

(٦) كعب بن مامة الإيادى الذى ضرب به المثل فقيل: أجود من كعب بن مامة، راجع مجمع الأمثال (١/ ١٩١، ١٩٢)، وأمثال الضبى (ص ٦١، ٦٢). وابن أم دؤاد: هو أبو دؤاد الإيادى الشاعر المعاصر لكعب بن مامة، راجع ترجمته فى الشعر والشعراء (١/ ١٨٩ ـ ١٩٢)، والأغانى (١٥/ ٩٥ ـ ٩٩).

(٧) فى المفضليات: «فإذا النعيم».

باب ذكر العرب
وما خصهم الله به من العارضة والبيان واتساع المجاز

وإنما يَعرفُ «فضل القرآن» من كَثُرَ نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها فى الأساليب، وما خصَّ الله به لغتها دون جميع اللغات؛ فإنه ليس فى جميع الأمم أُمَّةٌ أُوتيت من العَارِضة[1]، والبيان، واتساع المجال، ما أُوتِيَتْهُ العرب خِصِّيصَى من الله، لما أَرْهَصَه[2] فى الرسول، وأراده من إقامة الدليل على نُبُوَّته بالكتاب، فجعله عَلَمه، كما جعل عَلَمَ كل نبى من المرسلين من أَشْبه الأمور بما فى زمانه المبعوث فيه:

فكان «لموسى» فَلْقُ البحر، واليد، والعصا، وتفجُّرُ الحجر فى التِّيه بالماء الرَّوَاءِ[3]؛ إلى سائر أعلامه زمن السِّحر.

وكان لـ«عيسى» إحياءُ الموتى، وخلق الطير من الطين، وإبْرَاءُ الأكْمَه[4] والأبرص؛ إلى سائر أعلامه زمن الطب.

وكان لـ«محمد» ﷺ الكتاب الذى لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا؛ إلى سائر أعلامه زمن البيان.

* * *

فالخطيبُ من العرب، إذا ارتجل كلامًا فى نكاح، أو حَمَالة[5]، أو تَحْضِيضٍ، أو

(١) فى اللسان (٩/ ٤٣): «العارضة: قوة الكلام وتنقيحه، والرأى الجيد».

(٢) فى اللسان (٨/ ٢١٠): «وقد أرهص الله فلانًا للخير أى جعله معدنًا للخير ومَأْتًى. والإرهاص: الإثبات».

(٣) فى اللسان (١٩/ ٦٤): «ماء رَوَاء - ممدود مفتوح الراء - أى عذب».

(٤) فى اللسان (١٧/ ٤٣٣): «الكَمَه: العمَى الذى يُولد به الإنسان».

(٥) فى اللسان (١٣/ ١٩١): «الحمالة - بالفتح: ما يتحمّله الإنسان عن غيره من دِيَة أو غرامة، مثل أن تقع حرب بين فريقين تسفك فيها الدماء، فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتلى ليصلح ذات البين».

صُلح، أو ما أشبه ذلك ـ لم يأت به من وادٍ واحد، بل يَفْتَنُّ: فيختصر تارةً إرادة التخفيف، ويُطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرِّر تارةً إرادة التوكيد، ويُخفى بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجميين، ويشير إلى الشيء، ويكْنِي عن الشيء.

وتكون عنايتُه بالكلام على حسب الحال، وقَدْرِ الحَفْل، وكَثْرةِ الحَشْد، وجلالة المَقام.

ثُمَّ لا يأتى بالكلام كلِّه مُهذَّبًا كلَّ التَّهذب، ومُصَفًّى كلَّ التَّصْفِيَة، بل تجدُه يَمْزُجُ ويَشُوبُ(١)؛ لِيَدُلَّ بالنَّاقص على الوَافِر، وبالغثِّ على السمين، ولو جعَلَه كُلَّه نَجْرًا(٢) واحدًا لَبَخسهُ بهاءَه، وسلَبه ماءَه.

ومثل ذلك الشِّهَابُ من القَبَسِ تُبْرِزُه للشّعاع، والكوكبان يقترنان، فينقُصُ النُّورَان، والسِّخَابُ(٣) يُنظَم بالياقوت والمَرْجان والعقيق والعِقْيَان، ولا يُجعل كلُّه جنسًا واحدًا من الرفيع الثَّمين، ولا النفيس المصون.

* * *

و«ألفاظ العرب» مبنية على «ثمانية وعشرين حرفًا»، وهى أقصى طَوْقِ اللِّسان.

و«ألفاظُ جميع الأمم»، قاصرةٌ عن «ثمانية وعشرين» ولست واجدًا فى شىء من كلامهم حرفًا ليس فى حرفنا إلا مَعْدُولاً عن مَخْرجه شيئًا، مثل: «الحرف المتوسط مَخْرَجَى القاف والكاف»، و«الحرف المتوسط مَخْرَجَى الفاء والباء».

فهذه حال العرب فى مبانى ألفاظها.

* * *

ولها «الإعراب» الذى جعله الله وَشْيًا لكلامها، وحِلْيَةً لنظامها، وفَارِقًا فى بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمَعْنَيَيْنِ المختلفين، كالفاعل والمفعول، لا يُفرِّقُ

(١) فى اللسان (١/ ٤٩٢): «شاب الشىء شوبًا: خلطه».

(٢) النجر: اللون، كما فى هامش (م)، واللسان (٧/ ٤٥).

(٣) فى اللسان (١/ ٤٤٤): «السِّخاب عند العرب: كل قِلادة كانت ذات جواهر أو لم تكن».

بينهما ، إذا تساوت حالاهما فى إمكان الفعل أن يكون لكلٍّ واحدٍ منهما - إلا «بالإعراب».

ولو أن قائلاً قال: «هذا قاتلٌ أخى» بالتنوين، وقال آخر: «هذا قاتلُ أخى» بالإضافة - لدَلَّ التنوين على أنه لم يقتله، ودلَّ حذف التنوين على أنه قد قتله.

ولو أن قارئًا قرأ: ﴿فَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس:٧٦] وترك طريق الابتداء بإِنَّا، وأَعْمَلَ القولَ فيها بالنصب على مذهب من يَنْصِبُ «أنَّ» بالقول كما ينصبها بالظن - لَقَلَب المعنى عن جهته، وأزاله عن طريقته، وجعل النبىَّ عليه السلام مَحزونًا لقولهم: إنَّ الله يعلمُ ما يُسِرُّون وما يُعْلنونَ. وهذا كُفْرٌ ممن تَعمَّدَه[١]، وضَرْبٌ من اللحن لا تجوز الصلاة به، ولا يجوز للمأمومين أن يَتجوَّزوا فيه.

وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يُقتل قرشى صَبْرًا[٢] بعد اليوم».

فمن رواه «جَزْمًا» أَوْجَبَ ظاهرُ الكلام للقرشى ألا يُقتل إن ارتد، ولا يُقتَصَّ منه إن قَتَل.

ومن رواه «رفعًا» انصرفَ التأويلُ إلى الخَبَرِ عن قريش: أنه لا يَرتدُّ منها أحدٌ عن الإسلام فَيَستَحِقّ القتل.

أفما ترَى «الإِعْرَابَ» كيف فرق بين هذين المعنيين؟!

* * *

(١) راجع: البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى (١/ ١٨٢)، وتفسير الكشاف (٣/ ٢٩٣).

(٢) قوله ﷺ: «لا يقتل قرشى صبرًا»: أخرجه أحمد فى المسند (٣/ ٤١٢، و٤/ ٢١٣ - الحلبى)، ومسلم فى كتاب الجهاد والسير: باب لا يقتل قرشى صبرًا بعد الفتح (٣/ ١٤٠٩)، والدارمى فى السنن، كتاب الديات: باب لا يقتل قرشى صبرًا (٢/ ١٩٨)؛ كلهم من حديث مطيع بن الأسود، والطحاوى فى مشكل الآثار (٢/ ٢٢٧).

والمراد أن القرشى لا يعود إلى الكفر فيقتل على كفره صبرًا، لا أنه لا يقتل قرشى صبرًا على الإطلاق؛ فكم قُتل منهم فى الإسلام صبرًا؟!

وفى اللسان (٦/ ١٠٧): «أصل الصبر: الحبس، والصبر: نصب الإنسان للقتل».

وقد يفرِّقون بحركة البناء فى الحرف الواحد بين المعنيين[١].

فيقولون: «رَجُلٌ لُعْنَةٌ»، إذا كان يَلعنه الناس. فإن كان هو الذى يلعن الناس قالوا: «رجلٌ لُعَنَةٌ» فحركوا العين بالفتح.

و«رجلٌ سُبَّةٌ» إذا كان يَسبُّه الناسُ، فإن كان هو يسبُّ الناسَ قالوا: «رجلٌ سُبَبَةٌ».

وكذلك: «هُزْأَةٌ، وهُزَأَةٌ»، و«سُخْرَة، وسُخَرَة»، و«ضُحْكَة، وَضُحَكَة»، و«خُدْعَة، وخُدَعَة».

وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف فى الكلمة، حتى يكون تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين.

كقولهم للماء الملح الذى لا يشرب إلا عند الضرورة: «شَرُوب»، ولما كان دونه مما قد يُتجوَّزُ به: «شَرِيب».

وكقولهم لما ارفضَّ على الثوب من البول إذ كان مثلَ رءوسِ الإبَر: «نَضْحٌ»[٢]، ورشُّ الماءِ عليه يُجزِئ من الغَسْل، فإن زاد على ذلك قليلاً قيل له: «نَضْخٌ» ولم يُجْزِئ فيه إلا الغَسْل.

وكقولهم للقبض بأطراف الأصابع: «قَبْصٌ»، وبالكف: «قَبْضٌ».

وللأكل بأطراف الأسنان: «قَضْمٌ» وبالفم: «خَضْمٌ».

ولما ارتفع من الأرض: «حَزْنٌ» فإن زاد قليلاً قيل: «حَزْمٌ».

وللذى يجد البَرْدَ: «خَصِرٌ»[٣]، فإن كان مع ذلك جوعٌ قيل: «خَرِصٌ».

وللنار إذا طَفِئَت: «هَامِدة»، فإن سكَن اللَّهَبُ وبقى من جمرها شىءٌ قيل: «خَامِدَةٌ».

وللقائم من الخيل: «صائم»[٤]، فإن كان ذلك من حَفًى أو وَجًى، قيل: «صائِن».

(١) قارن الصاحبى ص١٩٢.

(٢) فى اللسان (٣/ ٤٥٧): «وحكى الأزهرى عن الليث: النَّضْح كالنَّضْخ ربما اتفقا وربما اختلفا».

(٣) اللسان (٥/ ٣٢٦).

(٤) اللسان (١٥/ ٢٤٤).

وللعطاء: «شُكْدٌ»، فإن كان مُكافَأةً قيل: «شُكْمٌ»[١].

وللخطأ من غير التعمد: «غلط»، فإن كان فى الحساب قيل: «غلَتٌ».

وللضيق فى العين: «خَوَصٌ»، فإن كان ذلك فى مؤخِّرها قيل: «حَوَصٌ».

* * *

وقد يكتنف الشىء معانٍ فيشتقّ لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشىء، كاشتقاقهم من البطن لِلخَمِيص: «مُبَطَّن»، وللعظيم البطن إذا كان خِلْقةً: «بَطِين»، فإذا كان من كثرة الأكل قيل: «مِبْطان»، وللمَنهوم: «بَطِنٌ»، وللعليل البطن: «مَبْطون».

ويقولون: وَجَدْتُ الضَّالَّة[٢] ووَجَدْتُ فى الغضب، ووَجَدْتُ فى الحزن، ووجَدْتُ فى الاستغناء. ثم يجعلون الاسم فى الضَّالة: «وجُودًا» و«وِجْدانًا»، وفى الحزن: «وَجْدًا»، وفى الغضب: «مَوْجِدَةً»، وفى الاستغناء: «وُجْدًا».

فى أشياء كثيرة، ليس لاستقصاء ذكرها فى كتابنا هذا وجه.

* * *

وللعرب «الشِّعْرُ» الذى أقامه الله تعالى لها مُقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مُستودعًا، ولآدابها حافظًا، ولأنسابها مقيِّدًا، ولأخبارها ديوانًا لا يَرِثُّ على الدَّهر، ولا يَبِيدُ على مَرِّ الزَّمان.

وحَرَسَهُ بالوَزْن، والقَوافى، وحُسن النَّظْم، وجودة التَّحْبير من التَّدْليس والتَّغيير، فمن أراد أن يُحْدِث فيه شيئًا عَسُرَ ذلك عليه، ولم يخف له كما يخفى فى الكلام المنثور.

وقد تجد الشاعر منهم ربما زال عن سننهم شيئًا، فيقولون له: سَاندت، وأقويت، وأكفأْت، وأوْطأْت[٣]، وإنما خالف فى «السِّناد» بين رِدْفين، أو حرفين قبل ردفين،

---

(١) فى اللسان (١٥/ ٢١٦): «قال الجوهرى: الشُّكْم ـ بالضم ـ الجزاء، فإذا كان العطاء ابتداء فهو الشُّكْد ـ بالدال ـ تقول منه: شكمتُه، أى جزيتُه».

(٢) أدب الكاتب ص٢٤٤.

(٣) انظر معنى السناد، والإقواء، والإكفاء، والإيطاء، فى: الشعر والشعراء (٢/ ١٤ ـ ٤٤)، والموشح (ص٢٤ ـ ٢٦)، ونقد الشعر (ص٧٠ ـ ٨١)، والعمدة (١/ ١٤١ ـ ١٤٧).

كقول عمرو بن كُلْثوم:

أَلاَ هُبِّى بصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا ... ولا تُبْقِى خُمُــورَ الأَنْدَرِينَا[١]

وقال فى بيت آخر:

كأنَّ مُتُونَهُنَّ مُتُونُ غُــدْرٍ ... تُصَفِّقُها الرياحُ إذا جَرَينا

فالحاء من فاصبحينا «رِدْفٌ» وهى مكسورة، والراء من جرينا «رِدْفٌ» وهى مفتوحة.

وخالف فى «الإقواء» بحرف نقصه من شطر البيت الأول، كقول الآخر[٢]:

حَنَّت نَـوارُ ولاتَ هَنَّـا حَنَّـتِ ... وبدا الذى كـانت نَوارُ أَجَنَّـتِ

لَمَّـا رأَتْ مــاءَ السَّـلا مَشْرُوبًا ... والفَرْثَ يُعْصَرُ فى الإناءِ أَرَنَّتِ[٣]

وكقول حُميد بن ثَوْر:

إنِّى كَبِرْتُ وإنَّ كلَّ كَبيرِ ... مِمَّـا يُظَنُّ به يَمَلُّ ويَفْتُرُ[٤]

وخالف فى «الإكفاء» بأن رفع قافية وخفض أخرى.

وخالف فى «الإيطاء» بأن أعاد قافيةً مرتين.

وقال ابن الرِّقَاع يذكر تنقيحه شعره:

---

(١) مطلع معلقته، شرح الزوزنى ص١١٩.

(٢) انظر: المؤتلف والمختلف ص٨٤، والشعر والشعراء (١/ ٤٢)، واللسان (١٩/ ١٢٠، ٢٠/ ٣٧٥)، وشواهد المغنى ص٣١١، وخزانة الأدب (١/ ١٥٧، ١٥٨).

(٣) فى الخزانة: «السلا - بفتح السين المهملة والقصر - هى الجلدة الرقيقة التى يكون الولد فيها، من المواشى، وهى المشيمة له. والفرث - بالفتح -: السِّرْجين ما دام فى الكَرِش. وأرنت: من الرنة، وهى الصوت، وإنما صاحت نوار وبكت لأنها تيقنت فى تلك المفازة الهلاك، حيث لا ماء إلا ما يُعصر من فرث الإبل وما خرج من المشيمة من بطونها».

وهذان البيتان اختلف فى قائلهما، فقيل: شبيب بن جُعَيل التغلبى، وهو جاهلى، وإليه ذهب الآمدى فى «المؤتلف والمختلف» قال: «وشبيب هذا كان بنو قينة الباهليون أسروه فى حرب كانت بينهم وبين بنى تغلب، فقال شبيب هذين البيتين لما رأى أمه نوار أرنَّت، وهى بنت عمرو بن كلثوم. وقيل: هو حَجْل بن نَضْلة، وهو جاهلى أيضًا، وهو قول أبى عُبيد، وتبعه ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء، وأبو على فى المسائل البصرية، قالوا: قالهما فى نوار بنت عمرو بن كلثوم لما أسرها يوم طلح، فركب بها الفلاة خوفًا من أن يُلحق».

(٤) فى الشعر والشعراء (١/ ٤٣): «مما يُضَن به».

وقصيدةٍ قد بِتُّ أجمعُ بينها ... حتَّى أُقوِّمَ مَيْلَها وسِنادَها[١]
نَظَرَ المُثَقِّفِ فى كُعوبِ قَناتِهِ ... حتَّى يُقيمَ ثِقَافُهُ مُنَآدَهَا

وقال ذو الرُّمَّة:

وشِعْرٍ قد أَرِقْتُ له غَريبٍ ... أُجانِبُه المُسَانِدَ والمُحَالا[٢]

هذا قول أبى عبيدة.

وبعضهم يجعل «الإقواء» رفع قافية وجرَّ أخرى.

وقول أبى عبيدة أجود عندى؛ لأن الإقواء من القوّة، والقوّة: طاقة من الحبل، يقال: ذهبت قوّة من الحبل؛ إذا ذهبت منه طاقة، وكذلك إذا ذهب جزء من البيت، وهو الذى يسمى «المُزاحِف»، فقد ذهبت منه قوة، كما ذهب قوة من الحبل، كما قال ذلك:

* لَمَّا رأتِ السَّلا مَشْروبًا *

فقد ذهب منه شىء، فلو قال: «مشروبة» لكان مستويًا.

* * *

وللعرب «المجازات» فى الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه.

ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقَلْب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبةَ الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص؛ مع أشياء كثيرة ستراها فى «أبواب المجاز» إن شاء الله تعالى.

---

(١) الشعر والشعراء (١/ ٢٤)، والموشح ص١٣، والطرائف الأدبية ص٨٩، وخزانة الأدب (٤/ ٤٧٠)، ومعجم الشعراء ص٢٥٣، والأغانى (٨/ ١٧٧)، والحيوان (٣/ ٦٤)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٤٤).

(٢) ديوانه ص٤٤٠، ومجاز القرآن ص١١٥، واللسان (٤/ ٢٠٧)، والموشح ص١٣ وفيه: «له طريف». وأساس البلاغة (٢/ ٢٠٧)، وبعده:

فبِتُّ أُقيمُه وأقُدُّ منه ... قوافىَ لا أعُدُّ لها مِثالا
غرائبَ قد عُرِفن بكل أُفْقٍ ... من الآفاق تُفْتَعلُ افتعالا

أى تُبتدع ابتداعًا غير مسبوق إلى مثله.

وبكل هذه المذاهب نزل القرآن؛ ولذلك[١] لا يَقْدِر أحدٌ من التراجم[٢] على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نُقل الإنجيلُ عن السُّريانية إلى الحبشيَّة والرُّومية، وتُرجمت التوراةُ والزبور وسائر كُتب الله تعالى بالعربية؛ لأن «العجم» لم تتَّسع فى «المجاز» اتِّساع العرب.

ألاَ ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال:٥٨] لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ مؤديةً عن المعنى الذى أُودعَتْه حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتُظهِرَ مستورَها، فتقول: إن كان بينك وبين قوم هُدْنَةٌ وعهد، فخِفْت منهم خيانةً ونقضًا، فأعْلِمْهُم أنك قد نقضت ما شرطت لهم، وآذِنْهم بالحرب؛ لتكون أنت وهم فى العلم بالنَّقْض على استواء؟!

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[٣] [الكهف:١١]: إن أردت أن تنقله بلفظه لم يفهمه المنقول إليه، فإن قلت: أَنَمْنَاهُمْ سنين عددًا، لَكُنت مُترجِمًا للمعنى دون اللفظ.

وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]: إن ترجمته بمثل لفظه استَغْلَقَ، وإن قلت: لم يتغافلوا أدَّيْت المعنى بلفظ آخر.

* * *

وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولَغَوْا فيه وهجروا، واتبعوا ﴿مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران:٧] بأفهامٍ كَليلة، وأبصار عليلة، ونظرٍ مَدْخُول، فحرَّفوا الكلامَ عن مواضعه، وعدلوه عن سُبُله، ثم قَضَوْا عليه بالتَّناقُض، والاستحالة، واللَّحْن، وفساد النَّظْم، والاختلاف، وأدْلَوْا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضّعيفَ الغُمْرَ، والحدَثَ الغِرَّ، واعترضت بالشبه فى القلوب، وقدَحَت بالشكوك فى الصدور.

ولو كان ما نحلوا إليه على تقريرهم وتأوُّلهم لَسبق إلى الطعن به من لم يزل

---

(١) من هنا إلى قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾، نقله ابن فارس فى الصاحبى ص١٢، ١٣، وصدَّره بقوله: «قال بعض علمائنا».

(٢) فى هامش (م): «التراجم: جمع المترجم، والمترجم الذى يعبر عن لغة بلغة أخرى».

(٣) قارن شرحها هنا بشرح الأزهرى لها فى اللسان (٥/٤٩).

رسولُ الله ﷺ يَحتَجُّ عليه بالقرآن، ويجعلُهُ العلَم لنُبُوَّته، والدليل على صدقه، ويتحداه فى موطن بعد موطن، على أن يأتى بسورةٍ من مثله، وهم الفصحاءُ والبلغاء، والخطباء والشعراء، والمخصوصون من بَيْنِ جميع الأنام بالألسنة الحِداد، واللَّدَد فى الخِصَام، مع اللُّب والنُّهَى، وأصالة الرّأى. وقد وصفَهم الله بذلك فى غير موضع من الكتاب، وكانوا مرّة يقولون: هو سحر، ومرة يقولون: هو قول الكهنة، ومرة: أساطير الأولين.

ولم يحك الله تعالى عنهم، ولا بلغنا فى شىء من الروايات ـ أنهم جَدَبُوهُ[1] من الجهة التى جَدَبَهُ منها الطاعنون.

* * *

فأحببت أن أَنْضَحَ عن كتاب الله، وأرمى من ورائه بالحجج النَّيِّرة، والبراهين البيِّنة، وأكشف للناس ما يَلْبِسون.

فألفت هذا الكتاب، جامعًا لتأويل مشكل القرآن[2]، مستنبطًا ذلك من التفسير بزيادة فى الشرح والإيضاح، وحاملاً ما لم أعلم فيه مقالاً لإمام مُطَّلِع على لغات العرب؛ لأُرِيَ به المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأى، أو أَقضى عليه بتأويل.

ولم يجز لى أن أنصَّ بالإسناد إلى من له أصل التفسير؛ إذ كنتُ لم أقتصر على وَحْيِ القوم حتى كَشفْتُه، وعلى إيمائهم حتى أوضحته، وزدتُ فى الألفاظ ونقصتُ، وقدَّمت وأخَّرت، وضربت لبعض ذلك الأمثالَ والأشكال، حتى يستوى فى فهمه السامعون.

وأسأل الله التجاوزَ عن الزَّلَّة بحسن النية، فيما دَلَلتُ عليه، وأجريتُ إليه، والتوفيقَ للصواب، وحسنَ الثواب.

---

(١) فى هامش (م): «جدب: عاب»، وفى اللسان (١/ ٢٤٩): «وجَدَبَ الشىءَ يَجْدِبُه: عابه وذمَّه، وفى الحديث: جَدَبَ لنا عمرُ السَّمَرَ بعد عتَمة، أى عابه وذمه».

(٢) قال ابن قتيبة فى كتاب تأويل مختلف الحديث ص١٣٤: «... وقد أخبرت به فى كتابى المؤلف فى تأويل مشكل القرآن». وقال فى كتاب أدب الكاتب ص١٩: «... وعلل هذا مستقصاة فى كتابنا المؤلف فى تأويل مشكل القرآن».

الحكاية عن الطاعنين

وكان مما بلغنا عنهم: أنهم يحتجُّون بقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وبقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت:٤٢].

وقالوا: وجدنا الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم يختلفون فى الحرف:

فابن عباس يقرأ: ﴿وادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ﴾[1] وغيره يقرأ: ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥].

وعائشة تقرأ: ﴿إِذْ تَلِقُونَهُ﴾[2] وغيرها يقرأ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ [النور:١٥].

وأبو بكر الصديق يقرأ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بالمَوْتِ﴾ والناس يقرءون: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق:١٩].

وقرأ بعضُ القُرّاء: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكًا﴾ وقال الناسُ: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾[3] [يوسف:٣١].

وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿إِنْ كَانَتْ إلاَّ زَقْيَةً وَاحِدَةً﴾[4]، ويقرأ: ﴿كالصُّوف المنفوش﴾[5]، مع أشباه لهـذا كثيرة، يخالف فيها مصحفُه المصاحفَ القديمة والحديثة.

وكان يحذف من مصحفه «أُمَّ الكتاب» ويمحو «المُعَوِّذَتين» ويقول: لِمَ تزيدون فى كتاب الله ما ليس فيه؟

---

(١) الأَمَه: النسيان، كما فى اللسان (١٧/ ٣٦٣).

(٢) انظر: القراءات الشاذة ص ١٠٠.

(٣) فى القراءات الشاذة ص٦٣: «متكًا ـ بفتح الميم ـ الأعرج، متكئًا؛ مجاهد».

(٤) فى اللسان (١٩/ ٧٧): «والزقية: الصيحة. وروى عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: «إِنْ كَانَتْ إلاَّ زَقْيَةً وَاحِدَةً» فى موضع صيحة».

(٥) قراءة حفص: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾.

وأُبَىٌّ يقرأ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِى فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا﴾[1] [طه: ١٥].

ويزيد في مصحفه افتتاح «دعاء القنوت» إلى قول الداعى: «إن عذابك بالكافرين مُلْحِق» ويَعُدُّهُ سورتين من القرآن.

والقُرَّاءُ يختلفون: فهذا يرفع ما ينصبه ذاك، وذاك يخفض ما يرفعه هذا.

* * *

وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين، فأىَّ شىء بعد هذا الاختلاف تريدون؟ وأى باطل بعد الخطإ واللحن تبتغون؟

وقد رَوَيْتُم من الطريق الذى ترتضون: روى أبو معاوية[2]، عن هشام بن عروة[3]، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: ثلاثة أحرف فى كتاب الله هن خطأ من الكاتب: قوله: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه:٦٣]، وفى سورة المائدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ [المائدة:٦٩]، وفى سورة النساء: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[4] [النساء: ١٦٢] حدثناه إسحاق بن راهَوَيه[5].

قالوا: وروَيتم عن عثمان أنه نظر فى المصحف فقال: أرى فيه لحنًا وستقيمه العرب بألسنتها[6].

---

(١) انظر تفسير الطبرى (١٧/ ١٢٠).

(٢) هو أبو معاوية محمد بن خازم التميمى السعدى، توفى سنة ١٩٣ على خلاف، راجع: تهذيب التهذيب (٩/ ١٣٧ ـ ١٣٩)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٣، ٢٧٤) ط. ل، ٣٩٢ ب، والجرح والتعديل (٣/ ٢/ ٢٤٦)، والتاريخ الكبير (١/ ٧١ ـ ٧٤).

(٣) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، توفى سنة ١٤٦، راجع تهذيب التهذيب (١١/ ٤٨ ـ ٥١)، وشذرات الذهب (١/ ٢١٨).

(٤) راجع: كتاب المصاحف (ص٣٣، ٣٤)، وفضائل القرآن لأبى عبيد: القاسم بن سلام، والانتصار لنقل القرآن للباقلانى (ص١٨٤ ـ أ)، والإتقان (١/ ٣١٢ ـ ٣١٥).

(٥) هو أبو محمد: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، المعروف بابن راهويه، توفى سنة ٢٣٨، وترجمته فى الكبير (١/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ١٩ ـ ٢١)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢١٦ ـ ٢١٨).

(٦) الرواية فى المصادر السابقة. وهى رواية موضوعة كسابقتها.

وقالوا: وهل التناقض إلا مثل قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن:٣٩]، وهو يقول فى موضع آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢، ٩٣].

ومثل قوله: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٥، ٣٦].

ويقول فى موضع آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١]، ويقول: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١) [البقرة:١١١].

ومثل قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧، والطور:٢٥]، وهو يقول فى موضع آخر: ﴿فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١].

ومثل قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت:٩].

وقال بعد ذلك: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:١١، ١٢] فدلت هذه الآية على أنه خلق الأرض قبل السماء.

وقال فى موضع آخر: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [النازعات:٢٧، ٢٨]، ثم قال: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾(٢) [النازعات:٣٠].

فدلت هذه الآية على أنه خلق السماء قبل الأرض.

ومثل قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٦]، وهو يقول فى موضع آخر: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة:٣٥، ٣٦].

والضريع: نبت، فهل يجوز أن يكون فى النار نبات وشجر، والنار تأكلهما؟

ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ثم قال على أثر ذلك: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الأنفال:٣٣، ٣٤].

---

(١) انظر الكشاف (١/ ٨٨).

(٢) انظر البحر المحيط (٨/ ٤٢٣).

وقالوا: فأين قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ من قوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾[1] [النساء:٣].

وأين قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ﴾ من قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٩٧].

وأين قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ﴾ من قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان:٣١]، أَوَ لَيس هذا مما يستوى فيه الصَّبَّار والشَّكُور وغير الصبَّار والشَّكُور؟

وما معنى قوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾[2] [الحديد:٢٠]؟ ولِمَ خص الكفار دون المؤمنين؟ أولَيس هذا مما يستوى فيه المؤمنون والكافرون، ولا ينقص إيمان المؤمنين إن أعجبهم؟

وقالوا فى قوله جل وعز: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧]: استثناؤه المشيئة من الخلود يدل على الزوال، وإلا فلا معنى للاستثناء، ثم قال: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] أى غير مقطوع.

وقالوا فى قوله: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦]: كيف يستثنى موتًا كان فى الدنيا من مُكْثِهم فى الجنة؟ وهل يجوز أن يقال فى الكلام: لا أعطيك اليوم درهمًا إلا ما أعطيتك أمس؟

وقالوا فى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦]: هل يجوز أن يقال: فلان يجعل لك حبًا، أى يحبك؟

وفى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾[3] [النبأ:٩]: السُّبات هو النوم، فكيف يجوز أن يجعل نومنا نومًا؟

---

(١) انظر الكشاف (١/ ٢٤٤).

(٢) انظر البحر المحيط (٨/ ٢٢٤).

(٣) انظر تفسير ابن قتيبة للسبات فى البحر المحيط (١/ ٤٠٩).

وفى قوله: ﴿قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦]، وقوله: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]: كيف يكون زجاج من فضة؟ وحجارة من طين؟

* * *

وقالوا فى قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس: ٩٤، ٩٥]: هل كان النبى ﷺ يشك فيما يأتيه به جبريل؟ وكيف يدعو الشاكِّين من هو على مثل سبيلهم؟ وكيف يرتاب فيما يأتيه به الروح الأمين، ويأتيه الثَّلَجُ واليقين بخبر أهل الكتاب عنه أنه حق، وهم يكذبون ويُحَرِّفُون ويقُولون على الله ما لا يعلمون؟

* * *

وقالوا فى قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]: أنتم تزعمون أنه لا شمس هناك ولا ليل، وهذا يدل على أوقات مختلفة، وشمس وفَىْء، ونهار وليل؛ لأن البُكْرَةَ تدل على أول النهار، والعَشِىَّ يدل على آخره، وما كان له أول وآخر فله انْصِرَام، وإذا انصرم عَاقَبَهُ الليل والنهار.

وقالوا فى سورة الأنفال، حين ذكرها، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]، ثم قال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥]: و«كما» تأتى لتشبيه الشىء، ولم يتقدم من الكلام ما يُشَبَّه به إخراج الله إياه.

وقالوا فى قوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]: كيف يكون عليه البلاغ بعد الوفاة؟

وقالوا فى قوله فى الرعد: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾[1] [الرعد: ٣٥]: أين

(١) انظر البحر المحيط (٥/ ٣٩٥).

الشيء الذى جُعِلت له الجنة مثلاً؟ وهل يجوز أن يقال: «مَثَلُ الدار التى وعدتك سُكْنَاهَا، يَطَّرِد فيها نهر، وتظلك فيها شجرة» ويُمْسِكُ القائل؟

قالوا: وقال فى موضع آخر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج:٧٣] ولم يأت به.

وقالوا فى قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾[1] [الأحزاب:١٠]: كيف تبلغ القلوب الحلوق والقلب إن زال عن موضعه شيئًا مات صاحبه؟

* * *

وقالوا فى قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل:١١٢]: كيف يُذاق اللباس؟ وإنما كان وجه الكلام: فألبسها الله لباس الجوع والخوف، أو: غشَّاها الله لباس الجوع والخوف، أو: فأذاقها الله الجوع والخوف، ويحذف اللباس.

وقالوا فى قوله: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم:١٦]: ما هذا من العقوبة؟ وفى أى الدَّارين يَسِمُهُ: أفى الدنيا أم فى الآخرة؟

فإن كان فى الدنيا، فإنه لم يبلغنا أن أحدًا من المشركين وُسِمَ على أنفه، وإن كان فى النار، فما أُعِدَّ للكافرين فيها من صنوف العذاب أكثر من الوسم على الأنف.

* * *

وقالوا: ماذا أراد بإنزال «المتشابه» فى القرآن مَنْ أراد لعباده الهدى والبيان؟

وتعلقوا بكثير منه لَطُف معناه؛ لما فيه من المجازات، بمضمر لغير مذكور، أو محذوف من الكلام متروك، أو مزيد فيه يوضح معناه حذف الزيادة، أو مقدَّم يوضح معناه التأخير، أو مؤخَّر يوضح معناه التقديم، أو مستعار، أو مقلوب.

وتكلموا فى الكناية، مثل قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد:١]، ومثل قوله: ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً﴾[2] [الفرقان:٢٨].

---

(١) انظر أمالى الشريف المرتضى (٢/ ٩).

(٢) انظر الكشاف (٣/ ٩٥).

وفى تكرار الكلام فى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، وفى سورة الرحمن.

وفى تكرار الأنباء والقصص، من غير زيادة ولا إفادة.

وفى مخالفة معنى الكلام مخرجه.

* * *

وقد ذكرتُ الحُجَّةَ عليهم فى جميع ما ذكروا، وغيره مما تركوا، وهو يشبه ما أنكروا؛ ليكون الكتاب جامعًا للفن الذى قصدت له.

وأفردت لـ«الغريب» كتابًا؛ كى لا يطول هذا الكتاب، وليكون مقصوراً على معناه، خفيفًا على من قرأه إن شاء الله تعالى.

* * *

باب الرد عليهم فى وجوه القراءات

أما ما اعتلوا به فى وجوه القراءات من الاختلاف، فإنا نحتج عليهم فيه بقول النبى ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ، فاقرءوا كيف شئتم»[١].

وقد غلط فى تأويل هذا الحديث قوم فقالوا: السبعة الأحرف: وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج.

وقال آخرون: هى سبع لغات فى الكلمة.

وقال قوم: حلال، وحرام، وأمر، ونهى، وخبر ما كان قبل، وخبر ما هو كائن بعد، وأمثال[٢].

وليس شىء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل.

---

(١) قوله ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ» روى من عدة وجوه:
فرواه أبو عبيد فى فضائل القرآن لوحة (٩٤ ـ ب) من حَديث عمر، والطبرى فى مقدمة التفسير (١/ ٢١ ـ ٦٧) بطرقه ووجوهه المختلفة، والطحاوى فى مشكل الآثار (١/ ١٨١ ـ ١٩٤) بطرقه ووجوهه كذلك، والباقلانى فى الانتصار لوحة (١١٤ ـ أ)، وابن كثير فى فضائل القرآن ص٣٦.
والنص الذى أورده ابن قتيبة أورده الطبرى بسنده، وفيه ضعف.
وقد روى البخارى الحديث بروايتين ليس فيهما «شافٍ كافٍ». راجع كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف (٩/ ٢٠ ـ ٢٣)، والإتقان (١/ ٧٨).
وانظر طرق الحديث ورواياته كذلك فى مسند أحمد (٥/ ٤١، ٥١، ١١٤، ١٢٢، ١٢٤ ـ طبعة الحلبى)، وفى سنن أبى داود كتاب الصلاة، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف (١/ ١٠١، ١٠٢)، وفى سنن النسائى (١/ ١٥٠).

(٢) فى كتاب النشر فى القراءات العشر (١/ ٢٥): «روى الطبرانى من حديث عمر بن أبى سلمة المخزومى أن النبى ﷺ قال لابن مسعود: إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد، وإن القرآن أنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وضرب أمثال وآمر وزاجر، فأحل حلاله وحرم حرامه، واعمل بمحكمه، وقف عند متشابهه، واعتبر أمثاله، فإن كلاً من عند الله، وما يذكر إلا أولو الألباب».
وانظر: الإتقان (١/ ٧٨ ـ ٨٦)، والقرطبى (١/ ٤١)، والطبرى (١/ ٩).

ومن قال: فلان يقرأ بحرف أبى عمرو(١) أو بحرف عاصم(٢) فإنه لا يريد شيئًا مما ذكروا. وليس يوجد فى كتاب الله تعالى حرف قُرِئَ على سبعة أوجه يصح، فيما أعلم.

وإنما تأويل قوله ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف»: على سبعة أوجه من اللغات متفرِّقة فى القرآن، يدلُّك على ذلك قول رسول الله ﷺ: «فاقرءوا كيف شئتم».

وقال عمر(٣): سمعت هشام بن حكيم بن حِزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وقد كان النبى ﷺ أَقْرَأَنِيها، فأتيت به النبى ﷺ فأخبرته، فقال له: «اقرأ»،

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازنى البصرى، النحوى، أحد الأئمة القراء السبعة. قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالقرآن، والعربية، والعرب، وأيامها، وقال فيه الفرزدق:

ما زلتُ أفتح أبوابًا وأغلقها ... حتى رأيت أبا عمرو بن عمار

وقال أبو بكر بن مجاهد: كان أبو عمرو مقدمًا فى عصره، عالمًا بالقراءة ووجوهها، قدوة فى العلم واللغة، وكان مع علمه باللغة وفقهه بالعربية متمسكًا بالآثار، لا يكاد يخالف فى اختياره ما جاء عن الأئمة قبله، وكان حسن الاختيار، غير متكلف.

توفى سنة ١٥٤، راجع ترجمته فى طبقات القراء (١/٢٨٨)، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبى (١/ ٨٣ ـ ٨٧)، وتهذيب التهذيب (١٢/١٧٨ ـ ١٨٠).

(٢) هو عاصم بن أبى النجود أو ابن بهدلة، أحد القراء السبعة، توفى سنة ١٢٧، راجع طبقات القراء. ومعرفة القراء الكبار (١/ ٧٣)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٨٩)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٢٤ ل، ٣٢٠، ١/ ٣٤٦ ب)، والجرح والتعديل (٣/ ١/ ٣٤٠)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٨).

(٣) ذكر الطبرى بسنده (١/ ١٠) عن عمر بن الخطاب أنه قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره فى الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلما سلم لبَّبته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها؟ قال: أقرأنيها رسول الله، فقلت: كذبت، فوالله إن رسول الله لهو أقرأنى هذه السورة التى سمعتك تقرؤها، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله فقلت: يا رسول الله، إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتنى سورة الفرقان. قال: فقال رسول الله ﷺ: «أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام»، فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها، فقال رسول الله: «هكذا أنزلت»، ثم قال رسول الله: «اقرأ يا عمر»، فقرأت القراءة التى أقرأنى رسول الله، فقال رسول الله: «هكذا أنزلت». ثم قال رسول الله: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منها».

فقرأ تلك القراءة، فقال: «هكذا أُنزِلَت». ثم قال لي: «اقرأ»، فقرأت، فقال: «هكذا أُنْزِلَت». ثم قال: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فاقرءوا منه ما تيسر»[١].

فمن قرأه قِراءَةَ «عبد الله» فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قِراءَةَ «أُبيٍّ» فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قراءة «زيد» فقد قرأ بحرفه[٢].

و«الحرف» يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم، وعلى الكلمة الواحدة، ويقع الحرف على الكلمة بأسرها، والخطبة كلها، والقصيدة بكمالها.

ألا ترى أنهم يقولون: قال الشاعر كذا في كلمته، يعنون في قصيدته. والله جل وعز يقول: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة:٧٤]، وقال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح:٢٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١ ـ ١٧٣]، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [الحج:١١]، أراد سبحانه وتعالى: من الناس من يعبد الله على الخير يصيبه من تثمير المال، وعافية البدن، وإعطاء السُّؤْل، فهو مطمئن ما دام ذلك له. وإن امتحنه الله تعالى باللأْوَاء في عيشه، والضَّراء في بدنه وماله ـ كفر به.

فهذا عَبَدَ الله على وجهٍ واحد، ومعنًى متحد، ومذهبٍ واحد، وهو معنى الحرف، ولو عبد الله على الشكر للنعمة، والصبر للمصيبة، والرضا بالقضاء ـ لم يكن عَبَدَه على حرف.

* * *

وقد تَدَبَّرْتُ وجوهَ الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه[٣]:

أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يُزِيلُها عن صورتها

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٩).

(٢) يقصد عبد الله بن مسعود المتوفى سنة ٣٢هـ، وأبي بن كعب المتوفى سنة ١٩هـ، وزيد بن ثابت المتوفى سنة ٤٥هـ.

(٣) نقل هذه الوجوه كلها ابن الجزري في كتاب النشر (١/ ٢٧، ٢٨)، والبلوي في ألف باء (١/ ٢١١). وانظر القرطبي (١/ ٤٥).

فى الكِتَاب، ولا يُغَيِّرُ معناها، نحو قوله تعالى: ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾(١) [هود:٧٨] وأَطْهَرَ لَكُمْ، ﴿وَهَلْ نُجَازِى إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٧] وَهَلْ يُجَازَى إِلاَّ الكَفُورُ، ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء:٣٧، والحديد:٢٤] وَبِالْبَخَلِ(٢)، ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾(٣) [البقرة:٢٨٠] وَمَيْسُرَةٍ.

والوجه الثانى: أن يكون الاختلاف فى إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيِّر معناها، ولا يُزِيلُها عن صورتها فى الكتاب، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾(٤) [سبأ:١٩] ورَبُّنَا بَاعَدَ بين أسفارنا، و﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾(٥) [النور:١٥] وتَلِقُونَه، ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾(٦) [يوسف:٤٥] وبعد أَمَهٍ.

والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها، بما يُغيِّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة:٢٥٩] وَنَنْشِرُهَا، ونحو قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾(٧) [سبأ:٢٣] وفُرِّغَ.

والوجه الرابع: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يُغيِّر صورتها فى الكتاب ولا يُغيّر معناها، نحو قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلاَّ زَقْيَةً﴾ و ﴿صَيْحَةً﴾ [يس:٢٩]، و﴿كالصُّوفِ المَنفُوشِ﴾ و﴿كَالْعِهْنِ﴾ [القارعة:٥].

والوجه الخامس: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله ﴿وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ﴾: وفى موضع: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾(٨) [الواقعة:٢٩].

---

(١) قراءة النصب يراها سيبويه لحنًا، راجع كتاب سيبويه (١/٣٩٧)، والقراءات الشاذة ص٦٠، والبحر المحيط (٥/٢٤٧).

(٢) انظر الكشاف (١/٢٦٨).

(٣) انظر: القراءات الشاذة ص١٧، والكشاف (١/١٦٧).

(٤) انظر القراءات الشاذة لابن خالويه ص١٢١.

(٥) انظر القراءات الشاذة لابن خالويه ص١٠٠.

(٦) انظر القراءات الشاذة لابن خالويه ص٦٤.

(٧) انظر القراءات الشاذة ص١٢٢.

(٨) فى القراءات الشاذة ص١٥١: «وطلع بالعين قرأها على بن أبى طالب على المنبر، فقيل له: أفلا نغيره فى المصحف؟ قال: ما ينبغى للقرآن أن يهاج، أى لا يغير».

والوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾(١) [ق:١٩]، وفي موضع آخر: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بِالمَوْتِ﴾.

والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس:٣٥]، ونحو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان:٢٦]، و﴿إِنَّ اللهَ الغَنِيُّ الحميدُ﴾.

وقرأ بعض السلف: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى﴾(٢) [ص:٢٣]، و﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا﴾(٣) [طه:١٥].

* * *

فأما زيادة «دعاء القنوت» في «مصحف أُبَيٍّ»، ونقصان أُمِّ الكتاب والمعَوِّذتين من «مصحف عبد الله»، فليس من هذه الوجوه، وسنُخبر بالسبب فيه، إن شاء الله.

وكل هذه «الحروف» كلام الله تعالى، نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام(٤)، وذلك أنه كان يُعَارِضُه في كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن(٥) فيُحْدِثُ الله إليه من ذلك ما يشاء، وينسخ ما يشاء، ويُيَسِّر على عباده ما يشاء. فكان(٦) من تيسيره: أن أمره بأن يُقْرِئَ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم:

---

(١) انظر القراءات الشاذة ص١٤٤.

(٢) في القراءات الشاذة لابن خالويه ص١٣٠: «له تسع وتسعون نعجة» بالفتح فيهما، الحسن وابن مسعود. ولي نعجة أنثى، ابن مسعود. إن هذا أخي كان له تسع وتسعون نعجة، ابن مسعود أيضًا».
وفي الطبري (٢٣/٩١): «... نعجة أنثى. وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة كقولهم: هذا رجل ذكر...».

(٣) قال ابن خالويه في القراءات الشاذة: «أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها، قراءة أُبي».

(٤) نقلها ابن الجزري في النشر (١/٢٩).

(٥) حديث معارضة جبريل بالقرآن في رمضان: أورده الطحاوي في مشكل الآثار (٤/١٩٦). وأخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي (١/٢٩)، وفي كتاب الصيام: باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان (٤/٩٩)، وكتاب بدء الخلق: باب ذكر الملائكة (٦/٢٢٢)، وكتاب المناقب: باب صفة النبي ﷺ (٦/٤١٨)، وكتاب فضائل القرآن: باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ (٩/٣٩ - ٤٢). وأخرجه النسائي في كتاب الصيام: باب الفضل والجود في رمضان (١/٢٩٧). وأحمد في المسند (١/٢٨٨، ٣٦٦ - ٣٦٧، ٣٧٣ - طبعة الحلبي).

(٦) من هنا إلى قوله: «كتيسيره عليهم في الدين» نقله ابن الجزري في كتاب النشر (١/٢٢، ٢٣).

فالهذلىُّ يقرأ ﴿عَتَّى حِينٍ﴾ يريد ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤، والصافات: ١٧٤، ١٧٨، والذاريات: ٤٣]؛ لأنه هكذا يَلْفظ بها ويستعملها.

والأسَدِىُّ يقرأ: تِعْلمون وتِعْلم، و﴿تِسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، و﴿أَلَمْ إِعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: ٦٠].

والتَّميمىُّ يهمز. والقُرَشىُّ لا يهمز.

والآخَر يقرأ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ١١، وغيرها] ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: ٤٤] بإشمام الضم مع الكسر، و﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥] بإشمام الكسر مع الضم، و﴿مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا﴾ [يوسف: ١١] بإشمام الضم مع الإدغام، وهذا ما لا يَطُوعُ به كل لسان.

ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمِرَ أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتيادُه طفلاً وناشئًا وكَهْلاً ـ لاشتد ذلك عليه، وعظمت المِحْنَةُ فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للّسان، وقطعٍ للعادة. فأراد الله، برحمته ولطفه، أن يجعل لهم مُتَّسعًا فى اللغات، ومُتَصرَّفًا فى الحركات، كتيسيره عليهم فى الدِّين حين أجاز لهم على لسان رسوله صلى الله عليه أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته فى فرائضهم، وأحكامهم، وصلاتهم، وصيامهم، وزكاتهم، وحَجِّهم، وطلاقهم، وعتقهم، وسائر أمور دينهم.

* * *

فإن قال قائل: هذا جائز فى الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحدًا، فهل يجوز أيضًا إذا اختلفت المعانى؟

قيل له: الاختلاف نوعان: اختلاف تَغَايُرٍ، واختلاف تَضَادٍّ.

«فاختلاف التّضاد» لا يجوز، ولستَ وَاجِدَهُ بحمد الله فى شىء من القرآن إلا فى الأمر والنهى من الناسخ والمنسوخ.

«واختلاف التغاير» جائز، وذلك مثل قوله: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أى بعد حين، و﴿بَعْدَ أَمَهٍ﴾ أى بعد نِسْيَانٍ له، والمعنيان جميعًا وإن اختلفا صحيحان؛ لأنه

ذكر أمر «يوسف» بعد حين وبعد نسيان له، فأنزل الله على لسان نبيه صلى الله عليه بالمعنيين جميعًا فى غرضين.

وكقوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور:١٥] أى تَقْبَلونه وتَقولُونَه، و﴿تَلِقُونَهُ﴾ من الوَلْقِ وهو الكذب[1]، والمعنيان جميعًا وإن اختلفا صحيحان؛ لأنهم قبلوه وقالوه، وهو كذب، فأنزل الله على نبيه بالمعنيين جميعًا فى غرضين.

وكقوله: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[2] [سبأ:١٩] على طريق الدعاء والمسألة، و﴿رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ على جهة الخبر، والمعنيان وإن اختلفا صحيحان؛ لأن أهل سبأ سألوا الله أن يُفَرِّقَهُمْ فى البلاد فقالوا: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ فلما فرقهم الله فى البلاد أيْدِى سبا، وبَاعَد بين أسفارهم، قالوا: ربُّنَا بَاعَدَ بَيْن أَسْفَارِنَا وأَجَابَنَا إلى ما سألنا، فحكى الله سبحانه عنهم بالمعنيين فى غرضين.

وكذلك قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الإسراء:١٠٢] و﴿لَقَدْ عَلِمْتُ ما أَنْزَلَ هَؤُلاءِ﴾ لأن فرعون قال لموسى: إن آياتك التى أتيْتَ بها سحر. فقال موسى مرّة: لقد علمتُ ما هى سحر ولكنها بصائر، وقال مرّة: لقد علمتَ أنت أيضًا ما هى سحر، وما هى إلا بصائر. فأنزل الله المعنيين جميعًا.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾[3] [يوسف:٣١] وهو الطعام، و«أعتدتْ لهنَّ مُتْكًا» وهو الأُتْرُجُّ، ويقال: الزُّمَاوَرْد، فدلت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام، وأنزل الله بالمعنيين جميعًا.

وكذلك ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة:٢٥٩] و«نُنشِرُها»؛ لأن الإنشار: الإحياء، والإنشاز هو: التحريك للنقل، والحياة حركة، فلا فرق بينهما.

---

(١) راجع اللسان (١٢/ ٢٦٥).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٣٥٩، والبحر المحيط (٧/ ٢٧٢).

(٣) انظر: القراءات الشاذة ص٦٣، والبحر المحيط (٥/ ٣٠٢)، وفى اللسان (٢١/ ١٩٥): «وقيل للطعام مُتَّكَئًا؛ لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكئوا، وقد نُهيت هذه الأمة عن ذلك... وفى الحديث: لا آكل مُتَّكِئًا».

وكذلك: ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾[1] [سبا:٢٣] و«فُرِّغ»؛ لأن فُزِّع: خُفف عنها الفزع، وفُرِّغَ: فُرِّغ عنها الفزع[2].

وكل ما فى القرآن من تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقصان ـ فَعَلى مثل هذه السبيل.

* * *

فإن قال قائل: فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع هذه الوجوه؟

قيل له: كل ما كان منها موافقًا لُمصْحَفِنَا غيرَ خارج من رسم كتابه جاز لنا أن نقرأ به، وليس لنا ذلك فيما خَالَفَه؛ لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين قرأوا بلغاتهم، وجَرَوْا على عادتهم، وخَلَّوْا أنفسهم وسَوْمَ طبائعهم، فكان ذلك جائزًا لهم، ولقوم من القرَّاء بعدهم مأمونين على التنزيل، عارفين بالتأويل، فأما نحن معشر المتكلفين، فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العَرْض، وليس لنا أن نَعْدُوَه، كما كان لهم أن يُفسِّروه، وليس لنا أن نفسِّره.

ولو جاز لنا أن نقرأه بخلاف ما ثبت فى مصحفنا لجاز أن نكتبه على الاختلاف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير، وهناك يقع ما كرِهَهُ لنا الأئمة المُوفَّقون، رحمةُ الله عليهم.

وأما نقصان «مصحف عبد الله» بحذفه «أمّ الكتاب» و«المُعَوِّذَتين»، وزيادة «أُبَىّ» بسورتى القنوت[3] ـ فإنا لا نقول: إن «عبد الله» و«أُبيًا» أصابا وأخطأ المهاجرون والأنصار ولكنّ «عبد الله» ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن «المعوذتين» كانتا كالعُوذَةِ والرُّقية وغيرها، وكان يرى رسول الله صلى الله عليه يُعَوِّذُ بهما الحسن والحسين وغيرهما[4]،

(١) انظر: القراءات الشاذة ص١٢٢، وإتحاف فضلاء البشر ص٣٥٩.

(٢) فى البحر المحيط (٧/ ٢٧٨): «وقرأ عبد الله بن عمر، والحسن، وأيوب السختيانى وقتادة، وأبو مجلز: فرغ من الفراغ ـ مشدد الراء ـ مبنيًا للمفعول».

(٣) راجع الإتقان (١/ ١٣٦ ـ ١٣٨).

(٤) أخرج أحمد فى المسند (٥/ ١٣٠) من حديث زرِّ بن حُبَيْش قال: «قلت لأبى بن كعب: إن أخاك يحكّهما [المعوذتين] من المصحف، فلم ينكر. قيل لسفيان: ابن مسعود؟ قال: نعم، وليسا فى مصحف ابن مسعود، كان يرى رسول الله ﷺ يعوِّذ بهما الحسن والحسين، ولم يسمعه يقرؤهما فى =

كما كان يُعَوِّذ بأعوذ بكلمات الله التامة[١]، وغير ذلك، فظنَّ أنهما ليستا من القرآن، وأقام على ظنِّه ومخالَفةِ الصحابة جميعًا[٢] كما أقام على التطبيق[٣].

= شيء من صلاته، فظن أنهما عُوذتان، وأصر على ظنه، وتحقق الباقون كونهما من القرآن، فأودعوهما إياه».

(١) فى ذلك يروى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامَّة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة».

أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥] (٦/ ٢٩٢، ٢٩٣)، ومسلم فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٤/ ٢٠٨٠، ٢٠٨١)، والترمذى فى الطب (٢/ ٦)، وابن ماجه فى الطب (٢/ ١١٦٤، ١١٦٥)، والدارمى فى الاستئذان (٢/ ٢٨٩)، وأحمد فى المسند (١/ ٢٣٦).

(٢) قد نقل القرطبى فى التفسير (٢٠/ ٢٥٥) قول ابن قتيبة ـ عن ابن مسعود ـ فى هذا بمعناه. وقد رد الباقلانى ما روى عن ابن مسعود فى ذلك ردًا طويلاً مقنعًا، ومن قوله فى ذلك: أما دعوى من ادعى أن ابن مسعود أنكر أن تكون المعوذتان قرآنًا منزلاً وجحد ذلك ـ فإنها دعوى تدل على جهل من ظن صحتها، وغباوته، وشدة بعده عن التحصيل، وعلى بُهْت من عرف حال المعوذتين وحال عبد الله وسائر الصحابة؛ لأن كل عاقل سليم الحس يعلم أن عبد الله لم يجحدهما ولا أنكرهما، ولا دفع أن يكون النبى تلاهما على الأمة، وخبر أنهما منزلتان من عند الله وأنه أمر بأن يقولهما على ما قيل له فى أولهما، وكيف يمكن ابن مسعود أو غيره من الصحابة جحد ذلك وإنكاره، وذلك مما قد أعلنه الرسول وأظهره، وتلاه وكرره، وصلى به، وجهر به فى قراءته، وخبر أنه من أفضل ما أنزل عليه، وكشف عن ذلك وأبانه. ثم قال: إن عبد الله بن مسعود لا يجوز منه مع عقله وتمييزه وجريان التكليف عليه أن يحمل نفسه على جحد المعوذتين، وإنكار نزولهما، وأن الله أوحى بهما إلى نبيه.

ومما يوضح ذلك ويبينه أنه لو كان قد جحد المعوذتين وأنكرهما مع ظهور أمرهما وإقرار جميع الصحابة بهما ـ لم يكن بد من أن يدعوه داعٍ إلى ذلك، وأن يكون هناك سبب بعثه عليه. ولو كان هناك سبب حداه على ذلك وحركه للخلاف فيه ـ لوجب فى موضوع العادة أن يحتج به، ويذكره، ويعيد به ويبدئ، ويكثر اعتداده له، وتعويله عليه، وظهوره عنه وانتشاره وحصول العلم به؛ إذ كان خلافًا فى أمر عظيم، وخطر جسيم، وأعظم مما نهى عنه من الإقامة على التطبيق فى الصلاة، وقوله فى «بِرْوَع بنت واشق»، وخلافه فى الفرائض، وغير ذلك مما شهر من مذهبه.

ولو كان منه هذا الخلاف مع الصحابة لوجب أن يعظم ردهم عليه، ويغلظ قولهم له، والحكم عليه بالكفر والردة، وأنه بمثابة من جحد جميع كتاب الله، وأن يطالبوا الإمام بإقامة حق الله عليه فى ذلك. وفى عدم ظهور ذلك كله وحدوثه أوضح دليل على أنه لم يكن منه ـ قط ـ جحد المعوذتين، وإنكار لكونهما قرآنًا منزلاً.

(٣) فى اللسان (١٢/ ٨٠): «والتطبيق فى الصلاة جعل اليدين بين الفخذين فى الركوع. وقيل: التطبيق =

وأقام غيرُهُ على الفُتْيَا بالمُتْعَة، والصَّرْف[١].

ورأى آخر أكلَ البَرَدِ وهو صائم[٢].

= فى الركوع كان من فعل المسلمين فى أول ما أمروا بالصلاة، وهو إطباق الكفين مبسوطتين بين الركبتين إذا ركع، ثم أمروا بإلقام الكفين رأس الركبتين. وكان ابن مسعود استمر على التطبيق؛ لأنه لم يكن علم الأمر الآخَر. وروى المنذرى عن الحربى قال: التطبيق فى حديث ابن مسعود: أن يضع كفه اليمنى على اليسرى، يقال: طابقتُ وطبَّقتُ. وفى حديث ابن مسعود أنه كان يُطبِّق فى صلاته، وهو أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه فى الركوع والتشهد». وانظر مسند أحمد (ج٥ رقم ٣٥٨٨، وج٦ رقم ٣٩٢٧).

وذكر ابن قتيبة فى كتابه (تأويل مختلف الحديث ص٢٦) رأى النظَّام فى ذلك فقال: «قال النظام: ثم جحد ـ يعنى ابن مسعود ـ من كتاب الله سورتين، فهبه لم يشهد قراءة النبى ﷺ بهما، فهلاً استدل بعجيب تأليفهما وأنهما على نظم سائر القرآن المعجز للبلغاء أن ينظموا نظمه وأن يحسنوا مثل تأليفه. قال: وما زال يُطبِّق فى الركوع إلى أن مات، كأنه لم يصل مع النبى أو كان غائبًا. . .».

ثم رد ابن قتيبة على النظام قوله فقال (ص٣١): «وطعنه عليه ـ يعنى ابن مسعود ـ لجحده سورتين من القرآن العظيم، يعنى المعوذتين، فإن لابن مسعود فى ذلك سببًا، والناس قد يظنون ويزلون، وإذا كان هذا جائزًا على النبيين والمرسلين فهو على غيرهم أجوز. وسبب تركه إثباتهما فى مصحفه: أنه كان يرى النبى يعوِّذ بهما الحسن والحسين ويعوذ غيرهما، كما كان يعوذهما بأعوذ بكلمات الله التامة، فظن أنهما ليستا من القرآن، فلم يثبتهما فى مصحفه. وبنحو هذا السبب أثبت أُبى بن كعب فى مصحفه افتتاح دعاء القنوت وجعله سورتين؛ لأنه كان يرى رسول الله ﷺ يدعو بهما فى الصلاة دعاء دائمًا، فظن أنه من القرآن.

وأما «التطبيق» فليس من فرض الصلاة، وإنما الفرض: الركوع والسجود؛ لقول الله عز وجل: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج:٧٧] فمن طبَّق فقد ركع، ومن وضع يديه على ركبتيه فقد ركع، وإنما وضع اليدين على الركبتين أو التطبيق من آداب الركوع، وقد كان الاختلاف فى آداب الصلاة، فكان منهم من يُقعى، ومنهم من يفترش، ومنهم من يتورَّك، وكل ذلك لا يفسد الصلاة وإن اختلف».

وانظر حديث التطبيق فى مسند أحمد (١/ ١٨١)، وابن ماجه (١/ ٢٨٣)، والنسائى (١/ ١٥٨، ١٥٩)، والاعتبار للحازمى (ص٨٢ ـ ٨٤).

(١) فى اللسان (١١/ ٩١): «والصرف فضلُ الدرهم على الدرهم والدينار على الدينار، لأن كل واحد منهما يُصْرَف عن قيمة صاحبه». وكان ابن عباس يرى جوازه، وفى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (٤/ ٤٥٩): «وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله فى الصرف، وسفهوا رأيه حتى قيل إنه تاب من ذلك عند موته»؛ راجع البخارى، وفتح البارى (٩/ ١٤٣ ـ ١٥٠)، والاعتبار (ص١٧٦ ـ ١٧٩) فى المتعة، و(ص١٦٣ ـ ١٦٧) فى الصرف.

(٢) هو أبو طلحة الأنصارى، وقد روى ذلك أبو يعلى فى مسنده (٣/ ٩٩٥) ونقله عنه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/ ١٧٢): «عن أنس قال: مطرت السماء بَرَدًا، فقال لنا أبو طلحة ـ ونحن غلمان ـ: =

ورأى آخر أكل السَّحُور بعد طلوع الفجر الثانى[1].

فى أشباهٍ لهذا كثيرة.

= ناولنى يا أنس من ذلك البرد. فناولته، فجعل يأكل وهو صائم. قلت: ألست بصائم؟! قال: بلى، إن هذا ليس بطعام ولا شراب، وإنما هو بركة من السماء، نطهر به بطوننا. قال أنس: فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فقال: «خذ عن عمك»! ثم قال الهيثمى: وفيه على بن زيد، وفيه كلام، وقد وثِّق، وبقية رجاله رجال الصحيحين. ورواه البزار موقوفًا وزاد: فذكرت ذلك لسعيد بن المسيب، فكرهه وقال: إنه يقطع الظمأ». ورواه الطحاوى كذلك فى مشكل الآثار (٢/ ٣٤٧).

وقال ابن حزم فى المحلى (٦/ ١٧٧): «والذى روينا بأصح طريق عن شعبة وعمران القطان، كلاهما عن قتادة، عن أنس» وذكره فى الإحكام (٦/ ٨٣).

وأورده السيوطى فى ذيل اللآلى ص١١٦ عن الديلمى، بسند فيه عبد الله بن الحسين المصيصى، وفى آخره زيادة نصها: «قال أنس: أصم الله هاتين إن لم أكن سمعته من رسول الله، وقال على بن زيد كذلك، وتسلسل إلى الديلمى. وعبد الله بن الحسين يسرق الحديث».

ونقل ذلك ابن عراق فى تنزيه الشريعة (٢/ ١٥٩) ثم قال: «لا ذنب لعبد الله بن الحسين فى هذا الحديث، فقد أخرجه أبو يعلى والبزار فى مسنديهما دون قول أنس: أصم. وقد راجعت المطالب العالية لابن حجر فرأيته قال بعد إيراد إسناده: ضعيف. ثم قال: ورواه البزار عن أنس: رأيت أبا طلحة ـ فذكره موقوفًا. اهـ. وقال البزار: لا نعلم هذا الفعل إلا عن أبى طلحة، فتبين أن هذا «المتن» ليس بموضوع، ولعل السيوطى إنما عنى أنه موضوع بهذه الزيادة والتسلسل، لا مطلقًا».

وعلى بن زيد بن جدعان رافضى ضعيف، لا يحتج بحديثه، وإن قال فيه يعقوب بن شيبة: «ثقة، صالح الحديث، وإلى اللين ما هو».

وقال الترمذى: «صدوق، إلا أنه ربما رفع الشىء الذى يوقفه غيره». وقوله فى رفعه إلى النبى الحديث الذى يوقفه غيره على الصحابى ـ هو نفس قول البخارى: كان رفاعًا.

وقال الساجى: كان من أهل الصدق، ويحتمل لرواية الجلة عنه، وليس يجرى مجرى من أجمع على ثبته.

والقول ما قاله ابن حبان عنه: «كان يهم فى الأخبار، ويخطئ فى الآثار، حتى كثر ذلك فى أخباره، وسرق المناكير التى يرويها عن المشاهير، فاستحق ترك الاحتجاج به».

وفى شرح نهج البلاغة (٤/ ٤٦٠): «وأنكرت الصحابة على طلحة قوله: إن أكل البرد لا يفطر الصائم، وهزئت به ونسبته إلى الجهل».

راجع المجروحين لابن حبان لوحة ٣١٣، والتاريخ الكبير (٣/ ٢/ ٢٧٥)، والجرح والتعديل (٣/ ١/ ٨٦)، وطبقات ابن سعد (٧/ ٢٥٢) بيروت، ونسب قريش للمصعب الزبيرى ص٢٩٣، وميزان الاعتدال (٣/ ١٢٧)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٢٢)، والضعفاء للعقيلى لوحة ٢٩٥، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٤٠، ١٤١).

(١) هو حذيفة بن اليمان. قال الطحاوى فى شرح معانى الآثار (١/ ٣٢٤): «حدثنا على بن شيبة قال: =

وإلى نحو هذا ذهب أُبَىٌّ فى «دعاء القنوت»؛ لأنه رأى رسول الله صلى الله عليه يدعو به فى الصلاة دعاءً دائمًا، فظن أنه من القرآن، وأقام على ظنه، ومخالفة الصحابة(١).

= حدثنا رُوح بن عبادة قال: حدثنا حماد، عن عاصم بن بهدلة، عن زِرّ بن حُبَيْش قال: تسحَّرت ثم انطلقت إلى المسجد، فمررت بمنزل حذيفة فدخلت عليه، فأمر بلِقْحة [ناقة حديثة العهد بالولادة] فحلبت، وبقِدْر فسخنت، ثم قال: كل. فقلت: إنى أريد الصوم. قال: وأنا أريد الصوم. قال: فأكلنا ثم شربنا، ثم أتينا المسجد، فأقيمت الصلاة. قال: هكذا فعل بى رسول الله ـ أو صنعت مع رسول الله ـ قلت: بعد الصبح؟! قال: بعد الصبح، غير أن الشمس لم تطلع»!

قال أبو جعفر الطحاوى: «ففى هذا الحديث عن حذيفة أنه أكل بعد طلوع الفجر، وهو يريد الصوم، ويحكى ذلك عن رسول الله، وقد جاء عن رسول الله خلاف ذلك...».

وقد أخرجه الحازمى عن عاصم، عن زر، ثم قال: قال بعضهم: «كان ذلك فى أول الأمر ثم نسخ».

راجع: الاعتبار (ص١٤٤، ١٤٥)، وسنن ابن ماجه (١/ ٥٤١)، والنسائى (١/ ٣٠٥)، ومسند أحمد (٥/ ٣٩٦).

(١) قال الباقلانى فى كتاب الانتصار (لوحة ٨٠ ـ أ): «ثم إذا صرنا إلى القول فيما روى عنه، من إثبات هذا الدعاء فى مصحفه ـ لم نجده ظاهرًا منتشرًا، ولا مما يلزم قلوبنا العلم بصحته، ويلزمنا الإقرار به، والقطع على «أبى» بأنه كتب ذلك، بل إنما يروى ذلك من طرق يسيرة نزرة، رواية الآحاد التى لا توجب العلم، ولا تقطع العذر، ولا ينبغى لمسلم عرف فضل «أبى» وعقله، وحسن هديه، وكثرة علمه، ومعرفته بنظم القرآن، وما هو منه، مما ليس من جملته ـ أن ينسب إليه أنه كتب دعاء القنوت فى مصحفه، أو اعتقد أنه قرآن؛ فإن اعتقاد كونه قرآنًا أبين وأفحش فى الغلط من كتبته فى المصحف... فإذا كان ذلك كذلك سقط التعلق بهذه الرواية سقوطًا ظاهرًا.

ومما يدل على وهاء هذا الخبر عن «أبى» علمنا بأن «عثمان» تشدد فى قبض المصاحف المخالفة لمصحفه، وفى المطالبة بها وتحريقها. وإذا كان ذلك كذلك لكانت العادة توجب أن يكون «مصحف أبى» أول مقبوض ومأخوذ. وقد جاءت الرواية عن محمد والطفيل ابنى أبى بن كعب أنهما قالا لوفد أصحاب عبد الله عليهما بطلب مصحف أبيهما: إن عثمان قد قبضه منه. وإذا كان ذلك كذلك وجب أن يكون «مصحف أبى» الذى فيه إثبات هذا الدعاء ـ إن كان ذلك على ما روى ـ مما أخذ وقبض، فكيف بقى حتى رآه الناس؟

ورووا أنه كان عند أنس بن مالك. ويقول بعضهم: هذا لا أصل له، وقد رأينا مصحف «أنس» الذى ذكر أنه مصحف «أبى» وكان موافقًا لمصحف الجماعة بغير زيادة ولا نقصان. ولو صح وثبت أنه وجد مصحف ينسب إلى «أبى» فيه دعاء القنوت ـ لوجب أن يعلم أنه مكذوب موضوع، قصد بوضعه إفساد الدين، وتفريق كلمة المسلمين، والقدح فى نقلهم، والطعن فى مصحفهم الذى هو إمامهم».

وأما «فاتحة الكتاب» فإنى أشك فيما رُوى عن «عبد الله» من تركه إثباتها فى مصحفه، فإن كان هذا محفوظًا فليس يجوز لمسلم أن يَظُنَّ به الجهل بأنها من القرآن، وكيف يُظَنُّ به ذلك وهو من أشد الصحابة عناية بالقرآن، وأحد الستة الذين انتهى إليهم العلم، والنبىُّ ﷺ يقول: «مَنْ أَحَبَّ أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنْزِل فليقرأه قراءة ابن أُمِّ عَبْد»(١)، وعمر يقول فيه: «كُنَيْفٌ مُلِئَ عِلْمًا»(٢).

وهو مع هذا مُتقدِّم الإسلام بَدْرِىٌّ لم يزل يسمع رسول الله ﷺ يَؤُمُّ بها، وقال: «لا صلاة إلا بسورة الحمد»(٣)، وهى السبع المثانى، وأم الكتاب(٤)، أى أعظمه، وأقدم ما نزل منه، كما سميت مكة أم القرى؛ لأنها أقدمها، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦].

ولكنه ذهب، فيما يَظُنُّ أهل النظر، إلى القرآن إنما كُتِبَ وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (١/٧، ٢٦، ٣٨، ٤٤٥، ٤٥٤)، والبيهقى فى السنن الكبرى (١/٤٥٢، ٤٥٣)، وابن أبى داود فى المصاحف ص١٣٧، وابن ماجه فى مقدمة السنن (١/٤٩).

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك (٣/٣١٨)، وفى اللسان (١١/٢٢١): «والكنف - بكسر الكاف - وعاء يكون فيه أداة الراعى ومتاعه، ومنه قول عمر فى عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما: كُنيف ملئ علمًا، أى أنه وعاء للعلم، بمنزلة الوعاء الذى يضع الرجل فيه أداته، وتصغيره على جهة المدح له، وهو تصغيرُ تعظيم للكِنف... شبه عمر قلب ابن مسعود بكِنف الراعى؛ لأن فيه مِبْراته ومِقَصَّه وشَفْرَته، ففيه كل ما يريد، هكذا قلب ابن مسعود قد جُمِع فيه كل ما يحتاج إليه الناس من العلوم».

وفى غريب الحديث لأبى عبيد (١/١٦٩) أن عبد الله بن مسعود قال لعمر فى الرجل الذى قتل امرأة ولها أولياء فعفا بعضهم، فأراد عمر أن يقيد لمن لم يعف منهم، فقال عبد الله: لو غيرت بالدية كان فى ذلك وفاء لهذا الذى لم يعف، وكنت قد أتممت للعافى عفوه. فقال عمر: «كُنيف ملئ علمًا».

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة: باب وجوب القراءة للإمام والمأموم (٢/٢٠٠) من حديث عبادة ابن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

وهو عند مسلم فى كتاب الصلاة: باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة (١/٢٩٥).

(٤) فى صحيح البخارى (٩/٤٩) من حديث أبى سعيد بن المُعلَّى: أن النبى ﷺ قال: «ألاَ أعلمك أعظم سورة فى القرآن... ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته»، وانظر الدر المنثور (١/٢).

لِقِصَرِها[١] ولأنها تُثْنَى فى كل صلاة وكل ركعة، ولأنه لا يجوز لأحدٍ من المسلمين ترك تعلُّمها وحفظها كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه، إذ كانت لا صلاة إلا بها.

فلما أمِنَ عليها العِلَّة التى من أجلها كُتِب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن.

ولو أن رجلاً كتب فى المصحف سُوَرًا وترك سُوَرًا لم يكتبها لم نر عليه فى ذلك وَكَفًا[٢] إن شاء الله تعالى[٣].

* * *

(١) نقله السيوطى فى الإتقان (١/١٣٨).

(٢) فى اللسان (١١/ ٢٨٠): «الوَكَف: الإثم والعيب. ويقال: ليس عليك فى هذا الأمر وَكَف؛ أى ليس عليك فيه مكروه ولا نَقْص».

(٣) قال الباقلانى فى كتاب الانتصار (لوحة ١٠١ ـ أ): «وروى عن إبراهيم النخعى أن عبد الله بن مسعود كان لا يكتب فاتحة الكتاب، ويقول: لو كتبتها لكتبتها فى أول كل شىء»، والرواية عن إبراهيم فى الدر المنثور (١/٢).

باب ما ادعى على القرآن من اللحن

وأما ما تعلقوا به من حديث عائشة رضى الله عنها فى غلط الكاتب، وحديث عثمان رضى الله عنه: أرى فيه لحنًا ـ فقد تكلم النحويون فى هذه الحروف، واعتلوا لكل حرف منها، واستشهدوا بالشعر[1]:

فقالوا فى قوله سبحانه: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه:٦٣]: وهى لغة بَلْحَرث بن كعب[2] يقولون: مررت برجلان، وقبضت منه درهمان، وجلست بين يداه، وركبت علاه. وأنشدوا:

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَاهُ ضَرْبَةً   دَعَتْهُ إِلَى هَابِى التُّرابِ عَقِيمِ[3]

أى موضع كثير التراب لا ينبت. وأنشدوا:

أىَّ قَلُوصِ راكِبٍ تَراهـا   طَارُوا عَلاَهُنَّ فَطِرْ عَلاهَا[4]

على أن القراء قد اختلفوا فى قراءة هذا الحرف، فقرأه أبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر: ﴿إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ﴾ وذهبا إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت عائشة.

---

(١) راجع اللسان (١٦/ ١٧١، ١٧٢).

(٢) انظر الصاحبى ص٢٠ (السلفية).

(٣) البيت لِهَوبَرٍ الحارثىِّ، كما فى اللسان (١٠/ ٦٤، ١٩/ ١٦٣، ٢٠/ ٢٢٦)، وفى كل هذه المواضع ورد بلفظ: «بين أُذْنَيْه»، والهابى من التراب: ما ارتفع ودقَّ، والبيت فى الجمهرة (٢/ ٣٢٣): «بين أذناه» وقبله بيتان، وفى الصحاح (٦/ ٢٥٣٢)، وفى التاج (١٠/ ٤٠٥).

(٤) فى نوادر أبى زيد ص٥٨: «وقال المفضل: وأنشدنى أبو الغول لبعض أهل اليمن: «أى قلوص راكب... فشُلَّ علاها» القلوص مؤنثة، وعلاها: أراد عليها، ولغة بنى الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفًا، يقولون: أخذت الدرهمان، واشتريت ثوبان، والسلام علاكم. وهذه الأبيات على لغتهم... قال أبو حاتم: سألت عن هذه الأبيات أبا عبيدة فقال: انقط عليه، هذا صنعه المفضل»، وكذلك قال فى ص١٦٤، وانظر اللسان (١٩/ ٣٢٢)، وخزانة الأدب (٣/ ١٩٩)، وشرح شواهد الشافية ص٣٥٥، وشرح شواهد المغنى ص٤٧.

وكان عاصم الجَحْدَرِى(١) يكتب هذه الأحرف الثلاثة فى مصحفه على مثالها فى الإمام، فإذا قرأها قرأ: ﴿إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرانِ﴾، وقرأ: ﴿والْمُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ [النساء:١٦٢]، وقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ﴾ [المائدة:٦٩].

وكان يَقْرَأُ أَيْضًا فى سورة البقرة: ﴿والصَّابِرُونَ فِى البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة:١٧٧] ويكتبها: ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾.

وإنما فرَق بين القراءة والكتاب لقول عثمان رحمه الله: «أرى فيه لحنًا وستُقيمه العرب بألسنتها» فأقامه بلسانه، وترك الرسم على حاله.

وكان الحجَّاج وَكَلَ عاصمًا ونَاجِيَةَ بن رُمْح وعلى بن أصْمع(٢) بِتَتَبُّع المصاحف، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفًا لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه ستين درهمًا.

خَبَّرنى بذلك أبو حاتم عن الأصمعى قال: وفى ذلك يقول الشاعر:

وإِلاَّ رُسُومَ الدَّارِ قَفْرًا كأنَّها ... كتابٌ مَحَاهُ الباهلىُّ بن أصْمَعَا

وقرأ بعضهم: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه:٦٣] اعتبارًا بقراءة أُبَىّ لأنها فى مصحفه: «إنْ ذَانِ إلا ساحران»، وفى مصحف عبد الله: ﴿وأَسَرُّوا النَّجْوَى أنْ هَذَانِ سَاحِرَانِ﴾ منصوبة الألف بجعل ﴿أن هذان﴾ تَبْيِينًا للنجوى.

* * *

وقالوا فى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ [المائدة:٦٩]: رفع «الصابئين» لأنه رَدٌّ على موضع ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وموضعه رفع، لأن «إنّ» مُبْتَدَأَةٌ وليست تُحْدِثُ فى الكلام مَعْنًى كما تُحْدِثُ أخواتها. ألاَ ترى أنك تقول: زيد قائم، ثم تقول: إن زيدًا قائم، ولا يكون بين الكلامين فرق فى المعنى.

---

(١) هو عاصم بن أبى الصباح: العجاج، أبو المجشر الجحدرى، البصرى. المقرئ المفسر؛ قرأ على الحسن البصرى. ومات سنة ١٢٨. وترجمته فى: غاية النهاية (١/ ٣٤٩)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٩٠)، وميزان الاعتدال (٢/ ٣٥٤)، ولسان الميزان (٣/ ٢٢٠).

(٢) فى القرطين: «على بن أصمع عم أبى الأصمى».

وتقول: زيد قائم، ثم تقول: لعل زيدًا قائم، فَتُحْدِثُ فى الكلام معنى الشك.
وتقول: زيد قائم، ثم تقول: ليت زيدًا قائم، فَتُحْدِثُ فى الكلام معنى التمنى.
ويدلُّكَ على ذلك قولهم: إن عبد الله قائم وزيد، فترفع زيدًا، كأنك قلت: عبد الله قائمٌ وزيدٌ، وتقول: لعل عبد الله قائمٌ وزيدًا، فتنصب مع «لعل» وترفع مع «إنَّ» لما أحْدَثَتْهُ «لعل» من معنى الشك فى الكلام، ولأنّ «إنَّ» لم تُحْدِث شيئًا. وكان الكسائى يُجيز: إنّ عبد الله وزيدٌ قائمان، وإنَّ عبد الله وزيدٌ قائم. والبصريون يُجيزونه، ويحكون: ﴿إنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[1] [الأحزاب:٥٦]، وينشدون:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بالمَدِينَة رَحْلُه ... فإنِّى وقَيَّارًا بهـا لَغَرِيبُ[2]

* * *

وقالوا فى نصب ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ [النساء:١٦٢] بأقاويل: قال بعضهم: أراد بما أُنْزِلَ إليك وإلى المقيمين. وقال بعضهم: وما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين، وكان الكسائى يردّه إلى قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٢] [أى:] ويؤمنون بالمقيمين، واعتبره بقوله فى موضع آخر: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦١] أى بالمؤمنين. وقال بعضهم: هو نصب على المدح. قال أبو عبيدة: هو نصب على تطَاوُل الكلام بالنَّسَق، وأنشد لِلخِرْنِق بنت هِفَّانَ:

لا يَبْعُدَنْ قَوْمِى الذين هُمُ ... سُمُّ العُـداةِ وآفـةُ الجُزْرِ[3]
النـازلينَ بكـلِّ مُعْتَـرَكٍ ... والطيِّبُـون مَعَاقِـدَ الأُزْرِ

ومما يشبه هذه الحروف ـ ولم يذكروه ـ قوله فى سورة البقرة: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ

(١) انظر البحر المحيط (٧/٢٤٨).
(٢) البيت لضَابِئ البُرْجُمِىِّ فى: اللسان (٦/٤٣٨)، والكامل (١/١٨٨)، والأصمعيات ص١٦، ونوادر أبى زيد ص٢٠، والنقائض (١/ ٢٢٠)، وخزانة الأدب (٤/٢٢٣)، وتفسير الطبرى (١٦/ ١٣٧)، وغير منسوب فى مجاز القرآن (١/ ١٧٢، ٢/ ٢٢).
(٣) ديوانها ص١٠ ـ ١٢، وأمالى القالى ٢/ ١٥٤، وأمالى المرتضى (١/ ٢٠٥)، ومجاز القرآن (١/ ٦٥، ٦٦)، ومعانى القرآن للفراء (١/ ١٠٥، ٤٥٣) غير منسوب، والخزانة (٢/ ٢٠٣)، وأمالى ابن الشجرى (١/ ٣١٠)، وتفسير الطبرى (٢٤/ ٢٧).

إذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة:١٧٧].

والقُرَّاءُ جميعًا على نصب «الصابرين» إلا عاصمًا الجَحْدَرى فإنه كان يرفع الحرف إذا قرأه، ويَنْصِبه إذا كتبه؛ لِلعلَّة التى تقدم ذكرها.

واعتل «أصحاب النحو» للحرف، فقال بعضهم: هو نصبٌ على المدح، والعرب تَنْصِبُ على المدح والذم، كأنهم يَنْوُون إفراد الممدوح بمدح مُجَدَّدٍ غير متبع لأوَّل الكلام، كذلك قال الفرَّاء.

وقال بعضهم: أراد: وآتى المالَ على حبه ذَوى القُرْبَى واليتَامَى والمساكين وابن السَّبيل والسائلين والصابرين فى البأسَاء والضَّرَّاء.

وهذا وجه حسن؛ لأنَّ البأساء: الفقر، ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج:٢٨] والضرّاء: البلاء فى البدن؛ من الزَّمَانَة والعلّة، فكأنه قال: وآتى المال على حُبِّه السائلين الطَّوَّافين، والصابرين على الفقر والضرّ، الذين لا يسألون ولا يَشْكُون، وجعل «المُوفِين» وسَطًا بين المُعْطِين نَسَقًا على «من آمن بالله».

* * *

ومن ذلك قوله فى سورة الأنبياء: ﴿كَذَلِك نُجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ كُتِبَتْ فى المصاحف بنون واحدة، وقرأها القُرَّاء جميعًا «نُنْجِي» بنونين إلا عاصم بن أبى النَّجود فإنه كان يقرؤُها بنون واحدة، ويخالف القُرَّاء جميعًا، ويرسل الياء فيها على مِثَال «فُعِلْ»(١).

(١) قراءة عاصم الجحدرى التى ذكرها ابن قتيبة: «نجى» بضم النون، وتشديد الجيم، وسكون الياء، رواها عنه: أبو بكر بن عياش وحده. أما رواية حفص عنه فهى: «ننجى» بنونين، مضمومة فساكنة. وهى التى عليها قراءتنا الآن فى المشرق.

قال ابن مجاهد فى كتاب «السبعة» ورقة ٧٨ ـ ب: «قرأ عاصم فى رواية أبى بكر وحده: (نجى المؤمنين) بنون واحدة، مشددة، على ما لم يسم فاعله، والياء ساكنة. حفص عن عاصم: (ننجى) بنونين، خفيفة، وكذلك قرأه الباقون: عبيد عن أبى عمرو، وعبيد عن هارون عن أبى عمرو: (نجى) مدغمة. كذلك قالا: «مدغمة». وهو وَهْم. لا يجوز هاهنا الإدغام؛ لأن النون الأولى متحركة، والثانية ساكنة، والنون لا تدغم فى الجيم، وإنما خففت لسكونها، ولأنها تخرج من الخياشيم، فحذفت من الكتاب، وهى ثابتة فى اللفظ».

وانظر: التيسير الدانى ص١٥٥، وإبراز المعانى لأبى شامة ص٤٠٢، وإتحاف فضلاء البشر ص٣١١، والبحر المحيط (٦/ ٣٣٥)، وأمالى ابن الشجرى (٢/ ٥١٥).

فأما مَنْ قرأها بنونين، وخالف الكتاب، فإنه اعتل بأن النون تخفى عند الجيم، فأسقطها كاتب المصحف لخفائها، ونيَّتُه إثباتها.

واعتلّ بعض النحويين لعاصم فقالوا: أضْمَر المصدر، كأنه قال: نُجِّيَ النجاء المؤمنين، كما تقول: ضُرِبَ الضربُ زيدًا، ثم تُضْمِرُ الضَّرْب، فتقول: ضُرِب زيدًا[1].

وكان أبو عبيد يختار فى هذا الحرف مذهب عاصم كراهية أن يُخالِفَ الكتاب، ويستشهد عليه «حرفًا» فى سورة الجاثية، كان يقرأ به أبو جعفر المدنى، وهو قوله: ﴿لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كانُوا يَكْسِبُون﴾[2] [الجاثية: ١٤] أى لِيُجزَى الجزاءُ قومًا.

وأنشدنى بعض النحويين[3]:

ولو وَلَدَتْ فُقَيْرَةُ جِرْوَ كَلْبٍ   لَسُبَّ بذلك الجِرْوِ الكِلابا[4]

* * *

ومن ذلك: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] أكثر القُرَّاء يقرءون ﴿فأصَّدَّقَ أكُن﴾ بغير واو. واعتلّ بعض النحويين فى ذلك بأنها محمولة على موضع «فَأَصَّدَّقَ»، لو لم يكن فيه الفاء، وموضعه جزم، وأنشد:

(١) بعض النحويين الذين اعتلوا لقراءة عاصم هذه هم: الفرّاء، وأبو عبيد، وثعلب. وقد خطأها الزجّاج وأبو حاتم، وقالا: إنها لحن، لأنه نصب اسم ما لم يسم فاعله، وإنما يقال: نجى المؤمنون، كما يقال: كرم الصالحون. ولا يجوز: ضُرِب زيد، بمعنى: ضرب الضرب زيدًا، لأنه لا فائدة فيه؛ إذ كان ضرب يدل على الضرب.

(٢) فى تفسير القرطبى (١١/ ٣٢٥): «ولأبى عبيد قول آخر ـ وقاله القُتْبى ـ وهو أنه أدغم النون فى الجيم. قال النحاس: وهذا القول لا يجوز عند أحد من النحويين؛ لبعد مخرج النون من مخرج الجيم فلا تدغم فيها. ولا يجوز فى ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ [الأنعام: ١٦٠]: «مجاء بالحسنة». ولم أسمع فى هذا أحسن من شىء سمعته من على بن سليمان [الأخفش] قال: الأصل: «ننجى» فحذف إحدى النونين؛ لاجتماعهما، كما تحذف إحدى التاءين؛ لاجتماعهما، نحو قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] والأصل: تتفرقوا».

(٣) راجع تفسير القرطبى (١١/ ٣٣٤، ٣٣٥).

(٤) البيت لجرير كما فى الخزانة (١/ ١٦٣)، وهو غير موجود فى ديوانه ولا فى النقائض. وهو غير منسوب فى القرطبى (١١/ ٣٣٥).

فأبْلُونى بَلِيَّتكُـمْ لَعَـلِّى أُصالِحكُمْ وأَستَدْرِجْ نَوَيَّا[١]

فجزم «وأستدرِجْ»، وحملَه على موضع «أصالحكم» لو لم يكن قبلها «العلى»، كأنه قال: فأبلونى بليتكم أُصالحْكم وأستَدْرِجْ.

وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ: ﴿فأَصَّدَّق وأَكُونَ﴾ بالنصب[٢]، ويذهب إلى أن الكاتب أسقط الواو، كما تسقط حروف المد واللين فى «كَلَمُون» وأشباه ذلك.

* * *

وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطًا من الكاتب، كما ذكرت عائشة رضى الله عنها[٣].

فإن كانت على مذاهب النحويين فليس هاهنا لحن بحمد الله.

وإن كانت خطأ فى الكتاب، فليس على رسوله ﷺ جناية الكاتب فى الخط.

ولو كان هذا عيبًا يرجع على القرآن لرجع كل خطأ وقع فى كتابة المصحف من طريق التَّهجِّى:

فقد كُتِب فى الإمام: ﴿إِنَّ هَذَنِ لَساحِران﴾ بحذف ألف التثنية.

وكذلك «ألف التثنية» تحذف فى هجاء هذا المصحف فى كل مكان، مثل: ﴿قَالَ رَجُلَنِ﴾ و﴿آخرَنِ يَقُومَانِ مَقَامَهُما﴾ وكتبَتْ كُتَّابُ المصحف: الصلوة والزكوة والحيوة،

---

(١) البيت فى اللسان (١٣/ ١ ٠ ٥) غير منسوب، وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى ص٢٨٤ لأبى دؤاد، وهو له فى الخصائص (١/ ١٧٦)، ومعانى القرآن للفراء (١/ ٨٨)، وفى النقائض (١/ ٤٠٨): «أراد: نوايا فذهب به إلى قفيًا وهويًا، وهو الوجه الذى يريده. وأستدرج: يقول: اتركْكم وأذهب. ولعل بمعنى كى على رأى الكوفيين، واستشهدوا بهذا البيت».

وفى هامش (م): «النوى: النية، وأبلونى: من الإبلاء وهو الإعطاء. والبلية: الناقة كانت تحبس على رأس قبر الميت، وكانت العرب تزعم أن الأموات تبعث ركبانًا». وانظر اللسان (١٨/ ٩٢).

(٢) راجع: الخصائص، والقراءات الشاذة ص١٥٧، والبحر المحيط (٨/ ٢٧٥).

(٣) فى مجاز القرآن (٢/ ٢٥٩): «قال أبو عمرو: «وأكون من الصالحين» وذهب الواو من الخط، كما يكتب «أبو جاد»: «أبجد» هجاء. وقال آخرون: الجزم على غير موالاة ولا شركة «وأكون» ولكنه أشركه فى الكلام الأول، كأنه قال: هلا أخرتنى أكن، فهذه الفاء شركة فى موضع الفاء الأولى، والفاء الأولى التى فى «أصدق» فى موضع جزم، قال:

إذا قصرتْ أسيافُنا كان وصلها خُطانا إلى أعـدائنا فنَضـارب»

بالواو، واتَّبعناهم فى هذه الحروف خاصة على التَّيَمُّن بهم، ونحن لا نكتب: «القَطاة والقناة والفَلاة» إلا بالألف، ولا فرق بين تلك الحروف وبين هذه.

وكتَبُوا «الربو» بالواو، وكتبوا: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المعارج:٣٦] فمال بلام منفردة.

وكتبوا: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَأِي الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤] بالياء ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِى حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١] بالياء فى الحرفين جميعًا، كأنهما مضافان، ولا ياء فيهما، إنما هى مكسورة.

وكتبوا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَوٌ﴾ [الشورى:٢١، القلم:٤١] و﴿فَقَالَ الضُّعَفَوٌ﴾ [إبراهيم:٢١] بواو، ولا ألف قبلها.

وكتبوا: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِى أَمْوَالِنَا مَا نَشَاوٌ﴾ [هود:٨٧] بواو بعد الألف، وفى موضع آخر ﴿مَا نَشَاءُ﴾ [الإسراء:١٨، والحج:٥] بغير واو ولا فرق بينهما.

وكتبوا: ﴿أَوْ لا أَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل:٢١] بزيادة ألف. وكذلك ﴿وَلا أَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ﴾ [التوبة:٤٧] بزيادة ألف بعد لام ألف.

وهذا أكثر فى المصحف من أن نَستقْصيَه.

وكذلك لَحْنُ اللاحنين من القُرَّاء المتأخرين، لا يُجعل حُجَّةً على الكتاب.

وقد كان الناس قديمًا يَقْرَءُون بلغاتهم كما أَعْلَمْتُكَ، ثم خَلَفَ قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طَبْعُ اللغة، ولا عِلْمُ التكلُّف، فَهفَوْا فى كثير من الحروف وزَلُّوا وقرءوا بالشاذ وأخلُّوا.

منهم «رجل»(١) ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقرَّبَهُ من القلوب بالدين، لم

(١) هذا الرجل هو: حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمارة الكوفى، أحد القراء السبعة (٨٠ ـ ١٢٧هـ).
ومن عجب أن يقول ابن مطرف فى كتاب القرطين (١٥/٢): «وباقى الباب لم أكتبه لما فيه من الطعن على حمزة، وكان أورع أهل زمانه. مع خلو باقى الباب من الفائدة»!! هكذا قال ابن مطرف، وهو قول يدل على عصبية مضلة، وغفلة عن قيمة الحقائق العلمية، وأى فائدة أعظم من أن يبين ابن قتيبة فى باقى الباب أوهام القراء التى وهموا فيها، وسجلها عليهم العلماء الأثبات، وبينوا خطأهم فيها. وهل طعن ابن قتيبة فى حمزة بغير الحق؟ ثم إنه لم ينفرد بالطعن فيه، فقد سبقه إلى =

أو فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطًا ولا أشد اضطرابًا منه؛ لأنه يستعمل فى الحرف ما يَدَعُه فى نظيره، ثم يُؤصِّل أصلاً ويخالف إلى غيره لغيرما عِلَّة، ويختار فى كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة.

هذا إلى نبذه فى قراءته مذاهب العرب وأهلِ الحجاز، بإفراطه فى المد والهمز والإشباع، وإفحاشه فى الإضجاع والإدغام، وحَمْلِه المتعلمين على المركَب الصعب، وتعسيره على الأمة ما يسره الله، وتضييقه ما فَسَحه.

ومن العجب أنه يُقْرِئُ الناس بهذه المذاهب ويكره الصلاة بها! ففى أى موضع تستعمل هذه القراءة إن كانت الصلاة لا تجوز بها؟!

وكان ابن عُيَيْنَة يرى لمن قرأ فى صلاته بحرفه، أو ائتمَّ بقراءته: أن يُعيد، ووافَقَه

= ذلك أعلام العلماء. فقد كان يزيد بن هارون يكره قراءة حمزة كراهية شديدة، وأرسل إلى أبى الشعثاء: لا تقرئ فى مسجدنا قراءة حمزة. وقال عبد الرحمن بن مهدى: لو كان لى سلطان على من يقرأ قراءة حمزة لأوجعت ظهره.

وكذلك كان أحمد بن حنبل يكرهها. وكذلك كرهها وتبرم بها عبد الله بن إدريس الأودى. وقال أبو بكر بن عياش: قراءة حمزة بدعة. وعلق على ذلك الذهبى بقوله: «يريد ما فيها من المد المفرط، والسكت، وتغيير الهمز فى الوقف والإمالة وغير ذلك». وقال ابن دريد: إنى لأشتهى أن يخرج من الكوفة قراءة حمزة. وقال حماد بن زيد: لو صلى بى رجل فقرأ بقراءة حمزة لأعدت صلاتى. وكان أحمد يكره أن يصلى خلف من يقرأ بقراءته. وقال الأزدى والساجى: يتكلمون فى قراءته وينسبونه إلى حالة مذمومة.

ولكن الذهبى قال فى ميزان الاعتدال: «قد انعقد الإجماع بأخرة على تلقى قراءة حمزة بالقبول، والإنكار على من تكلم فيها، فقد كان من بعض السلف فى الصدر الأول فيها مقال ويكفى حمزة شهادة مثل الإمام سفيان الثورى له، فإنه قال: ما قرأ حمزة حرفًا إلا بأثر» وعجيب من الذهبى أن يكتفى بدعوى الإجماع وقول الثورى هذا، ويسكت عما قاله فيه السلف ولا يتعرض له بنقد. فهل انعقد الإجماع بأخرة على أنهم كانوا فى نقدهم لحمزة من الخاطئين؟!!

راجع ترجمة حمزة فى طبقات ابن سعد (٦/٢٦٨ ـ ليدن)، (٦/ ٣٨٥ ـ بيروت)، والتاريخ الكبير (٢/١/٤٨)، والجرح والتعديل (١/ ٢ ـ ٢٠٩، ٢١٠)، وميزان الاعتدال (١/ ٦٠٥، ٦٠٦)، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (١/٩٣ ـ ٩٩)، ووفيات الأعيان (١/ ٤٤٥)، والمعارف ص٢٣٠، وطبقات القراء لابن الجزرى (١/٢٦٣)، والنشر (١/١٦٦)، والتيسير (ص٦، ٧)، وتهذيب التهذيب (٣/٢٧، ٢٨)، ومعجم الأدباء لياقوت (١٩/٢٨٩ ـ ٢٩٣).

على ذلك كثير من خِيار المسلمين؛ منهم بشر بن الحارث[١] وأحمد بن حنبل.

وقد شُغِفَ بقراءته عوامُّ الناس وسُوَقُهُم، وليس ذلك إلا لما يرونه من مشقتها وصعوبتها، وطول اختلاف المتعلم إلى المقرِئ فيها، فإذا رأوْه قد اختلف فى أمِّ الكتاب عشرًا، وفى مائة آية شهرًا، وفى السبع الطُّوَل[٢] حَوْلاً، ورأوه عند قراءته مائل الشِّدقين، دَارَّ الوَرِيدين، راشح الجَبينين ـ توهَّموا أن ذلك لفضيلة فى القراءة وحِذْق بها.

وليس هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ ولا خِيَار السلف ولا التابعين، ولا القرَّاء العالمين؛ بل كانت قراءتهم سهلة رَسْلَةً. وهكذا نختار لقراء القرآن فى أَوْرَادِهم ومحاريبهم. فأما الغلام الرَّيِّضُ والمُسْتأنِف للتعلُّم، فنختار له أن يُؤْخَذ بالتحقيق عليه، من غير إفحاشٍ فى مَدٍّ أو همزٍ أو إدغامٍ؛ لأن فى ذلك تَذْلِيلاً للِّسان، وإطلاقًا من الحُبْسَةِ، وحلاً للعُقْدة.

وما أقلَّ من سَلِمَ من هذه الطبقة فى حرفه من الغلط والوَهَم:

فقد قرأ «بعض المتقدمين»[٣]: ﴿مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ﴾ [يونس:١٦] فهمز، وإنما هو من دريْت بكذا وكذا.

وقرأ[٤]: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونَ﴾[٥] [الشعراء:٢١٠] توهم أنه جمع بالواو والنون.

---

(١) توفى بشر بن الحارث، المعروف بالحافى، سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد بلغ من السن خمسًا وسبعين سنة، راجع ترجمته فى: تاريخ بغداد (٧/ ٦٨ ـ ٨٠)، ووفيات الأعيان (١/ ٢٤٨ ـ ٢٥١).

(٢) فى اللسان (١٣/ ٤٣٦): «والسبع الطُّوَل من سور القرآن: سبع سور...».

(٣) يقصد الحسن، جاء فى القراءات الشاذة ص٤٦: «ولا أدرأتكم به» بالهمز والتاء: الحسن». وفى البحر المحيط (٥/ ١٣٣): «وقرأ ابن عباس وابن سيرين والحسن وأبو رجاء: «ولا أدرأتكم به» بهمزة ساكنة. وخرجت هذه القراءة على وجهين...». وانظر الكشاف (٢/ ١٨٤).

(٤) يقصد الحسن أيضًا، راجع القراءات الشاذة ص١٠٨، والكشاف (٣/ ١٢٩)، وفى البحر المحيط (٧/ ٤٦): «وقرأ الحسن: الشياطون... قال أبو حاتم: هى غلط منه أو عليه. وقال النحاس: هو غلط عند جمع النحويين... وقال الفراء: غلط الشيخ، ظن أنها النون التى على هجائن...».

(٥) انظر تفسير القرطبى (١٣/ ١٤٢).

وقرأ آخر(١): ﴿فَلا تَشْمِتْ بِيَ الأعْداءَ﴾ [الأعراف:١٥٠] بفتح التاء، وكسر الميم، ونصب الأعداء. وإنما هو من: أَشْمَتَ اللهُ العدوَّ فهو يُشْمِتُهُ، ولا يقال: شَمِتَ اللهُ العدوَّ.

وقال الأعمش(٢): قرأتُ عند إبراهيم(٣) وطلحة بن مُصَرِّف(٤): ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:٢٥]، فقال إبراهيم: ما تزال تأتينا بحرف أشنع! إنما هو: ﴿لِمَنْ حَوْلِه﴾ واستشهد طلحةَ فقال مثل قوله. قال الأعمش: فقلت لهما: لحنتما، لا أقاعدكما اليوم(٥).

وقرأ يحيى بن وثَّاب(٦): ﴿وَإِنْ تَلُوا أَوْ تُعْرِضُوا﴾(٧) [النساء:١٣٥] من الوِلاية. ولا وجه للولاية ههنا(٨)، إنما هى تَلْوُوا ـ بواوين ـ من لَيِّكَ فى الشهادة وميلك إلى أحد الخصمين عن الآخر. قال الله عز وجل: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ [آل عمران:٧٨] واتبعه على هذه القراءة الأعمش وحمزة.

وقرأ الأعمش: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ﴾ [إبراهيم:٢٢] بكسر الياء(٩)، كأنه ظن أن الباء

---

(١) فى البحر المحيط (٤/ ٢٩٦): «وقرأ ابن محيصن: تشمت ـ بفتح التاء وكسر الميم ونصب الأعداء».

(٢) هو سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدى الكوفى، ولد سنة ٦٠ ومات سنة ١٤٨، راجع: غاية النهاية فى طبقات القراء (١/ ٣١٥).

(٣) هو إبراهيم بن يزيد، أبو عمران النخعى الكوفى، المتوفى سنة ٩٦.

(٤) هو طلحة بن عمرو بن كعب، أبو عبد الله الهمدانى الكوفى، تابعى، مات سنة ١١٢، كما فى غاية النهاية فى طبقات القراء (٢/ ٣٤٣)، والمعارف ص ٢٣٠.

(٥) نقل البغدادى فى خزانة الأدب (٢/ ٢٥٨) عن الفراء قال: «حدثنى مندل بن على الغزى، عن الأعمش قال: قلت عند إبراهيم وطلحة بن مصرِّف: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ﴾ بنصب اللام من ﴿حَوْلَهُ﴾، فقال لى إبراهيم: ما تزال تأتينا بحرف أشنع! إنما هى«لمن حولِه» بخفض اللام. قال: قلت: لا، إنما هى «حولَه»، فقال إبراهيم: يا طلحة، كيف تقول؟ قال: كما قلت. قال الأعمش: قلت: لحنتما، لا أجالسكما اليوم».

(٦) هو يحيى بن وثاب الأسدى، الكوفى، تابعى ثقة. قال ابن قتيبة: مات سنة ١٠٣، راجع: غاية النهاية فى طبقات القراء (٢/ ٣٨٠)، والمعارف ص ٣٣٠.

(٧) انظر إتحاف فضلاء البشر ص١٩٥.

(٨) راجع الكشاف (١/ ٣٠٤).

(٩) فى الكشاف (٢/ ٣٠٠): «وهى ضعيفة».

تخفض الحرف كله، واتَّبعه على ذلك حمزة[1].

وقرأ حمزة: ﴿وَمَكْرَ السَّيْءْ وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣] فجزم الحرف الأوَّل، والجزم لا يدخل الأسماء، وأعرب الآخر وهو مثله[2].

وقرأ نافع[3]: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونِ﴾[4] [الحجر:٥٤] بكسر النون، ولو أُريد بها الوجه الذى ذهب إليه لكانت «فَبِمَ تُبَشِّرُونَنِى» بنونين؛ لأنها فى موضع رفع.

وقرأ حمزة[5]: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾[6] [الأنفال:٥٩]

---

(١) فى البحر المحيط (٥/ ٤١٩): «وقرأ يحيى بن وثّاب والأعمش وحمزة «بمصرخى» بكسر الياء، وطعن كثير من النحاة فى هذه القراءة. قال الفراء: لعلها من وهم القراء؛ فإنه قل من سلم منهم من الوهم، ولعله ظن أن الباء فى «بمصرخى» خافضة للفظ كله، والياء للمتكلم خارجة من ذلك... وقال الأخفش: ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين. وقال الزجاج: هذه القراءة رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف...». وقد نقل البغدادى فى خزانة الأدب (٢/ ٢٥٨، ٢٥٩) نص كلام الفراء والزجاج من تفسيريهما. وانظر إتحاف فضلاء البشر ص٢٧٢.

(٢) فى البحر المحيط (٧/ ٣١٩): «وقرأ الجمهور: «ومكر السيئ» بكسر الهمزة، والأعمش وحمزة بإسكانها، فإما إجراءً للوصل مجرى الوقف، وإما إسكانًا لتوالى الحركات وإجراء للمنفصل مجرى المتصل كقوله: لنا إبلان. وزعم الزجاج أن هذه القراءة لحن. قال أبو جعفر: وإنما صار لحنًا لأنه حذف الإعراب منه. وزعم محمد بن يزيد أن هذا لا يجوز فى كلام ولا شعر؛ لأن حركات الإعراب دخلت للفرق بين المعانى. وقال الزجاج أيضًا: قراءة حمزة «ومكر السيئ» موقوفًا عند الحذاق بياءين لحن لا يجوز، وإنما يجوز فى الشعر للاضطرار...». وانظر الكشاف (٣/ ٢٨٧)، وإتحاف فضلاء البشر ص٣٦٢.

(٣) هو نافع بن عبد الرحمن، أبو رويم، أحد القراء السبعة، توفى سنة ١٦٩، راجع: طبقات القراء (٢/ ٣٣٤)، والمعارف ص٢٣٠، وغرائب القرآن على هامش الطبرى (١/ ٩)، ووفيات الأعيان (٥/ ٥)، والتيسير ص٤.

(٤) انظر الكشاف (٢/ ٣١٥). وفى البحر المحيط (٥/ ٤٥٨): «وقرأ نافع بكسر النون مخففة، وغلطه أبو حاتم، وقال: هذا يكون فى الشعر اضطرارًا...».

(٥) فى البحر المحيط (٤/ ٥١٠): «وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص: «ولا يحسبن» بالياء، أى ولا يحسبن الرسول أو حاسب، أو المؤمن... وباقى السبعة بالتاء، خطابًا للرسول أو للسامع...». ويرى الزمخشرى أن قراءة حمزة هذه ليست بنيرة، راجع الكشاف (٢/ ١٣٢).

(٦) بفتح الياء والسين من «يحسبن» وكسر الهمزة من «إنهم». وانظر آراء العلماء فى: إتحاف فضلاء البشر ص٢٣٨، وإبراز المعانى ص٣٣٤، ٣٣٥، وتفسير القرطبى (٨/ ٣٣ ـ ٣٥)، والبحر المحيط =

بالياء. ولو أُريد بها الوجه الذى ذهب إليه لكانت: «وَلا يحسبَنّ الذين كفروا أنهم سبقوا، إنهم لا يُعجزون».

وهذا يَكْثُرُ. ولم يكن القصد فى هذا الكتاب له، وستراه كله فى «كتابنا المؤلف فى وجوه القراءات» إن شاء الله تعالى.

* * *

= (٥/ ٥١٠، ٥١١)، وتفسير الطبرى (١٤/٢٨ ـ ٣١، طبعة شاكر)، والتيسير ص١١٧، ومعانى القرآن للفراء (١/ ٤١٤ ـ ٤١٦).

باب التناقض والاختلاف

قال أبو محمد: عبد الله بن مسلم بن قتيبة:

فأما ما نَحَلُوه من التناقض فى مثل قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِه إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن:٣٩]. وهو يقول فى موضع آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢، ٩٣].

فالجواب فى ذلك: أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى: ﴿مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، ففى مثل هذا اليوم يُسأَلون وفيه لا يسألون؛ لأنهم حين يُعْرَضون يُوقَفُون على الذنوب ويُحاسَبون، فإذا انتهت المسألة ووَجَبَت الحجَّة ﴿انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧] وانقطع الكلام، وذهب الخصام، واسودَّت وجوه قومٍ، وابيضَّت وجوه آخرين، وعُرِف الفريقان بسيماهم، وتطايرت الصحف من الأيدى: فآخذٌ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذٌ ذات الشمال إلى النار.

وكذلك قال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِه إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ قال: هو موطنٌ لا يُسْألون فيه. ومثله: ﴿وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٨].

وقوله: ﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [ق:٢٨]، وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٥، ٣٦]، وهو يقول فى موضع آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١]، ويقول: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١) [البقرة:١١١، والنمل:٦٤].

والجواب عن هذا كله نحو جوابنا الأول؛ لأنهم يختصمون ويدعى المظلومون على الظالمين، ففى تلك الحال يختصمون، فإذا وقع القصاص وثبت الحكم قيل لهم: لا تختصموا ولا تنطقوا، ولا تعتذروا، فليس ذلك بمُغْنٍ عنكم ولا نافع لكم؛ فَيَخْسَئُون.

(١) المناسب هنا آية القصص:٧٥.

روى عبد الرَّزَّاق عن مَعْمَر عن قتادة: أن رجلاً جاء إلى عكرمة فقال: أرأيتَ قول الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فقال: إنها مواقف، فأما موقف منها: فتكلموا واختصموا، ثم ختم الله على أفواههم فتكلمَتْ أيديهم وأرجلهم، فحينئذ لا يتكلمون.

وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧، والطور:٢٥]، وهو يقول في موضع آخر: ﴿فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١]، فإنه إذا نُفخ في الصور نفخةٌ واحدة تقطَّعت الأرحام، وبَطلَت الأنساب، وشُغلوا بأنفسهم عن التَّسآل، و(صَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ)[1]. فإذا نُفِخَ فيه أُخرَى: قاموا ينظرون، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقالوا: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢]. وهو معنى قول ابن عباس.

* * *

وقوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت:٩ ـ ١١].

فدلَّت هذه الآيات على أنه خلق الأرض قبل السماء.

وقال في موضع آخر: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝٢٩ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[2] [النازعات: ٢٧ ـ ٣٠].

فدلَّت هذه الآيات على أنه خلق السماء قبل الأرض.

وليس على كتاب الله تحريف الجاهلين، وغلط المتأوِّلين، وإنما كان يجد الطاعن متعلَّقًا ومقالاً لو قال: والأرضَ بعد ذلك خلقها أو ابتدأها أو أنشأها، وإنما قال:

---

(١) اقتباس من سورة الزمر:٦٨.

(٢) انظر تفسير غريب القرآن ص٥١٣. ومعنى: وأغطش ليلها: أظلمه، وأخرج ضحاها: أبرز ضوء شمسها، ودحاها: بسطها. وانظر الكشاف (٤/ ١٨٢).

﴿دَحَاهَا﴾ فابتدأ الخلق للأرض على ما فى الآى الأُوَل فى يومين، ثم خلق السموات وكانت دُخَانًا فى يومين، ثم دَحَا بعد ذلك الأرض، أى بَسَطها[١] ومدَّها، وكانت رَبْوَةً مجتمعة، وأَرْساها بالجبال، وأنبت فيها النبات فى يومين، فتلك ستة أيام سواء للسائلين، وهو معنى قول ابن عباس.

وقال مجاهد: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ فى هذا الموضع بمعنى «مع ذلك»، و«مع» و«بعد» فى كلام العرب سواء.

* * *

وقوله ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾[٢] [الغاشية:٦]، وهو يقول فى موضع آخر: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾[٣] [الحاقة:٣٥، ٣٦]، فإن النار دَرَكات، والجنة درجات، وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثُوبات، فمِن أهل النار مَنْ طعامُهُ الزَّقُّومُ، ومنهم من طعامه غِسْلِين، ومنهم من شرابه الحميمُ، ومنهم من شرابه الصَّدِيدُ.

والضَّرِيعُ: نبتٌ يكون بالحجاز، يقال لِرَطْبه: الشِّبْرِقُ، لا يُسْمِنُ ولا يُشبع، قال امرؤ القيس:

فأَتْبَعْتُهُم طَرْفى وقد حَالَ دُونَهم   عَــوازِبُ رَمْلٍ ذى أَلاءٍ وَشِبْـرِقِ[٤]

والعرب تصفه بذلك.

وَغِسْلِين: فِعْلين من غَسلتُ، كأنه الغُسالة، قال بعض المفسرين[٥]: هو ما يسيل من أجساد المعذَّبين.

---

(١) اللسان (١٨/ ٢٧٥).

(٢) انظر تفسير غريب القرآن ص٥٢٥.

(٣) انظر تفسير غريب القرآن ص٤٨٤.

(٤) ديوانه ص٨٨، واللسان (١٢/٣٨). وألاء بوزن العلاء: شجر حسن المنظر مر الطعم، دائم الاخضرار، ينبت فى الرمل والأودية، ورقه وحمله دباغ، كما فى اللسان (١/ ١٥).

(٥) فى اللسان (١٤/ ٧): «والغسلين فى القرآن: ما يسيل من جلود أهل النار، كالقيح وغيره، كأنه يُغسَل عنهم. التمثيل لسيبويه والتفسير للسيرافى... وقال الكلبى: هو ما أنضجت النار من لحومهم وسقط أكلُوه... وقال الفراء: إنه ما يسيل من صديد أهل النار».

وهذا نحو قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾[١] [إبراهيم: ٥٠]، و«سرابيلُهم مِنْ قَطْرٍ آنٍ» قراءةُ عِكْرِمَةَ وَمَنْ تَابَعه[٢].

والقَطْرُ: النُّحاس. والآن: الذى قد بلغ منتهى حرِّه[٣]. كأن قومًا يُسَرْبَلُون هذا، وقومًا يُسَرْبَلون هذا، ويُلبَسُون هذا تارةً، وهذا تارةً.

وأما قولهم: «كيف يكون فى النار نبت وشجر، والنار تأكلهما؟» فإنه لم يُرِدْ فيما يرى أهل النظر ـ والله أعلم ـ أن الضريع بعينه ينبت فى النار، ولا أنهم يأكلونه. والضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس، وإذا وَقَعَت فيه الإبل لم تشبع وهلكت هُزْلاً.

قال الهُذَلىُّ يذكر إبلاً وسوء مَرْعاها:

وَحُبِسْنَ فى هَزْم الضَّرِيع فكلُّهَا ... حَدْبَاءُ داميةُ اليدين حَرُودُ[٤]

فأراد أن هؤلاء قوم يَقتَاتُون ما لا يشبعهم، وضرَب الضريع لهم مثلاً. أو يُعذَّبون بالجوع كما يُعذَّبُ مَنْ قُوتُه الضريع.

وكان ما أراد الله بهذا معلومًا عندهم مفهومًا، ولو لم يكن كذلك لأنكروه كما أنكروا قوله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٤، ٦٥] وقالوا: كيف تكون فى النار شجرة والنار تأكل الشجر؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[٥] [الإسراء: ٦٠]،

---

(١) انظر تفسير غريب القرآن ص٢٣٤.

(٢) فى القراءات الشاذة ص٧٠: «من قطر آن: ابن عباس وأبو هريرة وعكرمة وجماعة»، وانظر البحر المحيط (٥/ ٤٤٠).

(٣) اللسان (٦/ ٤١٧).

(٤) البيت لقيس بن عَيْزارة الهُذَلى، كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ص١١٥، واللسان (١٦/ ٩٢) وفيه: «حدباء بادية الضلوع». وفى (١٠/ ٩٢): «هزم الضريع: ما تكسر منه. والحرود: التى لا تكاد تدرّ. وصف الإبل بشدة الهزال». والبيت غير منسوب فى مقاييس اللغة (٣/ ٣٩٦)، وفيه: «وتُركن فى هزم». وهو غير منسوب فى المخصص (١/ ٢٠١)، وفيه: «حدباء بادية الضلوع».

(٥) انظر تفسير غريب القرآن ص٢٥٨.

يعنى بالرؤيا: ما رآه ليلة أُسْرِىَ به وأخْبَرَ عنه، فارتد لذلك قوم، وزاد الله فى بصائر قوم. وأراد بالشجرة الملعونة: شجرة الزَّقُّوم. فهذا وجه.

وقد يكون الضريع وشجرة الزَّقُّوم نَبْتَين من النار، أو من جوهرٍ لا تأكله النار. وكذلك سلاسل النار وأغلالها، وأنكَالُهَا وعقاربُها وحيَّاتُها ـ لو كانت على ما نعلم لم تبق على النار، وإنما دَلّنا الله سبحانه على الغائب عنده بالحاضر عندنا، فالأسماء متفقة الدلالة، والمعانى مختلفة.

وما فى الجنة من شجرها وثمرها وفُرُشِها، وجميع آلاتها ـ على مثل ذلك.

قال ابن عباس: نخل الجنة، جذوعها من زُمُرُّد أخضر، وكَرَبُها[1] من ذهب أحمر، وسعَفُها كِسْوَةٌ لأهل الجنة، منها مُقَطَّعَاتُهم[2] وحُلَلُهم، وثمرها أمثال القلال والدِّلاء، أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس له عَجَمٌ[3].

* * *

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ثم قال على إثر ذلك: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٣، ٣٤] فإن النَّضْر بن الحارث قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4] [الأنفال:٣٢] يُريد: أهْلكنا ومحمدًا ومن معه عامة. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، أى وفيهم قوم يستغفرون، يعنى المسلمين.

يدلّكَ على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ

---

(١) فى اللسان (١٢/٢٠٨): «الكرب: أصول السَّعَف الغلاظ العِراض التى تيبس فتصير مثل الكَتِف، واحدتها كَرَبة...».

(٢) فى اللسان (١٠/١٥٥): «والمقطَّعات من الثياب شبه الجباب ونحوها من الخز وغيره، وفى التنزيل: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج:١٩] أى خيطت وسُوِّيَت وجُعلت لَبوسًا لهم. وفى حديث ابن عباس فى صفة نخل الجنة قال: نخل الجنة سَعَفها كسوة لأهل الجنة منها مُقطَّعاتهم وحُلَلُهم».

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك (٢/٤٧٥، ٤٧٦)، وفيه: «وكرانيفها ذهب أحمر». وفى اللسان (١٥/٢٨٤): «والعجَم ـ بالتحريك ـ النوى، نوى التمر والنبق، الواحدة عَجَمة مثل قَصَبة وقَصَب».

(٤) انظر أسباب نزول القرآن للواحدى ص٢٣٢.

وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ خاصة ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣، ٣٤] يعنى المسلمين، فعذَّبهم الله بالسيف بعد خروج النبى عنهم، وفى ذلك نزلت: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ أى دعا داعٍ بعذاب واقع، يعنى النضر بن الحارث ﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[1] [المعارج: ١، ٢]، يقول: هو للكافرين خاصة دون المؤمنين، وهو معنى قول ابن عباس.

وقال مجاهد فى قوله: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: عَلِمَ أن فى أصلابهم من سَيَسْتَغْفِر.

* * *

وأما قولهم: أين قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: ٣] من قوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾[2] [النساء: ٣]، فهل شىءٌ أشْبَهُ بشىء أليقُ به من أحد الكلامين بالآخر؟!

والمعنى: أن الله تعالى قصَرَ الرجال على أربع نسوة وحَرَّم عليهم أن ينكحوا أكثر منهن؛ لأنه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ما أباح من مِلْك اليمين لم يستطيعوا العدل عليهن بالتَّسْوية بينهن، فقال لنا: فكما تخافون ألا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم فخافوا أيضًا ألاّ تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فانكحوا اثنتين وثلاثًا وأربعًا، ولا تتجاوزوا ذلك فتعجزوا عن العدل.

ثم قال: فإن خفتم أيضًا ألا تعدلوا بين الثلاث والأربع فانكحوا واحدةً، أو اقتصروا على ما ملكت أيمانكم من الإمَاء ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣] أى لا تجوروا وتميلوا.

وقال ابن عباس: قُصِرَ الرجال على أربع من أجل اليتامى.

يقول: لما كان النساء مكفولات بمنزلة اليتامى، وكان العدل على اليتامى شديدًا على كافلهم ـ قُصِرَ الرجال على ما بين الواحدة إلى الأربع من النساء، ولم يُطلَق

---

(١) انظر أسباب نزول القرآن للواحدى ص٤٧٤.

(٢) انظر تفسير غريب القرآن ص١١٨.

لهم ما فوق ذلك؛ لئلا يميلوا.

* * *

وقولهم: أين قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ﴾ من قوله: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1] [المائدة: ٩٧]؟

وتأويل هذا: أن أهل الجاهلية كانوا يَتغَاوَرُون ويسفكون الدماء بغير حقها، ويأخذون الأموال بغير حِلِّها، ويُخيفون السُّبُل، ويطلب الرجل منهم الثأر فيقتل غير قاتله، ويصيب غير الجانى عليه، ولا يبالى مَنْ كان بعد أن يراه كُفْئًا لوَلِيِّه ويُسمِّيه: الثأر المُنيم، وربما قتل أحدُهم حميمَهُ بحميمِهِ. قال ابن مُضَرِّسٍ[2] وقَتَلَ خالَه بأخيه:

بكَتْ جَزَعًا أُمِّى رُمَيْلَةُ أَنْ رَأَتْ ... دمًا من أخيها بالمُهَنَّدِ بَاقِيَا[3]

فقلتُ لها: لا تَجْزَعى إنَّ طارقًا ... خَليلى الذى كانَ الخليلَ المُصَافيا

وما كنتُ لو أُعطِيتُ أَلْفَىْ نَجيبَةٍ ... وَأَوْلادَهَا لَغْوًا وستِّين رَاعِيَا[4]

لِأَقْبَلَها مِنْ طارِقٍ دونَ أن أرَى ... دمًا مِنْ بنى حِصْنٍ على السيف جَاريا

وما كان فى عوفٍ قتيلٌ عَلِمْتُهُ ... لِيُوفِيَنى مِنْ طارقٍ غيرُ خَاليا

وربما أسْرَفَ فى القتل فقتل بالواحد ثلاثةً وأربعةً وأكثرَ.

وقال الشاعر:

هُمُ قَتَلُوا منكُم بِظِنَّة واحدٍ ... ثمانيةً ثم استَمرُّوا فَأَرْتَعوا[5]

يقول: إنهم اتهموكم بقتل رجل منهم، فقتلوا منكم ثمانية به[6].

---

(١) انظر تفسير غريب القرآن ص١٤٧.

(٢) هو توبة بن المضرس العبسى، وترجمته فى المؤتلف والمختلف للآمدى ص٦٨، ٦٩.

(٣) الأبيات رواها أبو تمام فى كتاب «الوحشيات» ص٨٢.

(٤) فى اللسان (٢٠/١١٦): «واللغو: ما لا يُعد من أولاد الإبل فى دِيَة أو غيرها لصغرها».

(٥) البيت ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير فى باب الثأر ص١٠٢١، ولم ينسبه إلى قائل.

(٦) فى «المعانى» بعد ذلك: «ثم أرتعوا إبلهم آمنين لا يخافون منكم غيرًا».

فجعل الله الكعبة البيت الحرام وما حولها من الحرَم، والشهر الحرام، والهَدْىَ، والقلائدَ ـ قوامًا للناس؛ أى أمْنًا لهم، فكان الرجل إذا خاف على نفسه لجأ إلى الحَرَم فأمِن. يقول الله جل وعز: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧].

وإذا دخل الشهر الحرام تَقَسَّمَتْهُم الرِّحَلُ، وتَوَزَّعَتْهُم النُّجَعُ، وانْبَسطوا فى متاجرهم، وأمنوا على أموالهم وأنفسهم.

وإذا أهْدَى الرجل منهم هَدْيًا، أو قَلَّدَ بعيره من لِحَاء شجر الحرَم ـ أمِنَ كيف تَصَرَّف وحيثُ سلك.

ولو تُرِكَ الناس على جاهليتهم وتَغَاوُرِهم فى كل موضع وكل شهر لَفسدت الأرض، وفَنِىَ الناس، وتقطَّعت السُّبُل، وبطلت المتاجر. ففعل الله ذلك لعلمه بما فيه من صلاح شئونهم، وليعلموا أنه كما عَلِمَ ما فيه من الخير لهم أنه يعلم أيضًا ما فى السّموات وما فى الأرض من مصالح العباد ومَرَافِقِهم، وأنه بكل شىءٍ عليم.

* * *

وقولهم: وأين قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ﴾ من قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان:٣١]؟

ولم يُرِد الله فى هذا الموضع معنى الصبر والشكر خاصةً، وإنما أراد: إن فى ذلك لآياتٍ لكل مؤمن، والصبر والشكر أفضل ما فى المؤمن من خِلال الخير، فَذَكَرَهُ الله عز وجل فى هذا الموضع بأفضل صفاته. وقال فى موضع آخر: ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٧٧]، وفى موضع آخر: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٦٩]، و﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:٦٧]، و﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الرعد:١٩] يعنى المؤمنين.

ومثله قوله تعالى فى قصة سبأ: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(١) [سبأ:١٩]. وهذا كما تقول: إن فى ذلك لآيةً لكل مُوَحِّد مُصَلٍّ، ولكلِّ فاضلٍ تقىٍّ؛ وإنما تُريد المسلمين.

---

(١) وانظر سورة إبراهيم: ٥، والشورى: ٣٣.

وقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾[(١)] [الحديد: ٢٠] فإنما يريد بالكفار ههنا: الزُّرَّاع، واحدُهم كافر. وإنما سُمِّيَ كافرًا لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفَرَهُ، أي غطَّاه، وكل شيء غطَّيتَه فقد كفرْتَه، ومنه قيل: تَكَفَّرَ فلان في السِّلاح: إذا تَغَطَّى. ومنه قيل للَّيل كافر؛ لأنه يستر بظلمته كل شيء. ومنه قول الشاعر[(٢)]:

يَعْلُو طَرِيقَـةَ مَتْنِهَـا مُتَـوَاتِرًا ... في ليلةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا

أي غطَّاها. وهذا مثل قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

* * *

وأما قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[(٣)] [هود: ١٠٧]، فإن للعرب في معنى «الأَبَدِ» ألفاظًا يستعملونها في كلامهم، يقولون: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار، وما طَمَى البحر، أي ارتفع، وما أقام الجبل، وما دامت السموات والأرض، في أشباه لهذا كثيرة، يريدون لا أفعله أبدًا؛ لأن هذه المعاني عندهم لا تتغيَّر عن أحوالها أبدًا، فخاطبهم الله بما يستعملونه فقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ أي مقدار دوامهما، وذلك مدة العالم. وللسماء وللأرض وقتٌ يَتَغَيَّران فيه عن هيئتهما، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ويقول: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[(٤)] [الأنبياء: ١٠٤].

أراد أنهم خالدون فيها مدة العالم، سوى ما شاء الله أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم. ثم قال: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي: غيرَ مقطوع.

و«إلاّ» في هذا الموضع بمعنى «سوى»، ومثله من الكلام: لأَسْكُنَنَّ في هذه الدار

---

(١) انظر تفسير غريب القرآن ص٤٥٤.

(٢) هو لبيد، والبيت من معلقته، قال التبريزي في شرح القصائد العشر ص١٤٧: «أي يعلو طريقة متن هذه البقرة مطر متتابع، والطريقة: خطة مخالفة للونها، والمتنان: مكتنفا الظهر، وكفر: غطى. يريد أنها ليلة مظلمة وقد غطى السحاب فيها النجوم». والبيت له في تفسير الطبري (١/ ٨٦).

(٣) قد أحال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص٢٠٠ على ما هنا.

(٤) انظر تفسير غريب القرآن ص٢٨٨.

حَوْلاً إلا ما شئت. تريد: سِوَى ما شئت أن أزيد على الحول.

هذا وجه. وفيه قول آخر: وهو أن يُجْعَل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد، على ما تعرف العرب وتستعمل، وإن كانتا قد تتغيَّران، وتُسْتَثنى المشيئة من دَوامهما؛ لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا فى وقت من أوقات دوام السماء والأرض فى الدنيا لا فى الجنة، فكأنه قال: خالدين فى الجنة وخالدين فى النار دَوَامَ السماء والأرض، إلا ما شاء ربك من تعميرهم فى الدنيا قبل ذلك.

وفيه وجه ثالث: وهو أن يكون الاستثناء من الخلود مُكْثَ أهل الذنوب من المسلمين فى النار حتى تَلحقَهُم رحمة الله، وشفاعة رسوله، فيُخْرَجُوا منها إلى الجنة. فكأنه قال سبحانه: خالدين فى النار ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من إخراج المذنبين من المسلمين إلى الجنة وخالدين فى الجنة ما دامت السموات والأرض، إلا ما شاء ربك من إدخال المذنبين النار مدة من المدد، ثم يَصيرُون إلى الجنة.

* * *

وأما قوله: ﴿**لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ**﴾ [الدخان:٥٦]، فإن «إلاّ» فى هذا الموضع أيضًا بمعنى «سِوَى». ومثله: ﴿**وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾ [النساء:٢٢] يريد سِوَى ما سَلَفَ فى الجاهلية قبل النهى.

وإنما استثنى الموتَةَ الأولى وهو فى الدنيا؛ لأن السُّعداء حين يموتون يصيرون بما شاء الله من لُطْفه وقدرته إلى أسباب من أسباب الجنة، ويتفاضلون أيضًا فى تلك الأسباب على قدر منازلهم عند الله: فمنهم من يُلَقَّى بالرَّوحِ والرَّيحَان، ومنهم من يُفتح له بابٌ إلى الجنة، ومنهم الشهداء: أرواحهم فى حواصل طيرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ فى الجنة[1]؛ أى تأكل، قال الشاعر:

* إن تَدْنُ مِنْ فَنَنِ الألاءَةِ تَعْلُقِ[2] *

---

(١) سنن أبى داود (٣/ ٢٢)، والترمذى (٢/ ١٦٨)، ومسند أحمد (٢/ ٤٥٥، ٦/ ٣٨٦)، والمستدرك للحاكم (٢/ ٢٩٧).

(٢) فى اللسان (١٢/ ١٣٥): «وفى الحديث: أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تَعْلُق من ثمار =

وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين يطير مع الملائكة فى الجنة[١].

والله يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩].

أفما ترى أنهم عندنا مَوْتَى وهم فى الجنة مُتَّصلون بأسبابها، فكيف لا يجوز أن يستثنى من مُكْثِهم فيها الموتَةَ الأولى؟!

* * *

وأما قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[٢] [مريم:٩٦]، فإنه ليس على تأوُّلهم، وإنما أراد أنه يجعل لهم فى قلوب العباد محبَّةً. فأنت ترى الُمخلِصَ المجتهد مُحبَّبًا إلى البَرِّ والفاجر، مَهيبًا مذكورًا بالجميل. ونحوه قول الله سبحانه فى قصة موسى صلى الله عليه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه:٣٩]، لم يُرِد فى هذا الموضع أنى أحببتك، وإن كان يحبه، وإنما أراد أنه حبَّبَهُ إلى القلوب، وقرَّبه من النفوس، فكان ذلك سببًا لنَجاته من فرعون، حتى استَحْيَاهُ فى السَّنَة التى كان يَقْتُل فيها الوِلْدَان.

* * *

وأما قوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾[٣] [النبأ:٩]، فليس السُّبات ههنا النوم، فيكونَ معناه: وجعلنا نومكم نَوْمًا. ولكن السُّبات الراحة؛ أى جعلنا النوم راحة لأبدانكم. ومنه قيل: يوم السبت؛ لأن الخلق اجتمع فى يوم الجمعة، وكان الفراغ منه يوم السبت، فقيل لبنى إسرائيل: استريحوا فى هذا اليوم ولا تعملوا شيئًا، فسُمِّىَ يوم

= الجنة، قال الأصمعى: تعلق أى تناول بأفواهها، يقال: عَلَقَتْ تَعْلُقُ عُلُوقًا، وأنشد للكميت يصف ناقته:

أو فوق طَـاوِيةِ الحَشَى رَمْلِيَّةٍ إنْ تَدْنُ من فَنَن الألاءة تَعْلُقُ

يقول: كأن قتودى فوق بقرة وحشية...».

(١) فتح البارى (٢٧/ ٦٢، ٣٩٧)، ومقاتل الطالبيين ص١٧، وأسد الغابة (١/ ٢٨٧)، والإصابة (١/ ٢٤٩).

(٢) انظر تفسير غريب القرآن ص٢٧٦.

(٣) انظر تفسير غريب القرآن ص٥٠٨.

السبت، أي يوم الراحة. وأصل السبت: التَّمدُّد، ومن تَمَدَّدَ استراح. ومنه قيل: رجُلٌ مَسْبُوتٌ، ويقال: سَبَتَتِ المرأة شَعْرَهَا: إذا نَقَضَتْهُ من العَقْصِ وأَرْسَلَتْه. قال أبو وَجْزَةَ السَّعْدِى:

وَإِنْ سَبَتَتْهُ مَـــالَ جَثْلاً كأَنَّهُ   سَدَى وَائِلاتٍ مِنْ نَوَاسِجَ خَثْعَما[1]

ثم قد يُسمَّى النوم سُباتًا؛ لأنه بالتمدُّد يكون. ومثل هذا كثير، وستراه فى «باب المجاز» إن شاء الله.

* * *

وأما قوله: ﴿قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾[2] [الإنسان:١٥، ١٦]، فقد أعلمتُكَ أن كل ما فى الجنة من آلتها وسررِها وفُرُشِها وأكْوابها مُخالفٌ لما فى الدنيا من صنعة العباد[3]، وإنما دلّنا الله بما أَراناهُ من هذا الحاضر على ما عنده من الغائب. وقال ابن عباس: ليس فى الدنيا شىء مما فى الجنة إلا الأسماء. والأكواب: كِيزان لا عُرَى لها، وهى فى الدنيا قد تكون من فضة، وتكون من قوارير.

فأعْلَمَنَا أن هناك أكوابًا لها بياض الفِضَّة وصفاء القوارير، وهذا على التشبيه، أراد قوارير كأنها من فضة، كما تقول: أتانا بشراب من نور، أى كأنه نور.

وقال قَتَادَةُ فى قول الله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨]: أى لهنّ صفاء الياقوت وبياض المَرْجَان.

* * *

وأما قوله: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات:٣٣]، فإن ابن عباس رضى الله عنه ذكر أنها آجُرٌّ. والآجرُّ: حجارة الطين؛ لأنه فى صلابة الحجارة.

وقَرَأْتُ فى التَّوْراة بعد ذكر أنساب ولد نوح صلى الله عليه: أنهم تفرَّقوا فى كل

---

(١) البيت غير منسوب فى أمالى المرتضى (٢/ ١٥)، وفيه: «سدا واهلات». وفى البحر المحيط (٨/ ٤٠٩): «أى إن مدت شعرها مال والتف كالتفاف السَّدَى بأيدى نساء ناسجات».

(٢) قال المؤلف فى تفسير غريب القرآن ص٥٠٣: «مفسر فى كتاب تأويل المشكل».

(٣) راجع ص١٢٠.

أرض، وكانت الأرضُ لِسانًا واحدًا، فلما ارتحلوا من المشرق وجدوا بقعة فى الأرض اسمها «سُعِير» فحلّوا بها، ثم جعل الرجل منهم يقول لصاحبه: هَلُمَّ فَلْنُلَبِّن لَبِنًا فنُحرِّقَهُ بالنار فيكون اللّبِنُ حجارة، ونبنى مِجْدَلًا[1] رأسه فى السماء.

وذكر بعض من رأى هذه الحجار أنها حُمْرٌ مختّمةٌ، وقال آخرون: مُخَطَّطَةٌ، وذلك تَسْوِيمها، ولهذا ذهب قومٌ فى تفسير «سجِّيل» إلى سَنْكِ وكِل؛ أى حجر وطين[2].

* * *

وأما قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾[3] [يونس: ٩٤]، فإن المخاطبة لرسول الله صلى الله عليه، والمرادُ غيره من الشُّكَّاك؛ لأن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلها، وهم قد يخاطبون الرجل بالشىء ويريدون غيره.

والجواب عن هذا مستقصى فى «باب الكناية والتعريض» فكرهْتُ إعادتَه فى هذا الموضع.

* * *

وأما قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، فإن الناس يختلفون فى مطاعمهم: فمنهم من يأكل الوَجْبَة[4]، ومنهم من عادته الغَدَاء والعَشاء، ومنهم من يزيد عليهما، ومنهم من يأكل متى وجَد لغير وَقْتٍ ولا عدد. فأَعْدَلُ هذه الأحوال للطّاعِمِ وأنفعُها، وأبعدُها من البَشَم والطَّوَى[5] على العموم ـ الغَدَاء والعَشاء. والعرب تكره الوجبة، وتستحبُّ العَشاء، وتقول: تَرْكُ العَشاء مَهْرَمَة، وترك العشاء يذهب بلحم الكاذَة[6]. وقد بيَّنتُ معناهم فى هذا القول فى كتاب «غريب الحديث».

(١) فى اللسان (١٣/ ١١٠): «المجدل: القصر المُشْرِف، لوثاقة بنائه، وجمعه مَجادل».

(٢) اللسان (١٣/ ٣٤٧).

(٣) أحال المؤلف فى تفسير غريب القرآن ص١٩٩ على ما هنا.

(٤) فى اللسان (٢/ ٢٩٥): «الوجبة: الأكلة فى اليوم والليلة مرة واحدة».

(٥) فى هامش (م): «البشم: التخمة، والطوى: الجوع».

(٦) فى اللسان (٥/ ٤١): «الكاذة: لحم مؤخَّر الفخذين».

ونحن لا نعرف دهرًا لا يَخْتَلِفُ له وقتٌ، ولا يُرَى فيه ظلامٌ ولا شمسٌ، فأراد الله جل وعز أن يُعرِّفَنَا من حيث نَفْهَم ونعلَم أحوال أهل الجنة فى مأكلهم، واعتدال أوقات مطاعمهم، فضرب لنا البُكْرَةَ وَالعَشِيَّ مَثَلاً، إذ كانا يدلاَّن على العشاء والغداء.

ورَوَى عبد الرَّزَّاق، عن معمر، عن قَتَادَةَ، أنه قال: «كانت العرب إذا أصاب أحدُهم الغداء والعشاء أعجبه ذلك». فأخبرهم الله تبارك وتعالى أن لهم فى الجنة هذه الحال التى تعجبهم فى الدنيا.

* * *

وأما قوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]، فإنه لم يُرِد أن ذلك يكون فى الآخرة، وإنما أراد أنهم يُعرَضون عليها بعد مماتهم فى القبور.

وهذا شاهدٌ من كتاب الله لعذاب القبر، يدلُّك على ذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، فهم فى البَرْزَخِ يُعرَضون على النار غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وفى القيامة يُدْخَلُون أشد العذاب.

* * *

وأما قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد:٣٥]، ولم يأت بالشىء الذى جعل له الجنة مَثَلاً، فإن أصل المَثَل ما ذهبوا إليه من معنى المِثْل، تقول: هذا مِثْلُ الشىء ومَثَلُه، كما تقول: هذا شِبْه الشىء وشَبَهُه.

ثم قد يصير المِثْلُ بمعنى صورة الشىء وصِفَته، وكذلك المِثَالُ والتِّمْثالُ، يقال للمرأة الرَّائقَة: كأنها مثال، وكأنها تِمْثَالٌ، أى صورة، كما يقال: كأنها دُمْيَةٌ، أى صورة، وإنما هى مَثَل، وقد مَثَّلْتُ لك كذا؛ أى صوَّرْتُه ووصفته.

فأراد الله بقوله ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾: أى صورتها وصفتها.

وروى أن عليًّا رحمه الله كان يقرأ: مِثَالُ الجنة أو أَمْثَالُ الجنة[١]، وهو بمنزلة مَثَلٍ، إلا أنه أوضح وأقرب فى أفهام الناس إلى المعنى الذى تأوَّلناه فى مَثَل.

(١) فى القراءات الشاذة لابن خالويه ص٦٧: «أمثال الجنة؛ بالجمع: على بن أبى طالب، وابن مسعود، والسلمى، رحمهم الله».

ونحوه قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، ثم قال: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩] أى ذلك وصفهم؛ لأنه لم يَضْرِب لهم مَثلاً فى أوَّل الكلام، فيقول: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ وإنما وَصَفَهم وَحَلاَّهم، ثم قال: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أى وَصفُهم.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]، ولم يأت بالمثل؛ لأن فى الكلام معناه، كأنه قال: يا أيها الناس، مثلكم مثل من عَبَد آلهةً اجتمعت لأن تَخْلُقَ ذُبابًا فلم تَقدر عليه، وسَلَبها الذباب شيئًا فلم تَستَنْقِذْهُ منه.

ومِثْلُ هذا فى القرآن وكلام العرب أشياء قد اقْتَصَصْنَاهَا فى «أبواب المجاز».

* * *

وأما قوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، فإنه لم يُرِد أن عليك البلاغ بعد الوفاة كما ظنُّوا، وإنما أراد: إن أَرَيْنَاكَ بعض الذى نعدهم فى حياتك، أو توفيناك قبل أن نُرِيَك ذلك - فليس عليك إلا أن تُبلِّغ، وعلينا أن نُجَازِى.

ومِثْل هذا: رجل بَعَثْتَه واليًا وقلتَ له: سِرْ إلى بلد كذا فادْعُهم، فإن استجابوا لك فأَحْسِنْ فيهم السيرة، وابسط المَعْدِلة، وإن عَصَوْكَ فعِظْهم وحذِّرهم عقاب المعصية، فإن أقاموا على الغَوَايَة أعلمتَنِى ليأتيهم النَّكِيرُ. فصار إليهم فَمَانَعُوه، ووعظهم فخالفوه، وأقام حينًا مُسْتَبْطِئًا ما أوعدتهم به، فقلت: إن أريناك ما وعدناهم من العقوبة أو عزلناك قبل أن نُرِيَك ذلك - فليس لك أن تَسْتَبْطِئَنَا، إنما عليك التَّبليغ والعِظة، وعلينا الجزاء والمكافأة.

* * *

وأما قوله: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢].

وقوله: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠].

وقوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥].

وقوله: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦].

فقد ذكرنا الجواب عن ذلك في «باب المجاز»، وكَرِهْنا إعادتَه في هذا الموضع وستراه هناك كافيًا، إن شاء الله.

* * *

باب المتشابه

وأما قولهم: ماذا أراد بإنزال المتشابه فى القرآن مَنْ أراد بالقرآن لعباده الهدى والتبيان؟

فالجواب عنه: أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها فى الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعانى حتى لا يظهر عليه إلا اللَّقِنُ(١)، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خَفِى.

ولو كان القرآن كله ظاهرًا مكشوفًا حتى يستوى فى معرفته العالم والجاهل، لَبَطَلَ التفاضُلُ بين الناس، وسقطت المِحْنة، وماتت الخواطر.

ومع الحاجة تقع الفِكْرَة والحيلة، ومع الكِفَاية يقع العجز والبلادَة.

وقالوا: عَيْبُ الغنَى أنه يُورث البَلَه، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة.

وقال أَكْثَمُ بن صَيْفىٍّ: ما يَسُرُّنى أنى مكْفِىٌّ كُلَّ أمر الدنيا. قيل له: ولِمَ؟ قال: أكره عادة العجز.

وكل باب من أبواب العلم: من الفقه والحساب والفرائض والنحو، فمنه ما يَجِلُّ، ومنه ما يَدِقُّ، ليرتقى المتعلم فيه رُتبةً بعد رتبة، وحتى يَبلُغَ منتهاه، ويُدرِكَ أقصاه؛ ولتكون للعالم فضيلةُ النظر، وحسنُ الاستخراج، ولتقع المثوبةُ من الله على حسن العناية.

ولو كان كل فن من العلوم شيئًا واحدًا: لم يكن عالم ولا متعلم، ولا خَفِىٌّ ولا جَلِىٌّ؛ لأن فضائل الأشياء تُعرف بأضدادها، فالخيرُ يُعرف بالشر، والنفعُ بالضرّ، والحلو بالمر، والقليلُ بالكثير، والصغيرُ بالكبير، والباطن بالظاهر.

وعلى هذا المثال كلامُ رسول الله صلى الله عليه، وكلام صحابته والتابعين،

---

(١) فى اللسان (١٧/ ٢٧٥): «وغلامٌ لَقِنٌ: سريع الفهم. وفى حديث الهجرة: ويبيت عندهما عبد الله ابن أبى بكر، وهو شاب ثَقِفٌ لَقِنٌ، أى فَهِمٌ حَسَنُ التلقين لِمَا يسمعه».

وأشعار الشعراء، وكلام الخطباء ـ ليس منه شيء إلا وقد يأتي فيه المعنى اللطيف الذى يَتَحيَّر فيه العالِمُ المُتَقَدِّم، ويقرّ بالقصور عنه النَّقَّاب المبرِّز.

قال رسول الله ﷺ: «تجدُون الناس كإبلٍ مائةٍ ليس فيها راحلة»(١).

وقال: «لا تستضيئوا بنار المشركين»(٢).

وقال: «إنّ ممَّا يُنبت الرّبيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطًا أو يُلِمُّ»(٣).

وقال للضحَّاك بن سفيان حين بعثه إلى قومه: «إذا أتيتهم فاربِضْ فى دارِهم ظَبْيًا»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة: باب قوله ﷺ: «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة» (٤/١٩٧٣)، والبخارى فى الرقاق: باب رفع الأمانة (١١/٢٨٦)؛ كلاهما من حديث ابن عمر. وقال ابن دريد فى المجتنى ص٣٣: «يريد عليه السلام أن الناس كثير والمرضى منهم قليل، كما أن المائة من الإبل لا تصاب فيها الراحلة الواحدة».

(٢) أخرجه النسائى فى الزينة: باب قوله ﷺ: «لا تنقشوا على خواتيمكم عربيًا» (٢/ ٢٩٠)، وأحمد فى المسند (٣/٩٩)؛ كلاهما من حديث أنس. وفى اللسان (١/١٠٧): «أى لا تستشيروهم، ولا تأخذوا آراءهم، جعل الضوء مثلاً للرأى عند الحيرة».

(٣) أخرجه البخارى فى الجهاد: باب فضل النفقة فى سبيل الله (٦/٣٦)، ومسلم فى الزكاة: باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا (٢/٧٢٧)، وأحمد فى المسند (٣/٧، ٢١، ٩١)؛ كلهم من حديث أبى سعيد الخدرى. وانظر الحديث بتمامه وشرح الأزهرى له فى اللسان (٩/١٣٨ ـ ١٤٠). والحَبَط: أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها. وفى اللسان (١٦/٢٣): «أو يلم، قال أبو عبيد: معناه أو يقرب من القتل». وفيه (٩/١٣٩): «قال الأزهرى: فأما قوله ﷺ: «وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطًا»، فهو مَثَل الحريص والمُفْرِط فى الجمع والمنع، وذلك أن الربيع ينبت أحْرار العشب التى تَحْلَوْلِيها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك، كذلك الذى يجمع الدنيا ويحرص عليها ويَشِحُّ على ما جَمَعَ حتى يمنع ذا الحق حقه منها يهلك فى الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب...».

(٤) فى اللسان (١٩/٢٤٨): «وتأويله أنه بعثه إلى قوم مشركين ليتبصَّر ما هم عليه، ويتجسس أخبارهم، ويرجع إليه بخبرهم، وأمره أن يكون منهم بحيث يراهم ويتبيَّنهم ولا يستمكنون منه، فإن أرادوه بسوء أو رابه منهم رَيْب تهيأ له الهربُ وتفلَّت منهم، فيكون مثل الظبى الذى لا يَرْبِض إلا وهو متباعد متوحِّش بالبلد القَفْر، ومتى ارتاب أو أحس بفزع نَفَر... وقال القتيبى: قال ابن الأعرابى: أراد: أقم فى دارهم آمنًا لا تبرح كأنك ظبى فى كِناسه قد أمن حيث لا يَرى إنسًا». وانظر اللسان (٩/٩).

وقال: «الكاسِيَاتُ العاريات لا يَدْخُلْنَ الجنة»(١).

وكتب فى كتاب صلح: «وإنَّ بيننا وبينكم عَيْبَةً مكْفوفَةً»(٢).

وقال: «أَجِدُ نَفَسَ ربِّكم من قِبَلِ اليمن»(٣).

وقال أبو بكر الصديق: «نحن حَفْنَةٌ من حَفَنَاتِ الله»(٤).

وقال عمر بن الخطاب للعَرِيف الذى أتاه بالمنبوذ: «عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا»(٥).

---

(١) فى اللسان (٢٠/٨٨): «قيل: أراد أنهن يلبس ثيابًا رقاقًا يصفن ما تحتها من أجسامهن، فهن كاسيات فى الظاهر عاريات فى المعنى».

(٢) أخرجه أحمد فى المسند (٤/٣٢٥). وأبو داود فى السنن: كتاب الجهاد: باب صلح العدو (٣/١١٤)، وفى اللسان (١٢/١٢٥): «وفى الحديث: أنه أملى فى كتاب الصلح بينه وبين كفار أهل مكة بالحديبية: لا إغلال ولا إسلال، وبيننا وبينهم عيبة مكفوفة... ورُوى عن ابن الأعرابى أنه قال: معناه أن بيننا وبينهم فى هذا الصلح صدرًا معقودًا على الوفاء بما فى الكتاب نقيًا من الغل والغدر والخداع. والمكفوفة: المُشْرَجة المعقودة. والعرب تَكْنِى عن الصدور والقلوب التى تحتوى على الضمائر المُخفاة بالعياب، وذلك أن الرجل إنما يضع فى عيبته حُرَّ متاعه، وصَوْنَ ثيابه، ويكتم فى صدره أخص أسراره التى لا يحب شيوعها، فسميت الصدور والقلوب عيابًا تشبيهًا بعياب الثياب... وقال بعضهم: أراد به: الشرُّ بيننا مكفوف كما تُكَفُّ العيبة إذا أُشْرِجَتْ. وقيل: أراد أن بينهم مُوادعةً ومُكافَّةً عن الحرب، تجريان مجرى المودة التى تكون بين المتصافين الذين يثق بعضهم ببعض».

(٣) مسند أحمد (٢/٥٤١) من حديث أبى هريرة. وفى اللسان (١٨/١٢٢): «وفى رواية: أجد نفس الرحمن، يقال: إنه عنى بذلك الأنصار؛ لأن الله عز وجل نفَّس الكرب عن المؤمنين بهم، وهم يمانون لأنهم من الأزد، ونصرهم بهم وأيدهم برجالهم، وهو مستعار من نَفَس الهواء الذى يرده التنفس إلى الجوف فيُبْرِدُ من حرارته ويعدلها، أو من نفَس الريح الذى يَتنسَّمه فيستروح إليه، أو من نفَس الروضة، وهو طِيب روائحها فينفرج به عنه...».

(٤) فى اللسان (١٦/ ٢٨٠) «الحَفْنُ: أخذك الشىء براحة كفك والأصابع مضمومة... وملء كل كف حَفْنة، ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه فى حديث الشفاعة: إنما نحن حَفْنة من حَفَنات الله. أراد إنَّا على كثرتنا قليل يوم القيامة عند الله كالحفنة، أى يسير بالإضافة إلى ملكه ورحمته، وهى ملء الكف، على جهة المجاز والتمثيل، تعالى الله عز وجل عن التشبيه».

(٥) المنبوذ: اللقيط، وفى اللسان (٦/٣٤٣): «قال ثعلب: أُتى عمر بمنبوذ فقال: عسى الغوير أبؤسًا، أى عسى الرِّيبة من قِبَلك... قال الأزهرى: وذلك أن عمر اتهمه أن يكون صاحب المنبوذ حتى أثنى على الرجل عَرِيفُه خيرًا، فقال عمر حينئذ: هو حر وولاؤه لك. وقال أبو عبيد: كأنه أراد: عسى الغوير أن يُحدث أبؤسًا وأن يأتى بأبؤس». والغوير: تصغير غار، والأبؤس: جمع بؤس وهو =

وقال على بن أبى طالب: «مَنْ يَطُل هَنُ أبيه يَنْتَطِقْ به»[١].

وحُدِّثْتُ عن الأصمعى أنه قال: أعْيانى أن أعلم معنى قول عمر: «أيما رجلٍ بايع عن غير مُشَاوَرَةٍ، فلا يُؤَمَّرُ وَاحِدٌ منهما تَغِرَّةً أن يُقْتَلا»[٢].

وقال المازنى: سألت الأخفش عن حرفٍ رواه سيبويه عن الخليل فى «باب من الابتداء يُضْمَرُ فيه ما بُنِىَ على الابتداء» وهو قوله: «ما أغْفَلَهُ عنك شيئًا، أى دَعِ الشّكَّ»[٣]: ما معناه؟

قال الأخفش: أنا مذ وُلِدْتُ أسأل عن هذا[٤].

= الشدة. وأصل المثل التى تمثل به عمر: أن قومًا حذروا عدوًا لهم فاستكنوا منه فى غار، فقال بعضهم: عسى الغوير أبؤسًا، يقول: لعل البلاء يجىء من قِبَل الغار، فكان كذلك، احتال العدو حتى دخل عليهم من وَهْىٍ كان فى قفا الغار فأسروهم. وقيل فى أصل المثل غير ذلك وأنه من قول الزبَّاء. وهو يضرب للرجل يخبر بالشىء فيتهم فيه. قال ابن الأثير: «وأراد عمر بالمثل: لعلك زنيت بأمه وادعيته لقيطًا، فشهد له جماعة بالستْر فتركه». راجع: جمهرة الأمثال ص١٤٣، ومجمع الأمثال (١/ ٤٧٧)، واللسان (٦/ ٣٤٤).

(١) فى اللسان (١٢/ ٢٣٣): «أى من كثر بنو أبيه يتقوى بهم». وانظر جمهرة الأمثال ص١٨٧، ومجمع الأمثال (٢/ ٢٥٦).

(٢) فى اللسان (٦/ ٣١٦): «التغرة: مصدر غَرَرْتُه، إذا ألقيتَه فى الغَرَر، وهو من التغرير كالتعلة من التعليل. قال ابن الأثير: . . . ومعنى الحديث: أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق، فإذا استبد رجلان دون الجماعة فبايع أحدهما الآخر فذلك تظاهر منهما بشق العصا واطِّراح الجماعة، فإن عُقد لأحد بيعةٌ فلا يكون المعقود له واحدًا منهما، ولْيكونا معزولين من الطائفة التى تتفق على تمييز الإمام منها؛ لأنه لو عُقد لواحد منهما وقد ارتكبا تلك الفعلة الشنيعة التى أحفظت الجماعة من التهاون بهم والاستغناء عن رأيهم - لم يُؤْمَن أن يُقتلا. هذا قول ابن الأثير وهو مختصر قول الأزهرى؛ فإنه يقول: لا يُبايع الرجلُ إلا بعد مشاورة الملأ من أشراف الناس واتفاقهم، ثم قال: ومن بايع رجلاً من غير اتفاق من الملأ لم يُؤَمَّر واحد منهما تَغِرَّةً بمكر المؤمَّر منهما، لئلا يُقتلا أو أحدهما. . . وقوله: أن يُقتلا أى حذارَ أن يُقتلا وكراهة أن يُقتلا. قال الأزهرى: وما علمتُ أحدًا فسَّر من حديث عمر ما فسرته، فافهمه».

(٣) راجع كتاب سيبويه (١/ ٢٧٩).

(٤) قال أبو سعيد السيرافى: لم يفسر هذا الحرف فيما مضى إلى أن مات المبرد، وفسره أبو إسحاق الزجَّاج بعد ذلك فقال: معناه على كلام تقدم، كأن قائلاً قال: زيد ليس بغافل عنى، فقال المجيب: بلى ما أغفله عنك انظر شيئًا، أى تفقد أمرك، فاحتج به على الحذف، يريد حذف الناصب شيئًا. راجع هامش سيبويه (١/ ٢٧٩).

وقال المازني: سألت الأصمعي وأبا زيد وأبا مالكٍ عنه، فقالوا: ما ندري ما هو.

* * *

والعرب تقول:

«حَوْرٌ في مَحَارَةٍ»(١).

و«جَرْيُ المُذَكِّيَات غِلابٌ»(٢).

و«عِيلَ ما هو عَائِلُهُ»(٣).

و«إنَّهُ لَشَرَّابٌ بأَنْقُعٍ»(٤).

و«عَاطٍ بغير أَنْوَاطٍ»(٥).

و«إلاَّ دَهٍ فَلاَ دَهٍ»(٦).

---

(١) في اللسان (٥/ ٢٩٧): «معناه: نقصان في نقصان ورجوع في رجوع، يُضرب للرجل إذا كان أمره يُدْبِرُ». وانظر جمهرة الأمثال ص٨٩، ومجمع الأمثال (١/ ٢٠٤).

(٢) المثل لقيس بن زهير العبسي، وهو يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه في حلبة الفضل. جاء في اللسان (١٨/ ٣١٥): «المذاكي من الخيل التي أتى عليها بعد قُروحها سَنَة أو سنتان... والمُذكِّي أيضًا من الخيل الذي يذهب حُضْرُه ويَنْقَطِع. وفي المثل: جَرْي المذكِّيات غِلاب، أي جَرْي المَسانّ القُرَّحِ من الخيل أن تغالب الجَرْيَ غلابًا». وانظره في جمهرة الأمثال ص٧٨، ومجمع الأمثال (١/ ١٦٦).

(٣) في اللسان (١٣/ ٥١١): «أي غُلب ما هو غالبُه. يُضرب للرجل الذي يُعْجَبُ من كلامه أو غير ذلك، وهو على مذهب الدعاء». وانظر مجمع الأمثال (١/ ٤٨٣)، وجمهرة الأمثال ص١٣٨.

(٤) الأنقع: جمع نَقْع، وهو الموضع الذي يستنقع فيه الماء، وأصله الطائر إذا كان حذرًا ورد المناقع في الفلوات حيث لا يبلغ القناص، ولا تنصب له الأشراك، كذلك الرجل الحذر لا يَتَقَحَّم الأمور. وقيل في معنى المثل غير ذلك. راجع اللسان (١٠/ ٢٣٩، ٢٤٠)، وجمهرة الأمثال ص١٢٢، ومجمع الأمثال (١/ ٣٧٤)، والصاحبي ص٤٠.

(٥) العَطْو: التناول، والأنواط: جمع نَوْط، وهو كل شيء معلق. يقول: هو يتناول وليس هناك معاليق. يضرب لمن يدعي ما ليس يملكه. راجع مجمع الأمثال (١/ ٤٨٤)، وجمهرة الأمثال ص١٤١، واللسان (٩/ ٢٩٦).

(٦) في اللسان (١٧/ ٣٨٣): «وقولهم: إلا ده فلا ده، معناه: إن لم يكن هذا الأمر فلا يكون بعد الآن، ولا يدرى ما أصله. وقال أبو زيد: تقول: إلا ده فلا ده يا هذا، وذلك أن يوتر الرجل فيلقى واتره فيقول له بعض القوم: إن لم تضربه الآن فإنك لا تضربه. قال الأزهري: هذا القول يدل على أن ده فارسية، معناها الضرب، تقول للرجل إذا أمرته بالضرب: ده... وقال ابن الأعرابي: العرب تقول:=

و«النُّفاضُ يُقَطِّرُ الجَلَبَ»(١).

و«به دَاءُ ظَبْيٍ»(٢).

و«أرَاكَ بَشَرٌ ما أَحَارَ مِشْفَرٌ»(٣).

و«أفْلَتَ فلانٌ بجُرَيْعَةِ الذَّقَنِ»(٤).

و«غُبَارُ ذَيْلِ المرأة الفاجرة يُورِثُ السِّلَّ»(٥).

و«هو كَبَارِحِ الأُرْوِيِّ»(٦).

= إلا ده فلا ده»، يقال للرجل إذا أشرف على قضاء حاجته من غريم له، أو من ثأره، أو من إكرام صديق له: إلا ده فلا ده، أى إن لم تغتنم الفرصة الساعة فلست تصادفها أبدًا». وانظر اللسان (١٤/٩٢، ١٨/٣٠٢)، ومجاز القرآن (١/١٠٦)، وديوان رؤبة ص١٦٦، ومقاييس اللغة (٢/٢٦٢)، والعقد الفريد (٣/ ١٢٤)، ومجمع الأمثال (١/٤٦)، وجمهرة الأمثال ص٢٣.

(١) النفاض ـ بفتح النون وضمها ـ فناء الزاد، والجلب: المجلوب للبيع. يقول: إذا ذهب طعام القوم أو ميرتُهم قَطَّرُوا إبلهم التى كانوا يَضِنُّون بها، فجلبوها فباعوها واشتروا بثمنها مِيرةً، راجع اللسان (٩/١٠٨)، ومجمع الأمثال (٢/ ٣٠٠).

(٢) فى اللسان (١٩/٢٤٨): «ومن أمثالهم فى صحة الجسم: بفلان داء ظبى. قال أبو عمرو: معناه أنه لا داء به، كما أن الظبى لا داء به». وفى جمهرة الأمثال ص٥٧: «ولا تخلو الظباء من الأدواء كسائر الحيوان، ولكن لما رأتها العرب تفوت الطالب، ولا يقدر على لحاقها المجتهد، نسبوا ذلك إلى صحة منها فى أجسامها فقالوا: لا داء بها. . .».

(٣) فى ذيل الأمالى ص١٠١: «يريد: إذا رأيت جسمه أغناك عن طعمه». وفى اللسان (٦/٨٨): «أى أغناك الظاهر عن سؤال الباطن، وأصله فى البعير». وفى جمهرة الأمثال ص١٩: «أى ما اعتلفته الدواب ليبين فى أجسامها»، وفى مجمع الأمثال (٢/٣٠٢): «أى لما رأيت بشرته أغناك ذلك أن تسأل عن أكله، يضرب للرجل ترى له حالاً حسنة أو سيئة. ومعنى أحار: رد ورجع، وهو كناية عن الأكل، يعنى ما رد مشفرها إلى بطونها مما أكل، يقال: حارت الغصة: إذا انحدرت إلى الجوف، وأحارها صاحبها أى حدرها».

(٤) فى اللسان (٩/ ٣٩٦): «أى وقُرب الموت منه كقرب الجُريعة من الذقن، وذلك إذا أشرف على التلف ثم نجا. قال الفراء: هو آخر ما يخرج من النفس، يريدون أن نفسه صارت فى فيه فكاد يهلك فأفلتَ وتخلَّص». وفى مجمع الأمثال (٢/١٦): «وصغر جريعة تصغير تحقير وتقليل؛ لأن الجرعة فى الأصل: اسم للقليل مما يُتجرَّع كالحُسْوة والغُرفة وأشباهها. . .».

(٥) فى اللسان (١٣/٣٦٣): «وفى الحديث: غبار ذيل المرأة الفاجرة يورث السل، يريد أن من اتبع الفواجر وفجر ذهب ماله وافتقر، فشبه خفة المال وذهابه بخفة الجسم وذهابه إذا سُلَّ».

(٦) فى اللسان (٣/ ٢٣٤): «بَرَحَ الظبى، بالفتح، بُروحًا: إذا ولاَّك مياسره، يمر من ميامنك إلى =

و«عَبْدٌ وَخَلًى فى يَدَيْه»[١].

و«رَمَّدَتِ الضأنُ فَربِّقْ ربِّقْ، ورمَّدَت المِعْزَى فَرَنِّقْ رنِّقْ»[٢].

و«أفْوَاهُهَا مَجَاسُّها»[٣].

و«نجارُهَا نارُها»[٤].

فى أشباه لهذا كثيرة، لولا العلماء المُنَقِّبون فى البلاد، المُنقِّرون عن الخَبْء، الناظرون للخُلوف، الطالبون أعْقَابَ الأحاديث، ولسانَ الصِّدقِ فى الباقين - لَطَالَ علينا أن نَطَّلِع خفيَّاتها، أو نُظْهِرَ مستورها.

وإن آثرتَ أن تعرف معانيها التَمَسْتَها فى كتابنا المؤلف فى «تفسير غريب الحديث» فإنك واجدُها أو أكثرَها هناك، إن شاء الله تعالى.

* * *

= مياسرك، وفى المثل: إنما هو كبارح الأروى قليلاً ما يُرى، يُضرب ذلك للرجل إذا أبطأ عن الزيارة؛ وذلك أن الأروى يكون مساكنها فى الجبال من قِنانها، فلا يقدر أحد عليها أن تَسْنَحَ له، ولا يكاد الناس يرونها سانحةً ولا بارحةً إلا فى الدهور مرة». وانظر مجمع الأمثال (١/ ٧١).

(١) فى اللسان (١٨/ ٢٦٦): «الخلَى: الرطب من النبات واحدته خَلاة... وجاء فى المثل: عبد وخلًى فى يديه، أى أنه مع عبوديته غنىٌّ، قال يعقوب: ولا تقل وحَلْىٌ فى يَدَيْه». وانظره فى مجمع الأمثال (١/ ٤٦٦)، وفيه: «يضرب فى المال يملكه من لا يستأهله».

(٢) فى مجمع الأمثال (١/ ٣٠٥): «الترميد: أن تعظم ضروعها، فإذا عظمت لم تلبث الضأن أن تضع. وربق: أى هيئْ الأرباق، وهى جمع رِبْق، والواحدة رِبْقة، وهو أن يعمد إلى حبل فيجعل فيه عُرًى يشد فيها رءوس أولادها. يضرب لما لا ينتظر وقوعه انتظاراً طويلاً. وفى ضده يقال: رمَّدت المعزى فرنِّقْ رنِّقْ، الترنيق والترميق: الانتظار، وإنما يقال هذا لأنها تبطئ وإن عظمت ضروعها»، وانظر اللسان (٤/ ١٦٨، ١١/ ٤٠٣، ٤١٩).

(٣) فى اللسان (٧/ ٣٣٧): «لأن الإبل إذا أحسنت الأكل اكتفى الناظر بذلك فى معرفة سِمَنِها من أن يَجُسَّها».

(٤) فى اللسان (٧/ ٤٥): «النجر والنجار: الأصل والحسب واللون»، وفيه ص١٠٢: «والنار: السمة، والعرب تقول: ما نار هذه الناقة؟ أى ما سمتها، سميت ناراً لأنها بالنار تُوسَم... ومن أمثالهم: نجارها نارها، أى سمتها تدل على نجارها، يعنى الإبل، قال الراجز يصف إبلاً سمتُها مختلفة:

نجـار كلِّ إبلٍ نجارُها ... ونارُ إبلِ العالمين نارُها

يقول: اختلفت سماتها؛ لأن أربابها من قبائل شتى، فأُغير على سَرْح كل قبيلة، واجتمعت عند من أغار عليها سمات تلك القبائل كلها».

وحدثنى أبو حاتم، عن الأصمعى أنه قال: سألت عيسى بن عمر عن قول أمية بن أبى الصَّلْتِ:

وَالأَرْضُ نَوَّخَهَا الإِلهُ طَرُوقَةً … لِلمـاءِ حتَّى كُلُّ زَنْدٍ مُسْفَـدُ(١)

فقال: لا أعرفه، وقد سألت عنه فلم أَجِدْ مَنْ يعرفه.

فهذا الأصمعى، وعيسى بن عمر، ومن سأله عيسى من أهل اللغة، لم يعرفوا هذا البيت؛ وفسَّرَه من دُونَهُم فقال: معناه: أن الله جعل الأرض كالأُنثى للماءِ، وجعل الماءَ كالذكر للأرض، فإذا مُطِرَت أَنبَتَتْ.

ثم قال: وهكذا كل شىء حتى الزُّنُودُ، فإن أعلى الزّندين ذَكَرٌ، والأسفل أنثى، والنار لهما كالولد.

و«مُسْفَدٌ» بمعنى: مُنْكَح. تقول: سَفِدَ الذكرُ الأُنثَى، واللهُ أَسْفَدَهُ، كما تقول: نكح، والله أنكحه.

ومثل هذا قول ذى الرُّمة:

وَسِقْطٍ كعين الدِّيك عَاوَرْتُ صُحْبَتى … أَبَاهَـا وَهَيَّأْنا لِمَوْقِعِهَـا وَكْـرَا(٢)

مُشَهَّرَةٍ لا تُمْكِنُ الفَحْلَ أُمُّهَـا … إذا هى لم تُمسَـك بأطرافهـا قَسْرَا(٣)

أراد بالسِّقْطِ: النار، وأراد بالأب: الزَّنْد الأعلى، وبالأمّ: الزَّنْد الأسفل.

وحدثنى أبو حاتم عن الأصمعى أيضًا، عن عيسى بن عمر أنه قال: لا أدرى ما معنى قول أميّة بن أبى الصّلت الثَّقَفى، ولا رأيت أحدًا يُحْسِنُه:

عَسَلٌ مَّـا وَمِثْلُه عُشَرٌ مَّا … عَائِلٌ مَّا وَعَالَتِ البَيْقُورَا(٤)

---

(١) ديوانه ص٢٣، واللسان (٢٠٣/٤): «والأرض صيَّرها» وفى ص٣٢: «وقولهم: نوَّخ الله الأرض طروقة للماء، أى جعلها مما تطيقه»، وانظر الحيوان (٣/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥).

(٢) فى ديوانه ص١٧٥: «عاورت صاحبى»، واللسان (٢٩٧/٦).

(٣) فى الديوان: «إذا نحن لم نمسك».

(٤) ديوانه ص٣٦، والجمهرة (١/ ٢٧٠)، واللسان (٥/ ١٤٠، ٥١٦/١٣، ٣١٩/١٩)، وفيه: «وعال على: أى حمل، ومنه قول أمية... أى أن السنة الجدبة أثقلت البقر بما حُمِّلت من السَّلَع والعُشَر»، وانظر: الحيوان: (٤٦٧/٤)، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص٢٤٧، وشرح نهج البلاغة (٤/ ٤٣٢)، وتاج العروس (١٠/ ٢٥٢)، ومعجم البلدان (١٠٨/٥).

هكذا رواه «عَسَلٌ مَّا»، وإنما هو: «سَلَعٌ مَّا».

وَمعنى البيت: أنهم كانوا يَسْتَمْطِرُون بالسَّلَع وَالعُشَرِ، وهما ضربانِ من الشجر، فيعقدونهما فى أذناب البقر، ويضرمون فيهما النار.

وقوله: «وعالت البيقورا» يعنى: سنَةُ الجَدْب أَثْقَلتِ البقر بما حُمِّلَت من الشجر والنار فيها. والعائلُ: الفقير.

والدليل على أنَّ الرِّواية: «سَلَعٌ مّا» قول الآخر[1]:

أجاعِلٌ أنتَ بَيْقُورًا مُسَلَّعَةً ذَرِيعَةً لكَ بين الله والمطَرِ؟

* * *

وحدثنى أيضًا أبو حاتم، عن الأصمعى أنه قال فى بيت امرئ القيس:

نَطْعَنُهُم سُلْكَى وَمَخلُوجَةً كَرَّكَ لأمَيْنِ على نَابِلِ[2]

ذهب من يُحسن هذا الكلام.

وقال مثل ذلك فى بيت الحارث بن حِلِّزَة:

زَعَمُوا أنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـ ـرَ مَـوَالٍ لَنَا وَأَنَّا الوَلاءُ[3]

(١) هو الوَرَل الطائى، كما فى اللسان (٥/ ١٤٠)، وقبل البيت:

لا دَرَّ دَرُّ رجالٍ خابَ سعيُهمُ يَستمطرون لدى الأزمات بالعُشَرِ

«وإنما قال ذلك لأن العربَ كانت فى الجاهلية إذا استقوا جعلو السَّلَعة والعُشَر فى أذناب البقر وأشعلوا فيه النار، فتضجُّ البقر من ذلك، ويُمْطَرون».

(٢) ذكر ابن قتيبة البيت فى كتاب المعانى الكبير (٢/ ٩١٢)، وعقب عليه بقوله: «عن أبى عبيدة: سألت أبا عمرو بن العلاء عن هذا البيت فقال: ذهب من كان يعرف هذا، وهو مما درس معناه. غيره: السُّلْكَى: الطعنة المستقيمة، ومَخْلوجة: يمنة يسرة، ومن الأمثال: الأمر مخلوجة وليس بسُلْكَى. لَفْتَك: ردّك، ويروى: كرَّك، وهو مثله. ولأمين: سهمين، واحدهما لأم، أى ككرِّك سهمين على رامٍ رمى بهما تعيدهما عليه، فكذلك نطعنهم ثم نعود عليهم كما يعاد السهمان على الرامى، أى ينفذهم ثم يعودهم. وسألت ابن السجستانى فقال: ككرِّك سهمين على رام رمى بهما؛ لأنك تردهما إلى ورائك».

والبيت فى ديوانه ص١١٧، والموشح ص١٠٥، واللسان (٣/ ٨٤، ١٢/ ٣٢٨).

(٣) البيت من معلقته بشرح الزوزنى ص١٥٩، وشرح ابن الأنبارى ص٤٤٩، ومعجم ما استعجم (٣/ ٩٨٤)، وهو غير منسوب فى اللسان (٦/ ٣٠٠).

وفسَّرَه الأصمعيُّ فقال: أراد نطعَنُهم طعنةً سُلْكَى، أى مُسْتَوِيَةً، وَمَخْلُوجَةً: عَادِلَةً ذات اليمين وذاتَ الشمال، كما تَرِدُّ سَهْمَيْنِ على صاحبِ سِهامٍ قد دفعهما إليك لتنظُرَ إليهما، وإذا أنت ألقيتهما إليه لم يقعا جميعًا مُسْتَوِيَيْن على جهةٍ واحدةٍ، ولكن أحدهما يعوجُّ، ويستوى الآخر. فَشَبَّهَ جهتى الطعنتين بجهتى هذين السهمين.

وقال الزِّيادِى: كان زيد بن كَثْوَةَ العَنْبَرِىّ يقول: الناس يغلَطُون فى لفظ هذا البيت ومعناه، وإنما هو: كَرٌّ كلامَيْن على نابل؛ أى: نَطْعن طعنتين متواليتين لا نَفْصِل بينهما، كما تقول للرامى: ارْمِ ارمِ، فهذان كلامان لا فصل بينهما، شَبَّه بهما الطعنتين فى موالاته بينهما. وكان يستحسن هذا المعنى.

وأما «العَيْرُ» فقد اختلفوا فيه[1]: فكان بعضهم يجعله الوتد، سمَّاه عَيْرًا لِنُتُوئه مثل عَيْرِ نَصْلِ السّهم، وهو الناتئ وسطه. يريد: أن كل من ضرب خِبَاءً من أهل العَمَدِ، فضرب له وتدًا ـ رَمَوْنَا بذنبه.

وقال بعضهم: هو كُلَيْبُ وائل، والعَيْرُ: سَيِّدُ القوم، سُمِّى بذلك لأنّ العَيْرَ أكبر الوحش؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه لأبى سُفيان: «كُلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ العَيْر»[2].

وقال آخر: العيرُ جَبَلٌ بالمدينة، ومنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه حَرَّم ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ[3]. يريد كلَّ من ضربَ إلى ذلك الموضع وبلَغَه.

---

(١) راجع تفصيل الخلاف فى اللسان (٦/ ٣٠٠ ـ ٣٠٣، ٣٩١).

(٢) المجتنى لابن دريد ص١٨، وفى اللسان (١/ ١١٦): «وفى الحديث أن أبا سفيان استأذن النبى ﷺ، فحجبه، ثم أذن له: فقال له: ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجُلْهُمَتَيْن، فقال: يا أبا سفيان، أنت كما قال القائل: كل الصيد فى جوف الفَرا، مقصور ويقال: فى جوف الفَراء، ممدود. وأراد النبى ﷺ بما قاله لأبى سفيان تألفه على الإسلام فقال: أنت كحمار الوحش فى الصيد، يعنى أنها كله مثله، وقال أبو العباس: معناه: إنه إذا حجبك قنع كلُّ محجوب ورضى؛ لأن كل صيد أقل من الحمار الوحشى، فكل صيد لصغره يدخل فى جوف الحمار، وذلك أنه حجبه وأذن لغيره، فيضرب هذا المثل للرجل يكون له حاجات، منها واحدة كبيرة، فإذا قضيت تلك الكبيرة لم يبال ألاَّ تقضى باقى حاجاته». وانظر: مجمع الأمثال (٢/ ٨٢)، وغريب الحديث لأبى عبيد (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٨).

وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة ص٤٢٣: «وسنده جيد، لكنه مرسل» يريد أن راوى الحديث عن النبى وهو نصر بن عاصم الليثى تابعى، مات بعد سنة ٨٠هـ.

(٣) روى الحربى، من طريق إبراهيم التيمى، عن أبيه، عن علىّ قال: «حرم النبى ﷺ ما بين عير إلى =

وقال آخر: هو الحمار نفسُه، يريد أنهم يُضيفُون إلينا ذُنُوبَ كلِّ من ساقَ حِمَارًا.

ومعنى هذا كله: أنهم يُلزموننا بذنوب الناس جميعًا، ويجعلوننا أولياءهم.

* * *

وقال الأصمعي: لا أدرى ما معنى قول رُؤْبة:

* يَغْمِسْنَ مَنْ غَمَسْنَهُ فى الأَهْيَغِ[1] *

ثم قال بعده: يُوهِمُ أَنَّ ثَمَّ ماء.

وقال ابن الأعرابى: يقال: فلان مُنْغَمِسٌ فى الأَهْيَغَيْن، يُرَادُ: الأكلُ والنِّكاح.

ونحوٌ منه: ذهب منه الأطْيَبَان، يُرَادُ: الأكلُ والنكاح.

وقال أيضًا: لا أدرى ما معنى قول رؤبة فى صفة الثور:

* كأنَّه حَامِلُ جَنْبٍ أَخْذَعَا[2] *

وقال ابن الأعرابى: أراد: كأنه ضُرِب بالسيف ضربةً فَتَعَلَّقَت جَنْبَه وهو حاملها، وذلك لميله من بَغْيِه على أحد جانبيه. والخَذَعُ: المَيَلُ.

ومثل هذا كثيرٌ، وفيما ذكرنا منه ما أَقْنَعَ ودلَّ على ما أردناه، إن شاء الله تعالى.

= ثور. قال: وثور: الجبل الذى فيه غار النبى ﷺ...». كذلك نقل أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم (١/٣٤٨). وقال أبو عبيد فى غريب الحديث (١/٣١٥): «وهذا حديث أهل العراق، وأهل المدينة لا يعرفون بالمدينة جبلاً يقال له: ثور، وإنما ثور بمكة. فيرى أن الحديث إنما أصله: ما بين عير إلى أحد. ثم قال أبو عبيد: سألت عن هذا أهل المدينة فلم يعرفوه. أما عير فبالمدينة معروف، وقد رأيته».

وفى اللسان (٦/٣٠٥)، وفى الفائق (٢/٢٠١): «هما جبلان بالمدينة، وقيل: لا يعرف بالمدينة جبل يسمى ثورًا وإنما ثور بمكة، ولعل الحديث ما بين عير إلى أحد».

(١) ديوانه ص٩٧، واللسان (١٠/٣٤١).

(٢) بعده فى المعانى الكبير (٢/٧٧٢): «من بَغْيِه والرفق حين أكْنَعا. لم يعرف الأصمعى معنى قوله: كأنه حامل جنب أخذعا، ولا الأخذع أيضًا لم يعرفه. وقوله: أكنع، يقول: أكنعهن فصرن قريبًا منه، يريد أدناهن... وقال ابن الأعرابى فى هذا البيت: أى كأنه ضُرب بالسيف ضربة فتعلق جنبه. وحكى: ترى الجريح منهم يعارضه جنبه أو يده، وذلك إذا تعلقت، والخذع: الميل، يقول: تراه من بغيه مائلاً كأنه ضرب فتعلق جنبه فمال». وفى اللسان (٩/٤١٩): «المُخذَّع: المقطَّع بالسيوف، وقول رؤبة... معناه أنه خُذِعَ لحمُ جنبه فتدلَّى عنه».

ولسنا ممن يَزعُم أنّ المتشابه فى القرآن لا يعلمه الراسخون فى العلم.

وهذا غلط من مُتأوِّليه على اللغة والمعنى.

ولم يُنزِل الله شيئًا من القرآن إلا لينفع به عبادَه، ويدلَّ به على معنًى أرادَه. فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره لَلَزِمَنَا للطَّاعِنِ مقالٌ، وتعلّق علينا بِعِلَّةٍ.

وهل يجوز لأحد أن يقول: إن رسول الله ﷺ لم يكن يعرف المتشابه؟!

وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] جَازَ أن يعرفه الرَّبَّانيون من صحابته؛ فقد علَّم «عليًا» التفسير، ودعا لابن عباس فقال: «اللهم علِّمهُ التأوِيل، وفَقِّهْه فى الدين»[١].

وروَى عبدُ الرّزّاق، عن إسرائيل[٢]، عن سِمَاكِ بن حَرْب[٣]، عن عِكرِمَة، عن ابن عباس أنه قال: كُلُّ القرآن أعلَمُ إلا أربعًا: غِسْلِين، وحَنَانًا، والأَوَّاه، والرَّقِيم[٤].

وكان هذا من قول ابن عباس فى وقت، ثُمَّ عَلِمَ ذلك بَعْدُ.

حدثنى محمد بن عبد العزيز، عن موسى بن مسعود، عن شِبْل، عن ابن أبى نُجَيح، عن مُجَاهد قال: تعلمونه وتقولون: آمنا به.

ولو لم يكن للراسخين فى العلم حظ فى المتشابه إلا أن يقولوا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ

(١) فى الإصابة (٤/ ٩١): «وفى معجم البغوى من طريق داود بن عبد الرحمن، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر: أنه كان يقرب ابن عباس ويقول: إنى رأيت رسول الله ﷺ دعاك فمسح رأسك وتَفَل فى فيك وقال: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل»، ثم رواه من عدة طرق. وكذلك صنع فى فتح البارى (١/ ١٥٥). والحديث فى البخارى: «اللهم علمه الكتاب»، وفى مسلم (٤/ ١٩٢٧): «اللهم فقهه». وفى طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٥): «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب» مع الرواية التى ذكرها المؤلف. وفى اللسان (١٧/ ٤١٨): «اللهم علِّمه الدين وفقِّهه فى التأويل» أى فهِّمه تأويله ومعناه.

(٢) هو إسرائيل بن يونس بن أبى إسحاق السبيعى، أبو يوسف، الكوفى، محدث ثقة، ولد سنة مائة، ومات سنة اثنتين وستين ومائة، وترجمته فى التاريخ الكبير (١/ ٢/ ٥٦، ٥٧)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢٦٩).

(٣) من كبار تابعى أهل الكوفة، وأحاديثه حسان، وهو صدوق لا بأس به، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، وترجمته فى تهذيب التهذيب (٤/ ٢٣٣، ٢٣٤).

(٤) أخرجه السيوطى فى الإتقان (١/ ٩٦) عن الفريابى.

عِند رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧] ـ لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين، بل على جهلة المسلمين؛ لأنهم جميعًا يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.

* * *

وبعد: فإنّا لم نَرَ المفسرين توقّفُوا عن شيء من القرآن فقالوا: هذا متشابه لا يعلمه إلا الله، بل أَمَرُّوهُ كلَّه على التفسير، حتى فسروا «الحروف المُقَطَّعة» فى أوائل السّوَر، مثل: ﴿الٓر﴾، و﴿حمٓ﴾، و﴿طه﴾، وأشباه ذلك. وسترى ذلك فى الحروف المشكلة إن شاء الله.

* * *

فإن قال قائل: كيف يجوز فى اللغة أن يعلمه الراسخون فى العلم، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، وأنت إذا أشركت الراسخين فى العلم انقطعوا عن «يقولون»، وليست ههنا وَاوُ نَسَقٍ تُوجِبُ للراسخين فعلَين، وهذا مذهب كثير من النحويين فى هذه الآية، ومن جهتِه غَلِطَ قومٌ من المتأوّلين.

قلنا له: إن «يقولون» ههنا فى معنى الحال، كأنه قال: الرّاسخون فى العلم قائلين: آمنا به. ومثله فى الكلام: لا يأتيك إلا عبدُ الله، وزيد يقول: أنا مَسرُورٌ بزيارتك. يريد: لا يأتيك إلا عبد الله، وزيد قائلاً: أنا مسرور بزيارتك.

ومثله لابن مُفَرِّغ الحِميَرى[١] يرثى رجلاً[٢] فى قصيدة أولها:

أصَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ أُمَامَهْ … من بَعـــدِ أَيَّامٍ برامَـــهْ

والرِّيـحُ تَبْكى شَجْوَهَـــا … والبَرْقُ يَلْمَعُ فى غَمَامَـهْ[٣]

---

(١) راجع ترجمة يزيد بن مفرغ فى: الشعر والشعراء (١/ ٣١٩ ـ ٣٢٤)، والأغانى (١٧/ ٥٥ ـ ٧٣)، وطبقات الشعراء ص٥٥٤ ـ ٥٥٧.

(٢) القصيدة ليست فى الرثاء، بل هى فى هجاء عباد بن زياد.

(٣) فى طبقات الشعراء: «فى الغمامه»، وفى الأغانى: «المضامه»، وفى أمالى الزجاجى ص٧٢: «عن المبرد أنه سأل الرياشى عن معنى هذا البيت فقال: هو عندى كقولهم: ويل للخلِىّ من الشجىّ، يعنى أن البرق يضحك والريح تبكى، فضربه مثلاً لنفسه، قال: وغير الرياشى يذهب إلى أن الريح =

أراد: والبرقُ لامعًا فى غمامةٍ تبكى شجْوَه أيضًا، ولو لم يكن البرق يَشْرَكُ الرِّيح فى البكاء لم يكن لذكره البرقَ ولمعَه مَعْنًى.

* * *

وأصل «التّشَابُه»: أن يُشْبِه اللفظُ اللفظَ فى الظاهر، والمعنيان مختلفان:

قال الله جل وعز فى وصف ثمر الجنة: ﴿**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**﴾ [البقرة:٢٥]، أى مُتَّفِقَ المناظر، مُختلِفَ الطُّعُوم. وقال: ﴿**تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [البقرة:١١٨] أى يُشْبه بعضها بعضًا فى الكفر والقسْوة.

ومنه يقال: اشتبه علىَّ الأمرُ؛ إذا أشبه غيرَهُ فلم تكَد تَفرُقُ بينهما، وشَبَّهْتَ علىَّ؛ إذا لَبَّسْتَ الحقَّ بالباطل، ومنه قيل لأصحاب المخَارِيقِ: أصحابُ الشُّبَه؛ لأنهم يُشبِّهُونَ الباطل بالحق.

ثم قد يقال لكلٍّ ما غَمُضَ وَدَقَّ: مُتَشَابهٌ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشّبه بغيره، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المُقَطَّعَة فى أوائل السّوَر: متشابه، وليس الشك فيها، والوقوف عندها لِمُشاكَلَتِهَا غيرَها، والتباسِها بها.

ومثل المتشابه: «المُشْكِلُ». وسمى مشكلاً؛ لأنه أَشْكل، أى دخل فى شَكْلٍ غيره فأشْبهَهُ وشاكله[1].

ثم قد يقال لما غَمُضَ - وإن لم يكن غموضهُ من هذه الجهة -: مُشْكِلٌ.

* * *

وقد بَيَّنتُ ما غَمُضَ من معناه لالتباسه بغيره، واستِتَارِ المعانى المختلفة تحتَ لفظه، وتفسير «المشكل» الذى ادُّعِيَ على القرآن فسادُ النظم فيه.

وقدّمت قبل ذلك «أبواب المجاز»؛ إذْ كان أكثَرُ غَلَطِ المتأوِّلين من جهته.

وأرجو أن يكون فى ذلك ما شفى مرضَ القلوب، وهدى من الحَيْرَة، إن شاء الله.

= تبكى شجوها، والبرق أيضًا يبكى، وجعل يلمع حالاً، والتقدير: الريح تبكى شجوها والبرق لامعًا فى الغمامة».

(١) فى اللسان (١٣/ ٣٨١): «وحرف مشكل: مشتبه ملتبس».

باب القول فى المجاز

وأما «المجاز» فمن جهته غَلِطَ كثير من الناس فى التأويل، وتشعَّبت بهم الطرق، واختلفت النِّحل: فالنصارى تذهب فى قول المسيح عليه السلام فى الإنجيل: «أدعو أبى، وأذهب إلى أبى» وأشباه هذا، إلى أُبُوّة الولادة.

ولو كان المسيح قال هذا فى نفسه خاصةً دون غيره ما جاز لهم أن يتأوَّلوه هذا التأويل فى الله ـ تبارك وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا ـ مع سعة المجاز، فكيف وهو يقوله فى كثير من المواضع لغيره؟ كقوله حين فتح فَاهُ بالوحى: «إذا تصدَّقْتَ فلا تُعلم شِمالَك بما فعلت يمينُك، فإنّ أباك الذى يرَى الخَفِيّات يَجزيك به علانيةً، وإذا صلّيتم فقولوا: يا أبانا الذى فى السماء لِيَتَقَدَّسَ اسمُك، وإذا صُمْتَ فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غيرُ أبيك».

وقد قرأوا فى الزَّبُور أن الله تبارك وتعالى قال لداود عليه السلام: «سيولد لك غلام يُسمَّى لى ابنًا وأُسَمَّى له أبًا».

وفى التوراة أنه قال ليعقوب عليه السلام: «أنت بِكْرِى».

وتأويل هذا أنه فى رحمته وبرّه وعطفه على عباده الصالحين كالأب الرحيم لولده.

وكذلك قال المسيح للماء: «هذا أبى»، وللخبز: «هذا أمى»؛ لأنّ قِوَامَ الأَبْدَان بهما، وبقاءَ الروح عليهما، فهما كالأبوين اللَّذين منهما النَّشْأَةُ، وبِحَضَانتِهما النَّماءُ.

وكانت العرب تُسمِّى الأرض أُمًا؛ لأنها مُبْتَدَأُ الخلق، وإليها مرجعُهم، ومنها أقواتُهم، وفيها كِفايتُهم.

وقال أُمَيَّة بن أبى الصلت:

والأرضُ مَعْقِلُنَا وكانت أُمَّنا فيها مقابرُنا وفيها نُولَدُ[1]

(١) ديوانه ص٢٣، والحيوان (٥/ ٤٣٧)، والقرطبى (١/ ١١٢).

وقال يذكرها:

منها خُلِقْنا وكانت أُمَّنا خُلِقَتْ ... ونحنُ أبناؤُها لو أننا شُكُرُ[١]

هِيَ القَرَارُ فما نَبْغِى بها بَدَلاً ... ما أرحَمَ الأَرْضَ إلا أنَّنا كُفُرُ

وقال الله تعالى فى الكافر: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[٢] [القارعة:٩] لما كانت الأمُّ كافلَةَ الولد وغَاذِيَتَه، ومَأْواه ومُربِّيتَه، وكانت النار للكافر كذلك ـ جعلها أُمَّه.

وقال فى أزواج النبى صلى الله عليه: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، أى: كأمهاتهم فى الحُرمات.

وفى التوراة: «إنّ الله بَرَّكَ اليومَ السابع وطَهَّره، من أجل أنه استراح فيه من خَلِيقَتِه التى خلَقَ».

وأصل الاستراحة: أن تكون فى مُعَانَاة شىءٍ يُنْصِبُك ويُتعِبُك، فتستريحَ.

ثم يَنْتَقِلُ ذلك فتصير الاستراحة بمعنى الفراغ. تقول فى الكلام: استرَحْنا من حاجتك وأمَرْنا بها؛ تريد فَرَغْنا. والفراغُ أيضًا يكون من الناس بعد شُغل.

ثم قد ينتقل ذلك فيصير فى معنى القَصْد للشىء، تقول: لئن فرغتُ لك، أى قصَدْتُ قصْدَك.

وقال الله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ [الرحمن:٣١]. والله تبارك وتعالى لا يَشْغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ. ومَجَازُهُ: سنقصد لكم بعد طول التَّرْك والإمْهال.

وقال قتادة: قد دَنا من الله فراغ لخَلْقِهِ. يريد: أن الساعة قد أَزِفَت وجاء أشْرَاطُهَا.

* * *

وتأوّل قوم فى قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٨] معنى «التناسخ». ولم يُرِد الله فى هذا الخطاب إنسانًا بعينه، وإنما خاطب به جميع الناس، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾[٣] [الانشقاق:٦]، كما يقول

(١) ديوانه ص٣٢.

(٢) انظر تفسير غريب القرآن ص٥٣٧.

(٣) انظر تفسير غريب القرآن ص٥٢١.

القائل: يا أيها الرجل، وكُلُّكُم ذلك الرجل.

فأراد أنه صَوَّرَهم وعَدَّلهم، فى أىّ صورة شاء ركّبهم: من حُسنٍ وقُبحٍ، وبياضٍ وسواد، وأُدْمَةٍ وحُمْرة.

ونحوه قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢].

* * *

وذهب قوم فى قول الله وكلامه: إلى أنه ليس قولاً ولا كلامًا على الحقيقة، وإنما هو إيجاد للمعانى. وصرفوه فى كثير من القرآن إلى «المجاز»، كقول القائل: قال الحائط فمال، وَقُلْ برأسك إلىَّ، يريد بذلك المَيل خاصة، والقولُ فَضْل.

وقال بعضهم فى قوله للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]: هو «إلهام» منه للملائكة، كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أى ألهمها. وكقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١] وذهبوا فى «الوحى» ههنا: إلى الإلهام.

* * *

وقالوا فى قوله للسماء والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]: لم يقل الله ولم يقولا، وكيف يخاطب معدومًا؟ وإنما هذا عبارة: لكَوَّناهما فكانتا.

قال الشاعر حكاية عن ناقته:

تَقُولُ إذا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِى ... أهَــذَا دِينُـهُ أَبَدًا وَدِينِى(١)
أَكُلَّ الدَّهْرِ حِلٌّ وَارْتِحـالٌ؟ ... أَمَـا يُبْقِى عَلَىَّ وَلا يَقِينِى؟

(١) هما للمُثقِّب العبدى من قصيدة له فى المفضليات ص٢٩٢، وأمالى اليزيدى ص١١٤، وهما له فى الكامل (١/ ١٩٣)، والصناعتين ص٨٦، والأول فى اللسان (١/ ٦٩، ١٧/ ٣٤٢)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٧٣)، ونظام الغريب ص١٥٣، وتفسير الطبرى (١/ ٤٠٦)، وتأويل مختلف الحديث ص٨٢. وفى اللسان (١٧/ ٣٤٢): «الوضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر». وفيه (١/ ٦٨): «ودرأت وضين البعير: إذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليه لتشده به...».

وهى لم تقل شيئًا من هذا، ولكنه رآها فى حال من الجَهْد والكَلاَلِ، فقضى عليها بأنها لو كانت ممن تقول لقالت مثل الذى ذكر.

وكقول الآخر:

* شكا إلىّ جَمَلِى طُولَ السُّرَى[١] *

والجمل لم يَشْكُ، ولكنه خَبَّرَ عن كثرة أسفاره، وإتعابه جَمَلَهُ، وقضَى على الجمل بأنه لو كان متكلمًا لاشتكى ما به.

وكقول عنترة فى فرسه:

فازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَـا بِلَبَانِهِ ... وَشكا إلىَّ بِعَبْرةٍ وتَحَمْحُمِ[٢]

لما كان الذى أصابه يُشتكى مثله ويُسْتَعْبَرُ منه، جعلَه مُشْتَكِيًا مُستَعْبِرًا، وليس هناك شكوى ولا عَبْرة.

* * *

قالوا: ونحو هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] وليس يومئذ قول منه لجهنم، ولا قول من جهنم، وإنما هى عبارة عن سعتها.

وفى قوله: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج: ١٧] يريد: أن مصير من أدبر وتولى إليها، فكأنها الداعية لهم؛ كما قال ذو الرُّمة:

دَعَتْ مَيَّةَ الأعْدَادُ وَاستَبْدَلَتْ بهَا ... خَنَاطِيلَ آجَـالٍ مِنَ العينِ خُـذَّلِ[٣]

---

(١) بعده فى أمالى المرتضى (١/ ٧٢):

«يا جَملى ليس إلىَّ المُشتكى ... صبرٌ جميلٌ فكلانا مُبتَلَى

معناه: فليكن منك صبر جميل». وبعده فى اللسان (١٩/ ١٧١): «صبرًا جميلى فكلانا مُبْتَلى». وهو فى مجاز القرآن (١/ ٣٠٣، ٣٠٤).

(٢) البيت من معلقته فى شرح الزوزنى ص٢٧٧، وشرح ابن الأنبارى ص٣٦٠.

(٣) فى اللسان (٤/ ٢٧٦): «قال ذو الرمة يذكر امرأة حضرت ماءً عِداً بعدما نشَّت مياهُ الغدران فى القيظ... استبدلت بها: يعنى منازلها التى ظعنت عنها حاضرة أعداد المياه، فخالفتها إليها الوحشُ وأقامت فى منازلها، وهذه استعارة». والبيت فى ديوانه ص٥٠٣.

والأعداد: المياه، لما انتقلت ميَّةٌ إليها ورغبت عن مائها، كانت كأنها دَعَتْها.

وكقول الآخر:

ولقــد هَبَطْتُ الوادِيَيْنِ وَوَادِيًا ... يَدعُو الأنيسَ بِهِ الغَضِيضُ الأبْكَمُ[1]

والغضيض الأبكم: الذّباب، يريد: أنه يَطِنُّ فيَدُلُّ بطنينه على النبات والماء، فكأنه دعاء منه.

وقال أبو النجم يذكر نبتًا:

مُسْتَأْسِدًا ذِبَّانُهُ فى غَيْطَلِ ... يَقُلْنَ للرَّائِدِ: أعْشَبْتَ انزِلِ[2]

ولم يقل الذباب شيئًا من هذا، ولكنه دل على نفسه بطنينه، ودل مكانه على المرعى؛ لأنه لا يجتمع إلا فى عشب، فكأنه قال للرائد: هذا عشب فانزل.

وقال آخر يصف ذئبًا:

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إذا لم يَسْمَعِ ... بِمِثْلِ مِقْراعِ الصَّفَا المُوَقَّعِ[3]

يريد: أنه يتشمم ثم يَتَّبِع الرائحة بخَطْمٍ[4] كأنه الفأس التى يُكسر بها الصخر، فجعل تشممه استخباراً.

* * *

قال أبو محمد: وقد تبين لمن قد عرف اللغة أن القول يقع فيه المجاز، فيقال: قال الحائط فمال، وقُلْ برأسك إلىّ؛ أى أمِلْهُ، وقالت الناقة، وقال البعير.

ولا يقال فى مثل هذا المعنى: تكلم، ولا يُعْقَلُ الكلام إلا بالنطق بعينه، خلا

---

(١) البيت غير منسوب فى اللسان (٤/ ٢٧٦)، والمعانى الكبير للمؤلف ص٦٠٣.

(٢) فى اللسان (٤/ ٣٨): «استأسد النبت: طال وعظم... وأنشد الأصمعى لأبى النجم: مُستأسد أذنابُه فى غيطل... إلخ». والغيطل - كما فى اللسان (١٤/ ٩) - الشجر الكثير الملتف، وكذلك العشب. والبيت فى الحيوان (٣/ ٣١٤). والطرائف الأدبية ص٥٨.

(٣) البيت فى اللسان (٧/ ٥، ١٠/ ١٣٦)، وروايته فيهما: يستمخر الريح. ورواه ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير (١/ ١٨٣) كما رواه هنا، وقال فى شرحه: «أى يستروح إذا لم يسمع صوتًا بخرطوم مثل مقراع الصفا، وهو الفأس التى يكسر بها الصخر، وجعل تشممه استخباراً».

(٤) فى اللسان (١٥/ ٧٦): «الخطم من كل دابة مُقدَّم أنفها وفمها، نحو الكلب والبعير».

موضع واحد وهو أن تتبين فى شىء من الموات عبرة وموعظة فتقول: خَبَّر وتكلم وذكَّر؛ لأنه دلَّك معنًى فيه، فكأنه كلمك، وقال الشاعر[(١)]:

وَعَظَتْكَ أجْدَاثٌ صُمُتْ ... ونَعَتْـكَ أَلْسنَـةٌ خُفُـتْ
وتَكلَّمَـتْ عن أَوْجُـــهٍ ... تَبْلَى وعن صُـوَرٍ سُبُتْ[(٢)]
وأرَتْك قَبْـرَكَ فى القُبُـو ... رِ وأنتَ حَىٌّ لم تَمُـتْ

وقال الكُمَيْت يمدح رجلاً:

أخْبرَتْ عن فَعَالِه الأرضُ واستَنْـ ... ـطَق منهـا اليَبَابَ والْمَعْمُورَا[(٣)]

أراد أنه حفر فيها الأنهار، وغرس الأشجار، وأثَّر الآثار، فلما تَبيَّنت للناظر صارت كأنها مُخْبِرَةٌ.

وقال عَوْفُ بن الخَرِع يذكر الدار:

وَقَفْتُ بها ما تُبِينُ الكلامَ ... لسائِلِها القـولَ إلا سِرَارَا[(٤)]

يقول: ليست تُبِينُ الكلام لمخاطبها، إلا أنّ ظاهر ما يَرى دليل على الحال، فكأنه سِرارٌ من القول، ولهذا قالت الحكماء: كل صامت ناطق. يريدون أنّ أثر الصنعة فيه يدل على مُحدِثه ومدبِّره.

ومن هذا قول الله عز وجل: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥] أى أنزلنا عليهم برهانًا يستدلون به، فهو يدلهم.

* * *

(١) ذكر ابن قتيبة هذه الأبيات فى عيون الأخبار (٢/ ٣٠٦) ونسبها لأبى العتاهية، وهى فى ديوانه ص٥٢.

(٢) فى الديوان: شُتُت.

(٣) فى أساس البلاغة (٢/ ٥٥٨): «قال الكميت فى خالد بن عبد الله القسرى، وكان حفَّاراً غرَّاسًا. . .». وقد ذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير (١/ ٥٥٤) للكميت وقال فى شرحه: «أى أثر فيها آثارًا حسنة، بنى المساجد وحفر الآبار والأنهار، واليباب: الخراب، أى بنى فيه فسكن».

(٤) البيت من قصيدة له فى المفضليات ص٤١٣ وروايته فيها:

وقفتُ بها أصلاً ما تُبين ... لسائلها القولَ إلا سِرارَا

وتبيَّن له أيضًا أنّ أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تُوَكَّد بالتكرار، فتقول: أراد الحائط أن يسقط، ولا تقول: أراد الحائط أن يسقط إرادةً شديدة، وقالت الشجرة فمالت، ولا تقول: قالت الشجرة فمالت قولاً شديدًا. والله تعالى يقول: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾ [النساء:١٦٤] فَوكَّد بالمصدر معنى الكلام، ونَفَى عنه المجاز.

وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠] فوكَّد القول بالتكرار، ووكَّد المعنى بإنما.

* * *

وأما قول من قال منهم: إن قوله للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [البقرة:٣٤] إلهام[1]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١] أي إلهامًا ـ فما نُنْكِرُ أنَّ القول قد يسمى وَحْيًا، والإيماءَ وَحْيًا، والرمزَ بالشفتين والحاجبين وَحْيًا، والإلهامَ وحيًا، وكل شيء دلَلْتَ به فقد أوحيتَ به، غير أن إلهام النَّحْل تَسْخِيرُها لاتخاذ البيوت، وسلوك السُّبُل والأكل من كل الثمرات.

وقال العَجَّاجُ وذَكَرَ الأرضَ:

* وَحَى لها القَرارَ فاسْتَقَرَّتِ[2] *

أي: سخَّرها لأن تستقر، فاستَقَرت.

* * *

وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى:٥١] فالوحي الأول: ما أراه الله تعالى الأنبياء في منامهم، والكلام من وراء الحجاب: تكليمُه موسى، والكلام بالرسالة: إرْسَالُهُ الرُّوحَ الأمينَ بالرُّوح من أمره إلى من يشاء من عباده.

ولا يقال لمن ألهمه الله: كلَّمَهُ الله؛ لِمَا أَعْلَمْتُك من الفرق بين «الكلام» و«القول».

---

(١) راجع ص١٤٨.

(٢) بعده في اللسان (٢٠/٢٥٧): «وشدَّها بالراسيات الثُّبَّتِ. وقيل: أراد أوحى، إلا أن من لغة هذا الراجز إسقاط الهمزة مع الحرف، ويروى: أوحى. قال ابن بَرِّي: ووحى في البيت بمعنى كتب». وهو في مقاييس اللغة (٦/٩٣)، وديوانه ص٥.

ولا يجوز أن يكون قوله للملائكة وإبليس، وطُولُ مراجعته إياه في السّجود، والخروج من الجنة، والنَّظِرَةُ إلى يوم البعث - إلْهَامًا، هذا ما لا يُعْقَل. وإن كان ذلك تسخيرًا فكيف يُسخِّرُ لشيء يَمْتَنِعُ منه؟

* * *

وأما تأولهم في قوله جل وعزّ للسّماء والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت:١١]: إنه عبارة عن تكوينه لهما، وقوله لجهنم: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠] إنّه إخبارٌ عن سَعَتِها - فما يُحْوِجُ إلى التَّعَسُّف والتماس المخارج بالحيل الضعيفة؟ وما ينفع من وجود ذلك في الآية والآيتين والمعنى والمعنيين وسائرُ ما جاء في كتاب الله عزّ وجلّ من هذا الجنس وفي حديث رسول الله صلى الله عليه مُمْتَنِعٌ عن مثل هذه التأويلات؟

وما في نطق جهنم ونطق السماء والأرض من العجب؟ والله تبارك وتعالى يُنْطِق الجلودَ، والأيديَ، والأرجلَ، ويُسخِّرُ الجبال والطير، بالتَّسبيح؛ فقال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٨، ١٩]، وقال: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ:١٠] أي سبِّحْنَ معه، وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤]، وقال في جهنم: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك:٨] أي تتقطع غيظًا عليهم، كما تقول: فلان يكاد يَنْقَدُّ غيظًا عليك، أي ينشق، وقال: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[1] [الفرقان:١٢].

ورُوِي في الحديث أنها تقول: «قَط قَطْ»[2] أي: حسبي.

---

(١) انظر تفسير غريب القرآن ص٣١٠.

(٢) أخرج البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته (١١/ ٤٧٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط وعزتك، ويُزْوى بعضها إلى بعض».
وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢١٨٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٤٨، ٣٤٩، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص٦٤ - ٦٦. =

وهذا سليمان عليه السلام يفهم منطق الطَّير وقول النّملِ؛ والنمل من الحُكْلِ، والحُكْل ما لا يُسْمَعُ له صوت. قال رُؤْبة:

لو كُنتُ قد أُوتيتُ عِلْمَ الحُكْلِ عِلْمَ سُليمانَ كلامَ النَّمْلِ[1]

وقال العُمَانيُّ[2] يمدحُ رجلاً:

ويَفْهَمُ قَولَ الحُكْلِ لو أنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لم يَفُتْهُ سِوَادُها[3]

والسِّوَاد: السِّرَار، جعل قولها سِرَارًا؛ لأنها لا تُصوِّت.

وهذا رسول الله ﷺ تُخْبِرُهُ الذِّرَاعُ المسْمُومَةُ[4]، ويُخبِرُه البعير أنَّ أهله يُجيعُونَه ويُدْئِبُونَه[5]، في أشباهٍ لهذا كثيرة.

* * *

= وفى اللسان (٩/ ٢٥٦): «وفى الحديث فى ذكر النار: أن النار تقول لربها: إنك وعدتنى مِلْئِى، فيضع فيها قدمه، فتقول: قط قط، بمعنى حسب».

(١) البيت له، كما فى ديوانه ص١٢٨، واللسان (١٤/ ٤٣)، والحيوان (٤/ ٨، ٢٣) والبيان والتبيين (١/ ٤٠)، والجمهرة (٢/ ٨٤)، وهو غير منسوب فى مقاييس اللغة (٢/ ٩١)، ونسبه له ابن قتيبة فى المعانى الكبير (٢/ ٦٣٦) وعلق عليه بقوله: «الحكل من الحيوان ما لم يكن له صوت فى شىء من أحواله، وكذلك النمل. والحُكْلة فى الإنسان: ثقل فى لسانه من العُجْمة، فإذا كان خلقة قيل: حُبْسة».

(٢) فى أساس البلاغة (١/ ١٩٠): «العثمانى» وهو خطأ، واسم العمانى: محمد بن ذؤيب الفقيمى، راجع ترجمته فى الأغانى (١٧/ ٧٣ ـ ٧٨)، والشعر والشعراء (٢/ ٧٣١ ـ ٧٣٣).

(٣) البيت للعمانى فى مدح عبد الملك بن صالح، كما فى البيان والتبيين (١/ ٤٠)، والحيوان (٤/ ٢٣)، ونسبه له المؤلف فى المعانى الكبير (٢/ ٦٣٦) وقال فى شرحه: «السواد: السرار، يقول: الذر الذى لا يُسمع لمناجاته صوت ولا عليه دليل ـ لو كان بينه سرار لفهمه».

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب الديات: باب فيمن سقى رجلاً سمًا أو أطعمه فمات أيقاد منه؟ (٤/ ٢٤٣) من حديث جابر بن عبد الله: أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصليَّة ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله الذراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم»، وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها، فقال لها: «أسممت هذه الشاة؟»، قالت: نعم: قال: «فما أردت إلى ذلك؟»، قالت: قلت: إن كان نبيًا فلن يضره، وإن لم يكن نبيًا استرحنا منه، فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها.
وهو عند الدارمى فى مقدمة السنن (١/ ٣٣).

(٥) أخرج أبو داود فى كتاب الجهاد: باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (٣/ ٣٣) من =

وأنكروا مع هذا «السِّحْرَ» إلا من جهة الحيلة.

وقالوا: منه رُقَاةُ التَّميمة يُفَرِّقُ بها بين المرء وزوجه، والكذبُ تُصْرَف به القلوبُ عن المحبة إلى البِغْضَة، وعن البِغْضَة إلى المحبة.

وقالوا: منه السَّمُومُ يُسحَر بها فتقطعُ عن النساء، وتَحُتُّ الشَّعرَ وتغيِّر الخَلْق.

والله تعالى يقول: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[1] [الفلق: ٤، ٥] فأعلمنا أنهن يَنْفُثْنَ - والنَّفْثُ كالتَّفْل - كما ينفث الرَّاقى فى عُقَدٍ يعقدها. قال الشاعر:

يُعَقِّـــدُ سِحْرَ البابِلِيِّينَ طَرْفُهَـــا ... مِرَارًا، ويَسْقِينَا سُلاَفًا مِنَ الخَمْرِ[2]

فأراد أن طَرْفَها يذهب بعُقولنا كما يذهب السِّحرُ والراح بالعقل.

وقد سُحر رسول الله صلى الله عليه وجُعل سحره فى بئر ذى أرْوَان[3]، واستخرجه علىٌّ منها، وجعل يَحلُّه عُقْدَةً عُقدة، فكلما حل عقدة وجد النبى صلى الله عليه راحة وخِفًّا، فلما فرغ من حَلِّه قام النبى صلى الله عليه كأنما أُنْشِطَ من عِقَال[4].

= حديث عبد الله بن جعفر قال: أردفنى رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسرَّ إلىَّ حديثًا لا أحدِّث به أحدًا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفًا أو حائش نخل، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا جمل فلما رأى النبى ﷺ حنَّ وذَرَفَتْ عيناه، فأتاه النبى ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: «مَنْ ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار فقال: لى يا رسول الله، فقال: «أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكى إلىَّ أنك تُجيعه وتُدئبه».

وهو عند أحمد فى المسند (١/ ٢٠٤، ٢٠٥)، وعند السيوطى فى الخصائص الكبرى (٢/ ٢٥٦).

(١) تفسير غريب القرآن ص٥٤٣.

(٢) البيت غير منسوب فى مقاييس اللغة (٤/ ٨٩)، ونسبه الزمخشرى فى أساس البلاغة (٢/ ١٣١) لذى الرُّمة، وهو غير موجود فى ديوانه.

(٣) ويقال لها: «ذروان» راجع: معجم ما استعجم (١/ ١٤٢، ٢/ ٦١٢)، ومعجم البلدان (١/ ٢٠٧، ٢/ ٤، ٤/ ١٩٣)، والروض الأنف (٢/ ٢٤)، ومشارق الأنوار (١/ ١١٧، ٢٧٥)، وشرح مسلم للنووى (١٤/ ١٧٧)، وفتح البارى (١٠/ ١٧٩).

وكان سحره عليه السلام فى المحرم من سنة سبع، بعد عودته من الحديبية، راجع: طبقات ابن سعد (٢/ ١٩٧ - بيروت)، وفتح البارى (١٠/ ١٧٦)، وشرح الشفا للخفاجى (٤/ ٢٧٧).

(٤) راجع تفصيل ذلك فى أسباب نزول القرآن (ص٥١٣ - ٥١٦).

وقال الله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾[1] [البقرة: ١٠٢].

أفَتُراهُمَا كانا يُعَلِّمَان التَّمائم والكذبَ وسَقْيَ السُّموم؟!

* * *

وبمثل هذا النظر أنكروا عذابَ القبر، ومُسَاءَلَةَ المَلَكين، وحياةَ الشهداء عند ربهم يرزقون، وأنكروا إصابةَ العينَ ونفعَ الرُّقَى والعُوَذ، وعَزِيفَ الجِنَّانِ، وتَخَبُّطَ الشيطان، وتَغَوُّل الغِيلان.

فلما رأوا تواطُؤَ العرب على ذلك، وإكثارَ الشعراء فيه، كقول ذى الرُّمة:

إذا حَبَّهنَّ الرَّكْبُ فى مُدْلَهِمَّةٍ أحاديثُها مِثْلُ اصْطِخَابِ الضَّرائرِ[2]

وكقول زهير:

تَسْمَعُ للجنِّ عازفينَ بها تَضْبَحُ عن رَهْبَةٍ ثَعَالِبُهَا[3]

فى أشباه لهذا كثيرة ـ طلبوا الحيلة فقالوا[4]: عِلَّةُ ما يسمعون من هذا ويرون انفرادُ

(١) انظر تفسير غريب القرآن ص٥٩.

(٢) فى اللسان (١٥/ ٩٦): «وفلاة مدلهمة: لا أعلام فيها». أحاديثها: أحاديث ما بها من جن، والبيت فى ديوانه ص٢٩٦ وبعده فيه:

تَياسرْنَ عن حَذْوِ الفراقد فى السُّرَى وَيامَنَّ شيئًا عن يمين المغاور

وهو فى الحيوان (٦/ ٢٤٨). وقد نقل الجاحظ تعليق أبى إسحاق النظّام عليه فقال: «قال أبو إسحاق: يكون فى النهار ساعات ترى الشخص الصغير فى تلك المهامه عظيمًا، ويوجد الصوت الخافض رفيعًا، ويسمع الصوت الذى ليس بالرفيع مع انبساط الشمس غدوة من المكان البعيد، ويوجد لأوساط الفيافى والقفار والرمال والحرار فى أنصاف النهار مثل الدوىِّ؛ من طبع ذلك الوقت وذلك المكان، عندما يعرض له، ولذلك قال ذو الرمة:

إذا قال حَادينا لتَشْبيه نَبْأة صَهٍ لم يكن إلا دوىُّ المَسَامع

قالوا: وبالدوى سميت دَوِّيَّة وداوِيَة، وبه سُمى الدَّوُّ دَوًّا».

(٣) ديوانه ص٢٦٥. ومعنى تضبح: تصيح.

(٤) قال الجاحظ فى الحيوان (٦/ ٢٤٨): «وكان أبو إسحاق [النظّام] يقول فى الذى تذكُر الأعراب من عزيف الجنان وتغوّل الغيلان: أصل هذا الأمر وابتداؤه أن القوم لما نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم =

القوم وتَوحُّشُهم فى الفلوات والقِفَار، ومن انفرد فكَّر وتَوَهَّم واستوحش وتخَيَّل، فرأى ما لا يُرى، وسَمِع ما لا يُسمع، كما قال حُمَيْدُ بن ثور:

مُفَزَّعَـةٌ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ من الخوف تَسْمَعُ ما لا تَرى[١]

وقالوا: ومن أحْناشِ الأرض، وأحْناش الطير فى المَهَامِهِ والرمال ـ ما لا يظهر ولا يُصَوِّتُ إلا بالليل كالصَّدَى والضُّوَع والبُوم[٢] واليَرَاعِ[٣]، فإذا سمع أحدهم حَسِيسَ

= الوحشة، ومن انفرد وطال مقامه فى البلاد والخلاء والبعد من الأنس استوحش، ولا سيما مع قلة الأشغال والمذاكرين. والوحدة لا تقطع أيامهم إلا بالمنى أو بالتفكير، والفكر ربما كان من أسباب الوسوسة، وقد ابتلى بذلك غير حاسب. . . وإذا استوحش الإنسان تمثّل له الشىء الصغير فى صورة الكبير، وارتاب، وتفرق ذهنه، وانتقضت أخلاطه فرأى ما لا يرى، وسمع ما لا يسمع، وتوهم على الشىء اليسير الحقير أنه عظيم جليل، ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرًا تناشدوه، وأحاديث توارثوها، فازدادوا بذلك إيمانًا، ونشأ عليه الناشئ، وربِّى به الطفل، فصار أحدهم حين يتوسط الفيافى، وتشتمل عليه الغيطان فى الليالى الحنادس، فعند أول وحشة وفزعة، وعند كل صياح بوم ومجاوبة صدى، وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور، وربما كان فى أصل الخلق والطبيعة كذابًا نفَّاجًا، وصاحب تشنيع وتهويل، فيقول فى ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة، فعند ذلك يقول: رأيت الغيلان! وكلمت السِّعْلاة! ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول: قتلتها! ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول: رافقتها! ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول: تزوجتها!. ومما زادهم فى هذا الباب، وأغراهم به، ومد لهم فيه، أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابيًا مثلهم، وإلا عاميًا لم يأخذ نفسه قط بتمييز ما يستوجب التكذيب والتصديق أو الشك، ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت فى هذه الأجناس قط. . .».

(١) قال ابن قتيبة فى المعانى الكبير (٢/ ٧٠٢): «قال حميد بن ثور يصف ظبية. . . تستحيل الشخوص، يقول: تنظر هل يحول الشخص ـ أى يتحول ـ أم لا، من الخوف على ولدها. وقوله «تسمع ما لا ترى»: قال الأصمعى: يقال: إن أذن الوحشية أصدق من عينها، وكذلك أنفها أصدق من عينها». وأنشده المبرد شاهدًا على أن معنى تستحيلها: تتبين حالاتها، وروايته: «مُروَّعة تستحيل». وعلق عليه الأخفش بقوله: «قوله مروعة، يقول: كل شىء يدنينى من الظفَر بها يروعها وينفرها». راجع الكامل (٢/ ٤٣).

(٢) قال الجاحظ فى كتاب الحيوان (٢/ ٢٩٨): «ويقال للطائر الذى يخرج من وكره بالليل: البومة، والصدى، والهامة، والضُّوَع. . . ويصيد بعضها الفأر وسام أبرص والقطا وصغار الحشرات، وبعضها يصيد البعوض والفراش وما أشبه ذلك. والبوم يدخل بالليل على كل طائر فى بيته، ويخرجه منه ويأكل فراخه وبيضه. وهذه الأسماء مشتركة». وقال فى ص٢٩٥: «ثم الذى لا يدع الصياح فى الأسحار مع الصبح أبدًا: الضُّوَع، والصَّدى والهامة، والبومة، وهذا الشكل من الطير».

(٣) قال الجاحظ فى كتاب الحيوان (٤/ ٤٨٨): «ونار أخرى، وهى شبيهة بنار البرق، وهى نار اليراعة. =

هامَةٍ، أو زُقَاءَ بُومٍ، أو رأى لَمْعَ يَرَاعَةٍ من بُعْدٍ ـ وَجَبَ قلبُه، وَقَفَ شَعْرُه، وذهبت به الظّنون.

وقالوا: فى النهار ساعات تتغيّر فيها مناظر الأشباح، وتتضاعف أعدادها، فربما رُئِي الصغير كبيرًا، والكبير صغيرًا، والواحد اثنين، وقد يُسْمَعُ لأصوات الفَلاَ والحِرارِ مثلُ الدَّوِيِّ، ولذلك قال ذو الرُّمّة:

إذا قـال حَـادينَا لِتَشْبيــه نَبْأة: صَهٍ؛ لم يكُن إلاّ دَوِيُّ المَسامعِ[1]

وبهذا سُمِّيت الفلاة: دَوِّيَّة، كأن الدَّوَّ حكاية ما يسمعون، ثم نسب المكان إليه[2]، قال الأعشى:

فَوْقَ دَيْمُومَةٍ تَخَيَّلُ بالسَّفْرِ قِفَـارًا إلاَّ مِـنَ الآجَــال[3]

يريد بقوله «تخيَّل بالسَّفْر»: أنهم يَرونْها مرّة على هيئة، ومرة على هيئة، قال كعب بنُ زُهَير:

وَصَرْمَـاءَ مِذْكارٍ كأنَّ دَوِيَّهَا بُعَيْـدَ جَنَانِ اللّيلِ ممَّا يُخَيِّلُ[4]

= واليراعة: طائر صغير، إن طار بالنهار كان كبعض الطير، وإن طار بالليل كان كأنه شهاب قذف أو مصباح يطير».

(١) ديوانه ص٣٦٠: «النبأة: الصوت الخفى، وصه بمعنى اسكتوا، لم يكن إلا أن يسمع دويًا فى الآذان». والبيت فى اللسان (١٧/ ٤٠٦)، والحيوان (٦/ ٢٤٨).

(٢) عقب الجاحظ على بيت ذى الرمة بقوله: «قالوا: وبالدوى سميت دَوِّيَّة وداوِيَّة، وبه سمى الدَّوُّ دَوًّا». ونقل الجوهرى كلامه هذا، ونقده ابن برى ودلل على فساد قول الجاحظ، راجع تفصيل ذلك فى اللسان (١٨/ ٣٠٤).

(٣) ديوانه ص٧: «الأصمعى: تغوَّل بالسَّفْر، أبو عبيدة: تغول للسَّفْر. الديمومة: الفلاة البعيدة الأطراف التى يدوم فيها السير. وقوله: تخيل: يرونها مرة على خلقة، ومرة على أخرى، لا تثبت أعلامها على حال. الأصمعى: تغول بالسفر: تبعدهم وتسقطهم، من قوله: غالته غول». والآجال: جمع إجْل ـ بالكسر ـ وهو القطيع من بقر الوحش، كما فى اللسان (١٣/ ١٠).

(٤) ديوانه ص٤٥، وقال السكرى فى شرحه: «الصرماء: الأرض التى لا نبت فيها ولا ماء. والمذكار: المخوفة التى لا يسلكها إلا الذكر من الرجال. وقال بعضهم: معنى مذكار: أنها ذات هول تذكرهم ما مر بهم فيها. والدوى: الصوت، وإنما يريد عزيف الجن بها وتخيلهم. وجنان الليل: ظلمته وما وارك. وقال بعضهم: جنان الليل إلباس ظلمته، وكل ما سترك من شىء فقد أجنك، وإنما قيل للقلب جنان؛ لأنه استتر ويستر ما فيه».

حديثُ أناسيٍّ فلمَّا سَمِعتُه … إذَا لَيْسَ فيه ما أَبِينُ فأَعْقِلُ[١]

وقال الأخطل يذكر فلاة رأى الصغيرَ فيها كبيرًا:

تَرَى الثَّعْلَبَ الحَوْلِيَّ فيها كأنَّهُ … إذا مَا عَلا نَشْزًا حِصَانٌ مُجَلَّلُ[٢]

وقال النابغة:

وَحَلَّت بُيوتِى فى يَفَاعٍ مُمَنَّعٍ … تَخَالُ بِهِ رَاعِى الحَمُولةِ طائرَا[٣]

هذا رأى الكبير صغيرًا لأنه فى شَرَف.

وقال ابن أحمر أيضًا فى تضاعف الأعْداد:

وَازْدَادتِ الأَشْبَاحُ أَخْيِلَةً … وتَعَلَّلَ الحِرْبــاءُ بالنَّقْرِ

* * *

وأخشى أن يكون معتقد هذا والقائل به: يُرَقِّقُ عن صَبُوحٍ[٤]، ويُسِرُّ حَسْوًا فى ارْتِغَاء[٥].

وما على مَنْ آمن بالبعث بعد الممات أن يؤمن بعذاب البَرْزَخ، وقد خبَّر به رسولُ الله صلى الله عليه، وقولُه قَاضٍ على الكِتَابِ؟ وبمُساءلة الله يوم القيامة أن يُؤْمِنَ بِمُسَاءَلَةِ الملكين فى القبر؟!

---

(١) قال السكرى فى شرحه ص٤٦: «يريد: أسمع همهمة لا تفهم وذلك من خلاء المكان. وقال غيره: يريد كأن عزيف الجن حديث أناسى».

(٢) ديوانه ص٧، وقبله:

إلى ابن أُسيدِ خالدٍ أرقَلتْ بنا … مَسانِيفُ تَعْرَوْرَى فلاةً تَغَـوَّلُ

(٣) ديوانه ص٥٥.

(٤) جاء فى اللسان (٣/ ٣٣٥): «وفى المثل: أعَنْ صبوحٍ تُرقِّق؟ يُضرَب مثلاً لمن يُجَمْجِم ولا يُصرِّح، وقد يضرب أيضًا لمن يُورِّى عن الخَطْب العظيم بكناية عنه، ولمن يُوجب عليك ما لا يجب بكلامٍ يُلطِّفه. وأصله أن رجلاً من العرب نزل برجل من العرب عشاء فَغَبَقه لبنًا، فلما رَوِىَ عَلِقَ يحدِّث أمَّ مَثْواه بحديث يرقِّقه وقال فى خلال كلامه: إذا كان غدًا اصطبحنا وفعلنا كذا، ففطن له المنزول عليه وقال: أعَنْ صبوح تُرقِّق؟». وانظر: مجمع الأمثال (١/ ٤٨١)، وجمهرة الأمثال ص٧.

(٥) فى اللسان (١٩/ ٤٦): «وفى المثل: يُسِرُّ حَسْوًا فى ارْتغاء، يُضرب لمن يُظهر أمرًا وهو يريد غيره».

وما على مَنْ آمن بإنِّيَة الشيطان أنْ يؤمن بتخبُّطِه؟ ومن صدَّق بخلق الجن والغيلان أن يُصدِّق بعَزِيفِها وتَغَوُّلِها؟!

وما أخْرجَهُ إلى تجهيل العرب قاطبة وتكذيبِها وشاهدُها على صدق ما تقول كتابُ الله تعالى، ورسوله، وكتب الله المتقدمة، وأنبياؤه، وأممُ العجم كلها؟!

قد جعل الله «الجن» أحد الثَّقَلين، وخاطبهم فى الكتاب كما خاطبنا، وسمَّاهم رجالاً كما سمَّانا، فقال: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦].

وقال فى الحور العِين: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾[1] [الرحمن: ٥٦، ٧٤]، فدل على أن الجن تَطْمِث كما تطمث الإنسُ.

وأخبَرَنا عن طائفة منهم سمعوا القرآن فولَّوْا إلى قومهم مُنذِرين[2].

وقال: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[3] [البقرة: ٢٧٥]، والمَسُّ: الجنون، سُمِّى مسًّا لأنه عن إلمام الشيطان ومسِّه يكون.

هذا مع أخبار كثيرة صِحاح تُؤْثَرُ عن الرسول صلى الله عليه، وعن السلف فى الرِّئى[4] والنَّجِيِّ.

وما نُنكِر مع هذا أن الفَلَوات قد يَعْرِضُ فيها ما يذكرون، ولكنّ ذلك لا يُدْفَعُ به حقائق ما يسمعون ويُبصِرون.

ولم تكن العرب طُرًّا - مع أفهامها وألْبَابِها - لَتتواطأ على تخيُّل وظنون، ولا كلُّها

---

(١) انظر تفسير غريب القرآن ص٤٤٢.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأحقاف: ٢٩: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾.

(٣) انظر تفسير غريب القرآن ص٩٨.

(٤) فى اللسان (١٩/ ١٠): «الرئى - بفتح الراء وكسرها - جنى يتعرض للإنسان يُريه كهانة وطبًا... وفى حديث عمر - رضى الله عنه - قال لسَواد بن قارب: أنت الذى أتاك رَئِيُّك بظهور رسول الله ﷺ؟ قال: نعم...».

أسمعه الخوف، وأراه الجبن، فهذا أبو البلادِ الطُّهَوِىُّ[١]، وتأبَّطَ شرًّا[٢] ـ وهما من مَرَدَةِ العرب، وشياطين الإنس ـ يصفان الغول، ويُحَلِّيانها ويُساوِرانها.

وهذا أبو أيوبَ الأنصارى يَأْسِرُها[٣].

وهذا عمرُ رضى الله عنه يُصَارِع الجِنِّىَّ[٤].

---

(١) قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص١٦٣: «أبو الغول الطُّهَوِىُّ، هو من قوم من بنى طُهَيَّة يقال لهم: بنو عبد شمس بن أبى سود، يكنى أبا البلاد، وقيل له: أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولاً فقتله وقال: لقيت الغول تهوى جُنح ليل... إلخ». وهو شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية، وقد عاب حماد الراوية شعرًا له فقال يهجوه:

نِعْم الفتى لو كان يعرف ربَّه ... ويقيم وقتَ صلاته حمَّاد

وهى أبيات ذكرها أبو الفرج فى الأغانى (٥/ ١٧١). وقد قال الجاحظ عنه فى الحيوان (٦/ ٢٣٥) بعد نقله قصيدته التى قص فيها لقاء الغول: «وكان من شياطين الأعراب، وهو كما ترى يكذب وهو يعلم، ويطيل الكذب ويحبِّره». وقد ترجم له ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (١/ ٣٩٤، ٣٩٥).

(٢) راجع ترجمته وقصيدته التى زعم فيها أنه لقى الغول وقتلها فى: الشعر والشعراء (١/ ٢٧١ ـ ٢٧٣)، والأغانى (١٨/ ٢٠٩ ـ ٢١٨).

(٣) روى الترمذى (٢/ ١٤٤)، والحاكم فى المستدرك (٣/ ٤٥٨، ٤٥٩)، عن أبى أيوب الأنصارى أنه قال: «كانت لى سَهْوة فيها تمر، فكانت تجىء الغول كهيئة السِّنَّور فتأخذ منه، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: اذهب فإذا رأيتها فقل: بسم الله أجيبى رسول الله. قال: فأخذها فحلفت ألا تعود، فأرسلها، وجاء إلى النبى ﷺ فقال: ما فعل أسيرك؟ قال: حلفت ألا تعود، قال: كذبت وهى معاودة للكذب. قال: فأخذها مرة أخرى فحلفت ألا تعود، فأرسلها، ثم جاء إلى الرسول فقال: ما فعل أسيرك؟ قال: حلفت ألا تعود. قال: كذبت وهى معاودة للكذب. قال: فأخذها وقال: ما أنا بتاركك حتى أذهب إلى رسول الله، فقالت: إنى ذاكرة لك شيئًا: آية الكرسى، اقرأها فى بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره. فجاء إلى النبى ﷺ فقال: ما فعل أسيرك؟ فأخبره بما قالت، فقال: صدقت وهى كذوب».

قال أبو عيسى الترمذى: هذا حديث حسن غريب، وفى الباب عن أبى بن كعب.

وحديث «أبىٍّ» فى المستدرك (١/ ٥٦٢) وصححه على شرط الشيخين ولم يخرجاه. راجع أيضًا حياة الحيوان للدميرى (٢/ ٢٣٠).

والسهوة ـ كما فى اللسان (١٩/ ١٣٣): «شبيه بالرف والطاق يوضع فيه الشىء».

(٤) فى حياة الحيوان للدميرى (٢/ ٢٣١): «وفى مسند الدارمى (٢/ ٤٤٨) عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن فقال له: هل لك أن تصارعنى، فإن صرعتنى علَّمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان، فصارعه فصرعه الإنسى، وقال: إنى أراك ضئيلاً شَخِيتًا كأن ذراعيك ذراعا كلب، أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم؟ فقال: إنى منهم =

وما جاء فى هذا أكثرُ من أن نُحيطَ به.

فمن آمن بمحمد صلى الله عليه وبأنَّ ما جاء به الحقُّ، آمَنَ بجميع هذا، وشرح صدره به.

ومن أنكره لأنه لا يؤمن إلا بما أوْجَبَهُ النظر والقياس على ما شاهَد ورأى فى المَواتِ والحيوان ـ فماذا بقَّى على المسلمين؟ وأىَّ شىء ترك للملحدين؟

* * *

وذهب «أهل القَدَر» فى قول الله عز وجل: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ﴾ [النحل:٩٣، وفاطر:٨] إلى أنه على جهة التسمية والحكم عليهم بالضلالة، ولهم بالهداية.

وقال فريق منهم: يُضِلُّهم: يَنْسُبُهم إلى الضلالة، ويهديهم: يُبيِّنُ لهم ويُرْشِدُهم.

فخالفوا بين الحكمين، ونحن لا نعرف فى اللغة أفْعَلْتُ الرجل: نَسَبْتُه.

وإنما يُقالُ إذا أردت هذا المعنى: فَعَّلتُ. تقول: شجَّعت الرجل وجبَّنْتُه وسرَّقْتُه وَخطَّأْتُه وكفَّرْتُه وضلَّلْتُه وفسَّقْتُه وَفجَّرْتُه ولحَّنْتُه. وقُرِئ: ﴿إِنَّ ابْنَكَ سُرِّقَ﴾[1] [يوسف:٨١] أى نُسِبَ إلى السَّرِق.

ولا يقال فى شىء من هذا كله: أفْعَلْتُه؛ وأنت تريد نسبته إلى ذلك.

وقد احتج رجل من النحويين كان يذهب إلى «القَدر»[2] ـ لقول العرب: كذَّبْتُ

= لضليع، ولكن عاودنى الثانية، فإن صرعتنى علمتك، فصرعه الإنسى، فقال: تقرأ آية الكرسى، فإنها لا تُقرأ فى بيت إلا خرج منه الشيطان له خَبَج كخبج الحمار، ثم لا يدخله حتى يصبح، فقيل لعبد الله بن مسعود: أهو عمر؟ قال: ومن عسى أن يكون إلا عمر؟».

قوله: الضئيل، معناه الدقيق النحيف، والشَّخيت: الهزيل الخسيس المجفر الجنبين، والضليع: الوافر الأضلاع، والخبج: الضراط».

وانظر (باب ذكر مصارعة عمر للشياطين وخوف الشياطين منه) فى كتاب سيرة عمر لابن الجوزى ص٤٤.

(١) قرأ الجمهور: «سَرَق» ثلاثيًا مبنيًا للفاعل. وأما قراءة «سُرِّق» بتشديد الراء مبنيًا للمفعول فهى قراءة ابن عباس، وأبو زرين، والكسائى فى رواية، راجع: القراءات الشاذة لابن خالويه ص٦٥، والبحر المحيط (٥/ ٣٣٧).

(٢) فى (م): «إلى القدر، وهو أبو عمرو الجَرْمى» لكن قال الخطيب البغدادى فى ترجمته: «وكان ممن =

الرجل وأكْذَبْتُه ـ بقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾[1] [الأنعام:٣٣] ولا يُكْذِبُونَكَ، وذكر أنَّ أَكْذَبْتُ وكذَّبتُ جميعًا بمعنى: نَسَبْتُ إلى الكذب.

وليس ذاك كما تأوَّل، وإنما معنى أكذبتُ الرجل: ألفَيْتُهُ كاذبًا. وقولُ الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكْذِبُونَكَ﴾ بالتخفيف، أى: لا يجدونك كاذبًا فيما جئت به، كما تقول: أَبْخَلْتُ الرجل وأجْبَنْتُه وأَحْمَقْتُه، أى وجدته جبانًا بخيلاً أحمق.

وقال عمرو بن مَعدِيكرِب لبنى سُلَيم: «قاتَلناكم فما أجْبَنَّاكم، وسألناكم فما أبخلناكم، وهجوناكم فما أفحمناكم»[2] أى: لم نجدكم جُبَناء، ولا بُخلاءَ، ولا مُفْحَمِين.

وقال الكسائى: العرب تقول: أَكْذَبْتُ الرجل: إذا أخبرت أنه روايَةٌ للكذب، وكذَّبتُه: إذا أخبرت أنه كاذبٌ. ففرَق بين المعنيين[3].

= اجتمع له مع العلم صحة المذهب، وحسن الاعتقاد... وكان ذا دين وأخا ورع». راجع: تاريخ بغداد (٩/ ٣١٣ ـ ٣١٥)، وبغية الوعاة ص٢٦٨، وإنما قيل له الجرمى لأنه كان ينزل فى جرم، وهى من قبائل اليمن، واسمه صالح بن إسحاق، وهو بصرى قدم بغداد على الحسن بن سهل، وناظر الفرّاء وأفحمه. وتوفى سنة خمس وعشرين ومائتين.

(١) الآية بتمامها: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، وجاء فى البحر المحيط (٤/ ١١١): «وقرأ علىّ ونافع والكسائى بتخفيف يكذبونك، وقرأ باقى السبعة وابن عباس بالتشديد، فقيل: هما بمعنى واحد نحو: كثر وأكثر، وقيل: بينهما فرق... فعلى القول بالفرق يكون معنى التخفيف: لا يجدونك كاذبًا، أو لا ينسبون الكذب إليك. وعلى معنى التشديد يكون: إما خبرًا محضًا عن عدم تكذيبهم إياه، ويكون نسبة ذلك إلى كلهم على سبيل المجاز، والمراد به بعضهم؛ لأنه معلوم قطعًا أن بعضهم كان يكذبه ويكذب ما جاء به. وإما أن يكون نفى التكذيب لانتفاء ما يترتب عليه من المضار، فكأنه قيل: لا يكذبونك تكذيبًا يضرك، لأنك لست بكاذب، فتكذيبهم كلا تكذيب».

(٢) فى اللسان (١٦/ ٢٣٥): «قال عمرو بن معديكرب ـ وكان قد زار رئيس بنى سليم فأعطاه عشرين ألف درهم وسيفًا وفرسًا وغلامًا خبازًا وثيابًا وطيبًا ـ: «لله دركم يا بنى سليم، قاتلتها فما أجبنتها، وسألتها فما أبخلتها، وهاجيتها فما أفحمتها». وفيه (١٣/ ٤٩): «يا بنى سليم لقد سألناكم فما أبخلناكم». وفيه: (١٥/ ٣٣٦): «وهاجيناكم فما أفحمناكم، أى فما أسكتناكم عن الجواب». وانظر ترجمة عمرو بن معديكرب وأخباره فى: الأغانى (١٤/ ٢٥ ـ ٤١)، والشعر والشعراء (١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٦).

(٣) فى اللسان (٢/ ٢٠٢): «قراءة الكسائى: فإنهم لا يكذبونك، بضم الياء وتسكين الكاف، على معنى =

واحتج أيضًا لأَفْعَلْتُ فى معنى نَسَبْتُ بقول ذى الرُّمَّةِ يصف رَبْعًا:

وأسْقِيه حتَّى كادَ مِمَّا أَبُثُّه تُكلِّمُنى أحجارُهُ ومَلاعِبُهْ[(١)]

وتأوَّل فى أَسْقِيه معنى أُسقِّيه من طريق النِّسْبة.

ولا أعلم له فى هذا حجّة؛ لأنا نقول: قد أرْعَى الله هذه الماشية، أى: أنبتَ لها ما ترعاه، فكذلك تقول: أسقَى الله الربع، أى أنزل عليه مطرًا يَسقيه، وأنا أرعى الماشية، وأُسْقِى الربع، أى أدعو لها بالمرعى، وله بالسُّقْيَا.

واحتج آخر ببيتٍ ذكر أنه لِطَرَفَة:

وما زَال شُرْبِى الرَّاحَ حتَّى أشرنِّى صديقى وحتَّى ساءَنى بَعْضُ ذَلِك[(٢)]

وتوهَّمَ أن قوله «أشَرَّنى»: نسبنى إلى الشرّ.

وليس ذاك كما تأوَّل، وإنما أراد: شَهَرَنى وأذاعَ خبَرِى، من قولك: أشْرَرْتُ الأَقِطَ وشرَّرْتُه؛ إذا بسطته على شىء ليجف. وقال الشاعر وذكر يوم صِفِّين:

* وحتَّى أُشِرَّتْ بالأكُفِّ المصَاحِفُ[(٣)] *

يُرِيدُ: شُهِرَتْ وأُظهِرَتْ.

= لا يكذبون الذى جئت به إنما يجحدون بآيات الله ويتعرضون لعقوبته، وكان الكسائى يحتج لهذه القراءة بأن العرب تقول: كذبت الرجل: إذا نسبته إلى الكذب، وأكذبته: إذا أخبرته أن الذى يحدِّث به كذب».

(١) ديوانه ص٣٨، وأمالى المرتضى (٢/ ١١، ٨٥)، والجواليقى ص٣٢٠، والأضداد ص٨٣، واللسان (١٩/ ١١٤)، وفى ص١٧٠: «وأُشْكِيه حتى... قالوا: معنى أشكيه أى أبثُّه شكواى وما أكابده من الشوق إلى الظاعنين عن الربع حين شوَّقَتْنى معاهدُهم فيه إليهم»، والصاحبى ص١٩٢: «وأسأل حتى»، وتفسير الطبرى (١٤/ ١٦)، وكتاب سيبويه (٢/ ٢٣٥)، وشرح شواهد الشافية (ص٤١)، ونوادر أبى زيد ص٢١٣، وأساس البلاغة (١/ ٣٠)، ومجاز القرآن (١/ ٣٥٠).

(٢) ديوانه ص٥٥، واللسان (٦/ ٦٧)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٨١).

(٣) فى اللسان (٦/ ٦٩): «وأشرَّ الشىء: أظهره، قال كعب بن جُعَيْل، وقيل: إنه للحُصين بن الحُمام المُرِّىِّ يذكر يوم صِفِّين:

فمـا بَرِحُوا حتى رأى اللهُ صبرَهم وحتى أُشِرَّتْ بالأكُفِّ المصاحفُ»

والشرط غير منسوب فى مقاييس اللغة (٣/ ١٨١)، والبيت كذلك فى إصلاح المنطق ص٢٨٦، وفى وقعة صفين ص٣٣٦ لكعب بن جعيل، وفى ص٤١١ لأبى جهمة الأسدى، وذكره ابن قتيبة فى =

ورَوى عبدُ الله بن محمد بن أسماء، عن جُوَيْرِية قال: كنتُ عند قَتَادَة فسُئل عن القَدَر، فقال: ما زالت العرب تُثْبِت القَدَرَ فى الجاهلية والإسلام.

وحدثنى أبو حاتم: سهل بن محمد، عن الأصمعى قال: قلت لِدرْوَاسٍ الأعرابىّ: ما جعل بنى فلان أشرفَ من بنى فلان؟ قال: الكتابُ. يعنى القَدَرَ، ولم يقل: المكارمُ والفَعال.

وكان الأصمعى يُنشد من الشعر أبياتًا فى «القَدَر» ذكَرْتُها وغيرها، قال: أنشدنى عيسى بن عمرَ لِبَدَوِىّ:

كلُّ شَىْءٍ حتى أخِيكَ مَتَاعُ ... وبِقَــدْرٍ تَفَرُّقٌ واجتمــاعُ[1]

وقال المَرَّارُ بن سعيد الأسَدِىُّ[2]:

وَمَنْ سَابِقُ الأقدارِ إذْ دَأَبَتْ به ... وَمَنْ نائلٌ شيئًا إذا لم يُقَــدَّرِ؟

وقال جميلٌ:

أُقدِّرُ أمرًا لستُ أدرى أنالُه؟ ... وما يَقْدِرُ الإنسانُ فاللهُ قادرُ

وقال ابن الدُّمَيْنَة:

زُورُوا بنَا اليومَ سَلْمَى أيُّهَا النَّفَرُ ... ونحنُ لَمَّـا يُفرِّقْ بيننا القَــــدَرُ[3]

= أدب الكاتب ص٣٥١ ولم ينسبه. وقال ابن السِّيد فى الاقتضاب ص٣٧٨: «هذا البيت للحصين ابن الحمام المرى، قاله فى حرب صفين، وذلك أن معاوية لما رأى أمر علىٍّ يقوى، وأمرَه يضعف، شاور عمرو بن العاص، وقال له: ما ترى؟ فقال: مُر الناس برفع المصاحف، فأمر بخمسمائة مصحف فرفعت. فلما علم أصحاب على ذلك كفوا عن القتال، فقال لهم: إن هذه خديعة. فسألوهم ما شأن هذه المصاحف؟ فقال معاوية: نجعل القرآن حكمًا بيننا ونثوب إلى السلم، فكان ذلك سبب تحكيم الحكمين: عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى، وخروج الخوارج...».

(١) فى اللسان (٦/ ٣٨٢): «والقدر ـ بفتح الدال ـ كالقدر ـ بسكونها ـ وجمعهما جميعًا: أقدار، وقال اللحيانى: القدر ـ بالفتح ـ الاسم، والقدر بالسكون ـ المصدر، وأنشد: كلُّ شىء حتى أخيك... إلخ».

(٢) المرار شاعر إسلامى من مخضرمى الدولتين، كان يهاجى المساور بن هند، راجع ترجمته فى: الشعر والشعراء: (٢/ ٦٨ ـ ٨١)، والأغانى: (٩/ ١٥٨ ـ ١٦١)، ومعجم الشعراء ص٤٠٨، ٤٠٩.

(٣) ديوانه ص٤٨.

وقال الفَرَزْدَق:

نَدِمْتُ نَدامــةَ الكُسَعِيِّ لَمَّا ... غَــدَتْ مِنِّى مُطلَّقــةً نَوَارُ[(١)]
ولو ضَنَّتْ بها كَفِّى ونَفْسِى ... لَكـانَ علىَّ للقَـدَرِ الخِيَـارُ[(٢)]

وقال القَسُّ[(٣)]:

قد كُنْتُ أَعْذِلُ فى السَّفاهةِ أهلَها ... فاعْجَـبْ لِمَــا تأتى به الأيَّـامُ
فاليَـومَ أَعْـذِرُهم، وأَعْلَمُ أنَّمـا ... سُبُلُ الغَـوايَةِ وَالهُـدَى أقسَامُ

وقال ابن أحْمَرَ[(٤)] حين سُقِىَ بطنُه:

---

(١) ديوانه ص٣٦٣، والكامل (١/ ٨٢)، واللسان (١٠/ ١٨٦)، وروى المبرد بسنده عن أبى شَفْقَل راوية الفرزدق قال: قال لى الفرزدق يومًا: امض بنا إلى حلقة الحسن ـ البصرى ـ فإنى أريد أن أطلّق النوار، فقلت: إنى أخاف عليك أن تتبعها نفسك، ويشهد عليك الحسن وأصحابه، فقال: امض بنا، فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال: كيف أصبحت يا أبا سعيد؟ فقال: بخير، كيف أصبحت يا أبا فراس؟ قال: تعلمن أن النوار منى طالق ثلاثًا، فقال الحسن وأصحابه: قد سمعنا. قال: فانطلقنا، فقال لى الفرزدق: يا هذا، إن فى قلبى من النوار شيئًا، فقلت: قد حذرتك. فقال: ندمت ندامة الكسعى... إلخ». والكُسَعِىُّ: هو مُحارب بن قيس من بنى كُسَيْعة، الذى يضرب به المثل فى الندامة، وهو راجل رام رمى بعدما أسْدَف الليل عَيْرًا فأصابه، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولاً، وانظر تفصيل قصته وأشعاره فيها فى اللسان (١٠/ ١٨٦، ١٨٧).

(٢) فى الكامل: «ولو أنى ملكت يدى ونفسى» وقبل هذا البيت:

وكانت جنَّتى فخرجتُ منها ... كآدمَ حين أخرجــه الضرارُ

(٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمار، من بنى جُشْم بن معاوية، وكان فقيهًا، عابدًا من عبّاد مكة، وكان يسمى القس لعبادته، وقد فتن بسلاّمة المغنية، جارية سهيل بن عبد الرحمن، وشاعت فتنته بها وظهرت، فغلب عليها لقبه، وسميت سلامة القس، وفى ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرُّقيَّات:

لقــد فتنتْ ريًّا وسلاَّمــةُ القسَّا ... فلم تتركا للقس عقلاً ولا نفسَا

راجع تفصيل ذلك فى: الأغانى: (٨/ ٦، ٧)، وعيون الأخبار (٤/ ١٣٤، ١٣٥).

(٤) هو أبو الخطاب عمرو بن أحمر الباهلى، شاعر جاهلى صحيح الكلام، كثير الغريب، أدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازى الروم وأصيبت عينه هناك، ونزل الشام وعمره تسعين سنة، وسقى بطنه فمات فى عهد عثمان، راجع ترجمته فى: الشعر والشعراء (١/ ٣١٥ ـ ٣١٨)، ومعجم الشعراء ص٢١٤، وطبقات الشعراء ص٤٩٢، ٤٩٣.

شَرِبْنَا وَدَاوَيْنَا وَمَا كانَ ضَرَّنَا ـ إذا اللهُ حَمَّ القَـدْرَ ـ ألاَّ نُداوِيَا(١)

وقال الشَّمَّاخ:

وإنِّى عَدَانِى عنكما غَيْرَ مَاقِتٍ نَوَارانِ مكتـوبٌ علىَّ بُغَاهُمَـا(٢)

أى حاجتان عسيرتان. والنَّوار: النَّفورُ. مكتوب علىّ: أى مَقْدُورٌ علىَّ طلبهُما.

وقال الأعْشَى:

فى فِتْيَةٍ كَسُيوفِ الهِنْـدِ قَـدْ عَلِمُوا أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِى الحِيلَةِ الحِيَلُ(٣)

يعنى: هم موقِنُون بأن ما قُدِّرَ وحُتِم لا يُدفع بالحيلة، فهم مُوَطِّنُون أنفسَهم عليه.

وقال أبو زُبَيْد:

فلا تَكُ كالمَوْقُوصِ عَنْ ظَهْرِ رَحْلِه تَرَدَّتْ به أسبَابُهُ وَهْــوَ يَنْظُـرُ

أسبابُهُ: المقادير، تردّت به وهو ينظر لا يَقدِرُ أن يَدفَع ذلك.

والمَوْقُوص: الذى قد اندقَّت عُنُقُه.

وقال الراعى:

وهُنَّ يُحَاذِرْنَ الرَّدَى أنْ يُصِيبَنى ومن قَبْلِ خَلْقى خُطَّ ما كُنْتُ لاقِيَا
وكـائِنْ تَرى مِنْ مُسْعَـفٍ بِمَنِيَّةٍ يُجَنَّبُهَـا أو مُعْصِمٍ لَيْسَ نَاجِيَـا(٤)

وقال أُفْنُون التَّغْلبى(٥):

---

(١) البيت من قصيدة ذكرها المؤلف فى الشعر والشعراء (١/ ٣١٦)، وذكره أيضًا فى عيون الأخبار (٣/ ٢٧٤): «حمَّ المرء».

(٢) فى ديوانه ص٨٨: «عنكم». عدانى: صرفنى وشغلنى، غير ماقت: مبغض، ونواران: تثنية نوار، وهى النفور من الريبة. والمعنى: إن طلب وصل هاتين المرأتين حبسه عمن يخاطب. وقد ذكر البيت المؤلف فى كتاب المعانى الكبير (٢/ ٨٧١).

(٣) ديوانه ص٤٥: «علموا: أيقنوا أن ما قدر الله لا بد منه، ويروى: «عن ذى الحيلة الأجَلُ».

(٤) فى اللسان (١١/ ٥٣): «وكل شىء دنا فقد أسعف، ومنه قول الراعى: وكائِنْ ترى مِنْ مُسْعِفٍ بِمَنِيَّة».

(٥) لقب لشاعر جاهلى، اسمه: صُرَيم بن معشر بن ذُهْل، لقب بذلك لأنه قال فى بيت: «إنّ للشباب أُفنونًا». راجع ترجمته فى: الشعر والشعراء (١/ ٣٨٢)، والمؤتلف والمختلف ص١٥١.

لَعمْرُك ما يَدرى الفتى كيفَ يَتَّقِى ... إذا هُــوَ لم يَجعلْ له اللهُ وَاقِيَـا[١]

وقال لَبِيد بن ربيعة العَامِرِى:

إنَّ تَقْوَى رَبِّنَـا خَيْرُ نَفَلْ ... وبإذْنِ اللهِ رَيْثِى وَعَجَــلْ[٢]

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخيرِ اهتَـدَى ... نَاعِمَ البَالِ، وَمَنْ شَاءَ أَضَلْ

أفتُرَى لبيدًا أراد بقوله «من شاء أضل»: أى سُمِّى ضالاً؟ لا لَعَمرُ الله ما عَرَف هذا لبيدٌ ولا وجدَه فى شىء من اللغات. والمعنى فى ضلَّلت، وأضللت، ويَشْرَح صَدرَهُ للإسلام، ويجعل صدره ضيقًا حَرِجًا ـ يَمتنِعُ على التأويل المطلوب بالحيلة عند من عرف اللغة.

وربما جعلت العربُ «الإضلال» فى معنى الإبطال والإهلاك؛ لأنه يؤدِّى إلى الهَلَكَة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٣] [السجدة: ١٠]، أى بَطلنا ولَحِقنَا بالتراب وصرنا منه. والعرب تقول: ضلّ الماء فى اللبن؛ إذا غلب اللبن عليه فلم يتبَيَّن.

وقال النابغة الذبيانى يرثى بعض الملوك:

وآبَ مُضِلُّوهُ بعَيْنٍ جَلِيَّـةٍ ... وغُودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ ونائِلُ[٤]

---

(١) البيت من أبيات فى المفضليات ص٢٦١، والشعر والشعراء (١/ ٣٨٢)، والمؤتلف ص١٥١، والصناعتين ص١٦٤، وتاج العروس (١٠/ ٣٩٨).

(٢) ديوانه ص١١، وبين البيتين فيه:

أحمَـــدُ اللهَ فلا ندَّ له ... بيديه الخيرُ ما شاء فَعَلْ

والبيت الأول فى الكامل (٢/ ٢٤٦)، ونظام الغريب ص٢٣٧، واللسان (١٤/ ١٩٤)، والنفل ـ بالتحريك ـ الغنيمة والهبة، والثانى فى اللسان (١٣/ ٤١٥).

(٣) انظر تفسير غريب القرآن ص٣٤٦.

(٤) الجمهرة (٣/ ٢٢٨، ٢٦٠)، والأمالى (١/ ٢٤٧)، والحيوان (٣/ ٤٨٩)، وفى اللسان (١٣/ ٤١٩): «وأُضِلَّ الميتُ: إذا دُفن، ورُوى بيتُ النابغة الذبيانى يَرْثى النعمان بن الحارث بن أبى شَمِر الغسانى:

فإنْ تَحْىَ لا أملكْ حياتى وإنْ تَمُتْ ... فمــا فى حياة بعــد موتك طائلُ

فآبَ مُضِلُّـوه بعيــنٍ جَلِيَّـــةٍ ... وغُــودِرَ بالجَــوْلان حَزْمٌ ونائلُ

يريد بمضليه: دافنيه حين مات. وقوله: بعين جلية؛ أى بخبر صادق أنه مات. والجولان: موضع بالشام. أى دُفن بدَفْن النعمان الحزمُ والعطاءُ». وانظر البحر (٢/ ٤٨٩).

أى قابِروه، سمَّاهم مضلِّين لأنهم غيَّبوه وأفقدوه فأبطلُوه.

* * *

هذا مذهب العرب فى «القَدَر» وهو مذهب كل أمة من العجم، وأنّ الله فى السماء، ما تُرِكَت على الجِبلَّة والفِطرَة، ولم تُنْقَل عن ذلك بالمقاييس والتَّلْبِيس.

وقد أَعْلَمتُك فى كتاب «غريب الحديث» أن فريقًا منهم يقولون: لا يلزمنا اسم «القَدَر» من طريق اللغة؛ لأنه يُتَأوَّل علينا أنا نقول: لا قَدَر، فكيف نُنسَبُ إلى ما نَجْحَدُ؟

وأن هذا تمويهٌ، وإنما نُسِبوا إلى «القَدَر» لأنهم يضيفونه إلى أنفسهم، وغيرُهم يجعله لله دون نفسه، ومُدَّعى الشىء لنفسه أَوْلَى بأن ينسب إليه ممن جعله لغيره.

* * *

وأما الطاعنون على القرآن بـ«المجاز» فإنهم زعموا أنه كَذِبٌ، لأن الجِدارَ لا يُرِيدُ، والقَرية لا تُسأل.

وهذا من أشنع جهالاتهم، وأدلِّها على سوء نظرهم، وقلة أفهامهم.

ولو كان[1] المجاز كَذِبًا، وكلُّ فعل يُنسب إلى غير الحيوان باطلاً ـ كان أكثرُ كلامِنا فاسدًا؛ لأنا نقول: نَبَتَ البقلُ، وطالت الشّجرة، وأَيْنَعَت الثمرة، وأقام الجبل، ورَخُصَ السِّعر.

وتقول: كان هذا الفعل منك فى وقت كذا وكذا، والفعل لم يكن وإنما كُوِّن.

وتقول: كان الله. وكان بمعنى حَدَث، والله جل وعز قبل كل شىء بلا غاية، لم يحدث فيكونَ بعد أن لم يكن.

والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾ [محمد:٢١] وإنما يُعزم عليه[2].

ويقول تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة:١٦] وإنما يُرْبَحُ فيها.

ويقول: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف:١٨] وإنما كُذِّب به.

---

(١) نقل هذا الكلام ابن رشيق فى العمدة (١/ ٢٣٦).

(٢) أحال فى تفسير غريب القرآن ص٤١١ على ما هنا.

ولو قلنا(١) للمُنكر لقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف:٧٧]: كيف كنت أنت قائلاً في جدار رأيتَه على شَفَا انهيار: رأيتَ جدارًا ماذا؟ لم يَجد بُدًّا من أن يقول: جدارًا يَهُمُّ أن ينقضّ، أو يكاد أن ينقضّ، أو يقارب أن ينقضّ. وأيًّا ما قال فقد جعله فاعلاً، ولا أحسبُه يصلُ إلى هذا المعنى في شيء من لغات العجم إلا بمثل هذه الألفاظ.

وأنشدني السِّجستَاني عن أبي عبيدة في مثل قول الله: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾(٢):

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَـدْرَ أَبِي بَرَاءٍ ... ويَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ(٣)

وأنشد الفرّاء:

إِنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلِي بِجُمْلٍ ... لَزَمَـــانٌ يَهُمُّ بالإحســانِ(٤)

والعرب تقول: بأرض فلان شجرٌ قد صاح؛ أي طال، لَمَّا تَبَيَّنَ الشَّجَرُ للنّاظرِ بطوله، ودلَّ على نفسه جعله كأنه صائحٌ؛ لأن الصائح يدلُّ على نفسه بصوته.

ومثله قولُ العجَّاج:

* كالكَرْمِ إِذْ نَادَى مِنَ الكافُورِ(٥) *

---

(١) نقل هذا الكلام ابن رشيق في العمدة (١/ ٢٣٦).

(٢) نص كلام أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٤١٠): «يريد أن ينقض» وليس للحائط إرادة، ولا للموت، ولكنه إذا كان في هذه الحال من ربه فهو إرادته، وهذا قول العرب في غيره. قال [الحارثي]: يريد... بني براء... عقيل» ومجازه: يقع، يقال: انقضت الدار: إذا انهدمت وسقطت. وقرأ قوم: «أن يَنْقاضَ» ومجازه: أن ينقلع من أصله ويتصدع، بمنزلة قولهم: قد انقاضت السِّنُّ؛ أي انصدعت وتقلعت من أصلها، يقال: فِراقٌ كقَيْضِ السِّنِّ، أي لا يجتمع أهله. قال:

فِراقٌ كقَيْضِ السِّنِّ، فالصبرَ إنه ... لكـلِّ أُناسٍ عَثْرةٌ وَجُبُـورُ

(٣) مجاز القرآن (١/ ٤١٠)، والبيت في الصناعتين غير منسوب ص٢١٢، وتفسير الطبري (١٦/ ١٨٦)، وكذلك في اللسان (٤/ ١٧١)، وفيه: «ويَعْدل عن دماء».

(٤) البيت غير منسوب في أمالي المرتضى (٤/ ٥٥)، والصناعتين ص٢١٢ وفيه: «شملي بسلمى»، وتفسير الطبري (١٥/ ١٨٧).

(٥) ديوانه ص٢٧، وقبله:

غرَّاء تَسْبي نظَر النظـور ... بفاحم يعكُف أو منشور

وهو في الجمهرة (٣/ ٣٨٩) له، وكذلك المخصص (١٠/ ٢١٦)، واللسان (١٢/ ١١٢)، والعمدة =

ويقال: هذا شجرٌ واعدٌ؛ إذا نورَّ، كأنه لما نَوَّرَ وَعَد أن يُثمر.

ونباتٌ واعدٌ؛ إذا أقْبَلَ بمَاءٍ ونَضْرةٍ.

قال سُويدُ بن كُرَاعٍ[1]:

رَعَى غَيْرَ مَذْعُورٍ بِهِنَّ وَرَاقَهُ ... لَعَاعٌ تَهَادَاهُ الدَّكَادِكُ وَاعِـــدُ[2]

فى أشباه لهذا كثيرة، سنذكر ما نحفظ منها فى كتابنا هذا مما أتى فى كتاب الله عز وجل، وأمثاله من الشعر ولغات العرب، وما استعمله الناس فى كلامهم.

ونبدأ بباب الاستعارة؛ لأن أكثر المجاز يقع فيه.

* * *

= (١/ ٢٣٨)، ومبادئ اللغة ص١٧٨، وفى اللسان (٦/ ٤٦٥): «كافور الطلعة: وعاؤها الذى ينشق عنها، سمى كافورًا لأنه قد كَفَرها، أى غطاها. وقول العجَّاج: كالكرم... إلخ. كافور الكرم: الورق المغطى لما فى جوفه من العنقود، شبهه بكافور الطلع لأنه ينفرج عما فيه».

(١) سويد بن كراع العُكْلِى: شاعر فارس مقدم، من شعراء الدولة الأموية، كان فى آخر أيام جرير والفرزدق، راجع ترجمته فى: الشعر والشعراء (٢/ ٦١٦، ٦١٧)، وطبقات الشعراء (ص١٤٧ ـ ١٤٩)، والأغانى (١١/ ١٢٧ ـ ١٣٠).

(٢) البيت له فى اللسان (٤/ ٤٧٩)، والعمدة (١/ ٢٣٨)، وهو غير منسوب فى الأمالى (١/ ١٨١)، والمخصص (١٠/ ١٨٣)، وعجزه له فى الصناعتين ص٢١٢، وفى اللسان (١٠/ ١٩٥): «قال سويد ابن كُراع ووصف ثورًا وكلابًا: رعى غير مذعور... إلخ. راقه: أعجبه. واعد: يُرْجَى منه خير وتمامُ نباتٍ. واللعاع: نبت ناعم فى أول ما ينبت».

باب الاستعارة

فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسببٍ من الأخرى، أو مُجاوراً لها، أو مُشَاكِلاً. فيقولون للنبات: نوءٌ؛ لأنه يكون عن النوء عندهم.

قال رُؤْبة بن العجّاج:

* وَجفَّ أَنْوَاءُ السَّحَابِ المُرْتَزَقْ(١) *

أى جفَّ البَقْل.

ويقولون للمطر: سماءٌ؛ لأنه من السماء ينزل، فيقال: ما زلنا نَطأُ السماء حتى أتيناكم.

قال الشاعر(٢):

إذا سَقَطَ السَّماءُ بأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنَاهُ وإنْ كانُوا غِضَـابَا(٣)

ويقولون: ضَحِكَتِ الأرض: إذا أنبتت؛ لأنها تُبدِى عن حُسْن النبات، وتَنْفَتِقُ عن الزَّهرِ، كما يَفْتَرُّ الضاحكُ عن الثَّغر، ولذلك قيل لطَلْع النخل إذا انفتق عنه كافورُهُ:

---

(١) المخصص (١٠/ ١٢٩)، والصناعتين ص٢١١، وفى ديوانه ص١٠٥:

وجفَّ أنواءُ الربيـعِ المُرتَزقْ ... واستَنَّ أعرافُ السَّفا على القِيَقْ

وانظر لشرح الأخير: اللسان (١٢/ ٢٠١).

(٢) هو مُعوِّد الحُكماء، معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب، كما فى الاقتضاب ص٣٢٠، واللسان (١٩/ ١٢٣)، ومعجم الشعراء ص٣٩١، والمفضليات ص٣٥٩.

(٣) البيت غير منسوب فى الصناعتين ص٢١٢، ومقاييس اللغة (٣/ ٩٨)، وفى الأمالى (١/ ١٨١): «وأنشد ابن قتيبة: إذا سقط السماء... إلخ. وقال أبو بكر: يقال: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، أى مواقع الغيث». ونسبه ابن رشيق فى العمدة (١/ ٢٣٧) لجرير بن عطية. وصدره غير منسوب فى الصاحبى ص٦٣.

وقال ابن السيد فى شرحه: «يقول: إذا نزل المطر بأرض قوم فأخصبت بلادهم وأجدبت بلادنا سرنا إليها فرَعَيْنا نباتها، وإن غضب أهلها لم نبال بغضبهم لعزتنا ومنعتنا».

الضَّحْكُ[١]؛ لأنه يبدو منه للناظر كبياض الثغر. ويقال: ضَحكت الطَّلْعَةُ، ويقال: النَّوْرُ يُضَاحِكُ الشمس؛ لأنه يدور معها.

وقال الأعْشَى يذكر رَوْضَةً:

يُضَاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُـؤَزَّرٌ بِعَمِيـمِ النَّبْـتِ مُكْتَهِـلُ[٢]

وقال آخر:

* وضَحِكَ المُزْنُ بها ثُمَّ بَكَى[٣] *

يريد بضحكه: انعقَاقَه[٤] بالبرق، وببكائه: المطر.

ويقولون: لَقِيتُ من فلان عَرَقَ القِربَة، أى شِدَّةً ومشقَّةً. وأصل هذا أن حامل القِربَة يَتْعَبُ فى نَقْلِها حتى يَعْرَقَ جبينُه، فاستُعير عَرَقُها فى موضع الشِّدة[٥].

ويقول الناس: لقيتُ من فلانٍ عَرَقَ الجبين، أى شِدَّة.

ومثل هذا فى كلام العرب كثير يطول به الكتاب، وسنذكر ما فى كتاب الله تعالى منه.

* * *

فمن الاستعارة فى كتاب الله قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[٦] [القلم: ٤٢] أى عن شِدَّةٍ من الأمر، كذلك قال قَتَادَةُ. وقال إبراهيم: عن أمر عظيم.

---

(١) اللسان (١٢/ ٣٤٦).

(٢) الصناعتين ص٢١٢، واللسان (٥/ ٧٦)، وديوانه ص٤، وفى اللسان (١٤/ ١٢٢): «وقول الأعشى: يضاحك الشمس، معناه: يدور معها، ومضاحكته إياها: حسن له ونضرة. والكوكب: معظم النبات. والشرق: الريان الممتلئ ماء. والمؤزر: الذى صار النبات كالإزار له. والعميم: النبت الكثيف الحسن، وهو أكثر من الجميم، يقال: نبت عميم ومعتم وعمم. واكتهلت الروضة: إذا عمها نبتها».

(٣) الصناعتين ص٢٣٩، والحيوان (٣/ ٧٥)، غير منسوب فيهما، وهو فى أمالى المرتضى (٢/ ٩٤). لدُكَيْن الراجز، وقبله فيه: «جنَّ النبات فى ذُراها وزَكا».

(٤) الانعقاق: الانشقاق.

(٥) قال الأصمعى: «عَرَق القربة معناه الشدة، ولا أدرى ما أصله». وانظر أقوال العلماء فى معنى هذا القول فى اللسان (١٢/ ١١١، ١١٢).

(٦) أحال فى تفسير غريب القرآن ص٤٨١ على ما هنا.

وأصل هذا أنّ الرجل إذا وَقَعَ في أمرٍ عظيم يحتاج إلى معاناته والجدّ فيه شَمَّر عن ساقِه، فاستُعيرت «الساق» في موضع الشدة.

وقال دُرَيْد بن الصِّمَّة:

كَمِيشُ الإزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ على الجَلاَّءِ طَلاَّعُ أنْجُــدِ[١]

وقال الهُذَلي[٢]:

وكُنْتُ إذا جَارِي دعَـا لِمَضُوفَةٍ أُشَمِّرُ حتَّى يَنصُفَ السَّاقَ مِئْزَرِي

ومنه قول الله عز وجل: ﴿**وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾[٣] [النساء:٤٩]، ﴿**وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً**﴾[٤] [النساء:١٢٤]، و«الفَتِيل»: ما يكون في شقِّ النّواة. و«النَّقِيرُ»: النُّقْرَةُ في ظهرها. ولم يُرِد أنهم لا يظلمون ذلك بعينه، وإنما أراد أنّهم إذا حُوسِبُوا لم يُظْلَموا في الحساب شيئًا ولا مِقْدَار هذين التافهين الحقيرين.

والعرب تقول: ما رَزَأْتُه زِبَالاً. و«الزِّبَالُ»: ما تحمله النَّملة بفمها، يريدون: ما رَزَأْتُه شيئًا.

وقال النابغة الذُّبْيَاني:

يَجْمَعُ الجَيْشَ ذا الأُلُوفِ ويَغْزُو ثُمَّ لا يَرْزَأُ العَـــدُوَّ فَتِيلا[٥]

---

(١) البيت له من قصيدة في الأصمعيات ص١١٣، وجمهرة أشعار العرب ص١١٨، وديوان المعاني (١/ ٥٦)، والصناعتين ص٣٠٥: «صبور على العزاء»، وحماسة أبي تمام بشرح التبريزي (٢/ ٣٠٨): «بعيد من الآفات طلاع أنجد». وكميش الإزار: مثَل في الجد والتشمير، والكمش والكميش: الخفيف السريع الحركة، وأضاف الكميش إلى الإزار على المجاز، كما يقال: عفيف الحُجْزة، ونقيُّ الجيب. وقوله: «خارج نصف ساقه: يصفه بالتشمير. وبعيد من الآفات: يريد أنه لا داء به وهو سليم الأعضاء»، والبيت غير منسوب في اللسان (١٣/ ١٢٣) وفيه: «الجلاء: الخصلة العظيمة».

(٢) هو أبو جُنْدَب الهُذَلي، كما في ديوان الهذليين، القسم الثالث ص٩٢، واللسان (١١/ ١١٥، ٢٤٤، ١٧/ ٢٤٨)، وهو في الأضداد ص١١٣، والمخصص (١٢/ ١٢٥)، والخزانة (٣/ ٣٢١)، وشرح شواهد الشافية ص٣٨٣. ومضوفة: أي أمر ضافه، أي نزل به وشق عليه، وإنما يخبر عن حاله وليس يخبر بكنتُ عما مضى من فعله.

(٣) انظر تفسير غريب القرآن ص٢٥٩.

(٤) انظر الصناعتين ص٢٠٥.

(٥) البيت للنابغة في هجاء النعمان بن المنذر، أو قاله على لسانه حاسدوه، كما في الشعر والشعراء =

وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾(١) [فاطر:١٣] وهو «الفُوفَةُ» التى فيها النّواة. يريد: ما يملكون شيئًا.

ومنه قوله عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾(٢) [الفرقان:٢٣] أى قصَدْنا لأعمالهم وعَمَدنا لها. والأصل أنّ مَنْ أراد القُدُومَ إلى موضع عَمَدَ له وقَصَدَهُ.

و«الهباء المنثور»: ما رأيتَه فى شعاع الشمس الداخل من كُوَّة البيت.

و«الهباء المُنْبَثُّ»: ما سَطع من سَنابِكِ الخيل. وإنما أراد أنّا أبْطَلْنَاهُ كما أنّ هذا مُبطَلٌ لا يُلْمَس ولا يُنتفع به.

ومنه قوله: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾(٣) [إبراهيم:٤٣] يريد أنها لا تَعِى خيرًا؛ لأن المكان إذا كان خاليًا فهو هواءٌ حتى يَشغلَهُ الشىءُ.

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾(٤) [الكهف:٢١] يريد أطْلَعْنَا عليهم. وأصل هذا أنّ من عَثَر بشىءٍ وهو غافل نظر إليه حتى يَعرِفه، فاستُعِيرَ العِثَارُ مكان التّبيُّن والظهور. ومنه يقول الناس: ما عثرتُ على فلانٍ بسوء قطُّ؛ أى ما ظهَرتُ على ذلك منه.

* * *

ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾(٥) [ص:٣٢] أراد الخيلَ، فسمَّاها الخَيْرَ لما فيها من المنافع.

= (١/ ١١٧)، وللنابغة فى الصناعتين ص٢٠٦، والأغانى (٩/ ١٦٦)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٧٢)، وهو لعبد القيس بن خُفاف البُرجمى فى هجاء النعمان، كما فى الحيوان (٤/ ٣٧٩). ومعنى لا يرزأ: لا ينقص، يقال: ما رزأته ماله؛ أى ما نقصته.

(١) انظر الصناعتين ص٢٠٦.

(٢) انظر تفسير غريب القرآن ص٣١٢.

(٣) انظر تفسير غريب القرآن ص٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٤) انظر تفسير غريب القرآن ص٢٦٥.

(٥) انظر المعانى الكبير (١/ ٨٥).

قال الرَّاجز[١] بعد أن عدَّد فضائلها وأسبابَ الانتفاع بها:

* فالخيلُ والخيراتُ فى قَرَنَيْنِ[٢] *

وقال طُفَيْل:

وللخيلِ أيَّامٌ فمَنْ يَصْطَبِرْ لَهَا ويَعْرِفْ لها أيَّامَهَا الخيرَ تُعْقِبِ[٣]

* * *

ومنه قوله عز وجل: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ أى كان كافرًا فهديناه وجعلنا له إيمانًا يَهْتدى به سُبُلَ الخير والنَّجَاة ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الانعام:١٢٢] أى فى الكُفْر. فاستعار «الموت» مكانَ الكُفْرِ، و«الحياةَ» مكَان الهداية، و«النّورَ» مكان الإيمان.

ومنه قوله عز وجل: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾[٤] [الشرح:٢] أى إثْمَكَ. وأصل الوِزْر: ما حمله الإنسان على ظهره، قال الله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾[٥] [طه:٨٧] أى أحمالاً من حُلِيِّهم، فشبَّه الإثمُ بالحمل، فَجُعِلَ مكانَه. وقال فى موضع آخر: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[٦] [العنكبوت:١٣] يريد: آثامهم.

* * *

ومن ذلك قوله: ﴿وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[٧] [البقرة:٢٣٥] أى نكاحًا، لأن النكاح يكون سرًا ولا يظهر، فاستُعِيرَ له السرُّ.

---

(١) هو أبو ميمون العِجْلى: النضر بن سلمة، وقد ذكر ابن قتيبة بعض هذه الأرجوزة الطويلة فى عيون الأخبار (١/ ١٥٦)، وذكرها كلها مع شرحها فى المعانى الكبير (١/ ١٧٠ ـ ١٧٦).

(٢) فى عيون الأخبار: «فى قرينين»، وفى المعانى (١/ ٨٥، ١٧٦): «كالقرينين»، والخزانة (٣/ ٦٤٣).

(٣) ديوانه ص١٦. «يقول: الخيل تأتى بالغنم، فمن يعرف لها أيامها الخير أعقبته، قال: والخير صفة للأيام. قال أبو حاتم: كان سيبويه يقول: ويعرف لها أيامها تعقبه الخير...». والبيت له فى المعانى الكبير (١/ ٨٥)، والخزانة (٣/ ٦٤٢)، والإنصاف ص٢٥٧، والصناعتين ص٢١٣.

(٤) انظر تفسير غريب القرآن ص٥٣٢.

(٥) انظر تفسير غريب القرآن ص٢٨١.

(٦) انظر تفسير غريب القرآن ص٣٣٧.

(٧) انظر تفسير غريب القرآن ص٩٠.

قال رُؤْبَة:

* فَعفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ العَسَقْ[١] *

والعَسَق: الملازمة.

ومنه قوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾[٢] [البقرة:٢٢٣] أى: مُزْدَرَعٌ لكم كما تُزْدَرَعُ الأرض.

ومنه قوله: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة:٢٦٧] أى تَتَرَخَّصُوا. وأصل هذا أن يصرفَ المرء بصره عن الشيءِ ويُغمِضَه، فسُمِّى التَّرَخُّصُ إِغْمَاضًا. ومنه يقولُ الناس للبائع: أَغْمِضْ وغمِّض. يريدون: لا تستقص وكن كأنّك لم تُبْصِر.

ومنه قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧] لأنَّ المرأة والرجل يتجردان ويجتمعان فى ثوب واحد، ويَتَضَامَّانِ فيكون كلٌّ واحدٍ منهما للآخر بمنزلة اللباس.

قال النابغة الجَعْدىّ:

إذا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى جِيدَهَا تَدَاعَتْ عَلَيْـهِ فَكَانَتْ لِبَاسَا[٣]

* * *

ومنه قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤] أى طهِّر نفسك من الذنوب، فكنى عن الجسم بالثياب؛ لأنّها تشتمل عليه.

قالت ليلى الأخيليَّةُ وذكرتْ إِبلاً:

رَمَوْهَا بأَثْوابٍ خِفَافٍ فَلا تَرَى لهـا شَبَهًا إلاَّ النَّعَـامَ المُنَفَّرَا[٤]

---

(١) ديوانه ص١٠٤، وقبله: «أجنَّه فى مستكنَّات الحَلَقْ»، وبعده: «ولم يُضِعْها بين فِرْكٍ وعَسَق».
وانظر اللسان (٦/ ٢٢، ١٢/ ١٢٢): «عَسِقَ به يَعْسَقُ عَسَقًا: لزق به ولزمه وأُولع به، وعَسِقَت الناقة بالفحل: أربَّتْ، وكذلك الحمار بالأتان...». وفى مجاز القرآن (١/ ٧٦): «فعف، يعنى عن غشيانها، أراد الحمار»، وهو غير منسوب فى المخصص (٥/ ١١١).

(٢) انظر تفسير غريب القرآن ص٨٤، ومجاز القرآن (١/ ٧٣).

(٣) البيت له فى اللسان (٧/ ٨٧)، والشعر والشعراء (١/ ٢٥٥)، وعجزه فى مجاز القرآن (١/ ٦٧).

(٤) البيت لها فى المعانى الكبير (١/ ٤٨٦)، وفيه: «يعنى بأجسام خفاف، يريد ركبوها»، والصناعتين ص٢٧٧، والفائق (١/ ٢٨)، وهو غير منسوب فى اللسان (١/ ٢٣٩)، وفيه: «رموها، يعنى الرُّكابَ، بأبدانهم».

أى: ركبوها فرمَوْها بأنفسهم.

وقال آخر:

لاهُمَّ إنَّ عـــامِرَ بن جَهْمِ أَوْذَمَ حَجًّا فى ثيابٍ دُسْمِ[١]

أى هو متدنّس بالذنوب.

والعرب تقول: قومٌ لِطَافُ الأُزُر، أى خِماصُ البطون؛ لأنَّ الأُزُرَ تُلاثُ عليها.

ويقولون: فِدًى لك إزارى. يريدون: بدنى، فتضع الإزار موضعَ النَّفْسِ.

قال الشاعر:

ألاَ أبْلِغْ أبَا حَفْصٍ رَسُــولاً فِدًى لَكَ مِنْ أَخِى ثِقَةٍ إزَارِى[٢]

وقد يكون الإزارُ فى هذا البيت: الأهل[٣]. قال الهُذَلِىّ:

تَبرأُ مِنْ دَمِ القَتيـلِ وبَزِّهِ وقد عَلِقَتْ دَمَ القتيلِ إزَارُها[٤]

أى: نفسها.

ويقولون للعَفَاف: إزارٌ؛ لأن العفيف كأنّه استتر لَمّا عفّ.

وقال عَدِىُّ بن زَيْد:

(١) فى أساس البلاغة (١/ ٢٧١) غير منسوب، والمعانى الكبير (١/ ٤٨١) وشرحه ابن قتيبة هناك بقوله: «أوذم: أوجب وعقد، فى ثياب: أى فى جسم غير طاهر». وهو غير منسوب أيضًا فى اللسان (١٦/ ١١٧): «أى متلطخة بالذنوب، يعنى أحرم بالحج وهو مدنَّس بالذنوب». وفى (١٥/ ٩٠): «الدَّسَم: الوَضَر والدنَس».

(٢) البيت لأبى المِنهال نُقَيْلَةَ الأكبَر الأشْجعىّ، كما فى اللسان (٥/ ٧٥)، وفى (٨/ ٣٥٠) غير منسوب، وكذلك فى الصناعتين ص٢٧٧، ولنُقَيْلة فى المؤتلف والمختلف ص٦٢، وأبواب مختارة ص١٠، والعقد (٢/ ٤٦٣)، والعمدة (١/ ٢٨١)، وسيأتى البيت مع أبيات أخر فى ص٢٧٣.

(٣) راجع: ألف باء للبلوى (٢/ ١٣٠).

(٤) البيت لأبى ذؤيب الهذلى، كما فى ديوانه ص٢٦، واللسان (٥/ ٧٣)، والمعانى الكبير (١/ ٤١٣)، وقال ابن قتيبة فى شرحه: «بزه: سلاحه، وقد علقت دم القتيل إزارها، هذا مثل، يقال: حملت دم فلان فى ثوبك أى قتلته. قال الأصمعى: هذه امرأة نزل بها رجل فتحرجت أن تدهنه وأن ترجِّل شعره، ثم جاء كلب لها فولغ فى إنائها فغسلته سبع مرات، وذلك بعين الرجل، يتعجب منها ومن ورعها، فبينا هو كذلك أتاها قوم يطلبون عندها قتيلاً، فانتفلت من ذلك وحلفت؛ ثم فتشوا منزلها فوجدوا القتيل وسلاحه فى بيتها» ومعنى انتفلت: أنكرت. وهو له فى الجمهرة (٢/ ٣٢٨).

أجْلِ أنَّ اللهَ قَدْ فَضَّلَكُمْ فَوقَ ما أَحْكِى بِصُلْبٍ وإزَارِ[١]

فالصُّلْبُ: الحسَبُ، سمَّاه صُلْبًا لأنَّ الحَسَب: العشيرة. والخَلْقُ من ماء الصّلب. والإزار: العفاف. ويجوز أن يكون سَمَّى العشيرة صُلْبًا لأنّهم ظَهْرُ الرجل، والصُّلْبُ فى الظّهر.

* * *

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾[٢] [الفرقان:٤٧] أى: سِتْرًا وحجابًا لأبصاركم. قال ذو الرُّمة:

ودَوِّيَّةٍ مِثْلِ السَّمَـاءِ اعْتَسَفْتُهـا وقد صَبَغَ اللَّيلُ الحَصَى بِسَوَادِ[٣]

أى: لَمَّا ألبسَهُ الليلُ سَوادَهُ وظُلمتَه كانَ كأنَّه صَبَغَهُ.

وقد يكْنُون باللباس والثوب عما سَتَر ووقى، لأنّ اللباس والثوبَ وَاقِيَانِ ساتِرَان.

وقال الشاعر:

كَثَوْبِ ابنِ بِيضٍ وقـاهم به فَسَدَّ على السَّالكين السَّبِيلا[٤]

قال الأصمعى: ابنُ بيض رجلٌ نحرَ بعيرًا له على ثَنِيَّةٍ فسَدَّها فلم يقدر أحد أنْ يجوز، فَضُرِبَ به المثل فقيل: سَدَّ ابنُ بِيضٍ الطريقَ[٥].

(١) الجمهرة (٣/ ٢٣٥)، وفى اللسان (١/ ٥١): «حكَأ العقدة واحْكَأها: شدها وأحكمها، قال عدى بن زيد:

أجْلِ أنَّ اللهَ قـد فضَّلكم فوقَ مَنْ أحْكَأَ صُلْبًا بإزارِ

أراد: فوق مَنْ أحكأ إزارًا بصلب. معناه فضَّلكم على من ائتزر فشدَّ صلبه بإزار، أى فوق الناس أجمعين؛ لأن الناس كلهم يُحْكِئُون أُزُرَهم بأصلابهم. ويروى: «فوق ما أَحكِى بصُلْب وإزار» أى بحسب وعفة، أراد بالصلب ههنا: الحسَب، وبالإزار: العفة عن المحارم؛ أى فضلكم الله بحسب وعفاف فوق ما أحكى؛ أى ما أقول». وقد ورد فى اللسان أيضًا (٥/ ٧٥، ١٨/ ٢٠٨)، وانظر تهذيب الألفاظ ص٥٤٨.

(٢) قد أحال فى تفسير غريب القرآن ص٣١٣ على ما هنا.

(٣) ديوانه ص١٣٩: «ودوِّيَّة: فلاة. مثل السماء: فى استوائها. اعتسفتها: سرت فيها على غير هداية».

(٤) البيت لبشَّامة بن الغدير من قصيدة فى المفضليات ص٦٠، وطبقات الشعراء ص٥٦٥، وهو له فى الأغانى (١٢/ ٤٣)، ونسبه فى اللسان (٨/ ٣٩٧) لبسَّامة بن حَزْن، وهو خطأ.

(٥) المثل فى أمثال العرب للمفضَّل الضبى ص٧١ ـ ٧٢، وجمهرة الأمثال ص١١٨، ومجمع الأمثال (١/ ٣٤١)، واللسان (٨/ ٣٩٧).

وقال غير الأصمعي: ابن بيض رجلٌ كانت عليه إتَاوَةٌ فهرب بها فاتَّبَعَهُ مُطالبُه، فلما خَشِيَ لحَاقَه وضع ما يطالبه به على الطريق ومضى، فلما أخذ الإتاوةَ رجع وقال: سدّ ابن بيضٍ الطريق؛ أى منعَنا من اتباعه حين وَفَى بما عليه، فكأنه سدّ الطريق[1].

فكَنَى الشاعرُ عن البعير ـ إن كان التفسير على ما ذكر الأصمعى ـ أو عن الإتاوَة ـ إن كان التفسير على ما ذَكَرَ غيره ـ بالثوب؛ لأنهما وَقيَا كما يقى الثوبُ.

وكان بعض المفسرين يقول فى قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً﴾[2] [الفرقان:٤٧] أى سكنًا، وفى قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧] أى: سكن لكم.

وإنما اعتَبر ذلك من قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فيه﴾ [يونس:٦٧]، ومن قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:١٨٩].

* * *

ومن الاستعارة: ﴿وَأَمَّا الَّذينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3] [آل عمران:١٠٧] يعنى جَنَّتَه، سمَّاها رحمة لأن دخولهم إيَّاها كان برحمته.

ومثله قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ [النساء:١٧٥].

وقد تُوضَعُ «الرحمةُ» موضع «المطر» لأنه يَنزِل برحمته.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف:٥٧] يعنى المطر.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى﴾ [الإسراء:١٠٠] يعنى مفاتيح رزقه.

وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢] أى: من رزق.

* * *

(١) راجع الأغانى (١٢/ ٤٢ ـ ٤٣)، واللسان (٨/ ٣٩٧)، ومجمع الأمثال (١/ ٣٢٨).
(٢) انظر تفسير الطبرى (١٩/ ٦٤).
(٣) انظر الكشاف (١/ ٢٠٩).

ومن الاستعارة: اللسان يوضع موضع القول؛ لأنّ القول يكونُ بها. قال الله عز وجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾(١) [الشعراء: ٨٤] أي ذِكْرًا حسنًا. وقال الشاعر:

إنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِهَا ... من عَلْوَ لا عَجَبٌ مِنْهَا ولا سَخَرُ(٢)

أي أتاني خبرٌ لا أُسَرُّ به.

* * *

ومنه الذِّكْرُ يُوضع موضع الشرف؛ لأنَّ الشّريف يُذكَر.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] يريد أن القرآن شرفٌ لكم.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] أي: شرفُكم.

وقال: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١] أي: أتيناهم بشرفهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: لا تستثقل شيئًا من أمرهما، وتَضِقْ به صدرًا، ولا تُغْلِظ لهما.

والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون: أُفٍّ له. وأصل هذا نفخُكَ للشيء يسقط عليك من تراب أو رماد وغير ذلك، وللمكان تريد إماطة الشيء عنه لتقعُد فيه. فقيل لكل مُسْتَثْقَل: أُفٍّ لك، ولذلك تُحَرَّكُ بالكسر للحكاية، كما يقولون: غاقِ غاقِ، إذا حكَوْا صوتَ الغراب، والوجه أن يُسكَّن هذا، إلا أنه يُحرَّك لاجتماع الساكنين، فربما

(١) انظر تفسير الطبرى (١٩/ ٥٤).

(٢) البيت مطلع قصيدة لأعشى باهلة يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلى، وهى فى أمالى الشريف المرتضى (٣/ ١٠٥ ـ ١١٣)، والكامل (٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، والأصمعيات ص٣٢، وأمالى اليزيدى ص١٣ ـ ١٨، وجمهرة أشعار العرب ص١٣٥ ـ ١٣٧، وهو فى الجمهرة (٣/ ١٤٠)، وفى اللسان (١٩/ ٣١٦): «ويروى: من علو وعلو ـ بفتح الواو وكسرها ـ أى أتانى خبر من أعلى». ورواية اليزيدى: «إنى أُنبيت بشىء لا أُسَر به»... «لا عجب فيه...». ويروى: من عَلْوِ ومن عَلْوُ، يقال: أتيتك من علا ومن مُعال ومن عَلُ. وقوله: لا عجب، أى ليس ببديع؛ لأن الناس يموتون ويقتلون، فلا سَخَرَ من ذلك، أى لا عجب فيه ولا هُزْء منه». واللسان ههنا: الرسالة، كما فى الكامل (٢/ ٢٩٢)، والجمهرة لابن دريد (٣/ ٤٨٧)، وتاج العروس (١٠/ ٢٥٣).

نُوِّن، وربما لم يُنوَّن، وربما حُرِّك إلى غير الكسر أيضًا.

* * *

ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] يريد: كلما هاجوا شرًا وأجمعوا أمرًا ليحاربوا النبى صلى الله عليه سكَّنه الله وَوَهَّن أمرهم.

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1] [الأعراف: ١٥٧]، الإصر: الثِّقْل الذى ألزمَهُ الله بنى إسرائيل فى فرائضهم وأحكامهم، ووضعه عن المسلمين. ولذلك قيل للعهد: إِصرٌ، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١] أى: عهدى؛ لأن العهد ثِقْلٌ ومَنْعٌ من الأمر الذى أُخِذَ له.

و«الأغْلال»: تحريم الله عليهم كثيرًا مما أطلقه لأمَّة محمد ﷺ وجعله أغْلالاً؛ لأن التحريم يمنع كما يقبض الغُلُّ اليَدَ، فاستُعِيرَ. قال أبو ذُؤَيب[2]:

فَلَيْسَ كَعهْدِ الدَّارِ يا أمَّ مـالكٍ ولكن أحاطَـتْ بالرِّقَـابِ السَّلاسِلُ[3]

وَعَادَ الفَتَى كالكَهْلِ لَيْسَ بقَائلٍ سِوَى العَدْلِ شَيْئًا فاستراح العَوَاذِلُ[4]

يقول: ليس الأمرُ كعَهْدِك إذ كنا فى الدَّار ونحن نَتَبسَّطُ فى كل شىء ولا نَتوقَّى،

---

(١) انظر تفسير غريب القرآن ص١٧٣.

(٢) البيتان ليسا لأبى ذؤيب الهذلى، وإنما هما لأبى خِراش الهذلى، من قصيدة يرثى بها زهير بن العجوة، كما فى ديوان الهذليين، القسم الثانى ص١٥٠، والأغانى (٢١/٥٨)، قال أبو الفرج الأصفهانى: «قال الأصمعى وأبو عمرو، فى روايتهما جميعًا: أخذ أصحاب رسول الله ﷺ فى يوم حنين أسارى، وكان فيهم زهير بن العجوة، فمر به جميل بن مَعْمر بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جُمح، وهو مربوط فى الأسرى، وكانت بينهما إحنة فى الجاهلية، فضرب عنقه، فقال أبو خراش يرثيه... إلخ».

(٣) البيتان فى البحر المحيط (٤/٤٠٤) للهذلى. وفيه فى الأول: «كهذا الدار»، وفى الثانى: «ليس بقابل». وفى ديوان الهذليين: «أراد: الإسلام أحاط برقابنا، فلا نستطيع أن نعمل شيئًا».

(٤) رواية الأغانى: «سوى الحق». وفى البحر المحيط بعد البيت: «وليس ثَمَّ سلاسل، وإنما أراد أن الإسلام ألزمه أمورًا لم يكن ملتزمًا لها قبل ذلك، كما قال ﷺ: «الإيمان قيد الفتك». وفى ديوان الهذليين: «يقول: رجع الفتى عما كان عليه من فتوته وصار كأنه كهل. قوله: فاستراح العواذل: لأنهن لا يجدن ما يعذُلن فيه سوى العدل، أى سوى الحق».

ولكن أسْلَمْنَا فصِرْنا من موانع الإسلام فى مثل الأغْلال المحيطة بالرِّقاب القابضة للأيدى.

ومن هذا قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً﴾ [يس:٨] أى: قبضنا أيديهم عن الإنفاق فى سبيل الله بموانع كالأغلال.

* * *

ومن ذلك قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾[1] [البقرة:١٣٨] يريد الختان، فسماه صِبْغةً؛ لأن النصارى كانوا يَصبُغُون أولادهم فى ماء ويقولون: هذا طُهْرَةٌ لهم كالختان للحُنَفَاء، فقال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أى الزموا صبغة الله لا صبغة النصارى أولادهم، وأراد بها ملة إبراهيم عليه السلام.

* * *

ومنه قوله: ﴿مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾[2] [ص:١٥]، أى ما لها من تَنَظُّرٍ وتَمكُّثٍ إذا بدأَتْ، ولذلك سمَّاها ساعة لأنها تأتى بَغْتَةً فى ساعة. وأصل الفَوَاقِ أن تُحلب الناقة ثم تُترك ساعة حتى يجتمع اللبن ثم تُحلَب، فما بين الحَلْبَتين فَوَاق[3]، فاستعير الفَوَاق فى موضع الانتظار.

* * *

ومنه قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾[4] [الذاريات:٥٩] أى حظًّا ونصيبًا.

وأصلُ الذَّنوب: الدَّلْوُ، وكانوا يَسْتقون الماء، فيكون لهذا ذَنُوبٌ ولهذا ذَنُوبٌ، فاستُعيرَ فى موضع النَّصيب، وقال الشاعر:

إنَّا إذا نَازَعَنَا شَرِيبُ　　　لنا ذَنوبٌ وله ذَنُوبُ[5]

---

(١) أحال فى تفسير غريب القرآن ص٦٤ على ما هنا.

(٢) انظر تفسير غريب القرآن ص٣٧٧، ٣٧٨.

(٣) اللسان (١٢/ ١٩٢).

(٤) انظر تفسير غريب القرآن ص٤٢٣، ومجاز القرآن (٢/ ٢٢٨).

(٥) فى اللسان (١/ ٣٧٨): «وقال الفراء: الذنوب فى كلام العرب: الدلو العظيمة، ولكن العرب =

والعرب تقول: «أخى وأخوك أيُّنا أَبْطَشُ؟» يريدون: أنا وأنت نَصْطرع فننظر أيُّنا أشدُّ. فيكْنِى عن نفسه بأخيه، لأن أخاه كنفسه.

وقال العَبْدِىُّ:

أخى وأخُوكَ ببَطْن النُّسَيْر ... ليس به مِنْ مَعَــدٍّ عَرِيبُ(١)

ويكْنِى عن أخيه بنفسه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾(٢) [الحجرات:١١] أى لا تَعيبُوا إخوانكم من المسلمين؛ لأنهم كأنفسهم.

وقال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:١٢] أى بأمثالهم من المسلمين.

وبعض المفسرين يقول فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور:٦١]: أى على أهليكم(٣)، جعَلَهم أنفسهم على التَّشبيه.

وقال ابن عباس فى تفسير ذلك: البيوتُ: المساجدُ، إذا دخَلْتَهَا سلَّمْتَ على نفسك وعلى عباد الله الصالحين(٤).

= تذهب به إلى النصيب والحظ، وبذلك فُسر قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أى أشركوا ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ أى حظًا من العذاب كما نزل بالذين من قبلهم، وأنشد الفراء:

لها ذَنوبٌ ولكم ذَنوبُ ... فإنْ أبيتُم فلنا القَليبُ»

وأنشده الطبرى فى تفسيره (٢٧/ ٩)، والزمخشرى فى الكشاف (٤/ ٣٣): «لنا ذنوب ولكم... إلخ» وأنشده أبو حيان فى البحر المحيط (٨/ ١٣٢):

إنَّا إذا نازَلَنا غريبُ ... له ذنوبٌ ولنا ذنوبُ

وإنْ أبيتم فلنا القَليبُ

والشريب كما فى اللسان (١/ ٤٧١): «صاحبك الذى يشاربك ويُورد إبله معك».

(١) البيت لثعلبة بن عمرو العبدى، من قصيدة له فى المفضليات ص٢٥٤. وبطن النسير: موضع. وليس به عَرِيب: ليس به أحَد، ولا تستعمل فى غير النفى.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن ص٣١٦، وتفسير الطبرى (٢٨/ ٧٧).

(٣) راجع ذكر من قال ذلك فى تفسير الطبرى (٢٨/ ١٣١ ـ ١٣٢).

(٤) فى الطبرى (٢٨/ ١٣٢) عن عمرو بن دينار عن ابن عباس: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: «هى المساجد، يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

وقال تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤] أى إلى الجهاد الذى يُحْيِى دينكم ويُعْلِيكم.

وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾(١) [النساء:٢٩] أى لا تقتلوا إخوانكم، و﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾(٢) [البقرة:١٨٨] أى أموال إخوانكم.

وإن جَعَلْتَهُ بمعنى لا يأكلْ بعضكم مال بَعْضٍ، ولا يَقتُلْ بعضكم بعضًا ـ فهو أيضًا قريب المعنى من الأول.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [الأعراف:١١] أراد: خلقْنا آدم وصورّناه، فجعل الخلقَ لهم، إذ كانوا منه.

ومنه قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]، أى عقل؛ لأن القلب موضعُ العقل، فكَنَى عنه به.

وقوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا﴾ [الطور:٣٢] أى تدلهم عقولهم عليه؛ لأن الحِلم يكون من العقل، فكَنى عنه به.

ومنه قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر:١٣] لأن التعذيب قد يكون بالسوط.

ومنه قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾(٣) [النساء:١٥٧] يعنى العِلْم، لم يَتحقَّقُوه ويَستَيْقِنوه. وأصل ذلك أن القتل للشىء يكون عن قهر واستعلاءٍ وغَلَبةٍ. يقول: فلم يكن عِلْمُهم بقتل المسيح عِلمًا أُحيطَ به، إنما كان ظنًّا.

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾(٤) [الأنعام:١٤٦] أى كلَّ ذى مِخْلَبٍ من الطير، وكلَّ ذى حافرٍ من الدَّواب. كذلك قال المفسِّرون.

---

(١) الآية بتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

(٢) الآية بتمامها: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

(٣) انظر تفسير غريب القرآن ص١٣٦.

(٤) انظر تفسير غريب القرآن ص١٦٣.

وسمَّى الحافر ظُفرًا على الاستعارة، كما قال الآخر(١) وذكر ضَيفًا طَرَقه:

فما رَقَـدَ الوِلْدانُ حتَّى رأيْتُـهُ   على البَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وَحافِرِ(٢)

فجعل الحافرَ موضعَ القدَم.

وقال آخر:

سأَمْنَعُها أوْ سَوْفَ أجْعَلُ أمْرَها   إلَى مَـلِكٍ أظْـلافُـه لم تَشَقَّـقِ(٣)

يريد بالأظْلاف: قدمَيْه، وإنما الأظلافُ للشاء والبقر.

والعرب تقول للرجل: «هو غليظُ المَشَافِر» تريد الشفتين، والمشافرُ للإبل.

وقال الحُطَيْئَة:

قَرَوْا جـارَكَ العَيْمَان لَمَّا جَفَوْتَهُ   وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهْ(٤)

* * *

(١) هو جُبَيْهاء الأشجعى، كما فى الجمهرة (٣/ ٤٩٠)، والبيت من قصيدة طويلة فى ملحق حماسة ابن الشجرى ص٢٨٥ ـ ٢٨٩.

(٢) البيت غير منسوب فى الصناعتين ص٢٣٣، والموازنة ص٣٦، والموشح ص٩١، وفى اللسان (٥/ ٢٨٣): «الجوهرى: الحافر: واحد حوافر الدابة، وقد استعاره الشاعر فى القدم، قال جُبَيْهاء الأسَدِىُّ يصف ضيفًا طار فأسرع إليه:

فأبصر نارى وَهْىَ شقراءُ أُوقدَتْ   بليلٍ فلاحـتْ للعيُـون النَّـواظِرِ
فَمـا رَقَـدَ الولدانُ حتى رأيتُـه   على البَكْرِ يَمْريه بسـاقٍ وحـافِرِ

ومعنى يَمْريه: يستخرج ما عنده من الجرى». ومعنى شقراء: ذهب دخانها، وذلك أشد لضوئها.

(٣) البيت غير منسوب فى الصناعتين ص٢٣٤، والموازنة ص٣٦، وأبواب مختارة ص٣٨، والأمالى (٢/ ١٢٠)، وقال أبو عبيد البكرى فى اللآلئ (٢/ ٧٤٦): «البيت لعُقْفان بن قيس بن عبيد اليربوعى، وكان النعمان بن المنذر استعمل الغلاق بن عمرو الرياحى على هجائن من يلى أرضه من العرب، وكانت لعقفان هذا هجائن فأخفاها، فطلبها الغلاق، فعمد عُقفان بإبله حتى أتى النعمان فأجاره ولم يأخذ منها شيئًا، فقال قصيدة منها:

سواءٌ عليكم شُؤْمُهـا وهِجانُهـا   وإنْ كان فيها واضحُ اللون يَبْرُقُ

سأمنعها ـ البيت، وهذه من أقبح الاستعارات، وإنما يريد بقوله «أظلافه لم تشقق» أنه منتعل مترفه فلم تشقق قدماه». والبيتان لعقفان فى الجمهرة (٣/ ٤٩٠)، واللسان (١١/ ١٣٤) وفيه: «الشؤم: السود من الإبل، والهجان: بيضها».

(٤) ديوانه ص١٢، والمخصص (٤/ ١٣٦)، والجمهرة (٣/ ٤٩٠)، والموشح ص٩١، والموازنة ص٣٦، =

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾(١) [الحاقة: ٤٤ - ٤٦].

قال ابن عباس: اليمين ههنا: القُوَّة. وإنما أقامَ اليمين مُقامَ القوّة لأن قوة كل شيء في ميَامنه.

ولأهل اللغـة في هذا مذهب آخر قد جرَى الناس على اعتياده إنْ كان الله عز وجل أراده في هذا الموضع، وهو قولهم إذا أرادوا عقوبة رجلٍ: خُذ بيده وافعل به كذا وكذا. وأكثرُ ما يقولُ السلطانُ والحاكمُ بعد وُجُوبِ الحُكم: خذ بيده، واسفعْ بيده(٢).

ونحوه قول الله: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾(٣) [العلق: ١٥، ١٦] أي لَنَأخُذَنَّ بها، ثم لَنُقيمنَّه وَلَنُذلَّنَّه إما في الدنيا وإما في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] أي يُجَرُّونَ إلى النار بنواصيهم وأرجلهم. ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وإنما يعني صاحبَها. والناس يقولون: هو مَشْئُوم الناصية. لا يريدونها دون غيرها من البدن. ويقولون: قد مَرَّ على رأسي كذا، أي مَرَّ عليَّ.

فكأنه تعالى قال: لو كذب علينا في شيء مما يلقيه إليكم عنَّا لأمَرْنا بالأخذ بيده، ثُمَّ عاقَبْناه بقطع الوَتِينِ.

= والصناعتين ص٢٣٣، وفي الديوان: «لما تركته» وفيه بعد البيت:

سنامًا ومَحْضًا أنبتَ اللحم فاكْتَست ... عظـام امرئ مـا كـان يَشبعُ طائرُهْ

وقال السكري في شرحه: «يقول: لما لم يقدروا على شرب الماء من شدة البرد قروه سنامًا ولبنًا محضًا. يقولون: لو وقع عليه طائر ما شبع من لحمه من شدة هزاله، والمحض من اللبن: ما لم يخالطه الماء».

(١) انظر تفسير غريب القرآن ص٤٨٤، وتفسير الطبري (٢٩/ ٤٢).

(٢) في اللسان (١٠/ ١١، ١٢): «وسَفَع بناصيته ورجله، يَسْفَع سفعًا: جذب وأخذ وقبض. وفي التنزيل: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾ ناصيته: مُقدَّم رأسه، أي لَنصْهَرنَّها ولَنَأخذنَّ بها، أي لَنُقمئنَّه وَلَنُذلَّنَّه... وحكى ابن الأعرابي: اسْفَعْ بيده: أي خُذْ بيده».

(٣) انظر تفسير غريب القرآن ص٥٣٣.

وإلى هذا المعنى ذهب الحسن فقال فى قوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة:٤٥] أى بالمَيَامِن، ثم عاقبناه بقطع الوتين، وهو: عِرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه.

ولم يُرد أنَّا نقطعه بعينه، فيما يَرَى أهلُ النظر، ولكنَّهُ أراد: ولو كَذَبَ علينا لأمَتْنَاه أو قتلناه، فكان كمن قُطِع وَتِينُه.

ومثله قول النبى صلى الله عليه: «ما زالت أُكْلَةُ خَيْبَر تُعَادُّنِى، فَهَذَا أوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِى»[1].

والأَبْهَرُ: عِرقٌ يتصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. فكأنَّه قال: فهذا أوان قتلنى السُّمُّ، فكنت كمن انقطع أَبْهَرُه.

* * *

ومنه قوله سبحانه: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾[2] [القلم:١٦] ذهب بعض المفسّرين فيه إلى أنَّ الله عز وجل يَسِمُ وجهَه يوم القيامة بالسَّواد.

وللعرب فى مثل هذا اللفظ مَذْهَبٌ نُخبر به، والله أعلم بما أراد.

تقولُ العرب للرجل يَسُبُّ الرجل سُبَّة قبيحة، أو يَنْثُو عليه فاحشَةً: «قد وَسَمَهُ بمِيسَم سوءٍ» يريدون: أَلْصَق به عارًا لا يُفارِقُه، كما أنَّ السِّمَةَ لا تَنْمَحِى ولا يَعْفو أَثَرُهَا.

---

(١) فى صحيح البخارى بهامش الفتح: كتاب المغازى، باب مرض النبى ﷺ ووفاته (٨/ ٩٩) عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان النبى ﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه: يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلتُ بخيبر، فهذا أوان وجدتُ انقطاع أَبْهَرى».
والحديث عند الدارمى فى مقدمة السنن، باب ما أكرم النبى ﷺ من كلام الموتى (١/ ٣٢، ٣٣) من حديث أبى سلمة، وعند أحمد فى المسند (٦/ ١٨) من حديث امرأة كعب بن مالك رضى الله عنهما.
وفى اللسان (٥/ ١٥٠): «تعاودنى»، والفائق (١/ ٣٨): «تعادنى»، وكذلك فى اللسان (٤/ ٢٧٤)، وفيه: «أى تراجعنى ويعاودنى ألم سمها فى أوقات معلومة».

(٢) انظر اختلاف أهل التأويل فى تأويل ذلك فى الطبرى (٢٩/ ١٨، ١٩)، وانظر اللسان (١٥/ ٦٣، ٦٤).

وقال جرير:

لـمَّا وَضَعْـتُ على الفَـرَزْدَقِ مِيسَـمِى وعلى البَعِيثِ، جَدَعْتُ أنْفَ الأخْطَلِ(١)

يريد: أنه وسَم الفرزدق، وجدَع أنف الأخطل بالهجاء، أى أبقى عليه عارًا كالجَدْعِ والوَسْم.

وقال أيضًا:

رُفِعَ المَطِىُّ بِما وَسَمْتُ مُجَاشِعًا والزَّنْبَرِىُّ يَعُومُ ذو الأَجْـلاَلِ(٢)

يريد: أن هجاءه قد سارت به المطىُّ، وغُنِّىَ به فى البر والبحر. وقال:

وأوْقَدْتُ نَارِى بالحَـديدِ فأصبَحتْ لها وَهَجٌ يُصْلِى به اللهُ مَنْ يُصْلِى(٣)

شَبَّهَ شعرَهُ بالنَّار، وهجاءَهُ بمواسم الحديد.

وقال الكُمَيْت بن زيد يذكر قصيدة له(٤):

تُعَلِّطُ أقْوَامًا بِمَيْسِمِ بَارِقٍ وتَقْطِمُ أوبَاشًا زَنِيمًا ومُسْنَدَا

والعِلاَط: سِمَةٌ فى العُنُق.

وربما استعاروا للهجاء غيرَ الوَسْمِ، كقول الهُذَلىِّ:

مَتَى ما أشَأْ غَيْرَ زَهْوِ المُلُو كِ أجْعَلْكَ رَهْطًا عَلَى حُيَّضِ(٥)

---

(١) ديوانه ص٤٤٣، وفيه: «وضعنا البعيث».

(٢) ديوانه ص٤٦٦، والنقائض (١/ ٢٩٥)، واللسـان (١٣/ ١٢٨)، والمعانى الكبير (٢/ ٨٠٢)، وشرحه ابن قتيبة بقوله: «الزنبرى: العظام من السـفن، والأجلال: الشُّرُع. يقول: غُنِّى بهجائى لهم فى البحر والبر». والشطر الثانى غير منسوب فى اللسـان (٥/ ٤١٩): «كالزنبرى يُقاد بالأجلال».

(٣) ديوانه ص٤٦٢.

(٤) قال ابن قتيبة فى المعانى الكبير (٢/ ٨٠٣): «وقال يذكر قصائده:

غرائبُ يدعون الرواةَ كأنما وَشَوْنَهم والراكـبَ المتفرِّدا

تعلِّط... وتَقْطِم أوباشًا حميلاً ومُسْـنَدًا» يقول: يطلبها الناس حتى يرووها من حسنها، فكأنها رشتهم. والعِلاط: سمة فى العنق بمنزلة القلادة. والمسـند: الدعِىُّ، والحميل: الذى يحمل من بلاده صغيرًا».

(٥) الشعر لأبى المُثلَّم الهُذَلى، كما فى شرح أشعار الهذليين (١/ ٣٠٦، ٣٠٧). وهذا البيت له فى اللسـان (٩/ ١٧٧، ١٩/ ٨٠)، وغير منسوب فى مقاييس اللغـة (٢/ ٤٥٠، ٣/ ٢٩)، والمخصص =

وأَكْحُلْكَ بالصَّـابِ أو بالجَـلاَ ... فَفَقِّـحْ لِكُحْـلِكَ أو غَمِّضِ[(١)]

وأسْعُطْكَ فى الأنفِ ماءَ الأَبا ... ءِ مِمَّـا يُثَمَّـلُ بالمِخْـوَضِ[(٢)]

جَهِلْتَ سَعُوطَكَ حتى ظَنَنْتُ ... بأنْ قـد أُرِضْتَ، ولم تُؤْرَضِ[(٣)]

والرَّهْطُ: جلدٌ تلبسه المرأة أيامَ الحيض.

والصابُ: شجرٌ له لبنٌ يحرقُ العين.

والجلاَ: كحل يُحَكُّ على حَجَرٍ ثم يُكتحل به.

والأباء: القَصَبُ، وماؤه شرُّ المياه. ويقال: الأباء ههنا: الماء الذى تَشرب منه الأَرْوَى، فتبول فيه وتُدَمِّنُه.

ويُثَمَّلُ: يُنْقَع.

وهذه أمثال ضربها لما يهجوه به.

وقال آخر:

سَأَكْسُوكُمَا يا ابْنَىْ يزيدَ بنَ جُعْشُمٍ ... رداءَيْنِ مِـنْ قَـارٍ ومِـنْ قَطِـرَانِ[(٤)]

فى أشباهٍ لهذا كثيرة.

* * *

= (٢/ ٣٦)، وذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير (١/ ٤٨٤، ٥٩٣)، وقال فى شرحه: «الرهط: جلد يُشق أسفله ويترك أعلاه فيلبسه الصبيان، وهذا مثَل، وإنما أراد: إذًا أسبُّك وألبسك العار». وفى اللسان (٩/ ١٧٧): «الرهط: جلد قدر ما بين الركبة والسرة تلبسه الحائض، وكانوا فى الجاهلية يطوفون عراة والنساء فى أرهاط». والزهو - كما فى اللسان (١٩/ ٨٠): «الكبر والتيه والفخر والعظمة».

(١) البيت فى اللسان (١٨/ ١٦٤): «ففقّح لذلك»، والجمهرة (٢/ ١١٢)، ومعنى فقح: افتح عينيك.

(٢) قال السكرى: المخوض: الذى يخاض به.

(٣) قال السكرى: أُرِضْتَ: زُكمت، والمأروض: المزكوم. وبه أَرْض: أى زكام.

(٤) البيت غير منسوب فى الشعر والشعراء (١/ ١٥٦)، وفيه: «من قِير». وهو غير منسوب كذلك فى المعانى الكبير (٢/ ٧٩٩، ١١٧٥)، وبعده فيهما:

إذا لُبِسـا زادا على اللُّبْس جِدَّةً ... ولـم يَبْـلَ وَشْىٌ منهمـا لأوانِ

وهذه الآية[1] نزلت فى الوليد بن المغيرة، ولا نعلم أن الله عزّ وجل وصف أحدًا وصْفَهُ له، ولا بلغ من ذِكْر عيوبه ما بلغه من ذكرها منه؛ لأنه وصفَهُ بالخُلْف، والمهانة، والعيب للناس، والمشى بالنَّمائم، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدِّعوة.

فألحق به عارًا لا يفارقُه فى الدنيا ولا فى الآخرة، كالوسم على الخرطوم، وأبيَنُ ما يكون الوَسْمُ فى الوجه.

ومما يشهد لهذا المذهب ما رواه سُفْيَانُ، عن زكريا، عن الشّعْبى فى قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[2] [القلم:١٣] أنه قال: العُتُلُّ: الشديد. والزّنيم: الذى له زَنَمةٌ من الشّرّ يُعْرَفُ بها، كما تُعْرَفُ الشاةُ بالزَّنَمةِ.

أراد الشَّعبى: أنّه قد لحقته سُبَّة من الدِّعوة عُرِفَ بها كَزَنَمة الشّاة[3].

* * *

ومنه قوله: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[4] [المسد: ٤، ٥].

قال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه: الحطب: النّميمة[5]، وكانت تَنُمُّ وتُؤَرِّش بين الناس.

ومن هذا قيل: فلان يَحْطِبُ عَلَىَّ؛ إذا أغرَى به، شبَّهوا النَّميمةَ بالحطَبِ،

---

(١) يقصد قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم:١٦] راجع ص١٨٨.

(٢) قد أحال فى تفسير غريب القرآن على ما هنا.

(٣) راجع تفسير الطبرى (٢٩/ ١٦ ـ ١٨).

(٤) انظر تفسير غريب القرآن ص٥٤٢.

(٥) قال الطبرى فى تفسيره (٣٠/ ٢١٩): «واختلف أهل التأويل فى معنى قوله: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ فقال بعضهم: كانت تجىء بالشوك فتطرحه فى طريق رسول الله ﷺ ليدخل فى قدمه إذا خرج للصلاة... عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ قال: كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبى ﷺ ليعقره وأصحابه. ويقال: حمالة الحطب: نقّالة للحديث... وقال آخرون: قيل لها ذلك لأنها كانت تحطب الكلام وتمشى بالنميمة، وتعير رسول الله بالفقر... وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال: كانت تحمل الشوك فتطرحه فى طريق رسول الله، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك».

والعداوةَ والشحناءَ بالنار؛ لأنّهما يقعان بالنميمة، كما تلتهب النار بالحطب. ويقال: نار الحِقْد لا تَخْبُو. فاستعاروا الحطب فى موضع النميمة. وقال الشاعر وذَكَرَ امرأة:

مِنَ البِيضِ لمْ تَصْطَدْ عَلَى حَبْلِ سَوْءَةٍ ... وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الحَيِّ بالحَظِرِ الرَّطْبِ[1]

أى لم تُوجَد على أمر قبيح، ولم تَمْشِ بالنمائمِ والكَذِب. والحَظِر: الشّجر ذو الشَّوك يُحْظَرُ به.

وقال آخر:

فَلَسْنَا كمَنْ تُزْجَى المقالةُ شَطْرَهُ ... بقَرْفِ العِضَاهِ الرَّطْبِ والعَبَلِ اليَبْسِ

وقال بعض المتقدمين: كانت تُعَيِّرُ رسول الله صلى الله عليه بالفقر كثيرًا، وهى تَحْتطِب على ظهرها بحبل من ليف فى عنقها.

ولستُ أدرى كيف هذا! لأنّ الله عز وجل وصفه بالمال والوَلَد، فقال: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[2] [المسد: ٢].

وأما المَسَدُ: فهو عند كثير من الناس: اللّيف دون غيره. وليس كذلك؛ إنما المسَدُ: كلُّ ما ضُفِر وفُتِلَ من اللّيف وغيره، يقال: مَسَدْتُ الحَبْل مَسْدًا إذا فتَلْتَه، فهو مَسَدٌ. كما تقول: نَفَضتُ الشّجرة نَفْضًا وَخَبَطْتُها خَبْطًا، واسم ما يسقط من ثمرها وورقها: نَفَضٌ وَخَبَطٌ، ومنه قيل: رجل مَمْسُودُ الخَلْق؛ إذا كان مَجْدُولاً مَفْتولاً[3].

ويدلُّكَ على أن المَسَد قد يكون من غير الليف قولُ الرّاجز:

(١) فى اللسان (١/ ٣١٣): «قال الأزهرى: جاء فى التفسير أنها أم جميل امرأة أبى لهب، وكانت تمشى بالنميمة، ومن ذلك قول الشاعر:

من البِيض لم تُصْطَدْ على ظهر لأمَة ... ولم تمش بين الحى بالحَطَب الرَّطْب

يعنى بالحطب الرطب: النميمة». وأنشد عجزه فى (٥/ ٢٧٩): «ولم يمش بين الحى بالحَظِر الرطْب». والبيت غير منسوب كذلك فى مقاييس اللغة (٢/ ٧٩): «على حبل لأَمة»، والبحر المحيط (٨/ ٥٢٦): «جعله رطبًا ليدل على التدخين الذى هو زيادة فى الشر»، وأساس البلاغة (١/ ١٨٣): «على خيل لأمة».

(٢) قال الطبرى (٣٠/ ٢١٨): «يقول تعالى ذكره: أى شىء أغنى عنه ماله ودفع من سخط الله عليه؟ وما كسب: هم ولده، وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل».

(٣) اللسان (٤/ ٤١٠).

يا مَسَدَ الخُوصِ تَعوَّذْ مِنِّى إنْ تَكُ لَدْنًا لَيِّنًا فإنِّى
مَا شِئْتَ مِنْ أَشْمَطَ مُقْسَئِنّ[١]

فجعله هذا من خُوص.

وقال آخر:

ومَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيَانِقِ[٢] لَسْنَ بأنْيَابٍ ولا حَقَائِقِ[٣]

فجعله هذا من جلود الإبل.

وأراد الله تبارك وتعالى بهذا الحبل السلسلةَ التى ذكرها، فقال: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[٤] [الحاقة: ٣٢]. كذلك قال ابن عباس.

فيجوز أن يكون سمَّاها مَسَدًا، وإن كانت حديدًا أو نارًا أو ما شاء الله أن تكون، بالضَّفْر والفَتْل.

* * *

(١) فى اللسان (٤/ ٤٠٩): «ابن سيده: المسد: حبل من ليف أو خوص أو شَعَر أو وبَر أو صوف، أو جلود الإبل، أو جلودٍ، أو من أى شىء كان، وأنشد: «يا مَسَدَ الخوص... مُقْسَئِنّ» قال: وقد يكون من جلود الإبلِ، أو من أوبارها». والرجز غير منسوب كذلك فى اللسان (١٧/ ٢٢١). والمقسئن: الذى قد انتهى سنه، فليس به ضعف كبر ولا قوة شباب. وقيل: هو الذى فى آخر شبابه وأول كبره.

(٢) البحر المحيط (٨/ ٥٢٤)، وفى مجاز القرآن (٢/ ٣١٦)، وتفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢١)، وبعده فيهما:
* صُهْبٍ عِتاقٍ ذات مُخٍّ زاهقِ *

(٣) الرجز فى اللسان (١١/ ٣٣٩) لعمارة بن طارق، وفيه (٤/ ٤٠٩): «وأنشد الأصمعى لعِمَارة بن طارق ـ وقال أبو عبيد: هو لعُقْبة الهُجَيْمى ـ:

فاعجَلْ بغَرْبٍ مثلِ غَرْبِ طارقِ ومَسَدٍ أُمِرَّ من أَيانِقِ
ليس بأنيابٍ ولا حَقائقِ

يقول: اعجل بدَلْو مثل دلو طارق، ومسَد فُتِلَ من أيانق، وأيانق: جمع أيْنُق، وأينق: جمع ناقة. والأنياب: جمع ناب، وهى الهَرِمَة. والحقائق: جمع حِقَّة، وهى التى دخلت فى السنة الرابعة وليس جلدها بالقوى، يريد: ليس جلدها من الصغير ولا الكبير، بل هو جلد ثَنِيَّة أو رَباعِيَّة أو سَديسٍ أو بَازل». والرجز فى اللسان أيضًا (١٢/ ١٣) لعثمان بن طارق.

(٤) انظر تفسير الطبرى (٢٩/ ٤٠).

ومنه قوله سبحانه: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧].

قال قتادة والحسن: اللهو: المرأة(١).

وقال ابن عباس: هو الولد.

والتفسيران متقاربان؛ لأن امرأة الرجل لَهْوُه، وولدَه لهوُه(٢)، ولذلك يقال: امرأة الرجل وولده رَيْحَانَتَاهُ.

وأصل اللهو: الجماع، فكُنِيَ عنه باللهو(٣)، كما كُنِيَ عنه بالسِّرِّ، ثم قيل للمرأة لَهْوٌ لأنها تُجامَع. قال امرؤ القيس:

ألاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَـةُ اليـومَ أَنَّنى كَبِرتُ وألاَّ يُحْسِنَ اللَّهْوَ أمْثَالِى(٤)

أى النكاح.

ويروى أيضًا: «وألاَّ يُحسِنَ السرَّ أمثالى»؛ أى النكاح.

وتأويل الآية: أن النَّصارى لما قالت فى المسيح وأمِّه ما قالت(٥)، قال الله جل وعز: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا، أى صاحبةً وولدًا، كما يقولون، لاتخذنَا ذلك مِنْ لَدُنَّا، أى من عندنا، ولم نتَّخذه من عندكم، لو كُنَّا فَاعِلِين ذلك، لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجه يكونان عنده وبحضرته لا عند غيره.

وقال الله فى مثل هذا المعنى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] يعنى الملائكة.

(١) فى تفسير الطبرى (٢٧/٨): «عن عقبة بن أبى حمزة قال: شهدت الحسن بمكة، وجاء طاوس وعطاء ومجاهد، فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ﴾ قال الحسن: اللهو: المرأة... عن قتادة: اللهو بلغة أهل اليمن: المرأة».

(٢) فى اللسان (١٢٦/٢٠): «اللهو فى لغة أهل حضرموت: الولد، وقيل: اللهو المرأة، قال: وتأويله فى اللغة: أن الولد لهو الدنيا، أى لو أردنا أن نتخذ ولدًا ذا لهوٍ نَلْهَى به. ومعنى ﴿لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ أى لاصطفيناه مما نخلق».

(٣) اللسان (١٢٦/٢٠).

(٤) ديوانه ص١٠٦، والجمهرة لابن دريد (٨٢/١).

(٥) فى الطبرى (٨/٢٧): «عن ابن جريج قال: قالوا: مريم صاحبته وعيسى ولده، فقال تبارك وتعالى: لو أردنا... إلخ».

ومنه قوله سبحانه: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وأصل الذَّوَاق: بالفم، ثم قد يُستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار، تقول فى الكلام: نَاظِرْ فُلانًا وذُقْ ما عنده، أى تَعَرَّف واختبر، واركب الفرس وذُقْه.

قال الشمَّاخ فى وصف قَوْس:

فَذَاقَ فَأَعْطَتْـهُ مـن اللِّين جَـانِبًا كفَى ولَهَا أَنْ تُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ[١]

يريد: أنه ذاق القَوْسَ بالنَّزْعِ فيها ليعلم أَلَيِّنَةٌ هى أم صُلبةٌ.

وقال آخر:

وإنَّ اللهَ ذَاقَ حُلومَ قَيْسٍ فلمَّا رآَ خِفَّتَهَـا قَلاَهـا[٢]

وهذه الآية نزلت فى أهل مكة، وكانوا آمنين بها[٣] لا يُغَارُ عليهم، مطمئنين لا يَنْتَجِعُون ولا يتنقَّلون، فأبدلَهم الله بالأمن الخوفَ من سَرَايَا رسول الله صلى الله عليه وبُعُوثه، وبالكفاية الجوعَ سبع سنين، حتى أكلوا القِدَّ والعِظَامَ.

و«لباسُ الجوع والخوف»: ما ظهر عليهم من سوء آثارهما بالضُّمْرِ والشُّحوب ونَهْكَةِ البدن، وتغيُّر الحال، وكُسُوف البال[٤].

---

(١) ديوانه ص٤٩، وجمهرة أشعار العرب ص١٥٧، وأساس البلاغة (١/٣٠٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٧٥)، والحيوان (٥/٢٩)، واللسان (١/ ٤٠١)، وفى ص٤٠٢: «أى لها حاجز يمنع من إغراق، أى فيها لين وشدة. . . وذُقْتُ القوس: إذا جذبتَ وترها لتنظر ما شدتها».

(٢) قال الجاحظ فى الحيوان (٥/ ٣٠): «قال يزيد بن الصعق لبنى سليم حين صنعوا بسيدهم العباس [بن أنس] ما صنعوا وقد كانوا توّجوه وملّكوه، فلما خالفهم فى بعض الأمر وثبوا عليه، وكان سبب ذلك قلة رهطه ـ: وإنّ الله ذاق. . . فلما ذاق خفتها. . . إلخ، وبعده:

رآهـا لا تطيع لها أميراً فخلاَّها تردد فى خَلاها»

خلاها: تركها، والخلَى: الرطب من النبات.

(٣) راجع الطبرى (١٤/ ١٢٤).

(٤) قال الطبرى (١٤/ ١٢٥): «يقول تعالى ذكره: فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم، فجعل الله ـ تعالى ذكره ـ ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها، وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية، بدعاء رسول الله ﷺ حتى أكلوا العِلْهِز والجيف. قال أبو جعفر: والعلهز: الوبر يعجن بالدم، والقراد يأكلونه. =

وقال فى موضع آخر: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾(١) [الأعراف:٢٦] أى ما ظهر عنه من السَّكِينَةِ والإخْبَاتِ والعمل الصالح، وكما تقول: تعرَّفْتُ سوء أثرِ الخوف والجوع على فلان، وذقت بمعنى: تعرفتُ، واللِّبَاسُ بمعنى: سوء الأثر ـ كذلك تقول: ذقتُ لِبَاسَ الجوع والخوف، وأذاقنى الله ذلك.

* * *

ومنه قوله: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا﴾(٢) [المرسلات:١] يعنى الملائكة، يريد: أنها متابعةٌ يتلو بعضها بعضًا بما تُرْسَلُ به من أمر الله عز وجل.

وأصلُ هذا من عُرْف الفرس؛ لأنه سطرٌ مستوٍ بعضُه فى إثْرِ بعض، فاستُعِيرَ للقوم يتبع بعضُهم بعضًا(٣).

ومنه يقول الناس: هُمْ إليه عُرْفٌ وَاحِدٌ، إذا كثروا وتتابعوا فى توجُّههم إليه(٤).

ويقال: أُرْسِلتُ بالعُرْفِ أى بالمعروف.

* * *

ومنه قوله سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾(٥) [الأعراف:١٨٢، والقلم:٤٤]، والاستدراج: أن يُدنيَهم من بأسه قليلاً قليلاً من حيث لا يعلمون، ولا يُباغتَهم(٦)،

= وأما الخوف: فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله التى كانت تطيف بهم. وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢] يقول: بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله، ويجحدون آياته، ويكذبون رسوله. . .».

(١) انظر تفسير غريب القرآن ص١٦٦.

(٢) انظر تفسير غريب القرآن ص٥٠٥.

(٣) راجع اللسان (١١/ ١٤٤).

(٤) فى تفسير الطبرى (٢٩/ ١٤١): «حدث محمد بن يزيد عن إسماعيل قال: سألت أبا صالح عن قوله: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات:١] قال: هى الرسل ترسل بالمعروف. قالوا: فتأويل الكلام: والملائكة التى أرسلت بأمر الله ونهيه، وذلك هو العرف. وقال بعضهم: عنى بقوله ﴿عُرْفًا﴾: متتابعة كعرف الفرس، كما قالت العرب: الناس إلى فلان عُرْف واحد، إذا توجهوا إليه فأكثروا. . .».

(٥) انظر تفسير غريب القرآن ص٤٨١.

(٦) فى اللسان (٣/ ٩٢): « قال بعضهم: معناه سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم».

ولا يُجاهِرَهم. ومنه يقال: دَرجْتُ فلانًا إلى كذا وكذا، واستَدْرِجْ فُلانًا حتى تعرف ما عنده وما صنع. يُرَادُ: لا تجاهره ولا تهجم عليه بالسؤال، ولكن استخرج ما عنده قليلاً قليلاً.

وأصل هذا من الدَّرَجة، وذلك أن الراقى فيها والنازلَ منها ينزل مِرْقاةً مِرْقاةً، فاستُعِيرَ هذا منها.

* * *

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧] أى يُمسكون عن العطية. وأصل هذا: أن المُعْطِىَ بيده يمدُّها ويبسطها بالعطاء، فقيل لكل من بَخِلَ وَمَنَعَ: قد قَبَضَ يدَه.

* * *

ومنه قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة:٦٤] أى: مُمْسِكَةٌ[١].

* * *

ومنه قوله: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس:٢٢] أى دنَوْا من الهلاك[٢]. وأصل هذا: أن العَدُوَّ إذا أحاط بقومٍ أو بلدٍ فحاصَرَهُ فقد دنا أهله من الهَلَكَةِ. وقال فى موضع آخر: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾[٣] [الكهف:٤٢].

* * *

ومنه قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[٤] [الدخان:٢٩] تقول العربُ إذا أرادت تعظيم مَهْلِكِ رجل عظيم الشأن، رفيع المكان، عامِّ النفع، كثير

(١) انظر تفسير غريب القرآن ص١٤٤، واللسان (١٤/ ١٧).
(٢) انظر تفسير غريب القرآن ص١٩٥.
(٣) انظر تفسير غريب القرآن ص٢٦٨. وفى اللسان (٩/ ١٥٠): «أى أصابه ما أهلكه وأفسده».
(٤) أحال فى تفسير غريب القرآن على ما هنا، وانظر تفسير الطبرى (٢٥/ ٧٤، ٧٥)، وأمالى المرتضى (١/ ٣٨).

الصنائع: «أظلمت الشمس له، وكَسَفَ القمرُ لفقده، وبكته الرِّيحُ والبرقُ والسماءُ والأرضُ».

يريدون المبالغة فى وصف المصيبة به، وأنها قد شَمِلت وعمَّت. وليس ذلك بكذب؛ لأنهم جميعًا مُتَوَاطِئُون عليه، والسَّامِعُ له يَعرف مذهب القائل فيه.

وهكذا يفعلون فى كل ما أرادوا أن يعظِّموه ويَسْتَقصوا صفته. ونيَّتُهمْ فى قولهم: «أظلمت الشمس» أى كادت تُظلم، و«كسَفَ القمر»: أى كاد يكْسِف. ومعنى كاد: همَّ أن يفعَلَ ولم يفعل. وربما أظهروا كاد، وقال ابن مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِىُّ يرثى رجلاً[1]:

الرِّيـحُ تَبْـكى شَجْــوَهُ   والبَرْقُ يَلْمَعُ فى غَمَامَهْ[2]

وقال آخر:

الشَّمْسُ طَالِعـةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَـةٍ   تَبْكِى عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ والقَمَرا[3]

أرادَ: الشمسُ طالعةٌ تبكى عليك، وليست مع طلوعها كاسِفَةً النجومَ والقمرَ؛ لأنَّها مظلمةٌ، وإنما تَكْسِفُ بضوئها، فَنُجُومُ الليل باديةٌ بالنهار.

وهذا كقول النابغة وذكر يوم حرب:

تَبْـدُو كَوَاكِبُـهُ والشمسُ طالِعــةٌ   لا النُّورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ[4]

ونحوه قول طَرَفَة فى وصف امرأة:

إنْ تُنَوِّلْهُ فَقَــدْ تَمْنَعُــــهُ   وتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِى بالظُّهُرْ[5]

يقول: تَشقُّ عليه حتى يُظلَم نهارُه فيرَى الكواكب ظهرًا.

---

(١) راجع تعليقات ص١٤٤.

(٢) البحر المحيط (٧/ ٣٦)، وأمالى المرتضى (١/ ٣٩، ٢/ ٩٦)، وشرح شواهد الشافعية ص٣٦، وهو غير منسوب فى الصاحبى ص٢٠١، والأضداد لابن الأنبارى ص٣٧٢.

(٣) البيت غير منسوب فى اللسان (١٨/ ٨٩)، وفيه (١١/ ٢٠٨) لجرير، وفى أمالى المرتضى (١/ ٢٩) له يرثى عمر بن عبد العزيز، والأزمنة والأمكنة (٢/ ٣١٣).

(٤) ديوانه ص٣٠، والشعر والشعراء (١/ ١٢٥).

(٥) أمالى المرتضى (١/ ٢٩)، والكامل (١/ ٤٠٢)، وفى ديوانه ص٦٥: «والتنويل: التقبيل هنا، يقال: أنلته، ونلته، ونولته: أعطيته. وبالظهر: أى يظلم نهاره، وهذا مَثَل».

والعامة تقول: أرانى فلانٌ الكواكب بالنّهار؛ إذا برَّح به.

وقال الأعشى:

رَجَعْتَ لِمَا رُمْتَ مُسْتَحْسِرًا ... تَرَى لِلكواكبِ ظُهْرًا وبِيصَا[1]

أى: رجعتَ كئيبًا حسيرًا، قد أظلَم عليكَ نهارُك، فأنت ترى الكواكب تُعالِى النَّهارَ بريقًا.

* * *

وقد اختلف الناس فى قول الله عز وجل: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩].

فذهب به قومٌ مَذَاهِبَ العرب فى قولهم: بكته الريحُ والبرق. كأنه يريد أن الله عز وجل حِينَ أهلك فرعون وقومَه وغرَّقهم وأوْرَثَ منازِلَهم وجنَّاتهم غيرَهم - لم يَبْكِ عليهم باكٍ، ولم يجزع جازعٌ، ولم يُوجَدْ لهم فَقْدٌ[2].

وقال آخرون: أراد: فما بكى عليهم أهلُ السماء ولا أهل الأرض. فأقامَ السماءَ والأرضَ مقامَ أهلهما، كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢] أراد أهلَ القرية.

وقال: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد:٤] أى: يضع أهلُ الحربِ السِّلاح.

وقال ابن عباس: لكل مؤمنٍ بابٌ فى السماء يَصعَدُ فيه عمله، وينزل منه رزقه، فإذا مات بكى عليه البابُ، وبكت عليه آثارُه فى الأرض ومُصَلاّه. والكافر لا يَصْعد له عمل، ولا يبكى له باب فى السماء ولا أثرُهُ فى الأرض[3].

* * *

(١) فى ديوانه ص١٣٩: «مُستحسنًا ترى للكواكب كَهْرًا وَبيصًا» وبيص: بريق، قال: كهرًا: نصف النهار وهو الظهيرة. وفى اللسان (٨/ ٤٧٠): «كَهَرَ النهار يكْهَرُ كَهْرًا: ارتفع واشتد حره. الأزهرى: كَهْرُ النهار: ارتفاعُه فى شدة الحر».

(٢) راجع المجلس الخامس من أمالى المرتضى (١/ ٤٩ - ٥٥).

(٣) راجع ما روى عن ابن عباس فى ذلك فى: تفسير الطبرى (٢٥/ ٧٤، ٧٥)، والدر المنثور (٦/ ٣٠، ٣١).

ومن هذا الباب قول الله جل وعز: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾(١) [القلم: ٥١] يريد أنهم ينظرون إليك بالعداوة نظرًا شديدًا يكاد يُزْلِقُكَ من شِدَّته، أى يُسْقِطك(٢).

ومثله قول الشاعر:

يَتَقَارَضُونَ إِذا الْتَقَوْا فى مَوْطِنٍ ... نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِئَ الأَقْدَامِ(٣)

أى ينظر بعضهم إلى بعضٍ نظرًا شديدًا بالعداوة والبغضاء، يزيل الأقدام عن مواطئها.

فتفهَّم قول الله عز وجل: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ أى يقاربون أن يفعلوا ذلك، ولم يفعلوا. وتفهّم قول الشاعر: «نظرًا يُزِيلُ» ولم يقل: يكادُ يزيل؛ لأنه نواها فى نفسه.

وكذلك قول الله عز وجل: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾(٤) [مريم: ٩٠] إعظامًا لقولهم.

وقوله جل وعز: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦] إكبارًا لمكرهم. وقرأها بعضُهم: ﴿وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ﴾(٥).

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٩/ ٢٩، ٣٠).

(٢) فى اللسان (١٢/ ١٠): «قال أبو إسحاق: مذهب أهل اللغة فى مثل هذا: أن الكفار من شدة إبغاضهم لك وعداوتهم يكادون بنظرهم إليك نظر البُغَضاء أن يصرعوك، يقال: نظر فلان إلىَّ نظرًا كاد يأكلنى وكاد يصرعنى. وقال القتيبى: أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرًا شديدًا بالبغضاء يكاد يسقطك، وأنشد:

يَتقارَضُونَ إذا التقَوْا فى مَوْطِنٍ ... نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِئَ الأَقْدام»

(٣) البيت من غير نسبة فى تفسير غريب القرآن ص٤٨٢، واللسان (٩/ ٢٨٣)، والصناعتين ص٢٨١، والبيان والتبيين (١/ ١١)، وتفسير القرطبى (١٨/ ٢٥٦)، والبحر المحيط (٢/ ٣١٧). وقد ورد عجزه غير منسوب فى مقاييس اللغة (٣/ ٢١).

(٤) وقبلها: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ...﴾ إلخ. وانظر تفسير الطبرى (١٦/ ٩٧ ـ ٩٩).

(٥) فى القراءات الشاذة لابن خالويه ص٦٩: «وإن كان مكرهم: على، وابن مسعود، وابن عباس، رحمهم الله».

وأكثرُ ما فى القرآن من مثل هذا فإنه يأتى بِكادَ، فما لم يأت بكاد ففيه إضمارها، كقوله: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] أى: كادت من شدَّة الخوف تبلغُ الحُلوقَ.

وقد يجوز أن يكون أراد: أنها ترجُف من شدَّة الفَزَع وتجفُّ ويتصلُ وَجيفُها[١] بالحلوق، فكأنها بلغت الحلوقَ بالوَجِيبِ[٢]. وهم يصفون القلوب بالخفقان والنَّزْو عند المخافة والذُّعر.

قال الشاعر فى وصف مفازة تَنْزُو من مَخَافَتِهَا قُلوبُ الأدلاَّء:

كأنَّ قُلُوبَ أَدِلاَّئِهَـا ... مُعَلَّقَةٌ بقُرونِ الظِّبَاءِ[٣]

وهذا مثل قول امرئ القيس:

ولا مِثْلَ يَومٍ فى قُـدَارٍ ظَلِلْتُـهُ ... كأنّى وأَصْحَابى على قَرْنِ أَعْفَرَا[٤]

أى كأنَّا من القلق على قرن ظبى، فنحن لا نستقر ولا نسكن.

(١) فى اللسان (١١/٢٦٨): «وَجَفَ القلب وجيفًا: خفق، وقلب واجف، وفى التنزيل: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨] قال الزجاج: شديدة الاضطراب».

(٢) فى اللسان (٢/ ٢٩٤): «وَجَبَ القلب يَجِب وجبًا ووَجِيبًا ووجوبًا ووَجَبانًا: خفق واضطرب».

(٣) الحماسة البصرية (٢/٣٦٢)، وقال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ص٤٤٨: «وقال المرَّار [الفقعسى] يذكر فلاةً تنزو من مخافتها قلوب الأدلاء: كأن ـ البيت، يريد أنها تنزو وتجبُّ فكأنها معلقة بقرون الظباء؛ لأن الظباء لا تستقر، وما كان على قرونها فهو كذلك». وهو فى أمالى المرتضى (٢/٩) ـ كما هنا ـ من غير نسبة.

(٤) فى تأويل مختلف الحديث ص٤٤٩: «يريد أنا لا نستقر ولا نطمئن، فكأنا على قرن ظبى». وقال المرتضى فى أماليه (٢/٩): «أراد المبالغة فى وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب، ومفارقة السكون والاستقرار، وإنما خص الظبى لأن قرنه أكثر تحركًا ونشاطًا واضطرابًا؛ لنشاطه ومرحه وسرعته، وقد قال بعض الناس: إن امرأ القيس لم يصف شدة إصابته فى هذا البيت، فيليق قوله «على قرن أعفرا» بالتأويل المذكور، بل وصف أماكن كان فيها مسرورًا متنعمًا، ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت بلا فصل:

ألاَ رُبَّ يوم صالح قـد شهدتُه ... بناذق ذات التلِّ من فوق طرطرا

فيكون معنى قوله «على قرن أعفرا» على هذا الوجه أنه كان على مكان عالٍ مشرف، شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبى، وهذا القول لابن الأعرابى، والأول للأصمعى».

والبيت فى ديوان امرئ القيس ص٥١.

وكان بعض أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفَنِّ، وينسبها فيه إلى الإفْرَاط وتجاوز المقدار. وما أرى ذلك إلا جائزًا حَسَنًا على ما بيَّناه من مذاهبهم.

كقول النابغة فى وصف سيوف:

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ وتُوقِدُ بالصُّفَّاحِ نَارَ الحُباحِبِ[١]

ذَكر أنها تقطع الدّروعَ التى هذه حالُها والفارسَ حتى تبلغَ الأرضَ فتُورِى النار إذا أصابت الحجارة.

وقول النَّمِر بن تَوْلَب فى صفة سيف:

تَظَلُّ تَحْفِرُ عنــهُ إنْ ضَــرَبْتَ به بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ والسَّاقَيْنِ والهادِى[٢]

يقول: رسب فى الأرض بعد أن قطع ما ذكر، واحتاج أن يحفر عنه ليستخرجه من الأرض.

ومثله قول مُهَلْهَل:

ولولا الرِّيحُ أَسْمَعَ أهلَ حَجْرٍ صليلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكُــورِ[٣]

(١) ديوانه ص٤٤، والجمهرة (١/ ١٢٥، ٣/ ٤١)، والوساطة ص٤٣٥، والعمدة (٢/ ٥٩)، وإعجاز القرآن ص٧٧، وديوان المعانى (٢/ ٥٢)، والحيوان (١/ ٣١٢)، واللسان (١٢/ ٢٩)، وفيه (١/ ٢٨٨): «السلوقى: الدرع المنسوبة إلى سَلُوق، قرية باليمن. والصفاح: الحجر العريض. وقال أبو حنيفة: نار حُباحب ونار أبى حُباحب: الشرر الذى يسقط من الزِّناد».

وقال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (١/ ١٢٢): «وذكر أنها تقدُّ الدروع التى ضوعف نسجها، والفارس والفرس، حتى تبلغ الأرض فتنقدح النار بها من الحجارة».

(٢) فى الشعر والشعراء (١/ ٢٧٠): «ذكر أنه قطع ذلك كله ثم رسب فى الأرض، حتى احتاج إلى أن يُحفر عنه! وهذا من الإفراط فى الكذب»، والبيت له فى الوساطة ص٤٣٥، ونقد الشعر ص١٨، والعمدة (٢/ ٥٨)، والصناعتين ص٢٨٣، والموشح ص٧٨، والأغانى (١٩/ ١٦٢)، وإعجاز القرآن ص٧٧، وديوان المعانى (٢/ ٥١).

(٣) قال أبو على القالى فى الأمالى (٢/ ١٣٤): «حجر: قصبة اليمامة، وحريمهم إنما كانت بالجزيرة. والصليل: الصوت. والذكور: السيوف التى عملت من حديد غير أنيث، ويروى: نقاف البيض يُقرع بالذكور» وهى رواية اليزيدى فى أماليه ص١٢٢، وقال دِعْبل: وكان منزله على شاطئ الفرات من أرض الشام. والبيت فى الكامل (١/ ٣٥٠)، والعمدة (٢/ ٥٩)، والعقد (٥/ ٢٢٠)، والوساطة ص٤٣٥، والشعر والشعراء (١/ ٢٥٦)، والحيوان (٦/ ٤١٨)، والأغانى (٤/ ١٤٧)، ومعجم الشعراء ص٣٣١، والبيان والتبيين (١/ ١٢٤)، والموشح ص٧٤، ونقد الشعر ص٨٤، وشرح الحماسة للمرزوقى (١/ ١٨٥).

وقال قيس بن الخَطيم يَصِفُ طعنة:

مَلَكْتُ بها كَفِّى فأنْهَرْتُ فَتْقَهَا   يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا[١]

وقال أيضًا:

لَوَ انَّكَ تُلْقِى حَنْظَلاً فَوْقَ بَيْضِنَا   تَدَحْرَجَ عن ذِى سَامِـهِ المُتَقَارِبِ[٢]

يقول: تَرَاصَّ القومُ فى القتال حتى لو أن ملقيًا ألقى على بيضهم حنظلاً لجرى عليها كما يجرى على الأرض ولم يسقط لِشِدَّة تَرَاصُفِهِمْ.

و«عن» بمعنى «على». وذو سامه: بيضه المذهب. والسَّامُ: عُروق الذَّهب.

وقول عنترة:

وأنا المَنِيَّةُ فى المَواطِنِ كلِّها   والطَّعْنُ مِنِّى سَابِقُ الآجالِ[٣]

وقال بشَّار:

إذا مـــا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً   هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمَا[٤]

---

(١) ديوانه ص٣: «ترى قائمًا من خلفها»، واللسان (٧/٩٦): «أنهر الطعنة: وسَّعها... ملكت: أى شددت وقوَّيت، ويقال: طعنه طعنة أنهر فتقها؛ أى وسَّعه»، وديوان المعانى (٢/٥١)، والمختار من شعر بشار ص٩١، وحماسة أبى تمام بشرح التبريزى (١/١٧٨)، وبشرح المرزوقى (١/١٨٤)، والأغانى (٣/١٦٠)، والبحر المحيط (٨/١٨٤).

(٢) ديوانه ص١٣، ومعجم البلدان من أبيات (٨/٤٨)، وغير منسوب فى المخصص (١١/٢٣)، وفى اللسان (١٥/٢٠٥): «أى على ذى سامه، وعن فيه بمعنى على، والهاء فى سامه ترجع إلى البيض المموَّه به، أى البيض الذى له سام، قال ثعلب: معناه: أنهم تراصوا فى الحرب حتى لو وقع حنظل على رءوسهم ـ على امِّلاسه واستواء أجزائه ـ لم ينزل إلى الأرض». وانظر مجالس ثعلب (١/١٨٤)، وعجزه له فى أدب الكاتب ص٥١٣، وهو فى الاقتضاب ص٤٤٢، ٤٤٣.

(٣) ديوانه ص١٠٩، والوساطة ص٤٣٤.

(٤) المختار من شعر بشار ص١٦٣، والأزمنة والأمكنة (٢/٣٥)، والأغانى (٣/٣١)، والشعر والشعراء (٢/٧٣٦)، والعمدة (٢/١٧٣)، والموشح ص٢٤٨، والحيوان (٦/١١٢)، وفى مجموعة المعانى: «للقَحيف بن خُمير... كذا رواه أبو هلال العسكرى فى كتاب الحماسة الذى جمعه، ونسبه إلى القحيف، والبيت مشهور لبشار»، ونسبه الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص٩٣ للقُحيف بن خُمير، وقال: «أخذ هذا البيت بشار فأدخله فى قصيدته»، وفى اللسان (٢/٢٩٠): «وأنشد الأزهرى للغَنَوى: إذا ما غضبنا... إلخ، قال: حجابها: ضوءها هاهنا».

وقال طُرَيْح الثقفى:

لو قُلْتَ للسَّيلِ: دَعْ طريقَكَ والـ ـموجُ عليـه بالهَضْبِ يَعْتَلِجُ(١)

لارتدَّ أوْ سَاخَ أو لَكــانَ لهُ فى سَائِرِ الأرضِ عنك مُنْعَـرَجُ

وقال ابن ميَّادة:

ولو انَّ قَيْسًا قيسَ عَيْـلانَ أقْسَمَـتْ على الشَّمسِ لم تَطلُعْ عليكَ حِجَابُها(٢)

وقال الطِّرمَّاح:

ولو أنَّ حُرْقُوصًا على ظَهْرِ قَمْلَةٍ يكُـرُّ علـى صَفَّى تميـمٍ لَوَلَّـتِ(٣)

وقال آخر يذكر حديث امرأة:

حَديثٌ لو انَّ اللَّحْمَ يَصْلَى بِحرِّهِ غَرِيضًا أتَى أصْحَـابَهُ وَهْوَ مُنْضَجُ(٤)

وقال أبو النَّجْم يذكر سيلاً:

كأنَّ فَوْقَ الأُكْـمِ مِنْ غُثَـائه قطـائفَ الشَّـامِ على عَبـائِه

والشِّيحَ يَهْدِيهِ إلَى طَحْمَائه(٥)

---

(١) البيتان لطريح فى مدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك، كما فى الشعر والشعراء (٢/ ٦٦٠)، والأغانى (٤/ ٨٠، ٨١)، وفى اللسان (٣/٢٢٣): «يمدح الوليد بن عبد الملك، قال أبو الفرج: وقوله: «لو قلت للسيل دع طريقك» يقول: أنت ملك هذا الأبطح والمطاع فيه، فكل من تأمره يطيعك فيه، حتى لو أمرت السيل بالانصراف عنه لفعل؛ لنفوذ أمرك. وإنما ضرب هذا مثلاً، وجعله مبالغة؛ لأنه لا شىء أشد تعذرًا من هذا وشبهه، فإذا صرفه كان على كل شىء سواه أقدر. وقوله «لساخ»: أى لغاض فى الأرض، و«ارتد»: أى عدل عن طريقه، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً كان له منعرج عنك إلى سائر الأرض».

(٢) الأغانى (٢/١١٧) من قصيدة يهجو بها بنى أسد وبنى تميم وفيه: «لم يطلع عليكم».

(٣) أنشده له ابن قتيبة فى المعانى الكبير (٢/ ٦٨٠)، وهو فى ديوانه ص١٣٢ ـ ١٣٣، والشعر والشعراء (٢/٥٦٨)، والصناعتين ص٢٨٤، وحماسة ابن الشجرى ص١٢٦، وروايته فيهما: «ولو أن برغوثًا». والحرقوص: دُوَيبَّة أكبر من البرغوث وعضها أشد من عضه، كما قال الجاحظ فى الحيوان (٦/ ٤٥٤).

(٤) نسبه ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٤/ ٨٢)، لِجرَان العَوْد، وهو غير موجود فى ديوانه، وفى الأمالى (٢/ ٧٦) لأم الضحاك المحاربية، وكذلك فى زهر الآداب (٤/ ٨٨).

(٥) فى الحيوان (٣/ ٣٨٩): «والشيخ تهديه إلى طحمائه» وهو تحريف.

يقول: صار الجبلُ والسهل واحدًا، وصار الغُثاءُ على رءوس الأُكْم، والطَّحْماء: شجر ينبت فى الجبال[١]، والشِّيحُ ينبت فى السّهول[٢]، فأراد أنّه حَمَل نَبْتَ السهل إلى الجبل.

وقال وذكر ظَلِيمًا يَعْدُو ويطير:

* هَاوٍ تَضِلُّ الطَّيرُ فى خَوَائِهِ *

والخَوَاءُ: ما بين قوائمه وبطنه وبين الأرض إذا عدا وطار. يريد أنّ الطير يطير بينه وبين الأرض حتى يَضِلّ.

وقد يُرْوَى:

* تَضِلُّ الرِّيحُ فى خَوَائِهِ[٣] *

وقال الكُمَيْت وذكر الرِّياح:

تَرَامَى بِكَذَّانِ الإكـامِ ومَرْوِهَا   تَرَامِىَ وُلْدَانِ الأَصَارِمِ بالخَشْلِ[٤]

أراد أن الرياح ترامى بالحجارة الكبار كما يَترامَى الصّبيان بنوى المُقْلِ.

وقال آخر[٥]:

(١) اللسان (١٥/ ٢٥٣).

(٢) فى اللسان (٣/ ٣٣٢): «الشيح: نبات سُهْلى، يُتخذ من بعضه المكانس، وهو من الأمرار، له رائحة طيبة وطعم مر، وهو مرعًى للخيل والنعَم، ومنابته القيعان والرياض».

(٣) فى اللسان (١٠/ ٢٦٩): «وخَواء الأرض ـ ممدود ـ بَراحها، قال أبو النَّجْم: «يبدو خَواءُ الأرض من خَوائه» ويقال: دخل فلان فى خواء فرسه، يعنى ما بين يديه ورجليه. وأبو النجم وصف فرسًا طويل القوائم».

(٤) فى اللسان (٥/ ٤١): «الكَذَّان ـ بالفتح ـ حجارة كأنها المَدَر فيها رخاوة، وربما كانت نخرة، الواحد كذّانة... قال الكميت يصف الرياح: ترامى... إلخ». والخَشْل والخَشَلَة محرَّك الشين: المُقْل نفسه، قيل: هو اليابس، وقيل: هو رطبه وصغاره الذى لا يؤكل، وقيل: هو نواه، واحدته خَشْلة وخَشَلة، كما فى اللسان (١٣/ ٢١٨). والمُقْل: حَمْلُ الدَّوْم واحدته مُقْلة، والدوم: شجرة تشبه النخلة فى حالاتها.

(٥) ثمار القلوب ص٣٢٥ غير منسوب نقلاً عن الجاحظ، وقال الجاحظ فى الحيوان (٣/ ٣٩٨): «وقال بعض الشعراء يهجو حارثة بن بدر الغُدَانى: زعمت... ضخمًا يواريه». وهما فى الأغانى (١٢/ ١١) لأُبيرد بن المعذر الرياحى يهجو حارثة، وفيه: «يواريه».

زَعَمتْ غُـدَانَةُ أَنَّ فيهـا سَيِّدًا ... ضَخْمًا يُوَازِنُه جَنَاحُ الجُنْدَبِ

يُرْوِيه ما يُرْوِى الذّبابَ فيَنْتَشِي ... سُكْرًا وتُشْبِعُـهُ كُرَاعُ الأَرْنَبِ[١]

هذه الأبيات التى ذكرناها ومثلها فى الشعر كثير.

* * *

والعرب تقول: «له الطِّمُّ والرِّمُّ» إذا أرادوا تكثير ماله.

والطِّمُّ: البحر، والرِّمُّ: الثرى. وهذا لا يملكه إلا الله تعالى.

ويقولون: «فلان دون نائله العَيُّوق»، ويقولون: «له الضِّحُّ والرِّيحُ»[٢] يريدون ما طلعت عليه الشمس، وجرت عليه الرِّيح.

ويقولون: «فلان يثير الكلاب عن مرابضها» يريدون أنه لِشَرَهِه ولُؤْمه يثيرها عن مواضعها، يَطلُب تحتها شيئًا فاضِلاً من طُعْمها ليأكُلَه. وهذا ما لا يفعله بشر.

وقال الشاعر:

تركُـوا جـارَهُم يَأْكُلُه ... ضَبُعُ الوادى ويَرْميه الشَّجَرْ[٣]

والشجر لا يرمى أحدًا.

وهذا كله على المبالغة فى الوصف، وينوون فى جميعه يكاد يفعل، وكلهم يعلمُ المراد به.

وقال آخر:

إذا رَأَيْـتَ أَنْجُمًا مـن الأسَـدْ ... جَبْهتِـه أو الخَرَاة والكَتَـدْ

بالَ سُهَيْلٌ فى الفَضِيخِ فَفَسَدْ ... وطـابَ أَلْبَانُ اللِّقَـاحِ فبَرَدْ[٤]

---

(١) فى الأغانى: «ذراع الأرنب»، وفى الحيوان بعد البيتين: «قالوا: لا يجوز أن يقول: «يرويه ما يروى الذباب» و«يواريه جناح الجندب» ثم يقول: « ويشبعه كراع الأرنب»، وإنما ذكر كراع الأرنب؛ لأن يد الأرنب قصيرة. . .».

(٢) راجع اللسان (٣/ ٣٥٩).

(٣) البيت غير منسوب فى الحيوان (٦/ ٤٥٤)، وشرحه الجاحظ بقوله: «يقول: خذلوه حتى أكله الأم السباع وأضعفها. وقوله: «ترميه الشجر» يقول: حتى صار يرميه من لا يرمى أحدًا».

(٤) الرجز غير منسوب فى تفسير الطبرى (١٤/ ٨٦)، ومبادئ اللغة ص٧٩، واللسان (٢/ ٣٣٤، =

وهذا وقت يذهب فيه الفَضِيخ؛ لأنّه يكون من البُسْر، والبسر يصير عند طلوع هذه الأنجم رُطَبًا، فلما كان فسادُه عن طلوع سُهَيل، وكان الشرابُ يفسد بأن يبال فيه ـ جعَلَ سُهيلاً كأنه بالَ فيه لَمَّا أفسدَهُ وقتَ طلوعِه.

وقال دُكَيْن:

وقَـــدْ تَعَـالَلْتُ ذَمِيلَ العَنْسِ　　　بالسَّوْطِ فى دَيْمُومَةٍ كالتُّرْسِ

إذ عَرَّجَ الليلُ برُوحِ الشَّمْس[1]

فجعل للشمس رُوحًا عرَّج بها الليل.

والأصل فى هذا كله: أن كلَّ حيوان يموت تُقْبَضُ روحُه، فلما أبطل الليل الشمس جعله كأنه قَبض لها رُوحًا.

وقال ذو الرُّمَّة يصف إبلاً فى مسيرها:

إذا اغْتَبَقَتْ نَجْمًا فَغار تَسَحَّرَتْ　　　عُــلالَةَ نَجْمٍ آخرَ الليـل طـالِعِ[2]

يقول: تهتدِى بكوكب طلَع أوَّل الليل، حتى إذا غاب اهتدت بكوكب آخر طالعٍ

= و٤/ ٣٨٠، ١٧/ ٤٧٧)، ومجالس ثعلب (٢/ ٤٨٩)، والاقتضاب ص٣٩٩.

«والجبهة: النجم الذى يقال له: جبهة الأسد، وهى أربعة أنجم ينزلها القمر. والخراتان: نجمان من كواكب الأسد، وهما كوكبان بينهما قدر سوط. والكتد: نجم، وجمعه أكتاد وكُتود. وسهيل: كوكب. والفضيخ: شراب يصنع من التمر، وهو يفسد عند طلوع سهيل، فلما كان طلوعه سببًا لفساده جعل سهيلاً كأنه بال فيه».

(١) الرجز غير منسوب فى البيان والتبيين (٣/ ٣٣٤)، وفى الحيوان (٣/ ٧٤) لدكين، وفى ص٣٦٣: «دكين الراجز أو أبو محمد الفقعسى»، وفى المؤتلف والمختلف ص١٠٤: «المنظور بن حبة الأسدى، ويروى هذا الرجز لدكين فى أرجوزة» وفيه: «بالسعط فى ديمومة... إذا عرج الكيل بروح» وهو تحريف وفى زهر الآداب (٢/ ١٢١) لأعرابى. وفى اللسان (١٣/ ٤٩٧): «وتعاللت الناقة: إذا استخرجتَ ما عندها من السير، وقال: وقد تعاللت ذميل العنس». والذميل: سير سريع لين. والعنس: الصخرة، والعنس: الناقة القوية، شبهت بالصخرة لصلابتها. والديمومة: الصحراء البعيدة.

(٢) فى ديوانه ص٣٧١: «إذا اغتبقت، هذا مثل، يقول: إذا ابتدأت كما يبتدأ الغبوق، وهو شرب العشىّ، يقول: يكون ذلك النجم غبوقها فى أول الليل، فإذا غار، أى غاب، تسحرت علالة نجم، أى بقية نجم، يقول: يكون سيرها فى ذلك الوقت بالسحَر».

فى السَّحَر، ولم يُرِدْها، وإنما أراد رُكبانَها فجعلها تَغْتَبق النَّجْمَ، وتَتَسَحَّر بالنَّجْم.

وقال مُزَرِّد:

ولو أنَّ شَيْخًا ذا بَنِينَ كأنَّما   على رأسه مِنْ شاملِ الشَّيْبِ قَوْنَسُ[1]
تُبيِّتُ فيه العنكبوتُ بَنَاتِها   نَوَاشِئَ حتَّى شِبْنَ أَوْ هُنَّ عُنَّسُ[2]

وإنما أراد طول مُكْث العناكب فى رأسه، فجعلهنَّ قد شِبْنَ وعَنَّسْنَ.

وأصل هذا: أنَّ المرأة إذا طال مُكثها فى بيت أبيها لا تُزوَّج عَنَّسَت وشابت، فاستعار الشيب والتَّعْنيسَ مثلاً لطُول مكث العناكب.

وقال المُسَيَّب بن عَلَس:

دعَا شجرَ الأرضِ دَاعِيهم   لِينصُرَه السِّدْرُ والأَثْأَبُ[3]

أراد أنه دعا عليهم الخلق يستنصرهم، فضرب الشجر مثلاً لكثرة الناس. والعوامُّ تقول: جاءنا بالشّوك والشجر؛ إذا جاء فى جيش عظيم[4].

* * *

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ [يوسف:٣١] أى طعامًا، يقال: اتَّكأْنا عند فلان؛ أى طَعِمنا.

وقال جميل:

فَظَلِلْنَا بِنِعْمَةٍ واتَّكَأْنَا   وَشَرِبْنَا الحَلاَلَ مِنْ قُلَلِهْ[5]

---

(١) ذكرهما له ابن قتيبة فى المعانى الكبير ص٦٢٥، وذكر الأول مع بيتين آخرين فى ص٧٢١ حيث قال: «وقال مزرد وذكر امرأة»، والأبيات التى ذكرها فى الموضعين أثبتها الجاحظ فى الحيوان (٥/ ٤١٠).

(٢) قال ابن قتيبة فى المعانى الكبير ص٦٣٥: «العناكب لا تشيب وإنما هو مثل، أى كما يطول مكث العانس فى بيت أبويها حتى تشيب ولا تتزوج».

(٣) ديوان المسيب المطبوع مع ديوان الأعشى ص٣٥١، والعمدة (١/ ٢٨٠).

(٤) نقله ابن رشيق فى العمدة (١/ ٢٨٠).

(٥) ديوانه ص٥٣، وأساس البلاغة (٢/ ٢٧٣)، واللسان (١٤/ ٨٣)، والأغانى (٧/ ٧٩)، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص١٢٦، وهو غير منسوب فى الأزمنة والأمكنة للمرزوقى (١/ ٣٠٥)، وذكره له =

والأصل: أن من دعوته ليطعَم أعددت له التُّكَأة للمُقَام والطمأنينة، فسُمِّى الطعام مُتَّكَئًا على الاستعارة.

* * *

ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود:٥٦] أى يقهرها ويُذِلُّها بالمُلْك والسُّلطان. وأصل هذا: أن من أخذت بناصيته فقد قهرته وأذلَلْته، ومنه قيل فى الدعاء: ناصيتى بيدك. أى أنت مالك لى وقاهرٌ.

* * *

ومنه قوله عز وجل: ﴿إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران:٧٥] أى مواظبًا بالاقتضاء والمطالبة. وأصله أن المُطالب بالشىء يقوم فيه ويتصرَّف، والتاركُ له يقعد عنه. قال الأعشى:

يَقُوم على الوَغْمِ فى قومِه فيَعْفُو إذا شاءَ أو يَنْتَقِمْ[1]

أى يطالب بالذَّحْلِ[2] ولا يقعد عنه.

وقال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران:١١٣] أى: عاملة غير تاركة.

وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣] أى: آخذ لها بما كسبت.

* * *

ومنه قوله تعالى حكاية عن المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة:٦١] أى يقبل كلَّ ما بلغه. والأصل: أن الأذن هى السامعة، فقيل لكل من صدَّق بكل خبر يَسمَعُه:

= ابن قتيبة فى كتاب الأشربة ص٦٠، وقال فى شرحه: «اتكأنا: طعمنا، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ أى طعامًا، وشربنا الحلال: يعنى النبيذ، والقلل: جمع قلة، وهى جرار يكون فيها النبيذ...».

(١) ديوانه ص٣١. يقوم: يطلب لقومه. والوغم: الذَّحْل والتِّرَة والحقد الثابت فى الصدور.

(٢) فى اللسان (١٣/ ٢٧٢): «الذحل: الثأر وطلب المكافأة بجناية جُنِيَتْ عليه من قتل أو جَرْح ونحو ذلك».

أُذُنٌ. ومنه يقال: آذنتك بالأمر فأَذِنْتَ، كما تقول: أعلمتُكَ فعَلِمْتَ، إنما هو أوْقَعْته في أُذُنك. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾(1) [البقرة:٢٧٩] أى: اعلموا، ومن قرأها ﴿فآذنوا﴾ أراد: فأَعْلِمُوا(2).

ومنه ما قالت الشعراء:

* آذَنَتْنا بِبَيْنِها أسماءُ(3) *

ومنه الأذَانُ إنما هو إعلام الناس وقت الصلاة.

وقولُه: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة:٣] أى: إعْلاَم.

وكان المنافقون يقولون: إن «محمدًا» أُذُن فقولوا ما شئتم، فإنا متى أتيناه فاعتذرنا إليه صَدَّقنا. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة:٦١] أى كان الأمر كما تذكرون ولكنه إنَّمَا ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦١] أى يُصدِّقُ اللهَ ويصدِّق المؤمنين، لا أنتم، و«الباء» و«اللام» زائدتان.

* * *

ومنه قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ [الأحزاب:٢٣] أى: قُتِلَ. وَالنَّحْبُ: النَّذْرُ(4).

وأصل هذا: أنَّ رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه نذروا إن لَقوا العدُوَّ لَيَصْدُقُنَّ القتال أو لَيُقْتَلُنَّ، هذا أو نحوه(5)، فقتِلوا، فقيل لِمَنْ قُتِلَ: قَضَى نَحْبَهُ.

---

(١) انظر اللسان (١٦/ ١٤٦، ١٤٧).

(٢) فى البحر المحيط (٢/ ٣٣٨): «قرأ حمزة... «فآذنوا» أمر من آذن الرباعى، بمعنى أعلم، مثل قوله: ﴿فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنبياء:١٠٩] وقرأ باقى السبعة: «فأذنوا» أمر من أذن الثلاثى مثل قوله: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ:٣٨]». وانظر مجمع البيان للطبرسى (١/ ٣٩١، ٣٩٢).

(٣) الشطر مطلع معلقة الحارث بن حلِّزة، وعجزه: «رُبَّ ثاو يملُّ منه الثَّواءُ» وآذنتنا: أعلمتنا، والبين: الفراق، والثاوى: المقيم، والثواء: الإقامة. راجع شرح القصائد العشر ص٢٤١.

(٤) فى اللسان (١٢/ ٢٤٧): «وقال الزجَّاج والفراء: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أى أجله... وقيل: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أى قضى نذره، كأنه ألزم نفسه أن يموت فوفَّى به... النحب: النذر، كأنه ألزم نفسه أن يَصْدُقَ الأعداء فى الحرب فوفَّى به ولم يَفْسَخْ. وقيل: هو من النحب الموتِ، كأنه يلزم نفسه أن يقاتل حتى يموت. وقال الزجَّاج: النحب: النفس، عن أبى عبيدة».

(٥) فى تفسير الطبرى (٢١/ ٩٣): «... وقيل: إن هذه الآية نزلت فى قوم لم يشهدوا بدرًا فعاهدوا الله =

واستُعير النَّحْب مكان الأَجل؛ لأن الأجَل وَقَعَ بالنَّحْبِ وكان النَّحْبُ له سببًا.

ومنه قيل للعطية: المَنُّ؛ لأنَّ من أعطى فقد مَنَّ. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦] أى لا تُعْطِ لتأخذ أكثر مما أعْطَيت.

وقال: ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ [ص:٣٩] أى فأعط أو أمْسِكْ. وقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص:٣٩] مردود إلى قوله: ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا﴾ بغير حساب.

* * *

= أن يفوا قتالاً للمشركين مع رسول الله ﷺ، فمنهم من أوفى فقضى نحبه، ومنهم من بدل، ومنهم من أوفى ولم يقض نحبه، وكان منتظرًا، على ما وصفهم الله به... زعم أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله المشركين، لئن أشهدنى الله قتالاً لَيرينَّ الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى المسلمين ـ فمشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أى سعد، إنى لأجد ريح الجنة دون أحد، فقال سعد: يا رسول الله، فما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. وقال أنس: فكنا نتحدث أن هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ نزلت فيه وفى أصحابه».
وانظر أسباب نزول القرآن للواحدى ص٣٧١، ٣٧٢.

باب المقلوب

ومن المقلوب: **أن يُوصف الشىءُ بضدِّ صفته للتطيُّر والتفاؤل**، كقولهم لِلَّديغ: سليمٌ، تَطَيُّرًا من السُّقْم، وتفاؤلاً بالسّلامة، وللعطشان: نَاهِل؛ أى سَيَنْهَل، يَعْنُون: يَرْوَى. وللفلاة: مفَازَة؛ أى منجاة، وهى مَهْلَكةٌ.

وللمبالغة فى الوصف، كقولهم للشمس: جَوْنَةٌ، لشدّة ضوئها، وللغراب: أَعْوَر؛ لحدّة بصره.

وللاستهزاء، كقولهم للحبشىّ: أبو البَيْضَاء، وللأبيض: أبو الجَوْن.

ومن هذا قولُ قومِ شُعَيب: ﴿**إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾ [هود:٨٧]، كما تقول للرجل تستجهله: يا عاقل، وتستخفه: يا حليم.

قال الشاعر:

فقلتُ لِسيِّــــدِنَا: يَا حَلِيـ ـمُ إنَّكَ لَمْ تَأْسُ أَسْوًا رَفِيقَا[(١)]

قال قتادة: ومن الاستهزاء قولُ الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٢، ١٣].

(١) البيت لشُتَيْم بن خُوَيلد، كما فى اللسان (١١/ ٣٦٨، ٣٦٩)، وفيه: «يا حكيم» وبعده:

أعنتَ عَـديًّا على شَأْوِهـا تُعـادى فريقًا وتَنْفى فريقا
أطعتَ اليمينَ عنادَ الشمالْ تُنحّى بحَدِّ المَواسى الحُلُوقا
زَجَرْتَ بهـا لَيلةً كلَّهـا فجئتَ بها مُؤْيَدًا خَنْفَقيقا

وقوله: يا حكيم، هزء منه، أى أنت الذى تزعم أنك حكيم، وتخطئ هذا الخطأ. وقوله: أطعت اليمين عناد الشمال: مَثَل ضربه، يريد فعلت فعلاً أمكنت به أعداءنا منا، كما أعلمتك أن العرب تأتى أعداءها من ميامنهم، يقول: فجئتنا بداهية من الأمر، وجئت به مُؤْيَدًا خنفقيقًا، أى ناقصًا مقصرًا».

وقال الجاحظ فى شرح الأبيات فى البيان والتبيين (١/ ١٨٢): «تأسو: تداوى، أسوًا وأسى، مصدران. والآسى: الطبيب. ومؤيد: داهية. خنفقيق: داهية أيضًا. الشأو: الغلوة لركض الفرس».

وهو فى الحيوان (٣/ ٨٢، ٥/ ٥١٧) لشتيم أيضًا. وفى الأضداد ص٣٢٥، والصاحبى ص٢١٤ غير منسوب فيهما.

وفى قول عَبيد بن الأبْرَص لِكنْدَةَ طَرَفٌ من هذا المعنى:

هَلاَّ سألْتَ جُمُــوعَ كِنْـ ـدَة يومَ ولَّوْا: أَيْنَ أَيْنَا[1]؟

يستهزئُ بهم حين انهزموا، يريد: أين تذهبون؟ ارجعوا.

وأما قول الله سبحانه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩]، فبعض الناس يَذْهَبُ به هذا المذهب، أى أنت الذليل المهان.

وبعضهم يريد: أنت العزيز الكريم عند نفسك. وهو معنى تفسير ابن عباس؛ لأن أبا جهل قال: ما بين جبليها أعزُّ منى ولا أكرم، فقيل له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[2].

* * *

ومن ذلك أن يُسمَّى المتضادَّان باسم واحد، والأصل واحد.

فيقال للصبح: صَرِيمٌ، ولليل: صَرِيمٌ. قال الله سبحانه: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠]، أى سوداء كالليل؛ لأنَّ الليل يَنْصَرِمُ عن النهار، والنهار ينصرم عن الليل[3].

* * *

وللظُّلمة: سُدْفَةٌ. وللضوء: سُدْفَةٌ. وأصل السُّدْفة: السُّتْرَة، فكأن الظلام إذا أقبل سِتْرٌ للضّوء، والضوء إذا أقبل سِتْرٌ للظّلام[4].

* * *

(١) ديوانه ص٢٨، وبعده:

أيامَ نضربُ هَامَهُمْ ببَواترٍ حتى انحنينا

وهو له فى مختارات ابن الشجرى (٢/ ٣٩)، والشعر والشعراء (١/ ٢٢٤)، والأغانى (١٩/ ٨٥)، وهو فى الصناعتين ص١٤٤، وإعجاز القرآن ص٩٤ غير منسوب فيهما. وكذلك فى معانى القرآن للفراء (١/ ١٧٧).

(٢) راجع تفسير الطبرى (٢٥/ ٨٠).

(٣) نقل هذا ابن الأنبارى فى كتاب الأضداد ص٨.

(٤) الأضداد ص٨.

وللمستغيث: صارخ، وللمُغيث: صارخ؛ لأن المستغيثَ يصرُخ فى استغاثته، والمُغيث يصرُخ فى إجابته[1].

* * *

ولليقين: ظَنٌّ، وللشك: ظَنٌّ؛ لأنّ فى الظن طرفًا من اليقين، قال الله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩] أى يَستيقنُون. وكذلك: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٠]، و﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف:٥٣]، و﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣٠]؛ هذا كلّه فى معنى «اليقين».

قال دُرَيْد بن الصِّمَّة:

فَقُلْتُ لَهُم: ظُنُّوا بِأَلفَىْ مُدَجَّجٍ ... سَرَاتُهمُ فى الفَارِسِىِّ المُسَرَّدِ[2]

أى تيقنوا بإتيانهم إيَّاكم.

وكذلك جعلوا «عَسَى» شكًا ويقينًا، و«لعلَّ» شكًا ويقينًا. كقوله ﴿فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء:٣١] أى ليهتدوا.

* * *

وللمشترى: شارٍ، وللبائع: شارٍ؛ لأنَّ كلّ واحدٍ منهما اشترى.

وكذلك قولهم لكل واحدٍ منهما: «بائع»؛ لأنه باع وأخذ عِوَضًا مما دَفع، فهو «شارٍ» و«بائع».

قال الله عز وجل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ﴾ [يوسف:٢٠] أى باعُوه. وقال:

---

(١) الأضداد ص١١ ـ ١٣.

(٢) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ص١١٢، وجمهرة أشعار العرب ص١١٧، ونسبه له المبرد فى كتاب: ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ص٩، وابن الأنبارى فى الأضداد ص١٢، وفيهما: «بألفى مقاتل»، وهو له فى الأغانى (٩/ ٤)، وتفسير الطبرى (١/ ٢٠٦) وغير منسوب فيه (٢٥/ ٨٣)، وله فى البحر المحيط (١/ ١٨٥) وغير منسوب فى (٢/ ٨٨)، وله فى حماسة أبى تمام بشرح التبريزى (٢/ ٣٠٥): «والمدجج: التام السلاح. سراتهم: خيارهم. وعنى بالفارسى المسرد: الدروع. وقال الخليل: السَّرْد اسم جامع للدروع وما أشبهها؛ لأنه يُسْرَد فيُثْقَب طرفا كل حلقة بالمسمار، والمِسْرَد: هو المِثْقَب. والمعنى: إنى نصحت لهم، وهم لى حاضرون يسمعون نصيحتى، وقلت لهم: إن الأعداء لكم مترصدون فأسيئوا الظن بهم إذا تمكنوا منكم، أو أيقنوا...».

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة:١٠٢].

وقال ابن مُفَرِّغ:

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي ... مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ(١)

و«بُرْدٌ»: غلام كان له فباعه وندم على بيعه.

* * *

و«وراء» تكون بمعنى «خَلْف» وبمعنى «قُدَّام»(٢).

ومنها المُواراةُ والتَّوَارِى. فكلُّ ما غاب عن عينك فهو وراءٌ، كانَ قُدَّامَك أو خلفك.

قال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف:٧٩]، أى أمامَهم.

وقال: ﴿مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية:١٠] أى أمامهم.

وقال: ﴿وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٧].

* * *

وقالوا للكبير: «جَلَلٌ»، وللصغير: «جَلَلٌ»(٣)؛ لأنَّ الصغير قد يكون كبيرًا عند ما هو أصغر منه، والكبير يكون صغيرًا عند ما هو أكبر منه، فكلّ واحد منهما صغير كبير.

ولهذا جُعلت «بعض» بمعنى «كلّ»؛ لأنَّ الشيءَ يكون كلُّه بعضًا للشيء، فهو بعضٌ وكُلٌّ(٤).

وقال عز وجل: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾(٥) [الزخرف:٦٣].

---

(١) الشعر والشعراء (١/ ٣٢١)، والأغانى (١٧/ ٥٥)، ومجاز القرآن (١/ ٤٨، ٣٠٤)، وأمالى المرتضى (٢/ ٩٥، ٩٦).

(٢) الأضداد ص٥٦، ٥٧.

(٣) الأضداد ص٨، ٧٤ ـ ٧٦.

(٤) الأضداد ص٨.

(٥) فى مجاز القرآن (٢/ ٢٠٥): «البعض هاهنا: الكل، قال لبيد:

تَرَّاكُ أمكنــةٍ إذا لم أرْضَهـا ... أو يَعْتَلِقْ بعضَ النفوسِ حِمامُها

الموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض».

و«كلٌّ» بمعنى «بعض» كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٢٣]، و﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل:١١٢]، وقال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف:٢٥].

* * *

وجُعلتْ «فوق» بمعنى «دون» فى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦] أى فما دونها؛ لأن «فوق» قد تكون «دون» عند ما هو فَوْقَها، و«دون» قد تكون «فوق» عند ما هو دونَها[١].

* * *

و«خشيتُ» بمعنى «علمت»، قال عز وجل: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف:٨٠] أى علِمْنا. وفى قراءة أُبَى[٢]: ﴿فَخَافَ رَبُّكَ﴾.

ومثله: ﴿إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٢٩]. وقوله: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾[٣] [البقرة:١٨٢] أى: علم. وقوله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:٥١]، لأنَّ فى الخشية والمخافة طَرَفًا من العلم.

و«رَجَوْتُ» بمعنى «خِفْتُ». قال الله سبحانه: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣] أى: لا تخافون لله عظمته[٤]؛ لأنَّ الرَّاجىَ ليس بمستيقِن ومعه طَرَفٌ من المخافة. قال الهُذَلِىُّ:

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لم يَرْجُ لَسْعَهَا ... وَحَالَفَهَا فى بَيْتِ نُوبٍ عَوامِلِ[٥]

أى: لم يخفها.

---

(١) راجع الأضداد ص٢١٧، ٢١٨.

(٢) فى البحر المحيط (٦/ ١٥٥): «وفى قراءة أبى: (فخاف ربُّك) والمعنى: فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيَّره». وبهذه القراءة قرأ أيضًا عبد الله بن مسعود، كما فى البحر، والقراءات الشاذة ص٨٢.

(٣) فى اللسان (١٠/ ٣٧٧): «قال الزجاج: جنفًا أى ميلاً. أو إثمًا أى قصدًا لإثم».

(٤) فى الأضداد ص٩: «قال الفراء: العرب لا تذهب بالرجاء مذهب الخوف إلا مع الجحد، كقولهم: ما رجوت فلانًا، أى ما خفته، قال الله عز وجل: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فمعناه لا تخافون لله عظمته».

(٥) البيت لأبى ذؤيب الهذلى، كما فى ديوانه ص١٤٣، والضمير فى لسعته يعود على مشتار النحل =

و«يئستُ» بمعنى: «علمتُ» من قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1] [الرعد:٣١]؛ لأنَّ فى علمك الشىءَ وتيقُّنك له يأسَك من غيره.

قال لَبيد:

حتَّى إذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ فأرْسَلُوا ... غُضْفًا دوَاجِنَ قَافِلاً أعْصَامُها[2]

أى: علموا ما ظهر لهم فيَئِسُوا من غيره.

وقال آخر:

أقولُ لهم بالشِّعْبِ إذْ يَاسِرُونَنِى: ... ألَمْ تَيْأَسُوا أنِّى ابنُ فَارِس زَهْـدَمِ[3]

أى: ألم تعلموا.

= الحاذق الذى ذكره فى البيت السابق لهذا وهو:

تدلَّى عليهـا بالجبـال موثَّقًا ... شديدَ الوصاة نابل وابن نابلِ

ويروى: «خالفها» بالخاء، لم يرج: أى لم يخش لسعها، والنوب: التى تنوب، تجىء وتذهب، ويروى: «عواسل».

والبيت فى اللسان (٢/ ٢٧٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٧٣)، والخزانة (٢/ ٤٩٢)، وما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص٧، والأضداد لابن الأنبارى ص٩، والأضداد لابن السكيت ص١٧٩، والمقاييس (٢/ ٤٩٥)، والمقصور والممدود لابن ولاد ص٤٥، وإصلاح المنطق ص١٤٢، وتفسير الطبرى (٢٥/ ٨٣)، ومجمع البيان (١/ ٣١٣)، والمخصص (٨/ ١٧٨).

(١) انظر اللسان (٨/ ١٤٧)، ومجاز القرآن (٢/ ٣٣٢)، وشرح القصائد السبع لابن الأنبارى (ص٥٦٦ ـ ٥٦٨): «وهذا قول أبى عبيد وقُطرب. وحكى أبو عبيد أنها لغة هوازن وبعض أحياء النَّخَع. وقال ابن الأنبارى: وأنكر الكسائى أن يكون يئس بمعنى علم، وقال: لم أسمع أحدًا من العرب يقول: يئست بمعنى علمت. قال: ولكنه عندى يخرج معناه من اليأس نفسه، وذلك أن يكون لما سأل المشركون رسول الله ﷺ قرآنًا تسير به الجبال، أو تكلم به الموتى ـ اشرأب له المؤمنون لأن يفعل الله ذلك فيؤمن المشركون، فأنزل الله: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ بمعنى: أفلم ييأسوا من ذلك علمًا منهم بأن لو يشاء الله لفعل ذلك، فأضمر العلم».

(٢) البيت له فى اللسان (١٤/ ٧٩، ١٥/ ٢٩٨، ١٧/ ٤). والغضف: كلاب الصيد، يقال لها ذلك لاسترخاء آذانها إلى خلف. وكلب داجن: قد ألف البيت. وقَفَل الجلد يَقْفُل قُفولاً، وقَفِلَ فهو قافل وقفيل: يبس. والأعصام: القلائد، واحدتها عِصْمة، ثم جمعت على عِصَم ثم جمع عصم على أعصام مثل: شِيعة وشِيَع وأشياع.

(٣) البيت فى البرهان (١/ ١٠٠)، وفى اللسان (٧/ ١٦٢) لسُحَيْم بن وَثِيل اليربوعى، وكان وقع عليه =

ومن المقلوب: أن يُقدَّمَ ما يوضِّحه التأخيرُ، ويُؤَخَّر ما يُوضحه التقديمُ.

كقول الله تعالى: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ [إبراهيم:٤٧] أي: مُخلف رُسله وعْدَه؛ لأنَّ الإخْلافَ قد يقعُ بالوعد كما يقعُ بالرُّسل، فتقول: أخلفتُ الوعد، وأخلفتُ الرُّسلَ.

وكذلك قولُه سبحانه: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٧] أي: فإنِّي عَدُوٌّ لهم؛ لأنّ كل من عاديته عاداك.

وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم:٨] أي: تدلى فدنا؛ لأنّه تدلَّى للدنُوِّ، ودنا بالتَّدلِّي.

ومنه قوله سبحانه: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة:١٤] أي: بل على الإنسان من نفْسِه بصيرةٌ. يريد شهادةَ جوارِحه عليه؛ لأنها منه، فأقامه مُقامها.

قال الشاعر:

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظلِّ رَأْسَهُ وَسَـائرُهُ بادٍ إلى الشمس أجْمَـعُ(١)

أراد: «مُدخلَ رأسِهِ الظلَّ» فقَلب؛ لأن الظلّ التبس برأسه فصار كل واحدٍ منهما داخلاً فى صاحبه. والعرب تقول: «اعرض النّاقةَ على الحوض» تريد: اعرض الحوض على الناقة؛ لأنك إذا أوْرَدْتَها الحَوْضَ اعترضتَ بكل واحد صاحبَه.

وقال الحُطيئة:

= سباء فضرب عليه بالسهام، وفى (١٤٧/٨) له أو لولده جابر بن سحيم، وفى أساس البلاغة (٥٥٨/٢) لسحيم، وكذلك مجاز القرآن (٣٣٢/١)، وتفسير الطبرى (١٠٣/١٣)، وهو غير منسوب فى البحر المحيط، ولم ينسبه ابن قتيبة فى المعانى الكبير (١١٤٨/٢)، وفى الميسر والقداح ص٣٣. وقال فى الميسر: «يروى: ييسروننى، ويأسروننى. فمن روى: ييسروننى، أراد يقتسموننى ويجعلوننى أجزاء. أحسبه أراد فداءه؛ لأنهم إذا أخذوا فداءه فكأنهم اقتسموا نفسه. ومن رواه: يأسروننى، جعله من الأسر، وقوله: «ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم» أراد: ألم تعلموا...». وزهدم: فرس سُحَيم، وروى: «قاتل زهدم» وفسر بأنه اسم رجل من عبس. راجع اللسان (١٤٧/٨).

(١) البيت فى سيبويه (٩٢/١)، وأمالى المرتضى (٥٥/١)، وهو غير منسوب فيهما.

فلمَّا خَشِيتُ الهُونَ والعَيْرُ مُمسِكٌ   على رَغمِه ما أمسكَ الحبلَ حافرُه[١]

وكان الوجه أن يقول: «ما أمسك حافِرَه الحبلُ» فَقَلَب؛ لأنّ ما أمسكته فقد أمسكَكَ، والحافر مُمسِكٌ للحبل لا يفارقه ما دام به مَربُوطًا، والحبل مُمْسِكٌ للحافر.

وقال الأخطل:

عَلَى العَيَاراتِ هدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ   نَجْرانَ أَوْ بَلَغَتْ سَوْآتِهم هَجَرُ[٢]

وكان الوجهُ أن يقولَ: «سَوْآتُهم ـ بالرفع ـ نجرانَ وهَجَرَ» فقلب؛ لأن ما بلغتَه فقد بلغَكَ. قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠] أي: بَلَغْتُه.

وقال آخر:

قـد سَالَمَ الحيَّاتُ منه القَدَمَا   الأُفْعُوانَ والشُّجاعَ الشَّجْعَمَا[٣]

فنصب الأُفْعوانَ والشجاعَ، وكان الوجه أن يَرفَعَهُما؛ لأن ما حالفتَه فقد حالفَكَ، فهما فاعلان ومفعولان.

---

(١) ديوانه ص١٠: «ما أثبت الحبل» قال السكرى: يقول: ما دام الحمار مقيدًا فهو ذليل معترف بالهون، وهذا مقلوب، أراد ما أثبت الحبل حافره فقلب، فجعل الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً». وهو له فى تفسير الطبرى (١٤/ ٨٤).

(٢) ديوانه ص١١٠: «أو حدثت سوآتهم. العيارات: جمع عير، وهو الحمار، والهداجون: الذين هدجوا، وهو سير ضعيف، يقال: جمل هَدَجان؛ إذا قارب خطوه من مرض أو كبر. يشير إلى أنهم يتلصصون. حدثت سوآتهم هجر، أى أهل هجر».

والبيت له فى كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص٣٨، واللسان (٧/ ٤٨)، وأمالى ابن الشجرى (١/ ٣٣٠)، وأبواب مختارة من كتاب أبى يوسف يعقوب بن إسحاق الأصبهانى ص٢٩، والوساطة ص٤٨٢، وشرح شواهد المغنى ص٣٢٨، وهو غير منسوب فى أمالى المرتضى (٢/ ١١٦).

(٣) فى اللسان (٧/ ٢٣٣): «قال مساور بن هند. ويقال: هو لأبى حيان الفقعسى». وفى كتاب سيبويه (١/ ١٤٥) لعبد بنى عبس، ونسبه الأعلم للعجَّاج، وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى ص٣٢٩: «هو من أرجوزة لأبى حيان الفقعسى، وقيل: لمساور بن هند العبسى، وبه جزم البطليوسى، وقيل: للعجاج. وقال السيرافى: قائله التدمرى، وقال الصغانى: قائله عبد بنى عبس». والأفعوان ـ بضم الهمزة ـ ذكر الأفاعى، والشجاع: الحية، وكذا الشجعم، والميم زائدة. وقال البطليوسى: «يصف رجلاً بغلظ القدمين وصلابتهما لطول الحفا، فذكر أنه يطأ على الحيات والعقارب فيقتلها، فقد سالمت قدميه كذلك».

وقال الشمَّاخ يذكر أباه:

منه وُلِدتُ ولم يُؤْشَبْ به حَسَبِي ... لَمًّا؛ كما عُصِبَ العِلْباءُ بالعُــودِ(١)

وكان الوجه أن يقول: «كما عُصِب العُودُ بالعِلْباء» فقلب؛ لأنك قد تقول: عَصَبْتُ العِلْباءَ على العُودِ، كما تقول: عَصَبْتُ العود بالعلباء.

وقال ذو الرُّمَّة:

وتَكْسُو المِجَنَّ الرِّخْوَ خَصرًا كأنه ... إهانٌ ذَوَى عن صُفْرة فَهْوَ أَخْلَقُ(٢)

وكان الوجه أن يقول: «وتكسو الخَصر مِجنًّا» فقلب؛ لأنّ كسوتُ يقع على الثوب، وعلى الخصر، وعلى القميص ولابِسِه، تقول: كسوتُ الثوبَ عبْدَ الله، وكسوتُ عبدَ الله الثوبَ.

وقال أبو النَّجْم:

* قبل دُنُوِّ الأُفْقِ مِنْ جَوْزَائه(٣) *

وكان الوجه أن يقول: «قبل دُنُوِّ الجوزاء من الأفق» فقلب؛ لأن كل شيء دنا منك فقد دنوت منه.

وقال الرَّاعِي يصف ثورًا:

فَصَبَّحَتْهُ كِلاَبُ الغَوْثِ يُوسِدُهــا ... مُسْتَوضِحون يَرَوْنَ العَينَ كالأَثَرِ(٤)

(١) ديوانه ص٢٤: «منه ولدت... حسبي لَيًّا» والضمير في «منه» يرجع إلى جده جحاش الذي ذكره في البيت قبله. وقال في شرحه: «نُجلت: ولدت، ويؤشب: يعب، واللي: الطي، وعصب: جعل عليه العصب، وهذا على القلب، أي كما عصب العود بالعلباء، وهو عصب تُشد به الرماح». والبيت ذكره ابن قتيبة في المعاني الكبير (١/٥٥٣)، وقال في شرحه: نسب نفسه إلى جده جحاش.. لَمًّا: جمعًا، كما يعصب العود إذا انكسر بالعلباء. وهو في الوساطة ص٤٨٢.

(٢) ديوانه ص٣٩٢: «المجن: ما أجنها أي سترها من الثياب، الرخو: لأنها ضامرة. والإهان: عود العذق، وهو الكباسة والعرجون، شبهها به لملاسته، يقول: خصرها دقيق أملس مثل هذا العرجون» والمعنى: تكسو الخصر مِجنًّا، فقلب. أخلق: أملس.

(٣) أمالي المرتضى (١/١٥٦)، وسر الفصاحة ص١٠٨، ومقاييس اللغة (١/١١٥) غير منسوب.

(٤) ذكره ابن قتيبة مع بيتين قبله في المعاني الكبير (٢/٧٤٢)، وقال في شرحه: «يؤسدها: يغريها مستوضحون: ينظرون هل يرون شيئًا، وأراد يرون الأثر كالعين، فقلب». وهو له في أمالي المرتضى (١/١٥٦) وفيه: «كلام الغوث... يستوضحون».

وكان الوجه أن يقول: «يرون الأثر كالعين» لعلمهم بالصيد وآثاره فقلب؛ لأنهم إذا رأوا الأثر كالعين فقد رأوا العين كالأثر.

وقال النابغة:

وقد خِفْتُ حتى ما تَزِيدُ مخافتى على وَعِلٍ فى ذى المَطَـارةِ عَاقِلِ(١)

وكان الوجه أن يقول: «حتى ما تزيد مخافةُ وَعِلٍ على مخافتى» فقلب؛ لأن المخافتين استوتا.

وقال رُؤْبَةُ بن العَجَّاج:

ومَهْمَـهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجـاؤُه كأنَّ لونَ أَرْضِهِ سماؤُه(٢)

وكان الوجه أن يقول: «كأن لون سمائه من غبرتها لونُ أرضه» فقلب؛ لأن اللونين استويا.

وقال الآخر:

* وصار الجمرُ مِثْلَ ترابِها(٣) *

أى صار ترابُها مثل الجمر.

وقال عز وجل: ﴿خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧] أى خُلِق العجَل من الإنسان، يعنى العجلة. كذلك قال أبو عبيدة(٤).

---

(١) أمالى ابن الشجرى (١/ ١٩١)، وأمالى المرتضى (١/ ١٤٤، ١٥٥)، ومجمع البيان (١/ ٢٥٥، ٢٦٢)، ومجاز القرآن (١/ ٦٥)، وما اتفق لفظه للمبرد ص٣٢، وهو غير منسوب فى معانى القرآن للفراء (١/ ٩٩)، وفى الأضداد ص٣٢٨. و«ذى المطارة»: جبل.

(٢) ديوانه ص١، وأمالى المرتضى (١/ ١٥٥)، وأمالى ابن الشجرى (١/ ٢٢٩، ٢٣٠)، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص٣٢٨، والصاحبى ص١٧٢، وأبواب مختارة ص٣٤.

(٣) فى أبواب مختارة من كتاب أبى يوسف: يعقوب بن إسحاق الأصبهانى ص٣٤: «كقول الأعشى:

حتى إذا احتدمتْ وصا ر الجمرُ مثلَ ترابِهـا

يريد: «صار ترابها مثل الجمر من الحر». وفى ديوان الأعشى ص١٧٨:

حتى إذا ما أُوقدت فالجمرُ مثل ترابِهـا

وفى الأضداد للسجستانى ص١٥٢: «حتى يصير الجمر مثل ترابها».

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٨، ٣٩)، وفى أمالى المرتضى (٢/ ١١٥): «وثانيها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب ابن المستنير وغيرهما، من أن فى الكلام قلبًا، والمعنى: خلق العجَل من الإنسان...».

ومن المقلوب: ما قُلب على الغَلَط.

كقول خِدَاش بن زُهَيْر:

وتُرْكَبُ خَيْلٌ لا هَــوَادةَ بينهــا وتَعْصِى الرِّمَاحُ بالضَّيَاطِرَةِ الحُمْرِ[1]

أى «تَعْصى الضياطرةُ بالرِّمَاح» وهذا ما لا يقع فيه التأويلُ؛ لأن الرماح لا تُعصى بالضَّياطرة وإنما يُعصى الرجالُ بها، أى يُطعنون.

ومنه قول الآخر:

أَسْلَمْتُهُ فى دِمشْقَ كما أَسْلَمَتْ وَحْشِيَّــةٌ وَهَقَا[2]

أراد: «كما أسلم وحشيةً وَهَقٌ» فقلب على الغلط.

وقال آخر:

كانَتْ فريضةَ ما تَقُولُ كما كان الزِّناءُ فريضَــةَ الرَّجْمِ[3]

(١) البيت له فى اللسان (٦/ ١٦٠) وروايته: «وتَشْقَى الرماح» وبعده: «قال ابن سيده: يجوز أن يكون عَنَى أن الرماح تشقى بهم، أى أنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها، ويجوز أن يكون على القلب، أى تشقى الضياطرة الحمر بالرماح، يعنى أنهم يُقتلون بها. والهوادة: المصالحة والموادعة». وهو من قصيدة لخداش فى جمهرة أشعار العرب ص١٠٨ وروايته: «ونركب خيلاً.. ونعصى». والضيطر: اللئيم الضخم، ونعصى بالرمح: أى نضرب به ونطعن، وقبله:

كذبتم وبيتَ الله حتى تُعالجـوا قوادمَ حربٍ لا تلين ولا تَمْرى

وأمالى المرتضى (٢/١١٦)، والكامل (١/ ١٧٤): «وتركب خيل»، وسر الفصاحة ص١٠٦، ومجاز القرآن (٢/ ١١٠)، والأضداد للسجستانى ص١٥٣. وهو غير منسوب فى تفسير الطبرى (١٧/ ٢٠، ٢٠/٦٩)، والأضداد لابن الأنبارى ص٨٥، والصاحبى ١٧٢.

(٢) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات، كما فى ديوانه ص١٢٨، وبعده:

لم تَدعْ أمُّ البنين له معه من عقله رَمَقا

أسلموها: تركوها. قوله: «أسلمت وحشية وهقا» هذا من المقلوب، أراد: أسلم الوهَقُ الوحشية، فقلب. وقال الأصمعى: ليس هذا من المقلوب، إنما هو قطعت وهَقًا فتركته مقطوعًا ومضت. وروى قوم آخرون: كما أُسلمت ـ بضم الهمزة ـ وحشية وهقًا، فعلى من الوهق؛ أى أسلمها صواحبها ومضوا. والبيت له فى الأضداد لابن الأنبارى ص٨٦: «قال أبو عبيد: معناه: كما أسلم وهق وحشية. وقال الأصمعى: معناه: كما أسلمت وحشية وهقًا فنجت منه ولم تقع فيه». وهو فى الوساطة ص٤٨٢. والوهق: حبل فى طرفيه أنشوطة تصاد به الدابة.

(٣) البيت غير منسوب فى معانى القرآن للفراء (١/٩٩، ٣١١)، وأمالى المرتضى (١/ ١٥٥)، وسر =

أراد: «كما كان الرجم فريضة الزنا».

* * *

وكان بعضُ أصحاب اللغة يذهبُ فى قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة:١٧١] إلى مثل هذا فى القلب، ويقولُ: وقع التشبيه بالراعى فى ظاهر الكلام، والمعنى للمنعوق به وهو الغنم.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦] أى: تنهض بها وهى مُثْقَلَةَ(١).

وقال آخر فى قوله سبحانه ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(٢) [العاديات:٨] أى: وإن حبَّه للخير لشديدٌ.

وفى قوله سبحانه: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(٣) [الفرقان:٧٤] أى: اجعل المُتَّقين لنا إمامًا فى الخير.

= الفصاحة ص١٠٦، والصاحبى ص١٧٢، ومجاز القرآن (١/ ٣٧٨)، وخزانة الأدب (٤/ ٣٢)، ونسبه فى اللسان (١٩/ ٧٩) للنابغة الجعدى.

(١) يلوح لى أن ابن قتيبة يقصد بقوله هذا أبا عبيدة. وآية ذلك أنى ألفيت أبا عبيدة يقول فى مجاز القرآن (١/ ٦٣): «ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع، وإنما الذى ينعق الراعى، ووقع المعنى على المنعوق به، وهى الغنم، يقول: كالغنم التى لا تسمع، أى ينعق بها راعيها، والعرب تريد الشىء فتحول إلى الشىء من سببه، تقول: اعرض الحوض على الناقة، وإنما تعرض الناقة على الحوض، وتقول: هذا القميص لا يقطعنى، وتقول: أدخلت القلنسوة فى رأسى، وإنما أدخلت رأسك فى القلنسوة، وكذلك الخف. ومن هذا الجنس فى القرآن: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ﴾ ما إن العصبة لتنوء بالمفاتيح، أى تثقلها. والنعيق: الصياح، قال الأخطل يهجو جريرًا:

فانعقْ بضَأنك يا جريرُ فإنما ... مَنَّتْكَ نفسُك فى الخَلاءِ ضَلالا»

وهذا النص من «مجاز القرآن» يدلنا أيضًا على أن أبا عبيدة هو «الرجل» الذى عناه الفراء بقوله الموجود فى اللسان (١٠/ ١٦٩)، وهو: «قال الفراء: وقد قال رجل من أهل العربية: ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه فحُوِّل الفعل إلى المفاتح، كما قال الراجز:

إنَّ سراجًا لكريمٌ مَفْخَرُهْ ... تَحْلَى به العَيْنُ إذا ما تَجْهَرُهْ

وهو الذى يَحْلَى بالعين. فإن كان سُمع آتُوا بهذا فهو وجه، وإلا فإن الرجل جهل المعنى».

(٢) انظر اللسان (٤/ ٢١٩)، وتفسير الطبرى (٣٠/ ١٨٠)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٥).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ٥١٧)، وتفسير الطبرى (١٩/ ٣٤).

وهذا ما لا يجوزُ لأحدٍ أن يحكم به على كتاب الله عزّ وجلّ لو لم يَجِدْ له مذهبًا؛ لأنّ الشعراء تقلب اللفظ، وتزيل الكلام على الغَلَط، أو على طريق الضرورة للقافية، أو لاستقامة وزن البيت. فمن ذلك قول لبيد:

* نحن بَنُو أُمِّ البنينَ الأربعهْ[1] *

قال ابن الكلبى: هم خمسة فجعلهم للقافية أربعة[2].

وقال آخر يصف إبلاً:

صَبَّحْنَ مِنْ كَاظِمَةَ الخُصَّ الخَرِبْ ... يَحْمِلْنَ عَبَّـاسَ بنَ عَبـدِ المُطَّلِبْ[3]

أراد «عبد الله بن عباس» فذكر أباه مكانه.

وقال الصَّلَتَانُ:

أرى الخَطَفَى بَذَّ الفَرَزْدَقَ شِعْرُهُ ... ولكنَّ خيراً مِنْ كُلَيْبٍ مُجَاشِعُ[4]

أراد: «أرى جَريرًا بَذَّ الفرزدق شعره» فلم يمكنه فذكر جَدَّه.

وقال ذو الرُّمة:

عَشِيَّـةَ فَرَّ الحـارِثِيُّونَ بعدَمـا ... قَضَى نَحْبَهُ فى مُلْتَقَى القومِ هَوْبَرُ[5]

قال ابن الكلبى: هو «يزيد بن هَوْبَر» فاضطرّ.

وقال أوسٌ:

(١) ديوانه ص٧، وعجزه: «ونحنُ خيرُ عامر بن صَعْصَعَهْ»، وانظر أمالى المرتضى (١/ ١٣٦)، والأغانى (١٤/ ٩٥)، والعمدة (١/ ٢٧)، والخزانة (٤/ ١٧١)، والحيوان (٥/ ١٧٣)، واللسان (٥/ ١٧٣، ٩/ ٤٢٧)، ومجالس ثعلب (٢/ ٤٤٩)، وسيبويه (١/ ٣٢٧).

(٢) قال ابن قتيبة فى المعارف ص٤٠: «وأما مالك بن جعفر فولده: عامر، وطفيل، وربيعة، ومعاوية. أمهم أم البنين، قال لبيد: «نحن بنو أم البنين الأربعهْ» جعلهم أربعة وهم خمسة للقافية».

(٣) البيت فى جمهرة اللغة لابن دريد (٣/ ٥٠٣) غير منسوب، ونقله عنها السيوطى فى المزهر (٢/ ٥٠١)، والشطر الثانى غير منسوب فى اللسان (٨/ ١١٧).

(٤) البيت من قصيدة للصلتان العبدى فى: الشعر والشعراء (١/ ٤٧٧)، والأمالى (٢/ ١٤١).

(٥) ديوانه ص٢٣٥. أراد يزيد بن هوبر، وهو رجل من بنى الحارث بن كعب. ويروى: «وهَى فوق أطراف الأسنّة بعدما». وفى مجاز القرآن (٢/ ١٣٦): «ملتقى الخيل»، واللسان (٧/ ١٠٨)، وجمهرة ابن دريد (٣/ ٥٠٣)، والشطر الثانى فى المزهر (٢/ ٥٠١).

فهَــلْ لكُــم فيهــا إلىَّ فإنَّنى طَبيبٌ بما أعْيَا النِّطاسىَّ حِذْيَمَا(١)

أراد «ابن حذْيَم» وهو طبيب كان فى الجاهلية.

وقال ابن مَيَّادةَ وذكر بعيرًا:

كأنَّ حَيْثُ تَلْتَقِى منه المُحُلْ مِنْ جَانِبَيْــه وَعِلَيْنِ وَوَعِـلْ(٢)

أراد: وَعِلَيْن من كل جانب؛ فلم يمكنه فقال: وَوَعِلٍ.

وقال أبو النَّجْم:

ظَلَّتْ وَوِرْدٌ صادقٌ مِنْ بَالِهَا وَظَلَّ يُوفى الأكَمَ ابنُ خالِها

أراد: فحلَهَا؛ فجعله ابنَ خالها.

وقال آخر:

* مثل النصارى قتلوا المسيحَا(٣) *

أراد: اليهود.

وقال آخر:

* وَمِحْوَرٍ أُخْلِصَ مِنْ مَاءِ اليَلَبْ(٤) *

واليَلَب: سُيورٌ تُجْعَلُ تحت البيض؛ فتوهَّمه حديدًا.

وقال رُؤْبة:

* أوْ فِضَّةٌ أوْ ذَهَبٌ كِبْرِيتُ(٥) *

(١) البيت لأوس بن حجر، كما فى اللسان (٨/ ١١٧)، وهو غير منسوب فى المزهر (٢/ ٥٠٣).

(٢) فى اللسان (١٤/ ١٤٢): «ابن سيده: والمَحَالة: الفِقْرة من فِقار البعير، وجمعه مَحال، وجمع المَحال مُحُل. أنشد ابن الأعرابى:

كأنَّ حيثُ تَلْتَقى منه المُحُلْ مِنْ قُطْرَيْه وَعِلانِ ووَعِلْ

«يعنى قرون وعلين ووعل، شبه ضلوعه فى اشتباكها بقرون الأوعال».

(٣) ذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير (٢/ ٨٧٩) غير منسوب كما هنا وعلق عليه بقوله: «سمع بالنصارى والمسيح، ولم يدر كيف كان الأمر، فقال على ما توهم». وهو فى الوساطة كذلك ص٤٨٦.

(٤) جمهرة ابن دريد (٣/ ٥٠٤) غير منسوب، وكذلك فى اللسان (٢/ ٣٠٦)، والوساطة ص١٤، والمزهر (٢/ ٥٠١).

(٥) اللسان (٢/ ٣٨١)، وصدره: «هل يَعْصِمَنِّى حَلِفٌ سِخْتِيتُ» قال ابن الأعرابى: ظن رؤبة أن الكبريت ذهب.

وقال أبو النَّجْمِ:

* كَلَمْعَةِ البَرْقِ بِبَرْقِ خُلَّبُهْ *

أراد: بخُلَّبِ برقه؛ فقَلَب.

وقال آخر:

إنَّ الكريمَ وأَبِيــكَ يَعْتَمِــلْ إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَّكِلْ [1]

أراد: إن لم يجد يومًا من يتكل عليه.

فى أشباهٍ لهذا كثيرة يطول باستقصائها الكتاب.

* * *

والله تعالى لا يغلط ولا يُضْطَرُّ، وإنما أراد: ومَثَلُ الذين كفروا ومثَلُنا فى وعظهم كمثل الناعق بما لا يسمع، فاقتصر على قوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٧١] وحذف «ومثَلُنا»؛ لأنَّ الكلام يدل عليه[2]. ومِثْلُ هذا كثير فى الاختصار.

وقال الفراء: أراد: ومثل واعظ الذين كفروا؛ فحذف، كما قال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] أى: أهلها.

* * *

وأراد بقوله: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦] أى: تُميلُها من ثِقْلها.

قال الفراء: أنشدنى بعض العرب[3]:

حتَّى إذا ما التأَمَتْ مَفاصِلُهْ وناءَ فى شِقِّ الشِّمالِ كاهِلُهْ[4]

---

(١) فى اللسان (١٣/ ٥٠٢) وبعده فيه: «فيكْتسِى مِنْ بعدها ويكْتَحِلْ. أراد من يتكل عليه فحذف «عليه» هذه، وزاد «على» متقدمةً، ألا ترى أنه يعتمل إنْ لم يجد من يتكل عليه؟». والبيت فى شواهد المغنى ص١٤٣، وأساس البلاغة (٢/ ١٤٢، ٤٩٢)، وسيبويه (١/ ٤٤٣).

(٢) فى البحر المحيط (١/ ٤٨١) تسعة أقوال فى تفسير هذه الآية. وقد ذكر المرتضى فى أماليه (١/ ١٥٤ ـ ١٥٧) خمسة أجوبة فيها.

(٣) فى اللسان (١/ ١٦٩): «قال الأزهرى: وأنشدنى بعض العرب...» إلى آخر النص، وظاهر أن فيه سقطًا صوابه: «قال الأزهرى: قال الفراء: وأنشدنى بعض العرب... إلخ».

(٤) فى اللسان: «ما التأمت مواصله».

يُريد: أنه(١) لما أخذ القوس ونزع مال عليها.

قال: ونَرَى قولَهم «ما ساءَك ونَاءَك» من هذا. وكان الأصلُ «أناءك» فألْقِيَ الألفُ لما اتبعَه «ساءك» كما قالوا: «هَنَأَنِى ومَرَأَنِى»، فاتبع مَرَأَنِى هَنَأَنِى، ولو أفرد لقال: أمْرَأَنِى.

وأراد بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(٢) [العاديات:٨] أى: وإنه لحبِّ المال لبخيل، والشدة: البخلُ ههنا؛ يقال: رَجُلٌ شديدٌ ومتشدِّدٌ(٣).

* * *

وقوله سبحانه: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤] يريد: اجعلنا أئمةً فى الخير يقتدى بنا المؤمنون، كما قال فى موضع آخر: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة:٢٤] أى: قادةً، كذلك قال المفسِّرون(٤).

وروى عن بعض خيار السلف: أنه كان يدعو الله أن يُحْمَل عنه الحديث، فَحُمِلَ عنه.

وقال بعض المفسرين فى قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾: أى اجعلنا نَقْتَدى بمن قبلنا حتى يَقْتَدِىَ بنا من بعدَنا(٥). فهم على هذا التأويل مُتَّبِعُونَ ومُتَّبَعُون.

---

(١) فى اللسان: «يعنى الرامى».

(٢) فى البحر المحيط (٨/ ٥٠٥): «وقال الفراء: نظم الآية أن يقال: وإنه لشديد الحب للخير، فلما تقدم الحب قال: لشديد، وحذف من آخره ذكر الحب؛ لأنه قد جرى ذكره، ولرءوس الآى، كقوله: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم:١٨] والعُصُوف للريح لا للأيام، كأنه قال: فى يوم عاصف الريح». ومن هذا النص يتضح لنا أن الفراء هو الذى عناه الطبرى بقوله (٣٠/ ١٨٠): «وقال بعض نحويى الكوفة: كان موضع حب أن يكون بعد شديد... إلخ».

(٣) قال الطبرى (٣٠/ ١٨٠): «يقول تعالى ذكره: وإن الإنسان لحب المال لشديد. واختلف أهل العربية فى وجه وصفه بالشدة لحب المال، فقال بعض البصريين: معنى ذلك: وإنه من أجل حب الخير لشديد، أى لبخيل. قال: ويقال للبخيل: شديد ومتشدد، واستشهدوا لقوله ذلك ببيت طرفة بن العبد اليشكرى:

أرى الموتَ يَعْتامُ النفوسَ ويَصْطَفِى   عَقِيلةَ مـــالِ الباخلِ المُتَشدِّدِ

وقال آخرون: وإنه لحب الخير لقوى...».

(٤) وهو تفسير ابن عباس، كما فى الطبرى (١٩/ ٣٤).

(٥) قال بذلك مجاهد، كما فى الطبرى (١٩/ ٣٤). وقال أبو جعفر: «وأولى القولين فى ذلك بالصواب =

ومن المُقدَّم والمؤخَّر قولُه تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾[(1)] [الكهف: ١، ٢] أراد: أنزل الكتاب قيّمًا ولم يجعل له عِوَجًا.

وقوله: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: ٧١] أي: بشرناها بإسحاق فضحكت[(2)].

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤][(3)] أي: فعقروها فكذّبوه بالعقر.

وقد يجوز أن يكون أراد: فكذّبوا قوله: إنها ناقة الله؛ فعقروها[(4)].

= قول من قال: معناه: واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك ويخافون عقابك إمامًا يأتمون بنا فى الخيرات؛ لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة، ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم إمامًا». وقال: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ولم يقل: أئمة، وقد قالوا: ﴿وَاجْعَلْنَا﴾ وهم جماعة، لأن الإمام مصدر من قول القائل: أمّ فلان فلانًا إمامًا، كما يقال: قام قيامًا، وصام يوم كذا صيامًا. ومن جمع الإمام: أئمة، جعل الإمام اسمًا، كما يقال: أصحاب محمد إمام وأئمة للناس، فمن وحد قال: يأتم بهم الناس. وهذا القول الذى قلناه فى ذلك قول بعض نحويى أهل الكوفة. وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية: الإمام فى قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ جماعة، كما تقول: كلهم عدول. قال: ويكون على الحكاية، كما يقول القائل إذا قيل له من أميركم؟: هؤلاء أميرنا. واستشهد لذلك بقول الشاعر:

يا عاذلاتى لا تُرِدْنَ ملامتى ... إنَّ العــواذل لَسْنَ لى بأمير

(١) قال أبو جعفر الطبرى فى تفسيره (١٥/ ١٢٦): «يقول تعالى ذكره: الحمد لله الذى خص برسالته محمدًا، وانتخبه لبلاغها عنه، فابتعثه إلى خلقه نبيًا مرسلاً، وأنزل عليه كتابه قيمًا ولم يجعل له عوجًا، وعنى بقوله عز ذكره ﴿قَيِّمًا﴾: معتدلاً مستقيمًا... عن ابن عباس: أنزل الكتاب عدلاً قيمًا، ولم يجعل له عوجًا. فأخبر ابن عباس بقوله هذا - مع بيانه معنى القيم - أن القيم مؤخر بعد قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾، ومعناه التقديم، بمعنى: أنزل الكتاب على عبده قيمًا... مستقيمًا لا اختلاف فيه ولا تفاوت، بل بعضه يصدق بعضًا، وبعضه يشهد لبعض لا عوج فيه ولا ميل عن الحق».

(٢) فى اللسان (١٢/ ٣٤٦): «وروى الأزهرى عن الفراء فى تفسير هذه الآية: لما قال رسل الله، عز وجل، لعبده وخليله إبراهيم: لا تخف، ضحكت عند ذلك امرأته، وكانت قائمة عليهم، وهو قاعد، فضحكت، فبُشِّرت بعد الضحك بإسحاق، وإنما ضحكت سرورًا بالأمن؛ لأنها خافت كما خاف إبراهيم. وقال بعضهم: هذا مقدَّم، ومؤخر المعنى فيه عندهم: فبشرناها بإسحاق فضحكت بالبشارة... قال الفراء: وأما قولهم: فضحكت حاضتْ فلم أسمعه من ثقة».

(٣) فى اللسان (٦/ ٢٧٠): «عقره: إذا قطع قائمة من قوائمه... قال الأزهرى: العقر عند العرب: كَشْف عرقوب البعير، ثم يُجعل النحر عقرًا، لأن ناحر الإبل يعقرها ثم ينحرها».

(٤) قال الطبرى (٣٠/ ١٣٧): «يقول: فكذبوا صالحًا فى خبره الذى أخبرهم به، من أن الله الذى جعل شرب الناقة يومًا، ولهم شرب يوم معلوم، وأن الله يحل بهم نقمته إن هم عقروها... وقد يحتمل أن يكون التكذيب بالعقر. وإذا كان ذلك كذلك جاز تقديم التكذيب قبل العقر، والعقر قبل التكذيب، وذلك أن كل فعل وقع عن سبب حسن ابتداؤه قبل السبب وبعده، كقول القائل: أعطيت فأحسنت، =

قال الأعشى:

لقد كان في حَوْلٍ ثواء ثَوَيْتُهُ تَقَضِّى لُبَانَاتٍ ويَسْأمُ سائمُ(١)

أراد: لقد كان في ثواء حَوْلٍ ثَوَيْتُه.

وقال ذو الرُّمَّة يصف الدَّارَ:

فأضحتْ مَباديها قِفَارًا رُسُومُها كأنْ لَمْ سِوَى أَهْلٍ مِنَ الوَحْشِ تُوهَلُ(٢)

أراد: كأن لم تُوهل سوى أهلٍ من الوحش.

* * *

وقد كان بعضُ القَرَأَة يقرأ: ﴿وكَذَلكَ زُيِّنَ لكَثيرٍ منَ المُشْرِكينَ قَتْلُ أَوْلاَدَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾(٣) [الأنعام:١٣٧] أي: قَتْلُ شُرَكَائِهِمْ أَوْلاَدَهُمْ.

= وأحسنت فأعطيت؛ لأن الإعطاء هو الإحسان، ومن الإحسان الإعطاء، وكذلك لو كان العقر هو سبب التكذيب جاز تقديم أى ذلك شاء المتكلم».

(١) ديوانه ص٥٦: «ثواء: يرفع وينصب، وأبو عبيدة يخفضه، والنصب أجود، ومن روى تقضى - بضم التاء - فإنه ينبغى أن يرفع ثواء». وقال سيبويه (١/ ٤٢٣): «سألت الخليل عن قول الأعشى: لقد كان - البيت، فرفعه وقال: لا أعرف فيه غيره؛ لأن أول الكلام خبر، وهو واجب، كأنه قال: ففى حول تقضى لبانات ويسأم سائم، هذا معناه». وقال الأعلم فى شرحه: «يخاطب بهذا نفسه، والثواء: الإقامة، وهو بدل من الحول، ويجوز نصبه على تقدير ثويته ثواءً».

(٢) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ص٢٣٣: «مباديها: أى حيث تبدو. ويروى: «مَغانيها» جمع مَغْنى، وهو المنزل، والقفار: جمع قفر وهى الأرض الخالية، وتؤهل: من أهل الدار: نزلها، من باب ضرب يضرب».

(٣) قرأ الجمهور: «زين» مبنيًا للفاعل، ونصب «قتل» مضافًا إلى «أولادهم» ورفع «شركاؤهم» بزيَّن، وإعراب هذه القراءة واضح. ويقصد ابن قتيبة ببعض القرأة: ابن عامر، فهو الذى قرأ: «زين» مبنيًا للمفعول و«قتل» مرفوعًا ونصب «أولادهم» وجر «شركائهم» ففصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول. وهى مسألة مختلف فى جوازها: فجمهور البصريين يمنعونها ولا يجيزون ذلك إلا فى ضرورة الشعر. وبعض النحويين أجازها، وهو الصحيح؛ لوجودها فى هذه القراءة المتواترة، المنسوبة إلى العربى الصريح المحض: ابن عامر، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان، قبل أن يظهر اللحن فى لسان العرب، ولوجودها أيضًا فى لسان العرب فى عدة أبيات. وقد رد قراءة ابن عامر هذه بعض النحويين كالفارسى والزمخشرى، وقد علق أبو حيان على رد الزمخشرى فى البحر المحيط (٤/ ٢٣٠) فقال: «واعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح محض قراءةً متواترة موجودة فى لسان العرب فى غير ما بيت! واعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقرّاء الأئمة الذين =

ومن المُقدَّم والمؤخَّر قولُه سبحانه: ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال ابن عباس فى رواية الكَلْبى: أراد: ولا تُعجبْك أموالهم وأولادهم فى الدنيا؛ إنما يريد الله أن يعذّبهم بها فى الآخرة.

* * *

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[1] [طه: ١٢٩] أى: ولولا كلمة سبقت وأجلٌ مسمًى لكان العذابُ لِزامًا.

* * *

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ٨٣] أراد: لَعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان[2].

قال الشاعر:

فَأَوْرَدْتُهَا مَــاءً كأنَّ جِمَامَـــهُ   مِنَ الأَجْنِ حِنّاءٌ مَعًا وَصَبِيبُ[3]

أى: فأَوْرَدْتُها ماءً كأنَّ جِمَامَه حِنَّاءٌ وصبيبٌ معًا.

= تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقًا وغربًا، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم». راجع تفصيل ذلك كله فى: البحر المحيط (٤/ ٢٢٩، ٢٣٠)، والكشاف (٢/ ٤١، ٤٢)، والطبرى (٨/ ٣٢، ٣٣).

(١) قال الطبرى (١٦/ ١٦٧): «يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ يا محمد أن كل من قضى له أجلاً فإنه لا يَخْتَرِمُه قبل بلوغه أجله ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يقول: ووقت مسمًّى عند ربك، سماه لهم فى أم الكتاب، وخطه فيه، هم بالغوه ومستوفوه ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ يقول: للازمهم الهلاك عاجلاً... وقدم قوله: ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ قبل قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ومعنى الكلام: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزامًا، فاصبر على ما يقولون».

(٢) راجع البحر المحيط (٣/ ٣٠٦ ـ ٣٠٨).

(٣) هو علقمة الفحل، كما فى ديوانه ص١٤. «أوردتها: يعنى الناقة. جمام الماء: ما اجتمع منه وكثر. الأجن: تغير الماء. الصبيب: شجر حجازى يختضب به كالحناء. يصف الماء بالتغير لبعد عهده بالواردة، إذ كان فى فلاة نائية ليس بها إنسان». والبيت له فى المفضليات ص٣٩٣، واللسان (٢/ ٦).

باب الحذف والاختصار

من ذلك: أن تَحذفَ المضاف وتُقيمَ المضاف إليه مُقامه وتجعلَ الفعل له.

كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[1] [يوسف:٨٢] أي: سل أهلها.

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾[2] [البقرة:٩٣] أي حُبَّهُ.

و﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾[3] [البقرة:١٩٧] أي وقتُ الحج.

وكقوله: ﴿إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء:٧٥] أي: ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات.

وقوله سبحانه: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾ [الحج:٤٠] فالصلوات لا تُهَدَّم، وإنما أراد بيوتَ الصلوات.

قال المفسرون: الصوامعُ للصَّابئين، والبِيَعُ للنّصارى، والصلوات: كنائس اليهود، والمساجد للمسلمين.

وقوله: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد:١٣] أي: أخرجكَ أهلُها.

وقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ:٣٣] أي: مكركم في الليل والنهار.

وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة:١٩]؟ أي: أجعَلتُم صاحب سِقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن؟! ويكون يريد: أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن بالله وجهاده؟ كما قال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٧].

قال الهُذَلي:

---

(١) انظر الصناعتين ص١٣٥.

(٢) انظر الصناعتين ص١٣٥.

(٣) انظر الصناعتين ص١٣٦.

يُمشِّى بَيْننـا حَـــانوتُ خَمْـرٍ ... من الخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ(١)

أراد صاحبَ حانُوت خمر، فأقام الحانوت مُقامه.

وكذلك قول أبى ذُؤَيْب فى صفة الخمر:

تَوَصَّلُ بالرُّكْبانِ حِينًا وتُولِفُ الـ ... ـجِوارَ وَيُغْشِيها الأَمَـــانَ رِبابُهـا(٢)

اللفظ للخمر والمعنى للخمَّار، أى يتَوَصَّلُ الخمار بالرَّكْب ليسير معهم ويأمن بهم.

وكذلك قوله:

أَتَوْهَا بِرِبْحٍ حَـاوَلَتْهُ فَأَصْبَحَتْ ... تُكَفَّتُ قَدْ حلَّتْ وَسَاغَ شَرَابُها(٣)

يريد: أتَوْا صاحبها بربح، فأقامها مُقامه.

وقال كُثَيِّر يذكر الأَظْعان:

حُزِيَتْ لى بحَزْمِ فَيْدَةَ تُحْدَى ... كاليَهُـــودِىِّ مِنْ نَطَـاةِ الرِّقَالِ(٤)

أراد كنَخْل اليهودىّ من خَيْبر، فأقامه مُقامها.

(١) البيت للمُتنخِّل الهذلى، كما فى ديوان الهذليين ص٢١: «يقول: يمشى بيننا صاحب حانوت من خمر، وقوله: من الخرس الصراصرة، يريد أعجم من نبط الشأم يقال لهم الصراصرة. والقطاط: الجعاد، والواحد قَطَط، وهو أشد الجعود». والبيت فى اللسان (٩/ ٢٥٦)، والصناعتين ص١٣٦، والمخصص (١/ ٦٦، ١٠/ ٩٠).

(٢) ديوانه ص٧٣: «توصل: تتوصل، بالركبان: يعنى أهل الخمر، وإن كان اللفظ للخمر فإن المعنى لأربابها. يقول: إذا أقبل الركبان سار أصحاب الخمر معهم ليأمنوا. وقوله: تؤلف الجوار، يقول: تأخذ الجوار عقدين، وإنما يعنى أصحاب الخمر. يقال: آلف وأولف إذا جمع بين شيئين. ويغشيها الأمان ربابها. والرباب: عقد وجوار تأخذه يكون الرباب أمانًا لها، والمعنى لأصحابها، وإذا استجاروا من مكانين فقد آلفوا». والبيت فى اللسان (١٠/ ٣٥٣): «الأمان ذمامها» وهو على الصواب مع شرحه فيه (١/ ٣٩١).

(٣) ديوان أبى ذؤيب ص٧٤. «تكفت: تقبض، ومنه يقال: اللهم اكفته إليك، أى اقبضه إليك. وساغ شرابها: أى سهل لما أتوها بربح». والبيت له فى اللسان (٢/ ٣٨٤).

(٤) ديوان كثير (١/ ١٤٥): «جزيت»، وصفة جزيرة العرب للهمدانى (١/ ٢٢٦): «فيدة تخدى»، ومعجم البلدان (٦/ ٤٠٩)، وتاج العروس (١٠/ ٣٧٢)، واللسان (١٣/ ٣١٢): «أراد كنخل اليهودى، ونطاة: خيبر. التهذيب: الرقال من نخيل نطاة وهى عين بخيبر». والرقال: جمع رَقْلة، وهى النخلة الطويلة. وفى (٢٠/ ٢٠٦): «حزيت: رُفعت، حزاها الآل: رفعها، وأراد كنخل اليهودى الرقال، ونطاة: قَصَبة خيبر».

ومثله قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق:١٧] أى: أهله.

وقال الشاعر:

لهم مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ أَذِلَّةٌ سَوَاسِيَــةٌ أَحْرَارُهــا وَعَبِيدُهــا[١]

* * *

ومن ذلك أن تُوقِعَ الفعل على شيئين وهو لأحدهما، وتُضمرَ للآخر فعله.

كقوله سبحانه: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٧، ١٨]. ثم قال: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٠ ـ ٢٢] والفاكهة واللحمُ والحورُ العين لا يُطاف بها، وإنما أراد: ويُؤْتَوْن بلحم طير.

ومثله قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[٢] [يونس:٧١] أى: وادعوا شركاءكم، وكذلك هو فى مصحف عبد الله[٣].

قال الشاعر:

تَرَاهُ كـأنَّ اللهَ يَجْـدَعُ أَنْفَـهُ وَعَيْنَيْهِ إنْ مَوْلاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرُ[٤]

أى: يجدع أَنْفَه، ويفقأ عينيه.

وأنشد الفراء:

---

(١) البيت فى الصناعتين ص١٣٦ غير منسوب كما هنا، وهو لذى الرُّمة، كما فى ديوانه ص١٦٧. «صهب: حمر، والسبال: الشعر الذى عن يمين الشفة العليا وشمالها، ويقال للسبال: شوارب. يقول: هم عجم لأن شواربهم حمر، سواسية فى الشر خاصة». والشطر الأول فى الكشاف (٤/ ٢٢٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٩٥) لجرير فيهما.

(٢) انظر الصناعتين ص١٣٦.

(٣) يقصد عبد الله بن مسعود.

(٤) البيت غير منسوب فى اللسان (٩/ ٣٩١)، وأمالى المرتضى (٤/ ١٦٩)، والصناعتين ص١٣٦، ومجمع البيان (١/ ١١١). وللزبرقان بن بدر فى أبواب مختارة من كتاب يعقوب بن إسحاق الأصبهانى ص١٥، وهو فى الحيوان (٦/ ٤٠) من أبيات لخالد بن الطيفان، وفيه: «وأذنيه إن». وهو لخالد ـ كما هنا ـ فى المؤتلف والمختلف ص١٤٩، ومعنى يجدع: يقطع، وثاب: رجع، والوفر: الغنى.

عَلَفْتُهــا تِبْنًا ومــاءً باردًا حتى شَتَتْ هَمَّالةً عَيْنَاها[١]

أى: علفتُها تبنًا، وسقَيْتُها ماء باردًا.

وقال آخر:

إذا مــا الغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يومًا وزَجَّجْنَ الحَوَاجِبَ والعُيُونَا[٢]

والعُيون لا تُزَجَّجُ، وإنما أراد: وزجَّجْنَ الحواجب، وكَحَّلْنَ العيون.

وقال الآخر:

ورأيتُ زَوْجَكِ فى الوَغَى مُتَقَـلِّدًا سَيْـفًا ورُمْحَــا[٣]

أى: متقلدًا سيفًا، وحاملاً رمحًا[٤].

* * *

ومن ذلك[٥]: أن يأتى بالكلام مَبْنِيًا على أنَّ له جوابًا، فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب به.

كقوله سبحانه: ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا**﴾ [الرعد: ٣١] أراد: لكان هذا القرآن، فحَذَف.

وكذلك قوله: ﴿**وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٠]

---

(١) البيت غير منسوب فى أمالى المرتضى (٤/ ١٧٠)، واللسان (٣/ ١١١)، والخزانة (١/ ٤٩٩)، والإنصاف ص٢٥٣، وأبواب مختارة ص١٣، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص٣١٤.

(٢) البيت غير منسوب ـ كما هنا ـ فى الصناعتين ص١٣٦، وأساس البلاغة (١/ ٣٩٤)، وأبواب مختارة ص١٥، وهو للراعى، كما فى اللسان (١/ ٤٠٦، ٣/ ١١١) وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص٢٦٣.

(٣) البيت غير منسوب فى معانى القرآن للفراء (١/ ١٢١)، ومجاز القرآن (٢/ ٦٨)، ومجمع البيان (١/ ١١١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٤، ٦/ ٤٨٥)، وتفسير الطبرى (١/ ٤٧)، وأمالى المرتضى (١/ ٤١، ٤/ ١٧٠)، واللسان (٣/ ١١١، ٤٣٠): «يا ليت زوجَكِ قد غدا»، (٩/ ٣٩١، ٤٠٨، ١٠/ ٤٠٦)، والكامل (١/ ٢١٨، ٣/ ٤٠٣) ونسبه الأخفش فى تعليقه على الكامل (١/ ١٩٦) لعبد الله ابن الزبعرى.

(٤) راجع أمالى المرتضى (٤/ ١٧٠ ـ ١٧٢).

(٥) نقل هذا أبو هلال العسكرى فى الصناعتين ص١٣٦، ولم يشر إلى ابن قتيبة ولا إلى كتابه بأية إشارة!

أراد: لعذَّبكم، فحذف.

وقال الشاعر:

فأُقْسِمُ لو شَىْءٌ أتانا رســولُه ... سِواكَ؛ ولكنْ لم نَجِدْ لك مَدْفَعَا[١]

أى: لَرددْناه[٢].

وقال الله عز وجل: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣] فذكَر أُمَّةً واحدةً ولم يذكر بعدها أخرى. وسواءٌ تأتى للمُعَادلة بين اثنين فما زاد[٣].

وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾[٤] [الزمر:٩] ولم يذكر ضدَّ هذا؛ لأن فى قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دليلاً على ما أراد.

وقال الشاعر:

أرَاكَ فمــا أدْرِى أَهَمٌّ هَمَمْتَــهُ ... وذُو الهَمِّ قِدْمًا خَاشِعٌ مُتَضَائِلُ[٥]

ولم يأت بالأمر الآخر.

وقال أبو ذُؤَيْب:

عَصَيْتُ إليهــا القَلْبَ إنِّى لأَمْرِهِ ... سَمِيعٌ، فما أدرى أرُشْدٌ طِلاَبُها؟[٦]

أراد: أرُشْدٌ هو أم غىٌّ؟ فحذف.

* * *

(١) البيت فى فقه اللغة للثعالبى ص٣٤٤، وهو لامرئ القيس كما فى ديوانه ص٨٥، وروايته «وجدّك لو شىءٌ».

(٢) منقول بنصه فى الصناعتين أيضًا ص١٣٦.

(٣) منقول فى الصناعتين ص١٣٧.

(٤) وبعد ذلك: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي﴾.

(٥) فى الصناعتين ص١٣٧: «أراد فما» وهو تحريف.

(٦) ديوانه ص٧١، وروايته: «عصانى إليها» أى جعل لا يقبل منى، أى ذهب إليها قلبى سفهًا - ويروى: «دعانى» - فما أدرى أرشد الذى وقعت فيه أم غى؟ وهو غير منسوب فى معانى القرآن للفراء (١/ ٢٣٠).

ومن ذلك: حذف الكلمة والكلمتين.

كقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران:١٠٦] والمعنى: فيقال لهم أكفرتم؟

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة:١٢] والمعنى: يقولون ربنا أبصرنا.

وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة:١٢٧] والمعنى: يقولان ربنا تقبّل منا.

وقال ذو الرُّمة يصف حميراً:

فلمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أَوْ حينَ نَصَّبَتْ ... له من خَـذَا آذَانِها وَهْـوَ جَانِحُ[1]

أراد: أو حين أقبل الليل نَصَّبَتْ.

وقال:

. . . . وقـد بدَا ... لِذِى نُهْيَةٍ أنْ لا إلى أُمِّ سَالِمِ[2]

أراد: أن لا سبيل إلى أم سالم.

* * *

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣] أى: ووصًّى بالوالدين.

---

(١) ديوانه ص١٠٨. وقد ذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص٢٢٧، وعلق عليه بقوله: «خبرت عن الأصمعى أنه قال: أراد: أو حين أقبل الليل نصبت آذانها، وكانت مسترخية والليل مائل على النهار؛ فحذَف». وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص٣٦٢: «ومعنى لباسها الليل: دخولها فيه، والتقدير: فلما لبست الحمير الليل، أو حين أقبل الليل قبل أن تلبسه ـ نصبت آذانها، وتشوفت للنهوض إلى الماء؛ لأنها لا تنهض لورود الماء إلا ليلاً. والخذا: استرخاء الأذنين، يريد أن آذانها كانت مسترخية من الحر، فلما أقبل الليل وضعف الحر نصبت آذانها. وهذا كله على مذهب الأصمعى. . . والهاء فى قوله «له» عائدة على الليل. . .». وانظر الجواليقى ص٢٥٨، والصاحبى ص١٧٥، والجمهرة (٢/ ٢٠٤)، والأزمنة والأمكنة (١/ ٣٠٦): «نصفن الليل».

(٢) ديوان ذى الرمة ص٦١٤، وصدره: «لعرفانها والعهد ناءٍ وقد بدا» ناء: بعيد، والنهية: العقل، أراد أنه لا سبيل إلى أم سالم. والبيت فى الصناعتين ص١٣٧.

وقال النَّمرُ بن تَولَب:

فإنَّ المَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَها   فَسَوْفَ تُصادِفُه أيْنَما[(١)]

أراد: أينما ذهب[(٢)].

وقال الله عز وجل: ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم:١٨] أراد: فى يوم عاصفِ الرِّيح، فحذف؛ لأنَّ ذكر الرِّيح قد تقدَّمَ، فكانَ فيه دليل.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ [العنكبوت:٢٢] أراد: ولا مَنْ فى السماء بِمُعْجِزٍ[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ [النمل:١٢] أراد: فى تسع آيات إلى هذه الآية؛ أى معها. ثم قال: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ولم يقل مُرْسَلاً ولا مبعوثًا لأن ذلك معروف.

ومثله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف:٧٣] أى: أرسلنا.

وقال الشاعر:

رأَتْنِى بحَبْلَيْها فَصَــدَّتْ مَخَافَةً   وفى الحَبْلِ رَوْعَاءُ الفُؤادِ فَرُوقُ[(٤)]

أراد: مُقْبلاً بحبليها.

وقال عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء:٧] أراد:

---

(١) البيت من قصيدة له فى مختارات ابن الشجرى (١/ ١٦)، وهو فى أدب الكاتب ص٢٢٨، والاقتضاب ص٣٦٣، والمعانى الكبير (٢/ ١٢٦٤).

(٢) منقول بنصه فى الصناعتين ص١٣٧.

(٣) نقله أبو هلال فى الصناعتين ص١٣٧.

(٤) البيت غير منسوب فى اللسان (٣/ ١٤٥)، برواية الفراء كما هنا وقال: أراد: رأتنى أقبلت بحبليها، فأضمر أقبلتُ. وقال ثعلب: رأتنى بحبليها، فاكتفى بالرؤية من التمسك. ولكن جاء فى اللسان (١٢/ ١٨٠) عن ابن برى قال: «يقال للمؤنث فروق أيضًا، شاهده قول حُميد بن ثور:

رأتْنى مُجلِّيها فَصــدَّتْ مخافةً   وفى الخَيْل رَوْعاءُ الفُؤاد فَروقُ»

وجاء البيت فى تفسير الطبرى (١٩/ ٨٦) كما هنا، وعلق عليه بقوله: «ومعنى الكلام: رأتنى مقبلاً بحبليها، فترك ذكر مقبل استغناء بمعرفة السامعين معناه فى ذلك، إذ قال: رأتنى بحبليها. ونظائر ذلك فى كلام العرب كثيرة».

بعثناهم ليسوءُوا وجوهكم، فحذفها؛ لأنه قال قبلُ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ [الإسراء: ٥] فاكتفى بالأول من الثانى؛ إذ كان يدل عليه.

وكذلك قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] فاكتفى بذكر الثانى من الأول.

* * *

وقد يُشْكِلُ الكلامُ ويَغْمُضُ بالاختصار والإضمار.

كقوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨] والمعنى: أفمن زُيِّنَ له سوء عمله فرآه حسنًا ذهبت نفسُك حسرةً عليه؟! فلا تذهبْ نفسُك عليهم حسرات فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء.

وكقوله سبحانه: ﴿إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل: ١٠، ١١] لم يقع الاستثناء من المرسلين؛ وإنما وقع من معنًى مُضمَرٍ فى الكلام، كأنّه قال: لا يخاف لدىَّ المرسلون، بل غيرُهم الخائف؛ إلا من ظلم ثم تاب فإنه لا يخاف.

وهذا قول الفراء[1]، وهو يَبْعُدُ؛ لأن العرب إنما تحذف من الكلام ما يدل عليه ما يظهر؛ وليس فى ظاهر هذا الكلام ـ على هذا التأويل ـ دليلٌ على باطنه.

قال أبو محمد: والذى عندى فيه، والله أعلم، أنَّ موسى عليه السلام لما خاف الثعبان وولَّى ولم يُعقِّب، قال الله عز وجل: ﴿يَا مُوسَىٰ لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ

(١) هـذا يوضح لنا أن الفراء هو الذى يعنيه الطبرى بقوله (١٩/ ٨٤): «وقال بعض نحويى الكوفة: يقول القائل: كيف صير خائفًا من ظلم ثم بدل حسنًا بعد سوء، وهو مغفور له؟ فأقول له: فى هذه الآية وجهان: أحدهما: أن يقول: إن الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة، ومن خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا فهو يخاف ويرجو، فهذا وجه، والآخر: أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا فى الكلمة؛ لأن المعنى: لا يخاف لدى المرسلون، إنما الخوف على من سواهم، ثم استثنى فقال: إلا من ظلم ثم بدل حسنًا، يقول: كان مشركًا فتاب من الشرك، وعمل حسنًا فذلك مغفور له وليس يخاف».

الْمُرْسَلُونَ﴾ وعَلِمَ أن موسى مُسْتَشْعِرٌ خيفةً أخرى من ذنبه فى الرَّجل الذى وكَزَه فقضى عليه، فقال: ﴿إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ أى توبةً وندمًا؛ فإنه يَخافُ، وإنى غفور رحيم.

وبعض النحويين[1] يحمل ﴿إِلاَّ مَن ظَلَمَ﴾ بمعنى: ولا من ظلم، كقوله: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] على مذهب من تأول هذا فى «إلاّ»؛ كقوله فى سورة الأنفال، بعد وصف المؤمنين: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥]. ولم يُشَبِّهْ قصة المؤمنين بإخراج الله إياه، ولكن الكلام مردودٌ إلى معنًى فى أول السورة ومحمولٌ عليه، وذلك: أن النبى صلى الله عليه رأى يوم بدر قِلَّة المسلمين وكراهة كثير منهم للقتال، فَنَفَّل كلَّ امرئ منهم ما أصاب، وجعل لكل من قتل قتيلاً كذا، ولمن أتى بأسير كذا، فكره ذلك قومٌ فتنازعوا واختلفوا وحاجُّوا النبى صلى الله عليه وجادلوه، فأنزل الله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يجعلها لمن يشاء ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أى فَرِّقُوها بينكم على السواء ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما بعد ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] [الأنفال: ١]، ووصف المؤمنين ثم قال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ يريد: أن كراهتهم لِمَا فعلتَه فى الغنائم ككراهتهم للخروج معك، كأنه قال: هذا من كراهيتهم كما أخرجَك وإيَّاهم ربُّك وهم كارهون.

* * *

(١) فى الطبرى (١٩/ ٨٥): «وقال بعض النحويين: إن إلا فى اللغة بمنزلة الواو، وإنما معنى هذه الآية: لا يخاف لدى المرسلون، ولا من ظلم ثم بدل حسنًا. وجعلوا مثله كقول الله: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾. والصواب من القول هو القول الذى قاله الحسن البصرى وابن جريج ومن قال قولهما، وهو أن قوله ﴿إِلاَّ مَن ظَلَمَ﴾ استثناء صحيح من قوله: ﴿لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلاَّ مَن ظَلَمَ﴾ منهم فأتى ذنبًا فإنه خائف لديه من عقوبته، وقد بين الحسن معنى قيلِ الله لموسى ذلك، وهو قوله: قال إنى إنما أخفتك لقتلك النفس...».

(٢) انظر تفسير الطبرى (٩/ ١١٩، ١٢٠).

ومن تتبع هذا من كلام العرب وأشعارِها وجده كثيراً.

قال الشاعر:

فـلا تَدْفِنُـونِى إنَّ دَفْنِى مُحَـرَّمٌ عليكم، ولكنْ خامِرِى أُمَّ عامرِ[١]

يريد: لا تدفنونى ولكن دعونى للتى يقال لها إذا صِيدَت: خامِرِى أُمَّ عامر، يعنى الضَّبع، لتأكلنى.

وقال عَنْتَرةُ:

هـل تُبْلِغَنِّى دارَهـــا شَدَنِيَّـةٌ لُعِنَتْ بَمحْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ[٢]

يريد: دُعِيَ عليها بأن يُحرم ضرعُها أن يَدِرَّ فيه لبن، فاستُجيب للداعى، فلم تحمل ولم تُرضع.

ومثله قول الآخر:

* مَلْعُونَةٌ بِعقُرٍ أَوْ خَادِجِ[٣] *

أى: دُعِيَ عليها أن لا تحملَ، وإن حملت: أن تُلقِيَ ولدَها لغير تمام؛ فإذا لم تحمل الناقة ولم تُرضِع كان أقوى لها.

ومن أمثال العرب: «عسى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا»[٤] أى: أنْ يأتينا من قِبَل الغُوَيْرِ بأسٌ ومكروه. والغُوير: ماء، ويقال: هو تصغير غار.

(١) البيت للشَّنْفَرى، كما فى الأغانى (٢١/ ١٣٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٦)، والحماسة بشرح التبريزى (٢/ ٦٣)، وذيل الأمالى ص٣٦، والصناعتين ص١٣٨، والبحر المحيط (٢/ ٣٧٧)، ومجمع البيان (١/ ٧٤)، وفى أمالى المرتضى (٢/ ٧٢): «لتأبَّط شرًا ويُروى للشنفرى»، وفى الحيوان (٦/ ٤٥٠)، وديوانه فى الطرائف الأدبية ص٣٦.

(٢) البيت له من معلقته، كما فى ديوانه ص١٢٤، وشرح القصائد العشر ص١٨٣، وأمالى المرتضى (٣/ ١٥٨)، واللسان (١٧/ ٢٧٤). شدنية: ناقة منسوبة إلى موضع أو فحل باليمن. قال التبريزى: «قوله لعنت: يدعو عليها بانقطاع لبنها، أى بأن يحرم ضرعها اللبن فيكون أقوى لها. وقوله بمحروم الشراب: أى بممنوع شرابه، والمصرم: الذى أصاب أخلاقه شيء فقطعه من صِرار أو غيره».

(٣) صدره: «تَخْدِى بنا كلُّ خَنُوفٍ فَاسِجِ» كما فى اللسان (٣/ ١٦٩).

(٤) سبق شرحه ص١٣٤.

ومثله قوله سبحانه: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف:٣٢] أي: هي للذين آمنوا ـ يعني في الدنيا ـ مشتركة، وفي الآخرة خالصة.

ومنه قوله: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران:١٧٥] أي: يخوِّفكم بأوليائه؛ كما قال سبحانه: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف:٢] أي: لينذركم ببأس شديد.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ﴾ [طه:١٠٨] أي: لا عوج لهم عنه.

وقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠] أي: يعلم أنَّ العزَّة لمن هي.

وقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٧] أي: ما أريد أن يطعموا أحدًا من خلقي.

وأصل هذا: أن البشر عباد الله وعياله فمن أطعم عيال رَجُلٍ ورزقَهم فقد رزقَه وأطعَمه، إذ كان رزقهم عليه.

ومنه قوله سبحانه: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ [النمل:٢٥] أراد: ألاَ يا هؤلاء اسجدوا لله[1].

وقال الشاعر:

* يا دارَ سَلْمَى يا اسْلَمِي ثم اسْلَمِي[2] *

* * *

ومن الاختصار: القَسَمُ بلا جواب إذا كان في الكلام بعده ما يدلُّ على الجواب.

كقوله: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَئِذَا مِتْنَا﴾ نُبعث. ثم قالوا: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق:١ ـ ٣] أي: لا يكون[3].

---

(١) انظر مجاز القرآن (٢/ ٩٣).

(٢) للعجَّاج، كما في ديوانه ص٥٨، وعجزه: «بِسَمْسَمٍ أوْ عَنْ يَمينِ سَمْسَمِ» وهو له في الموشح ص١٥، ٢١٧، وشرح شواهد الشافية ص٤٢٨، ومجاز القرآن (٢/ ٩٤).

(٣) انظر الصناعتين ص١٣٨.

وكذا قوله عز وجل: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾. ثم قال: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ١ - ٦] ولم يأت الجواب لعلم السامع به؛ إذ كان فيما تأخّر من قوله دليلٌ عليه؛ كأنّه قال: والنَّازعاتِ وكذا وكذا لَتبعثُنَّ؛ فقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١١] نُبعثُ؟!

* * *

ومن الاختصار قوله: ﴿إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ [الرعد: ١٤] أراد: كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه فيبلِّغَه فاه[1].

قال ضابئ:

فإنِّى وإيّاكُـم وَشَوْقًا إليكمُ كقابِض ماءٍ لم تَسِقْهُ أنَامِلُهْ[2]

والعرب تقول لمن تعاطى ما لا يجد منه شيئًا: هو كالقابض على الماء[3].

* * *

ومنه: أن تُحذَف «لا» من الكلام والمعنى إثباتها.

كقوله سبحانه: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥] أى: لا تزال تذكر يوسف.

وهى تحذف مع اليمين كثيراً.

قال الشاعر[4]:

فَقُلْـتُ يَمِيـنَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِـــدًا وَلَوْ ضَرَبُوا رَأْسِى لَدَيْكِ وَأَوْصَالِى

(١) انظر الصناعتين ص١٣٨.

(٢) فى اللسان (١٢/ ٢٥٩): «وسَقْتُ الشىء أسِقُه وَسْقًا: إذا حملتَه، قال ضابئ بن الحارث البُرْجُمى: فإنى - البيت؛ أى لم تحمله، يقول: ليس فى يدى شىء من ذلك كما أنه ليس فى يد القابض على الماء شىء». وكذلك هو فى مجاز القرآن (١/ ٣٢٧).

(٣) وشاهده قول الشاعر:

فأصبحتُ مما كـان بينى وبينها من الودِّ مثلَ القابضِ الماءَ باليدِ

(٤) هو امرؤ القيس، ديوانه ص١٠٨، والصناعتين ص١٣٨، واللسان (١٧/ ٣٥٥)، وتفسير الطبرى (١٣/ ٢٨)، وروايتهم: «ولو قطعوا».

وقال آخر:

فَلاَ وَأَبِى دَهْمَـاءَ زَالَتْ عَزِيزَةً على قَوْمِهَا ما فَتَّلَ الزَّنْدَ قَادِحُ[١]

ومنه قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء:١٧٦] أى: لئلا تضلوا.

و﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا﴾ [فاطر:٤١] أى: لئلا تزولا.

وقوله: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الحجرات:٢] أى: لا تحبط أعمالكم.

* * *

ومن الاختصار: أن تُضمر لغير مذكور.

كقوله جل وعز: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص:٣٢] يعنى: الشمس، ولم يذكرها قبل ذلك.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [النحل:٦١] يريد: على الأرض.

وقال: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ [العاديات:٤] يعنى: بالوادى.

وقال: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ﴾ [القصص:١٠] أى بموسى أنه ابنها.

وقال: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس:٣] يعنى: الدنيا أو الأرض

وكذلك قوله: ﴿وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس:١٥] أى: عُقْبَى هذه الفَعْلَة.

وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١] يعنى: القرآن، فكَنَى فى أوَّل السّورة.

قال حُمَيْدُ بن ثَوْر فى أوَّل قصيدة:

وصَهْبَـاءَ مِنْهَا كالسَّفِينَـةِ نَضَّجَتْ به الحَمْلَ حتَّى زادَ شَهْرًا عَدِيدُها[٢]

---

(١) شرح شواهد المغنى للسيوطى ص٢٧٨، وتفسير الطبرى (٢٨/١٣): «ما قبّل»، «ما قيل للزند»، والصناعتين ص١٣٨: «وأبى دهمان»، والخزانة (٤٦/٤): «دهماء اسم امرأة. وقد أقسم الشاعر بوالدها». وانظر قول أبى حنيفة الدينورى فى صفة الزند والزندة وكيفية الفتل فى هذه الصفحة وما بعدها.

(٢) البيت فى اللسان له (٣٠٢/٣): «الأصمعى: إذ حملت الناقة فجازت السَّنَةَ مِنْ يَوْمَ لَقِحَتْ قيل: أدرَجَتْ، ونَضَّجَتْ، وقد جازت الحقَّ، وحَقُّها: الوقتُ الذى ضُرِبت فيه».

أراد: وصهباء من الإبل.

وقال حاتم:

أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى إذا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بها الصَّدْرُ(١)

يعنى النفس.

وقال لبيد:

حتَّى إذا أَلْقَتْ يَدًا فى كَافِرٍ وأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلامُهَا(٢)

يعنى الشمس بدأتْ فى المغيب.

وقال طَرَفة:

* ألاَ لَيْتَنِى أَفْدِيكَ مِنْهَا وأَفْتَدِى(٣) *

يعنى: من الفلاة.

وأنشد الفَرَّاء:

إذا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إليه وخالَفَ، والسَّفِيهُ إلى خِلافِ(٤)

أراد: جرى إلى السَّفَه.

---

(١) ديوانه ص٣٩: «حشرجتْ نفسٌ»، وتفسير الطبرى (١٣/٢١)، واللسان (١٧/ ٢١٠)، وأمالى المرتضى (٤/٦٣)، والعمدة (٢/٢٦٣)، ومجموعة المعانى ص٣١، والعقد (١/٣٣٦)، وأمالى ابن الشجرى (١/ ٥٠)، والبحر المحيط (٨/٣٨٩)، ومجمع البيان (١/٨٧).

(٢) شرح القصائد العشر ص١٦٠: «ألقت: يعنى الشمس، أضمرها ولم يجر لها ذكر. ومعنى قوله: ألقت يدًا: أى بدأت فى المغيب، وعنى بالكافر: الليل؛ لأنه يستر بظلمته، وأجن: ستر، وعورات الثغور: المواضع التى تؤتى منها المخافة، وكل مكان يتخوف منه فهو ثغر». وهو فى الصناعتين ص١٣٨، وإصلاح المنطق ص١٤٣.

(٣) من معلقته، وصدره: «على مثلها أمضى إذا قال صاحبى» قال التبريزى فى شرح القصائد العشر ص٧٤: أى على مثل هذه الناقة أسير وأمضى إذا قال صاحبى: إنا هالكون من خوف الفلاة. وقوله: ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى، معناه: من الفلاة، فجاء بمكنيِّها ولم يجر لها ذكر؛ لدلالة المعنى عليها، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص:٣٢].

(٤) أنشده فى معانى القرآن (١/١٠٤)، وهو فى أمالى ابن الشجرى (١/٢٧٣)، وأمالى المرتضى (١/١٤٥)، والخزانة (٢/٣٨٣)، والعمدة (٢/٢٦٣)، ومجمع البيان (١/ ١٠٠)، وتفسير الطبرى (٢/٣٢٣، ٣/١٢٨، ٤/١٥٢)، ومجالس ثعلب (١/٧٥).

وقال الله عز وجل فى أول سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] ولم يذكر قبل ذلك إلا الإنسان، ثم خاطب الجانّ معه لأنَّه ذكرهم بعد، وقال: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥].

قال الفرَّاء: ومثله قول المُثقِّب العَبْدِى:

فما أَدْرى إذا يَمَّمْتُ أَرضًا ... أُريد الخيرَ: أَيُّهُمَا يَلِينى؟[1]

أَأَلخَيْرُ الذى أنا أَبْتَغِيه ... أَم الشرُّ الذى هو يَبْتَغِينى؟

فكنى عن الشر وقَرَنه فى الكناية بالخير قبل أن يذكره، ثم أتى به بعدَ ذلك.

* * *

ومن ذلك حذف الصفات.

كقول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣] أى: كالوا لهم أو وزنوا لهم.

وقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً﴾ [الأعراف: ١٥٥] أى: اختار منهم[2].

وقال العجاج:

* تحتَ الذى اختارَ له اللهُ الشَّجَرْ[3] *

أى: اختار له من الشجر.

---

(١) من قصيدة له فى المفضليات ص٢٩٢، وفى الشعر والشعراء (١/ ٣٥٧)، والخزانة (٤/ ٤٩)، وشرح شواهد الشافية ص١٨٨، وحماسة البحترى ص١٢٥، والصناعتين ص١٣٩، وشرح شواهد المغنى ص٦٩، وأمالى اليزيدى ص١١٦: «إذا وجَّهتُ وجهًا»، ومعجم الشعراء ص٤٠٣، والعمدة (٢/ ٢٦٢)، وتفسير الطبرى (٢٢/ ٩٨) من غير نسبة. وكذلك فى معانى القرآن للفراء (١/ ٢٣١).

(٢) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١/ ٢٢٩): «مجازه: اختار موسى من قومه، ولكن بعض العرب يختارون فيحذفون من. قال العجاج: «تحت الذى اختار له اللهُ الشجَرْ» أى تحت الشجرة التى اختار الله من الشجر».

(٣) ديوانه ص١٥، وقبله:

وعصبةُ النبى إذ خافوا الحصَرْ ... شدُّوا له سلطانَه حتى اقتسَرْ

بالقتل أقوامًا وأقوامًا أسَرْ ... تحت الذى اختار له الله الشجَرْ

وانظر اللسان (٥/ ٣٥٠)، والصناعتين ص١٣٩.

وكقوله: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ [الحج:٤١] أي: مكنا لهم. والعرب تقول: عَدَدْتُكَ مائةً؛ أي عددت لك، وأستغفرُ الله ذنبي؛ قال الشاعر:

أستغفرُ الله ذنبًا لستُ مُحْصِيَهُ رَبَّ العبادِ إليه الوجهُ والعمَلُ[1]

وشبعتُ خُبْزًا ولَحْمًا، وشربتُ ورَويتُ ماءً ولبنًا، وتَعَرَّضْتُ معروفَك، ونَزَلْتُكَ ونأَيْتُكَ، وبِتُّ القومَ، وغَالَيْتُ السلعةَ، وثَوَيْتُ البَصرَةَ، وسرقْتُكَ مالاً، وسعيتُ القومَ، واسْتَجَبْتُكَ.

قال الشاعر:

وداعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْـهُ عِنْـدَ ذَاكَ مُجِيـبُ[2]

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء:٣٤] أي: مسئولاً عنه.

قال أبو عبيدة: يقال: «لَتُسْأَلُنَّ عهدي» أي عن عهدي.

* * *

ومن الاختصار قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾[3] [النساء:٤٤] أراد: يشترون الضلالة بالهدى، فحذف «الهدى»؛ أي يستبدلون هذا بهذا.

ومثله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٦].

* * *

ومن الاختصار قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾[4] [الصافات:١٠٨] أي: أبقينا له

---

(١) سيبويه (١/ ١٧)، والخزانة (١/ ٤٨٦)، والصاحبي ص١٥١، وأمالي المرتضى (٣/ ٤٧)، والاقتضاب ص٤٦٠، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٣)، وتفسير الطبري (١/ ٥٦، ٢٠/ ٨٢)، والبحر المحيط (١/ ٣٦١)، واللسان (٦/ ٣٣٠)؛ غير منسوب في الجميع.

(٢) هو كعب بن سعد الغنَوي، كما في الأمالي (٢/ ١٥١)، والأصمعيات ص١٤، ومجاز القرآن (١/ ٢٧، ٢/ ١٠٧)، والاقتضاب ص٤٥٩، وشواهد المغني ص٢٣٦، والبيت غير منسوب في أمالي المرتضى (٣/ ٦٠)، وتفسير الطبري (١/ ١٠٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧)، ومجمع البيان (١/ ٢٧٨).

(٣)، (٤) انظر الصناعتين ص١٣٩.

ذكرًا حسنًا فى الآخرين، كأنه قال: تركنا عليه ثناءً حسنًا، فحذف الثناء الحسن لعلم المخاطب بما أراد.

* * *

ومن الاختصار قوله: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء:١٦٦]؛ لأنه لما أنزل عليه: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء:١٦٣] قال المشركون: ما نشهد لك بهذا، فمن يشهد لك به؟ فترك ذكر قولهم وأنزل: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾. يدلك على هذا أن «لكن» إنما تجىءُ بعد نفى لشىء فَيُوجَبَ ذلك الشىءُ بها.

* * *

ومن الاختصار قوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ أراد: فبعث الله غرابًا يبحث التراب على غراب ميِّت لِيُوَارِيَه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾[1] [المائدة:٣١].

* * *

ومنه قوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة:٥٢] أى: فى مرضاتهم[2].

* * *

(١) نقله بنصه أبو هلال فى الصناعتين ص١٣٩.

(٢) نقله أبو هلال أيضًا فى الصناعتين ص١٣٩.

باب تكرار الكلام والزيادة فيه

وأما تكرار الأنْباء والقصص، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجومًا في ثلاث وعشرين سنة[١]، بفرضٍ بعد فرض: تَيسيرًا منه على العباد، وتدريجًا لهم إلى كمال دينه، ووَعْظٍ بعد وعظ: تنبيهًا لهم من سِنَة الغَفْلَة، وشَحْذًا لقلوبهم بِمُتَجَدِّدِ الموعظة، وناسخٍ بعد منسُوخٍ: استعْبادًا لهم واختبارًا لبصائرهم، يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٢] [الفرقان: ٣٢].

الخطاب للنبي، صلى الله عليه، والمراد بالتثبيت هو والمؤمنون.

وكان رسول الله، صلى الله عليه، يَتخَوَّل أصحابَهُ بالموعظة مخافة السآمة عليهم، أي يَتَعهَّدُهم بها عند الغفلة ودُثُور القلوب.

ولو أتاهم القرآن نَجْمًا واحدًا لسبَقَ حدوث الأسباب التي أنزله الله بها، ولثَقُلَت جُمْلَةُ الفرائض على المسلمين، وعلى من أراد الدخول في الدين، ولبطل معنى التنبيه، وفسد معنى النسخ؛ لأن المنسوخ يُعْمَلُ به مدة ثم يُعمل بناسخه بعده.

وكيف يجوز أن يَنزل القرآن في وقت واحد: افعلوا كذا ولا تفعلوه؟

ولم يفرض الله على عباده أن يحفظوا القرآن كلّه، ولا أن يختموه في التعلم، وإنما أنزله ليعملوا بمُحْكَمِه، ويؤمنوا بمتشابِهه، ويأْتَمِروا بأمره، وينتهوا بزجره، ويحفظوا للصلاة مقدار الطاقة، ويقرءوا فيها الميسور.

---

(١) في تفسير الطبري (٨/١٩): «عن ابن جريج: أنزل عليه لأربعين، ومات النبي ﷺ لستين أو لثلاث وستين».

(٢) قال الطبري (٨/١٩): «يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ [الفرقان: ٣٢] يقول: هلا نزل على محمد ﷺ القرآن جملة واحدة، كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال الله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء، لنثبت به فؤادك نزلناه...».

قال الحسن: نزل القرآن ليُعْمَلَ به، فاتخذ الناس تِلاوتَه عَمَلاً.

وكان أصحاب رسول الله، صلى الله عليه، ورضى عنهم ـ وهم مصابيح الأرض وقادةُ الأنَام ومُنْتَهى العلم ـ إنما يقرأ الرَّجلُ منهم السورتين، والثلاث، والأربع، والبعض والشّطر من القرآن، إلا نفراً منهم وفقهم الله لجمعِه، وسهَّل عليهم حفظه[1].

قال أنس بن مالك: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا. أى جلَّ فى عيوننا، وعظُم فى صدورنا.

قال الشَّعْبى: توفى أبو بكر، وعمر، وعلى، رحمهم الله، ولم يجمعوا القرآن[2].

وقال: لم يختمه أحد من الخلفاء غير عثمان.

وروى عن شَرِيك، عن إسماعيل بن أبى خالد[3] أنه قال: سمعت الشَّعْبىَّ يحلف بالله عز وجل: لقد دخل عَلِيٌّ حُفْرَتَهُ وما حفظ القرآن[4].

---

(١) فى تفسير القرطبى (١/ ٤٠): «عن ابن عمر قال: كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ فى صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن؛ وإن آخر هذه الأمة يقرءون القرآن، منهم الصبى والأعمى، ولا يرزقون العمل به».

(٢) راجع: الإتقان (١/ ١٢٢ ـ ١٢٥)، وتفسير القرطبى (١/ ٥٦ ـ ٥٨).

(٣) إسماعيل بن أبى خالد البجلى الأحمسى، أبو عبد الله، الكوفى، أحد الأعلام، روى عن الشعبى، وكان أعلم الناس به. وهو ثقة، قال أبو نعيم: مات سنة ست وأربعين ومائة، راجع: تهذيب التهذيب (١/ ٢٩١، ٢٩٢).

(٤) فى تفسير القرطبى (١/ ٥٨): «قال أبو بكر الأنبارى: والحديث الذى حدثناه إبراهيم بن موسى، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عمر بن هارون الخراسانى، عن ربيعة بن عثمان، عن محمد بن كعب القرظى، قال: كان ممن ختم القرآن ورسول الله ﷺ حى: عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود ـ حديث ليس بصحيح عند أهل العلم، إنما هو مقصور على محمد بن كعب، فهو مقطوع لا يؤخذ به ولا يعول عليه».

وقوله عليه السلام: «خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد...» يدل على صحته. ومما يبين ذلك: أن أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق، كل منهم عزا قراءته التى اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله ﷺ لم يستثن من جملة القرآن شيئًا: فأسند «عاصم» قراءته إلى «على وابن مسعود» وأسند «ابن كثير» قراءته إلى «أبى»، وكذلك «أبو عمرو بن العلاء» أسند قراءته إلى «أبى»، وأما «عبد الله بن عامر» فإنه أسند قراءته إلى «عثمان». وهؤلاء كلهم يقولون: قرأنا على رسول الله ﷺ. وأسانيد هذه القراءات متصلة، ورجالها ثقات. قاله الخطابى.

وكانت وفودُ العرب تَرِدُ على رسول الله صلى الله عليه للإسلام، فيُقْرِئُهم المسلمون شيئًا من القرآن، فيكون ذلك كافيًا لهم.

وكان يبعث إلى القبائل المتفرِّقة بالسُّور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مُثَنَّاةً ومكرَّرَةً لَوَقَعَتْ قصَّة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم.

فأرادَ الله، بلطفه ورحمته، أن يشهر هذه القصص فى أطراف الأرض، ويُلْقِيَها فى كل سمعٍ، ويثبتها فى كل قلب، ويزيد الحاضرين فى الإفهام والتحذير.

وليست القصص كالفروض؛ لأنَّ كُتُبَ رسول الله، صلى الله عليه، كانت تُنْفَذُ إلى كل قوم بما فرضه الله عليهم: من الصلاة وعددها وأوقاتها، والزّكاة وسنتها، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، وهذا ما لا تُعرف كيفيته من الكتاب، ولم تكن تُنفَذ بقصة موسى وعيسى ونوح وغيرهم من الأنبياء. وكان هذا فى صدر الإسلام قبل إكمال الله الدين، فلما نشره الله عز وجل فى كل قطر، وبثَّه فى آفاق الأرض، وعلَّم الأكابر الأصاغر، وجُمِع القرآن بين الدَّفَّتَيْن ـ زال هذا المعنى، واجتمعت الأنباء فى كل مصر وعند كل قوم.

* * *

وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضُه يجزئ عن بعض، كتكراره فى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفى سورة الرحمن بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فقد أعْلَمْتُك أنَّ القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار: إرادةَ التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز؛ لأن افتنان المتكلم والخطيب فى الفنون، وخروجَه عن شىء إلى شىء ـ أحسن من اقتصاره فى المقام على فنّ واحد.

وقد يقول القائل فى كلامه: والله لا أفعله، ثم والله لا أفعله؛ إذا أراد التوكيد وحَسْمَ الأطماع مِنْ أنْ يَفعله. كما يقول: والله أفعله، بإضمار «لا» إذا أراد الاختصار.

قال الله عز وجل: ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٣، ٤].

وقال: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥، ٦].

وقال: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥].

وقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٧، ١٨].

كلُّ هذا يراد به التأكيد للمعنى الذى كُرِّر به اللفظ.

وقد يقول القائل للرجل: اعْجَل اعجل، وللرامى: ارْمِ ارم.

وقال الشاعر:

* كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لكم كَمْ كَمْ وكَمْ[1] *

وقال الآخر:

هَلاَّ سَأَلْتَ جُمُــوعَ كِنْـ ـدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا: أَيْنَ أَيْنَا[2]؟

وقال عَوْفُ بن الخَرِع:

وكَادَتْ فَزَارَةُ تَصْلَى بِنَا فَأَوْلَى فَزَارَةُ أَوْلَى فَزَارَا[3]

* * *

وربما جاءت الصفَة فأرادوا توكيدها، واستوحشُوا من إعادتها ثانية لأنها كلمةٌ واحدةٌ، فغيَّرُوا منها حرفًا، ثم أتبعوها الأولى.

كقولهم: «عَطْشَانُ نَطْشَان» كرهُوا أن يقولوا: عَطْشان عطشان، فأبدلوا من العين نونًا. وكذلك قولهم: «حَسَنٌ بَسَنٌ» كرهوا أن يقولوا: حسنٌ حسنٌ، فأبدلوا من الحاء باء. و«شيطان لَيطان».

فى أشباه له كثيرة[4].

(١) أمالى المرتضى (١/ ٨٤)، والصناعتين ص١٩٣، والصاحبى ص١٧٧؛ غير منسوب فى الجميع.

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص، كما سبق ص٢١٣.

(٣) البيت من قصيدة فى المفضليات ص٤١٦، ومعجم البلدان (٣/ ٣٠٥)، وسيبويه (١/ ٣٣١)، والصاحبى ص١٩٤ غير منسوب، وروايتهما: «تشقى بنا»، وإعجاز القرآن ص٩٤، وفيه: «وكانت... فأولى فزارة أولى لها» وهو خطأ.

(٤) نقل ذلك أبو هلال فى الصناعتين ص١٤٤.

ولا موضع أولى بالتكرار للتوكيد من السبب الذى أُنزلت فيه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ لأنهم أرادوه على أن يعبد ما يعبدون، ليعبدوا ما يعبد، وأبدءوا فى ذلك وأعادوا، فأراد الله، عزّ وجلّ، حَسْمَ أطماعهم وإكْذَابَ ظُنُونِهم، فأَبْدَأَ وأَعَادَ فى الجواب. وهو معنى قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩] أى تلين لهم فى دينك فيلينون فى أديانهم.

وفيه وجه آخر، وهو: أن القرآن كان ينزل شيئًا بَعْدَ شىء وآيةً بعد آية، حتى لربما نزل الحرفان والثلاثة. قال زيد بن ثابت[١]: كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه: ﴿لاَ يَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ﴾، فجاء عبد الله بن أُمِّ مكْتُوم[٢] فقال: يا رسول الله إنى أحب الجهاد فى سبيل الله، ولكن بى من الضرر ما ترى. قال زيد: فَثَقُلَتْ فَخِذُ رسول الله، صلى الله عليه، على فخذى حتى خشيت أن تَرُضَّها، ثم قال: «اكتُب: ﴿لا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥]».

ورَوى عبد الرَّزَّاق، عن مَعْمَر، عن قتادة، عن الحسن أنه قال فى قول الله عز وجل: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان:٣٢] قال: كان ينزل آيةً وآيتين وآيات، جوابًا لهم عما يسألون وردًا على النبى صلى الله عليه[٣]. وكذلك معنى قوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [الإسراء:١٠٦] شيئًا بعد شىء.

فكأن المشركين قالوا له: أَسْلِمْ ببعض آلهتنا حتى نؤمن بإلهك، فأنزل الله: ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٢، ٣] يريد: إن لم تؤمنوا حتى أفعل ذلك. ثم غَبَرُوا مُدَّة من المدد وقالوا: تعبد آلهتنا يومًا أو شهرًا أو حولاً، ونعبد إلهك يومًا أو شهرًا أو حـولاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[٤] [الكافرون:٤، ٥]، على شريطة أن تؤمنوا به فى وقت وتشركوا

(١) راجع: صحيح البخارى (٦/ ٤٧، ٤٨)، وأسباب نزول القرآن للواحدى ص١٦٨.

(٢) كان عبد الله بن أم مكتوم أعمى.

(٣) انظر تفسير الطبرى (١٩/ ٨).

(٤) انظر تفسير الطبرى (٣٠/ ٢١٣، ٢١٤).

به فى وقت(١).

قال أبو محمد: وهذا تمثيل أردت أن أُريَك به موضع الإمكان.

* * *

وأما تكرار ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ : فإنه عدَّد فى هذه السورة نَعْماءَه، وأذْكَرَ عبادَه آلاءَه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه، ثم أتبع ذِكْرَ كل خَلَّة وصفَهَا بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين؛ ليُفَهِّمَهم النِّعَم ويُقَرِّرهم بها(٢).

(١) نقل المرتضى ذلك فى أماليه (١/ ٨٣، ٨٤)، ثم قال: «وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال: إنه يقتضى شرطًا وحذفًا لا يدل عليه ظاهر الكلام، وهو ما شرطه فى قوله: ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣] قال: وإذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادة ما يعبدون مطلقًا غير مشروط، فكذلك ما عطف عليه. وهذا الطعن غير صحيح؛ لأنه لا يمتنع إثبات شرط بدليل وإن لم يكن فى ظاهر الكلام، ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة. وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة، كل واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة. أولها: ما حكى عن أبى العباس ثعلب أنه قال: إنما حسن التكرار؛ لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى، وتلخيص الكلام: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:١، ٢] الساعة وفى هذه الحال، ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣] فى هذه الحال أيضًا، واختص الفعلان منه ومنهم بالحال. وقال من بعد: ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون:٤] فى المستقبل ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٥] فيما تستقبلون، فاختلفت المعانى، وحسن التكرار فى اختلافها. ويجب أن تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم أنه لا يؤمن، وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت فى أبى جهل والمستهزئين، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد، والمستهزئون هم: العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والأسود ابن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وعدى بن قيس. والجواب الثانى، وهو جواب الفراء: أن يكون التكرار للتأكيد، كقول المجيب مؤكدًا: بلى بلى، والممتنع مؤكدًا: لا لا. ومثله قول الله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:٣، ٤]». راجع بقية الكلام فى ص٨٤ ـ ٨٦.

(٢) نقل هذا أبو هلال فى الصناعتين ص١٤٤، وانظر أمالى المرتضى (١/ ٨٦)، وقد قال المرتضى فى ص٨٨: «فإن قيل: إذا كان الذى حسَّن التكرار فى سورة الرحمن ما عدَّده من الآيات ومن نعمه، فقد عدد فى جملة ذلك ما ليس بنعمة، وهو قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن:٣٥] وقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ㊸ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن:٤٣، ٤٤] فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ وليس هذا من الآلاء والنعم؟ قلنا: الوجه فى ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن نعمة، فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم؛ لأن فى ذلك زجرًا عما يستحق به العقاب، وبعثًا على ما يستحق به الثواب، =

وهذا كقولك للرجل أجل أحسنتَ إليه دهرك وتابعت عنده الأيادى، وهو فى ذلك يُنكرك ويكفرك: ألم أُبَوِّئْكَ مَنزلاً وأنت طريد؟ أفتُنْكِرُ هذا؟ و: ألم أحملْك وأنت راجل؟ ألم أحج بك وأنت صَرُورَة[١]؟ أَفَتُنْكِرُ هذا؟

ومثل ذلك تكرارُ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ فى سورة ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ أى: هل من مُعْتَبِرٍ ومتَّعظ؟

* * *

وأما تكرار المعنى بلفظين مختلفين؛ فلإشْبَاع المعنى والاتساع فى الألفاظ.

وذلك كقول القائل: آمُرُكَ بالوفاء، وأَنْهَاكَ عن الغدر. والأَمْرُ بالوفاء هو النَّهىُ عن الغدر. و: آمركم بالتَّوَاصُل، وأنهاكم عن التّقاطع. والأمر بالتواصل هو النهى عن التقَاطع.

وكقوله سبحانه: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]. والنخل والرُّمّان من الفاكهة، فأفردهما عن الجملة التى أدخلهما فيها؛ لفضلهما وحسن موقعهما.

وقوله سبحانه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] وهى منها، فَأَفْرَدَها بالذِّكر ترغيبًا فيها، وتشديداً لأمْرِها، كما تقول: إيتنى كل يوم، ويومَ الجمعة خاصَّةً.

وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾[٢] [الزخرف: ٨٠] والنَّجْوى هو السر. وقد يجوز أن يكون أراد بالسرّ: ما أسرُّوه فى أنفسهم، وبالنَّجْوى: ما

= فإنما أشار تعالى بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بعد ذكر جهنم والعذاب فيها - إلى نعمه بوصفها، والإنذار بعقابها، وهذا مما لا شبهة فى كونه نعمة».

(١) فى اللسان (٦/ ١٢٣): «رجل صَرُور وصَرُورة: لم يحجَّ قط».

(٢) قال الطبرى فى تفسيره (٢٥/ ٦٠): «يقول: أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائها علينا؟... عن محمد بن كعب القرظى قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفى، أو ثقفيان وقرشى، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع وإذا أسررتم لم يسمع، قال الثانى: إن كان يسمع إذا أعلنتم فإنه يسمع إذا أسررتم، قال: فنزلت: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾».

تساروا به.

وقال ذو الرمة:

لَمْياءُ فى شَفَتَيْهَا حُــوَّةٌ لَعَسٌ　　　وفى اللِّثَاتِ وفى أَنْيَابِها شَنَبُ[١]

واللَّعَس هو: حُوَّةٌ، فكرّر لمّا اختلف اللفظان.

ويمكن أن يكون لما ذكر الحُوَّة خشى أن يتوهَّم السامع سَوادًا قبيحًا، فَبَيّن أنه لَعَسٌ، واللعسُ يُستحسن فى الشِّفاه.

* * *

وأما الزيادة فى التوكيد: فكقوله سبحانه: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٧] لأن الرجل قد يقول بالمجاز: كلمت فلانًا، وإنما كان ذلك كتابًا أو إشارة على لسان غيره، فأَعْلَمَنا أنهم يقولون بألسنتهم.

وكذلك قوله: ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٧٩] لأن الرجل قد يكتب بالمجاز، وغيرُه الكاتب عنه.

ويقولُ الأمِّى: كتبتُ إليك، وهذا كتابى إليك. وكلُّ فعلٍ أَمَرْتَ به فأنتَ الفاعلُ له وإنْ وَلِيَهُ غيرُك، قال عز وجل فى التَّابوتِ: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ﴾[٢] [البقرة:٢٤٨].

---

(١) ديوانه ص٥: «اللمى: السمرة فى الشفة تضرب إلى الخضرة، والحوة: حمرة فى الشفة تضرب إلى السواد، والشنب: برودة عذوبة الفم ورقة فى الأسنان». والبيت له فى اللسان (١/٤٨٨، ٨/٩١، ١٨/٢٢٦).

(٢) قال الطبرى فى تفسيره (٢/٣٨٨): «اختلف أهل التأويل فى صفة حمل الملائكة ذلك التابوت: فقال بعضهم: معنى ذلك: تحمله بين السماء والأرض حتى تضعه بين أظهرهم... وقال آخرون: معنى ذلك: تسوق الملائكة الدواب التى تحمله... وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال: حملت التابوت الملائكة حتى وضعته فى دار طالوت بين أظهر بنى إسرائيل، وذلك أن الله تعالى ذكره قال: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ﴾ ولم يقل: تأتى به الملائكة، وما جرته البقر على عجل، وإن كانت الملائكة هى سائقتها، فهى غير حاملته؛ لأن الحمل المعروف هو مباشرة الحامل بنفسه حمل ما حمل، فأما ما حمله على غيره وإن كان جائزًا فى اللغة أن يقال: فى حمله بمعنى معونته الحامل، أو بأن حمله كان عن سببه ـ فليس سبيله سبيل ما باشر حمله بنفسه، فى تعارف الناس إياه بينهم، وتوجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من اللغات أولى من توجيهه إلى ألا يكون الأشهر، ما وجد إلى ذلك سبيل».

قال ابن عباس رضى الله عنه فى رواية أبى صالح عنه: هذا كما تقول: حَمَلْتُ إلى بلد كذا وكذا بُرًّا وقَمْحًا. وإنما تريد أمَرْتُ بحمله.

فأعلمنا أنهم يكتبونه بأيديهم ويقولون: هو من عند الله، وقد علموا يقينًا ـ إذ كتبوه بأيديهم ـ أنه ليس من عند الله.

وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾[1] [الصافات:٩٣] لأن فى اليمين القُوَّةَ وشدَّة البطش، فأخبرنا عن شدة ضَرْبه بها.

وقال الشَّمَّاخ:

إذا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَــا عَرَابَةُ بالْيَمِينِ[2]

أى أخذها بقوة ونشاط.

وقوله سبحانه: ﴿وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام:٣٨]، كما تقول: رأَىُ عينى وسَمْعُ أذنى.

وقوله: ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، كما تقول: نفسى التى بين جنْبَىَّ.

وقال: ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٩٦]، أراد توكيد ما أوجبه عليه من الصيام بجمع العددين وذِكْرِه مُجْمَلاً، كما قال الشاعر:

ثَلاثٌ وَاثْنَتَانِ فَهُنَّ خَمْسٌ وسَادِسَةٌ تَمِيلُ إلى شَمَــامِ[3]

---

(١) قال الطبرى فى تفسيره (٢٣/٤٦): «يقول تعالى ذكره: فمال على آلهة قومه ضربًا لها باليمين، بفأس فى يده، يكسرهن».

(٢) ديوانه ص٩٧ من قصيدة يمدح بها عرابة الأوسى، صاحب رسول الله ﷺ. والبيت له فى الجمهرة (١/٢٦٧)، والشعر والشعراء (١/٢٧٨)، والإصابة (٤/٢٣٤)، والخزانة (١/٤٥٣، ٢/٢٢٣)، والبحر المحيط (١/١٦٠)، والعمدة (٢/١٣١)، وأمالى القالى (١/٢٧٤)، ونقد الشعر ص٢٥، وهو غير منسوب فى تفسير الطبرى (٢٣/٣٢).

(٣) البيت للفرزدق، كما فى ديوانه ص٨٣٥، وقبله:

فقُلْنَ له: نُواعِدُك الثُّرَيَّا وذاك إليه مجتمعُ الزحامِ

وبعده:

فبِتْنَ بجانبىَّ مُصرَّعــاتٍ وبتُّ أفضُّ أغلاق الختامِ =

وقد تزاد «لا» فى الكلام والمعنى: طَرْحُهَا لإباء فى الكلام أو جَحْد.

كقول الله عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[1] [الأعراف:١٢] أى: ما منعك أن تسجد. فزاد فى الكلام «لا» لأنه لم يسجد.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٠٩] يريد: وما يشعركم أنها إذا جَاءَتْ يؤمنون، فزاد «لا» لأنهم لا يؤمنون إذا جاءت[2].

ومن قرأها بكسر إنَّ فإنه يجعل الكلام تامًا عند قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ثم يبتدئ فيقول: ﴿إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[3].

= وهو من شعره الذى تعهر فيه، وهو له فى الموشح ص١١٤، والبحر المحيط (٢/٧٩)، ومجمع البيان (١/٢٩١)، واللسان (٦/٢٤٥) وفيه: «وثالثة تميل إلى السِّهام» وهو تحريف. والشمام: المُشامَّة، كما قال ابن سلام فى طبقات الشعراء ص٣٨.

(١) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن: «مجازه: ما منعك أن تسجد، والعرب تضع لا فى موضع الإيجاب، وهى من حروف الزيادة، قال: فما ألومُ البِيض ألاَّ تَسْخَرا».
وقال الطبرى فى تفسيره (٨/٩٦): «قال بعض نحويى البصرة: معنى ذلك: ما منعك أن تسجد، ولا ههنا زائدة... وقال بعض نحويى الكوفة نحو القول الذى ذكرناه عن البصريين فى معناه وتأويله، غير أنه زعم أن العلة فى دخول «لا» فى قوله ﴿أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ أن فى أول الكلام جحدًا، يعنى بذلك قوله: ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف:١١] فإن العرب ربما أعادوا فى الكلام الذى فيه جحد ـ الجحد كالاستيثاق والتوكيد له...» يقصد الطبرى بالأول أبا عبيدة، وبالثانى الفراء. ثم قال الطبرى بعد أن سرد من رأى غيرهما: «والصواب عندى من القول فى ذلك أن يقال: إن فى الكلام محذوفًا، قد كفى دليل الظاهر منه، وهو أن معناه: ما منعك من السجود فأحوجك ألا تسجد، فترك ذكر «أحوجك» استغناء بمعرفة السامعين».

(٢) فى الطبرى (٧/٢١٢): «... وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين بالله أنهم لا يؤمنون به، ففتحوا الألف من «أن»، وممن قرأ كذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة. وقالوا: أدخلت لا فى قوله: ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ صلة كما أدخلت فى قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ وفى قوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٥] وإنما المعنى: وحرام عليهم أن يرجعوا، وما منعك أن تسجد. وقد تأول قوم قرءوا ذلك بفتح الألف من أنها بمعنى لعلها، وذكروا أن ذلك كذلك فى قراءة أبى بن كعب».

(٣) فى الطبرى (٧/٢١١): «عن مجاهد، قوله: ﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت، ثم استقبل يخبر عنهم فقال: ﴿إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾. وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف «أنها» على أن قوله: «إنها إذا جاءت لا يؤمنون» خبر مبتدأ منقطع عن الأول. وممن قرأ ذلك كذلك بعض قرأة المكيين والبصريين».

وقوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾[1] [الأنبياء:٩٥] يريد أنهم يَرْجِعُون، فزاد «لا» لأنهم لا يرجعون.

وقوله سبحانه: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الحديد:٢٩] يريد: ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون، فزاد «لا» فى أول الكلام؛ لأن فى آخر الكلام جَحْدًا[2].

وكذلك قول أبى النَّجْم:

* فمَا أَلُومُ البِيضَ أَلاَّ تَسْخَرَا[3] *

أى أن تسخرا، فزاد «لا» فى آخر الكلام؛ للجحد فى أوله.

---

(١) فى تفسير القرطبى (١١/ ٣٤٠): «قال النحاس: والآية مشكلة، ومن أحسن ما قيل فيها وأجله: ما رواه ابن عيينة، وابن علية، وهشيم، وابن إدريس، ومحمد بن فضيل، وسليمان بن حيان، ومعلى، عن داود بن أبى هند، عن عكرمة، عن ابن عباس فى قوله الله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأنبياء:٩٥] قال: «وجب أنهم لا يرجعون». قال: لا يتوبون.
قال أبو جعفر: واشتقاق هذا بيِّن فى اللغة. وشرحه: أن معنى «حرم الشىء»: حظر ومنع منه، كما أن معنى «أحل»: أبيح ولم يمنع منه. فإذا كان «حرام» و«حرم» بمعنى واجب، فمعناه: أنه قد ضيق الخروج منه ومنع. فقد دخل فى باب المحظور بهذا.
فأما قول أبى عبيد: إن «لا» زائدة ـ فقد رده عليه جماعة؛ لأنها لا تزاد فى مثل هذا الموضع، ولا فيما يقع فيه إشكال. ولو كانت زائدة لكان التأويل بعيدًا أيضًا؛ لأنه إن أراد: وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا إلى الدنيا ـ فهذا ما لا فائدة فيه. وإن أراد التوبة، فالتوبة لا تحرم. وقيل: فى الكلام إضمار. أى: وحرام على قرية حكمنا باستئصالها، أو بالختم على قلوبها ـ أن يتقبل منهم عمل؛ لأنهم لا يرجعون، أى لا يتوبون. قاله الزجاج وأبو على. و«لا» غير زائدة. وهذا معنى قول ابن عباس».

(٢) فى الطبرى (٢٧/ ١٤٣): «وقيل: لئلا يعلم، وإنما هو ليعلم، وذكر أن ذلك قراءة عبد الله: لكى يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون؛ لأن العرب تجعل «لا» صلة فى كل كلام دخل فى أوله وآخره جحد غير مصرح، كقوله فى الجحد السابق الذى لم يصرح به: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢]».

(٣) الصاحبى ص١٣٨، ومجاز القرآن (١/ ٢٦)، والخصائص (٢/ ٢٨٣)، والجمهرة (٣/ ٣٣٤، ٣٧٠)، وتفسير الطبرى (١/ ٦٢)، والأضداد لابن الأنبارى وبعده: «لَمَّا رأيْنَ الشَّمَطَ القَفَنْدَرَا» والشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده. والقفندر: القبيح المنظر. وهو فى اللسان (٦/ ٤٢٥) غير منسوب. وفى العمدة (٢/ ٢٦٣) نقلاً عن ابن قتيبة: «فما ألوم النجم ألاَّ تَسْهَرا؛ يريد أن تسهرا»، وهو خطأ.

وقول العَجَّاج:

* فى بِئْرِ لا حُورٍ سَرَى ومَا شَعَرْ[١] *

فزاد «لا» فى أول الكلام؛ لأن فى آخره جَحْدًا.

* * *

وأما زيادة «لا» فى قوله: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٢] [القيامة:١، ٢]، وقوله: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾[٣] [الانشقاق:١٦، ١٧]، و﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[٤] [البلد:١] - فإنها زيدت فى الكلام على نيّة الرَّدّ على المكذِّبين، كما تقول فى الكلام: لا والله ما ذاك كما تقول. ولو قلتَ: والله ما ذاك كما تقول، لكان جائزًا، غير أن إدخالَكَ «لا» فى الكلام أَوَّلاً أَبْلَغُ فى الرَّدّ.

وكان بعض النحويين[٥] يجعلها صلة. ولو جاز هذا لم يكن بين خبرٍ فيه الجَحْد

---

(١) فى ديوان العجاج ص١٦، وقبله: «وغَبَّرًا قَتْمًا فَيجتاب الغَبَرْ». والصاحبى ص١٣٨، والجمهرة (٢/١٤٦، ٣/ ٣٧٠)، ومجاز القرآن (١/ ٢٥)، والأضداد لابن الأنبارى ص١٨٦، وفى اللسان (٥/ ٢٩٦): «الحور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حورًا ومحارًا ومحارة وحؤرًا: رجع عنه وإليه، وقول العجاج: «فى بئر لا حور سرى وما شعر» أراد: فى بئر لا حؤور. فأسكن الواو الأولى وحذفها لسكونها وسكون الثانية بعدها. قال الأزهرى: و«لا» صلة فى قوله. قال الفراء: «لا» قائمة فى هذا البيت صحيحة، أراد: «فى بئر ماء لا يحير عليه شيئًا».
وفى تفسير الطبرى (١/ ٦٢): «وكان بعض أهل البصرة يتأوله بمعنى: فى بئر حور سرى، أى فى بئر هلكة، وأن «لا» بمعنى الإلغاء والصلة... وكان بعض نحويى الكوفيين يستنكر ذلك من قوله... وكان يتأول فى «لا» بقوله: إنها جحد صحيح، وأن معنى البيت: سرى فى بئر لا تُحِيرُ عليه خَبَرًا، ولا يتبين له فيها أثر عمل، وهو لا يشعر بذلك، ولا يدرى به. من قولهم: طحنت الطاحنة فما أحارت شيئًا، أى لم يتبين لها أثر عمل». ويقصد الطبرى ببعض أهل البصرة أبا عبيدة، وببعض نحويى الكوفيين الفراء. وانظر كلامًا حول هذا البيت فى اللسان (٢٥/ ٣٥٤، ٣٥٥).

(٢) انظر تفسير الطبرى (٢٩/ ١٠٨، ١٠٩).

(٣) قال الطبرى فى تفسيره (٣٠/ ٧٦): «أقسم ربنا بالشفق، والشفق: الحمرة... والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال: إن الله أقسم بالنهار مدبرًا والليل مقبلاً. وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ يقول: والليل وما جمع، مما سكن وهدأ فيه من ذى روح كان يطير أو يدب نهارًا، يقال: وَسَقْتُه أسِقه وَسْقًا، ومنه طعام موسوق، وهو: المجموع فى غرائر أو وعاء».

(٤) فى الطبرى (٣٠/ ١٢٣): «يقول تعالى ذكره: أقسم يا محمد بهذا البلد الحرام، وهو مكة...».

(٥) فى الأضداد لابن الأنبارى ص١٨٦: «وقال الكسائى وغيره... معناه: أقسم، و«لا» زائدة، وقال =

وخبرٍ فيه الإقرار فَرْقٌ.

* * *

و«ألاَ» تُزَادُ فى الكلام للتنبيه.

كقوله: ﴿ألاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود:٥]. و﴿ألاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود:٨].

وقال الشاعر:

أَلاَ أَيُّهــــــذَا الزَّاجِرِى أَحْضُرَ الوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ: هَل أَنْتَ مُخْلِدِى[1]

أراد: أيُّها الزاجرى أن أَحضر الوغى، فزاد «ألاَ» وحذف «أنْ».

* * *

والباء تُزاد فى الكلام، والمعنى إلقاؤها.

كقوله سبحانه: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[2] [المؤمنون: ٢٠].

= الفراء: «لا» لا تكون فى أول الكلام زائدة، ولكنها رد على الكفرة، إذ جعلوا لله عز وجل ولدًا وشريكًا وصاحبة، فرد الله عليهم قولهم فقال: «لا» وابتدأ بأقسم».

وفى اللسان (٢٠/٣٥٣): «قال الفراء: وكان كثير من النحويين يقولون: «لا» صلة. قال: ولا يُبتدأ بجحد، ثم يُجعل صلة يُراد به الطرح؛ لأن هذا لو جاز لم يُعرف خبرٌ فيه جَحْدٌ من خبر لا جحد فيه، ولكنّ القرآن العزيز نزل بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالرد عليهم فى كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ، كقولك فى الكلام: لا والله لا أفعل ذلك، جعلوا «لا» وإن رأيتها مبتدأة ردًا لكلام قد مضى، فلو أُلغيت «لا» مما يُنوَى به الجواب لم يكن بين اليمين التى تكون جوابًا واليمين التى تُستأنف فرق». وهذا النص يبين لنا أن الفراء هو المقصود بقول الطبرى (٢٩/١٠٨): «وقال بعض نحويى الكوفة: «لا» رد لكلام قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار...» إلخ.

(١) البيت لطرفة من معلقته، وفى شرح القصائد العشر ص٨٠: «ألاَ أيهذا اللائمى»، وفى ديوانه ص٢٩:

ألاَ أيهــا اللاحى انْ أشهــدَ الوغَى وأنْ أحضرَ اللذَّات هَلْ أنتَ مُخْلدى

والبيت له فى سيبويه (١/٤٥٢)، ومجمع البيان (١/١٤٩)، والشطر الأول غير منسوب فى الصاحبى ص١٠٤، ١٩٧. وقال التبريزى فى شرحه: «ومعنى البيت: ألاَ أيهذا اللائمى فى حضور الحرب لئلا أقتل، وفى أن أنفق مالى لئلا أفتقر، ما أنت مخلدى إن قبلت منك، فدعنى أنفق مالى ولا أخلفه».

(٢) انظر اللسان (٢٠/٣٢٧).

وقوله: ﴿ اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق:١] أى: اسم ربك.

و﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ [الإنسان:٦] أى: يَشْرَبُهَا[1].

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [مريم:٢٥] أى: هُزِّى جِذْعَ.

وقال: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ [القلم:٥، ٦] أى: أيكُم المفتون.

وقال الأعْشَى:

* ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا[2] *

وقال الآخر:

* نَضْرِبُ بالسَّيْفِ وَنَرْجُو بالفَرَجْ[3] *

وقال امرؤ القيس:

* هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِى شَمَارِيخَ مَيَّالِ[4] *

أى: غُصْنًا.

---

(١) انظر اللسان (٢٠/ ٣٢٧).

(٢) أنشده ابن قتيبة فى أدب الكاتب، وعلق عليه ابن السِّيد فى الاقتضاب بقوله: «هذا البيت لأعشى بكر، ولم يقع فى شعر الأعشى رواية أبى على البغدادى هكذا، إنما وقع فى روايته:

ضمنتْ لنا أعجـــازُهن قدورَنا ... وضروعُهن لنا الصريحَ الأجردا

وقبله فى صفة إبل:

مثل الهضاب جزارةً لـسيوفنا ... فإذا تراع فإنهـــا لن تطـردا

قال أبو على: ويروى: «ضمنت لنا أعجازها أرماحنا» أى ضمنت أرماحنا أعجاز إبلنا أن يغار عليها، فنحن ننحرها ونشرب ألبانها. والصريح من اللبن: ما ذهبت رغوته. والأجرد: الذى لا رغوة له. ولعل الذى ذكر ابن قتيبة رواية ثانية، أو من قصيدة أخرى وقعت فى غير روايتنا». وانظر ديوان الأعشى ص٥٤، واللسان (٤/ ٩٢).

(٣) صدره: «نحن بنو جَعْدة أصحابُ الفَلَجْ» وهو للنابغة الجعدى، كما فى الخزانة (٤/ ٥٩)، ومعجم البلدان (٦/ ٣٩٢)، وهو فى الاقتضاب ص٤٥٨، والجواليقى ص٣٨١، واللسان (٢٠/ ٣٢٩)، وشواهد المغنى ص١١٤، ومجاز القرآن (١/ ١٩٤، ٢/ ٥٦، ٢٦٤)، وتفسير الطبرى (١٨/ ١٢) غير منسوب، وفيهما: «نضرب بالبيض».

(٤) ديوانه ص١٠٨، وصدره: «فلمَّا تنازعْنا الحديثَ وأسمَحَتْ» وهو فى أدب الكاتب، والاقتضاب ص٤٥٧، ٤٥٨.

وقال أمية بن أبى الصَّلْت:

إِذْ يَسَفُّونَ بالدقيـق وكانُوا قبلُ لا يَأْكُلُون شيئًا فَطِيرَا(١)

وقال: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

* * *

و«مِنْ» قد تزاد فى الكلام أيضًا، كقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [الذاريات: ٥٧] أى: ما أريد منهم رزقًا.

وتقول: ما أتانى من أحد، أى أحد.

* * *

و«اللام» قد تزاد، كقوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

* * *

و«الكاف» قد تزاد، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

* * *

و«على» قد تُزاد، قال حُمَيْد بن ثَوْر:

أَبَى اللهُ إلاَّ أَنَّ سَرْحَةَ مالكٍ على كلِّ أفْنانِ العِضَاهِ تَرُوقُ(٢)

أراد: تروق كلّ أفنان.

* * *

(١) صدره فى أدب الكاتب، وهو فى الاقتضاب ص٤٥٦: «أراد يسفون الدقيق، فزاد الباء، وأظنه يصف بنى إسرائيل».

(٢) أدب الكاتب، وشرح شواهد المغنى ص٤٣، واللسان (٣/ ٣٠٩)، والعمدة (١/ ٢٨٠). وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص٤٥٨: «السرحة: شجرة من العضاه يستظل بها من الحر، وهى فى هذا البيت كناية عن امرأة، وكان عمر بن الخطاب عهد إلى الشعراء ألا يشبب رجل منهم بامرأة، وتوعدهم على ذلك، فكان الشعراء يكنون عن النساء بالشجرة وغيرها. والأفنان: الأنواع، واحدها: فن. ومعنى تروق: تعجب، وإنما جعل «على» فى هذا البيت زائدة، لأن راق يروق لا يحتاج فى تعديه إلى حرف جر، إنما يقال: راقنى الشىء يروقنى. فالمعنى: يروق كل أفنان».

و«عن» تُزادُ، قال تعالى: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣].

* * *

و«إنَّ الثقيلة» تزاد، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠].

وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

وقال الشاعر:

إِنَّ الخَلِيفَـــــةَ إِنَّ اللهَ سَرْبَلَـهُ سِرْبَالَ مُلْكٍ به تُرْجَى الخَوَاتِيمُ(١)

* * *

و«إن الخفيفة» تُزاد، كقول الشاعر:

ما إنْ رأيتُ ولاَ سمعتُ بهِ كاليـومِ هَـانِى أَيْنُقٍ جُرْبِ(٢)

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وقال بعضهم: أراد فيما مكَّنَّاكُم فيه، و«إن» زائدة. وقال بعضهم: هى بمعنى مكَّنَّاهم فيما لم نُمكِّنكم فيه(٣).

* * *

و«إذ» قد تزاد، كقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ﴾(٤) [البقرة: ٣٠، الحجر: ٢٨]، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ﴾ [لقمان: ١٣] أى: وقال.

وقال ابن مَيَّادَة:

---

(١) البيت لجرير، كما فى الخزانة (٤/٣٤٦). والبيت غير منسوب فى اللسان (١٥/ ٥٤)، وأمالى الزجاج ص٤٢.

(٢) البيت لدريد بن الصِّمة كما فى الشعر والشعراء (١/ ٣٠٢)، والأغانى (٩/ ١١، ١٣/ ١٣٦)، والبيان والتبيين (١/ ١٠٧)، وأمالى القالى (١/ ٦١)، وفيها وفى الأغانى: «طالى أينق».

(٣) قال الطبرى (٢٦/ ١٨): «يقول تعالى ذكره للكفار: ولقد مكنا أيها القوم عادًا الذين أهلكناهم بكفرهم فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا، وأعطيناهم منها الذى لم نعطكم منها من كثرة الأموال، وبسطة الأجسام، وشدة الأبدان».

(٤) انظر مجاز القرآن (١/ ٣٦).

* إذْ لا يزال قائلٌ: أبِنْ أبِنْ[(١)] *

* * *

و«ما» قد تزاد، كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، و﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

* * *

و«واو النَّسَق» قد تزاد حتى يكون الكلام كأنه لا جواب له، كقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، والمعنى: قال لهم خزنتها.

وقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ١٥].

وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ﴾[(٢)] [الصافات: ١٠٣، ١٠٤].

وكقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾[(٣)] [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

---

(١) في الجمهرة (٣/ ٣٥٩)، وفي اللسان (١٧/ ٢٥٨)، وبعده: «هَوْذَلَةَ المِشْآةِ عن ضَرْسِ اللَّبِنْ»، «وقوله: أبن أبن؛ أي نحِّها. والمِشْآة: زَبِيل يُخْرَج به الطين والحَمْأة من البئر، وربما كان من أدَم. والضَّرْس: تضريس طي البئر بالحجارة، وإنما أراد الحجارة، فاضطر وسماها لَبِنًا احتياجًا إلى الرويّ. والذي أنشده الجوهري:

إمَّــا يزال قائـلٌ أبِـنْ أبِـنْ   دَلْوَكَ عن حدِّ الضُّرُوسِ واللَّبِنْ

قال ابن بري: هو لسالم بن دارة، وقيل: لابن ميادة، قاله ابن دريد»، والبيت برواية الجوهري أيضًا في اللسان (٧/ ٤٢٥)، وهو غير منسوب في إصلاح المنطق ص١٩٠.

(٢) قال الطبري (٢٣/ ٥٠): «﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ يعني إبراهيم وإسحاق أمرهما لله وفوضاه إليه، واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه... وقوله: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ يقول: وصرعه للجبين، والجبينان: ما عن يمين الجبهة وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما». وقال في (١٧/ ٧٣): «﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ معناه: ناديناه، بغير واو».

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٧٣): «الحدب: الشيء المشرف، ينسلون: يعني أنهم يخرجون مشاة مسرعين في مشيهم، كنَسَلان الذئب... والواو في قوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ مقحمة، ومعنى الكلام: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق. وذلك الوعد الذي وعد الله عباده أنه يبعثهم فيه من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب».

وقوله: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ [العنكبوت:١٢] أى: لِنَحْمل خطاياكم عنكم. قال امرؤ القيس:

فلمّا أجزْنَا ساحَةَ الحَيِّ وَانْتَحى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِى قِفَافٍ عَقَنْقَلِ[١]

أراد: انتحى.

وقال آخر:

حتَّى إذا قَمِلَتْ بُطُونُكُمُ وَرَأَيْتُمُ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا[٢]

وقلبتمُ ظهْرَ المِجَنِّ لَنَا إنَّ اللئيمَ العاجزُ الخَبُّ

أرد: قلبتم.

* * *

ومما يُزاد فى الكلام: «الوَجْهُ»، يقول الله عز وجل: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام:٥٢] أى: يريدونه بالدعاء.

و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] أى: إلا هو.

و﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] أى: فَثَمَّ الله.

و﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان:٩] أى: لله.

* * *

(١) البيت من معلقته، ديوانه ص٩٨، واللسان (٧/ ٩١)، وشرح القصائد العشر ص٢٧. أجزنا: قطعنا. انتحى: اعترض. والخبت: بطن من الأرض غامض. والقف: ما ارتفع من الأرض وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلاً. والعقنقل: المتعقد الداخل بعضه فى بعض. وجواب «فلما أجزنا» قوله: «هَصَرْتُ بفَوْدَىْ رأسِها فتَمايلتْ». وقال الطبرى (١٧/ ٧٣): «يريد: فلما أجزنا ساحة الحى انتحى بنا».

(٢) الرجز أنشده ابن قتيبة فى المعانى الكبير (١/ ٥٣٣)، وقال فى شرحه: «قملت: كثرت. البطون: القبائل، وأراد: قلبتم ظهر المجن لنا، ثم أدخل الواو...». وهو أيضًا غير منسوب فى اللسان (٢٠/ ٣٨١) من إنشاد الفراء، وهو مع آخر من غير نسبة فى معانى القرآن للفراء (١/ ١٠٧، ٢٣٨)، وفى اللسان (١٤/ ٨٦)، ومجالس ثعلب (١/ ٧٤)، وتفسير الطبرى (٤/ ٨٥).

و«**الاسم**» **يُزاد**، قال أبو عبيدة: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ**﴾ إنما هو بالله[١]، وأنشد للَبيد:

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ السلام عليكما ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فَقَد اعتَذَرْ[٢]

أى: السلام عليكما.

و﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ**﴾[٣] [الرحمن:٧٨] أى: تبارك ربُّكَ.

* * *

(١) قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١/ ١٦)، ويرى الطبرى فساد هذا الرأى، وقد دلل على فساده بأدلة واضحة، راجع (١/ ٤٠).

(٢) البيت للبيد، كما فى الأغانى (١٤/ ١٠١)، وهو غير منسوب فى أمالى الزجاج ص٤٢.

(٣) قال الطبرى فى تفسيره (٢٧/ ٩٥): «يقول تعالى ذكره: تبارك ذكر ربك يا محمد، ذى الجلال، يعنى ذى العظمة».

باب الكناية والتعريض

الكناية أنواع، ولها مواضع:

فمنها أن تَكْنِىَ عن اسم الرجل بالأُبُوَّةِ؛ لتزيد فى الدَّلالة عليه إذا أنت راَسَلته أو كتبت إليه؛ إذْ كانت الأسماء قد تتَّفق.

أو لتعظِّمه فى المخاطبة بالكُنية؛ لأنها تدلّ على الحُنْكة[1] وتُخبِر عن الاكْتِهَال.

* * *

وقد ذهب هؤلاء إلى أنَّ الكُنْية كَذِب ما لم يكن الوَلَدُ مُسَمًّى بالاسم الذى كُنِىَ به عن الأب، وتقع للرجل بعد الولادة.

وقالوا: إن كانت الكناية للتعظيم فما بَالُه كَنَى أبا لهب[2] وهو عدوّه، وسمّى محمدًا، صلى الله عليه، وهو وَلِيُّه ونَبِيُّه؟

والجواب عن هذا: أن العرب كانت ربّما جعلت اسم الرجل كُنْيَتَه، فكانت الكُنية هى الاسم.

قال أبو محمد: خبّرنى غير واحد عن الأصمعى: أن أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء أسماؤهما كناهما[3].

وربما كان للرجل الاسم والكنية، فغلبت الكنية على الاسم؛ فلم يعرف إلا بها، كأبى سفيان[4]، وأبى طالب[5]، وأبى ذَرّ[6]، وأبى هريرة[7]. ولذلك كانوا يكتبون:

(١) فى اللسان (١٢/٢٩٩): «والحنكة: السن والتجربة والبصر بالأمور».

(٢) فى اللسان (٢٠/٩٨): «واسمه عبد العزى، عرف بكنيته فسماه الله بها». وانظر المعارف ص٥٢.

(٣) المعارف لابن قتيبة ص٢٣٥.

(٤) اسمه صخر بن حرب، المعارف ص١٥٠.

(٥) اسمه عبد مناف، المعارف ص٥٢.

(٦) اسمه جُندَب بن السكن، أو برير بن جنادة، أو جندب بن جنادة، المعارف ص١١٠.

(٧) اختلفوا فى اسمه وأكثروا، فقيل: عبد الله، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: عبد عمرو، وقيل: عبد شمس، وقيل أكثر من ذلك، راجع المعارف ص١٢٠.

«على بن أبو طالب» و«معاوية بن أبو سفيان»؛ لأن الكنية بكمالها صارت اسمًا، وحظُّ كلٍّ حرف الرفعُ ما لم ينصبه أو يجرّه حرف من الأدوات أو الأفعال. فكأنه حين كُنِّى قيل: أبو طالب، ثم تُرِك ذلك كهيئته، وجُعل الاسمان واحدًا[١].

وقد رُوى فى الحديث أن اسم أبى لهب عبد العزّى، فإن كان هذا صحيحًا[٢] فكيف يذكره رسول الله بهذا الاسم وفيه معنى الشرك والكذب؛ لأن الناس جميعًا عَبيدُ الله؟

وقال المفسرون فى قول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٣] [الأعراف:١٨٩]: إن حوّاء لما أثقلَتْ أتاها إبليس فى

(١) قال الزمخشرى فى الكشاف (٤/ ٢٤٠): «فإن قلت: لم كناه، والكنية تكرمة؟ قلت: فيه ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون مشتهرًا بالكنية دون الاسم، فقد يكون الرجل معروفًا بأحدهما، ولذلك تجرى الكنية على الاسم، والاسم على الكنية عطف بيان. فلما أريد تشهيره بدعوة السوء، وأن تبقى سمة له ـ ذكر الأشهر من علميه. ويؤيد ذلك قراءة من قرأ «يدا أبو لهب» كما قيل: على بن أبو طالب، ومعاوية بن أبو سفيان، لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع. . . والثانى: أنه كان اسمه «عبد العزى» فعدل عنه إلى كنيته. والثالث: أنه لما كان من أهل النار، ومآله إلى نار ذات لهب ـ وافقت حاله كنيته، فكان جديرًا بأن يذكر بها ويقال: أبو لهب، كما يقال: أبو الشر، للشرير».

(٢) يشير ابن قتيبة إلى الحديث الذى روى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت ولى أربع عمومة: فأما أبو العباس فيكنى بأبى الفضل إلى يوم القيامة. وأما حمزة فيكنى بأبى يعلى، فأعلى الله قدره فى الدنيا والآخرة. وأما عبد العزى فيكنى بأبى لهب فأدخله الله النار وألهبها عليه. وأما عبد مناف فيكنى بأبى طالب، فله ولولده المطاولة والرفعة إلى يوم القيامة».
وهو حديث لا يصح، ففى سنده أبو العباس: محمد بن يونس البصرى الكديمى (١٨٥ ـ ٢٨٦هـ) وهو وضاع معروف. قال ابن حبان عنه فى كتاب المجروحين لوحة ٤٣٢: «كان يضع على الثقات الحديث وضعًا، ولعله قد وضع أكثر من ألف حديث».

(٣) فى تفسير الطبرى (٩/ ٧٩): «يعنى بالنفس الواحدة آدم. ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء، فجعلت من ضلع من أضلاعه؛ ليسكن إليها، ويعنى بقوله: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأوى إليها لقضاء حاجته ولذته. ويعنى بقوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: فلما تدثرها لقضاء حاجته منها، فقضى حاجته منها حملت حملاً خفيفًا، وفى الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف، وذلك قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ﴾ وإنما الكلام: فلما تغشاها فقضى حاجته منها حملت. وقوله: ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا﴾: يعنى بخفة الحمل: الماء الذى حملته حواء فى رحمها من آدم، إنه كان خفيفًا، وكذلك هو حمل =

صورة رجل فقال لها: ما هذا الذى فى بطنك؟ وذلك أول حملها، فقالت: ما أدرى، فقال لها: أرأيت إن دعوت ربى فولدته إنسانًا أَتُسَمِّينَه بى؟ فقالت: نعم، وقالت هى وآدم: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أى: لئن خلقتَه بشرًا مثلَنا ولم تجعله بهيمةً. فلما ولدته أتاها إبليس ليسألها الوفاء؛ فقالت: ما اسمك؟ قال: الحارث، فتسمى بغير اسمه، ولو تسمى باسمه لعرفته، فسمته عبد الحارث، فعاش أيامًا ثم مات، فقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، وإنما جعلا له الشرك بالتسمية لا بالنية والعَقْد[1]، وانتهى الكلام فى قصة آدم وحواء، ثم ذكر مَنْ أشرك به بالعَقْدِ والنِّيَّة من ذرّيتهما، فقال: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، ولو كان أراد آدم وحواء لقال: عما يشركان. فهذا يدلُّك على العموم.

* * *

= المرأة ماء الرجل خفيف عليها، وأما قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ فإنه يعنى: استمرت بالماء، قامت به وقعدت وأتمت الحمل... قال أبو جعفر: والصواب من القول فى ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء، وأقسما: لئن أعطاهما ما فى بطن حواء صالحًا ليكونا من الشاكرين. والصلاح قد يشمل معانى كثيرة: منها الصلاح فى استواء الخلق، ومنها الصلاح فى الدين، والصلاح فى العقل والتدبير. وإذا كان ذلك كذلك، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معانى الصلاح دون بعض، ولا فيه من العقل دليل ـ وجب أن يُعَمَّ كما عمه الله، فيقال: إنهما قالا: لئن آتيتنا صالحًا بجميع معانى الصلاح. وأما قوله: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ فإنه: لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت لنا من الولد صالحًا.

(١) قال الطبرى (٩/ ١٠١): «وأولى القولين بالصواب قول من قال: عنى بقوله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ فى الاسم لا فى العبادة، وإن المعنيَّ فى ذلك آدم وحواء؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، فإن قال قائل: فما أنت قائل إذا كان الأمر على ما وصفت فى تأويل هذه الآية، وأن المعنيَّ بها آدم وحواء فى قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أهو استنكاف من الله أن يكون له فى الأسماء شريك أو فى العبادة؟ فإن قلت: فى الأسماء، دل على فساده قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، وإن قلت: فى العبادة، قيل لك: أفكان آدم أشرك فى عبادة الله غيره؟ قيل له: إن القول فى تأويله قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ليس بالذى ظننت، وإنما القول فيه: فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان. فأما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ ثم استأنف قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾».

وإن كان اسم أبى لهب كنيتَه فإنما ذكَره بما لا يُعرَف إلا به، والاسم والكنية عَلَمَان يُميِّزان بين الأعيان والأشخاص، ولا يقعان لِعلة فى المسمى كما تقع الأوصاف، فبأىِّ شىءٍ عُرِف الرجل جاز أن تَذْكُره به غير أن تكذِب فى ذلك، ولو كان من دعا أبا القاسم بأبِى القاسم ولا قاسم له كان كاذبًا ـ لكان من دعا المسمى بكلب وقرد وغُراب وذُباب كاذبًا؛ لأنه ليس كما ذكر.

وقد طعنت «الشُّعُوبية» على العرب بأمثال هذه الأسماء، ونسبوهم إلى سوء الاختيار، وجهلوا معانِيَهم فيها.

وكان القوم يتفاءلون ويتطيرون، فمن تسمَّى منهم بالأسماء الحُسْنَى أراد أن يكثر له الفأل بالحسن، ومن تسمَّى بقبيح الأسماء أراد صرفَ الشرِّ عن نفسه.

وذلك أن العرب كانت إذا خرجت لِلمُغارِ قالوا: إلى من نقصد؟ فتطيروا من كلب وجُعَلٍ وقرد ونَمِرٍ وأسد، وقالوا: ميلوا بنا إلى بنى سعد وإلى غَنْمٍ[1] وما أشبه ذلك.

* * *

ومن الكناية قول الله عز وجل: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً﴾[2] [الفرقان: ٢٨].

ذهب هؤلاء وفريق من المُتَسَمِّين بالمسلمين إلى أنه رجل بعينه، وقالوا: لِمَ كَنَى عنه؟ وإنما يكْنِى هذه الكناية من يخافُ المُبادَاة، ويحتاج إلى المُداجاة.

وقال آخرون: بل كان هذا الرجل مُسَمًّى فى هذا الموضع؛ فغُيِّرَ وكُنِى عنه. وذهبوا إلى أنه عمر، وتأوَّلوا الآية فقالوا: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ يعنى أبا بكر رضى الله عنه ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ يعنى محمداً صلى الله عليه ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً﴾ يعنى عمر رضى الله عنه ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩] يعنى عليًا.

قال أبو محمد: ونقول فى الرد على «أولئك» إذ كان غلطهم من وجهة قد يَغلُط

---

(١) فى اللسان (١٥/ ٣٤٢): «بنو غنم: قبيلة من تَغْلِب، وهو غَنْم بن تغلب بن وائل».

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ٤٩٥)، واللسان (١٧/ ١٠٢)، والطبرى (١٩/ ٦)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣١٧)، والكشاف (٣/ ٩٥).

فى مثلها من رَقَّ علمه. فأما «هؤلاء» ففى قولهم ما أنبأ عن نفسه، ودلَّ على جهل مُتأوِّله.

كيف يكون علىٌّ رحمة الله عليه ذِكْرًا؟ وهل قال أحد إن أبا بكر لم يسلم، ولم يتخذ بإسلامه مع الرسول سبيلا؟

وليس هذا التفسير يُنكَر من تفسيرهم وما يَدَّعُونه من «علم الباطن» كادّعائهم فى «الجِبْتِ» و«الطَّاغُوت»[1] أنهما رجلان، وأن «الخمر والميسر» رجلان آخران، وأن «العنكبوت» غير العنكبوت، «والنحل» غير النحل. فى أشباه كثيرة من سخفهم وجهالاتهم.

وقال ابن عباس فى تفسير هذه الآية: إنّ عُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط صنع طعامًا ودعا أشراف أهل مكة، فكان رسول الله صلى الله عليه فيهم، فامتنع من أن يَطْعَمَ أو يَشْهَدَ عُقْبَةُ بشَهَادَةِ الحَقِّ، ففعل ذلك، فأتاه أُبَىٌّ بن خَلَف، وكان خليله، فقال: صَبَأْتَ؟ فقال: لا، ولكن دخل علىّ رجلٌ من قريش فاستحييت من أن يخرج من منزلى ولم يَطْعَم. فقال: ما كنتُ لِأَرضَى حتى تبصق فى وجهه وتفعل به وتفعل، ففعل ذلك، فأنزل الله هذه الآية عامة، وهذان الرجلان سبب نزولها.

كما أنه قد كانت الآية والآى تنزل فى القصة تقع، وهى لجماعة الناس.

والمفسرون على أن هذه الآية نزلت فى هذين الرجلين، وإنما يختلفون فى ألفاظ القصة[2].

فأراد الله سبحانه بـ«الظالم» كل ظالم فى العالم، وأراد بـ «فلان» كل من أُطِيع بمعصية الله وأُرْضِىَ بإسخاطِ الله.

ولو نزلت هذه الآية على تقديرهم فقال: ويَوْمَ يَعَضُّ الظالم ـ قارون، وهامان، وعُقْبَةُ بن أبى مُعَيْط، وأُبَىٌّ بن خَلَف، وعُتْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، والمغيرة،

---

(١) قال تعالى فى سورة النساء ٥١: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ وانظر اختلاف العلماء فى تفسيرهما فى الطبرى (٢٥/ ٨٣، ٨٤).

(٢) راجع: الدر المنثور (٥/ ٦٧ ـ ٦٩)، وأسباب نزول القرآن للواحدى ص٣٤٧.

وفلان وفلان؛ بالأسماء ـ على أيديهم يقولون: يا ليتنا لم نتخذ فرعون، ونُمْرُود، وعُقْبة بن أبى مُعَيْط، وأبا جهل، والأسود، وفلانًا وفلانًا، بالأسماء ـ لطال هذا وكثر وثقل، ولم يدخل فيه من تأخَّر بعد نزول القرآن من هذا الصِّنْف، وخرج عن مذاهب العرب، بل عن مذاهب الناس جميعًا فى كلامهم.

فكان «فلان» كناية عن جماعة هذه الأسماء.

وقد يقول القائل: ما جاءك إلا فلان ابن فلان، يريد أشراف الناس المعروفين، والشاعر يقول:

* فى لَجَّةٍ أَمْسِكْ فُلانًا عنْ فُلِ[1] *

يريد: أمسك فلانًا عن فلان، ولم يرد رجلين بأعيانهما، وإنما أراد أنهم فى غمرة الشّر وضجَّته، فالحَجَزَةُ تقولُ لهذا: أمسك، ولهذا: كُفَّ.

و«الظالم» دليل على جماعة الظالمين، كقوله: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠] يريد جماعة الكافرين.

* * *

ومن هذا الباب «التعريض».

والعرب[2] تستعمله فى كلامها كثيرًا، فتبلغُ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يُكاشف فى كل شىء ويقولون:

* لاَ يُحْسِنُ التَّعرِيضَ إِلاَّ ثَلْبَا[3] *

وقد جعله الله فى خِطبة النساء فى عدَّتهنَّ جائزًا فقال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِى أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ولم يجز التصريح[4].

(١) هو أبو النجم، كما فى سيبويه (١/ ٣٣٣)، واللسان (١٤/ ٤٩، ١٧/ ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣)، والصاحبى ص١٩٤، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٤٧). واللَّجَّة: كثرة الأصوات.

(٢) من هنا إلى قوله: «لم أرَ عكمًا سارقًا قبل اليوم» نقله الثعالبى فى كتاب الكنايات ص٥٦، ٥٧.

(٣) الرجز فى اللسان (١/ ٢٣٤) غير منسوب.

(٤) انظر اللسان (٩/ ٤٦).

والتعريض فى الخِطْبة: أن يقول الرجل للمرأة: والله إنك لجميلة، ولعل الله أن يرزقك بَعْلاً صالحًا، وإن النساء لَمِنْ حاجتى، هذا وأشباهه من الكلام.

ورَوى بعض أصحاب اللغة أن قومًا من الأعراب خرجوا يَمْتَارُونَ، فلما صدرُوا خالف رجل فى بعض الليل إلى عِكْم(١) صاحبه فأخذ منه بُرًّا وجعله فى عِكْمِه، فلما أراد الرحلة قاما يَتَعَاكمان فرأى عِكْمَه يَشُولُ وعِكْمَ صاحبه يثقل، فأنشأ يقول:

عِكْمٌ تَغَشَّى بَعْضَ أَعْكامِ القَوْمْ ... لَمْ أَرَ عِكْمًا سَارِقًا قبل اليَومْ(٢)

فخوَّن صاحبه بوجه هو ألطف من التصريح.

ورُوِى فى بعض الحديث: أن رجلاً(٣) كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، من مَغْزًى كان فيه:

ألاَ أبلغ أبا حَفْصٍ رَسُولاً ... فِدًى لك - من أخى ثقةٍ - إزَارِى(٤)

قَلائصَنَا هَدَاكَ اللهُ إنَّا ... شُغِلْنَا عنكمُ زَمَنَ الحِصَارِ(٥)

فما قُلُصٌ وُجِدْنَ مُعَقَّلاتٍ ... قَفَا سَلْعٍ بِمُخْتَلَفِ التِّجَارِ(٦)

---

(١) فى اللسان (١٥/ ٣٠٩): «والعِكْم: العدل ما دام فيه المتاع، والعِكْمان: عِدْلان يُشدَّان على جانبى الهودج... ومن أمثالهم قولهم: كَعِكْمَى العَيْرِ، يقال للرجلين يتساويان فى الشرف».

(٢) فى الكنايات للثعالبى: «عكم تعشى» وهو تحريف.

(٣) هذا الرجل هو: أبو المنهال: بُقَيْلة الأكبر الأشجعى، وسبب كتابته بهذا الشعر إلى عمر أنه بلغه وهو فى غزاة له أن جعدة بن عبد الله السلمى والى مدينتهم كان يخرج النساء إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو، فيعقلهن، ويأمرهن بالمشى ويقول: لا يمشى فى العقال إلى الحصان، فربما وقعت فتكشف فيبتهج بذلك جعدة؛ لأنه كان غزلاً صاحب نساء. وأبيات بقيلة فى المؤتلف والمختلف للآمدى ص٦٣، واللسان (٥/ ٧٥، ٨/ ٣٥٠).

(٤) أبو حفص كنية عمر بن الخطاب. والإزار هنا كناية عن النفس والأهل.

(٥) كنى بالقلائص عن النساء، ونصبها على الإغراء، وهى فى الأصل جمع قلوص، وهى الناقة الشابة.

(٦) المعقلة: المشدودة بالعقال، والتشديد فيه للتكثير. ورواية الآمدى فى المؤتلف والمختلف: «لمن قلص تُركن معقلات». وفى اللسان (١٣/ ٤٨٦): «يعنى نساء معقَّلات لأزواجهن، كما تُعقَّل النوق عند الضِّراب»، وفى اللسان (٥/ ٧٥) بعد هذا البيت:

قلائصُ من بنى كعب بن عمرو ... وأسْلَم أوَ جُهينة أو غفارِ

يُعقِّلُهنَّ جَعْدَةُ من سُلَيْمٍ ... غَوِىٌّ يبتغى سَقَطَ العَذارى

يُعَقِّلُهُنَّ جَعْـــــدٌ شَيْظَمِيٌّ   وبِئسَ مُعَقِّلُ الذَّوْدِ الظُّـؤَارِ[١]

قال أبو محمد: وقد ذكرتُ الحديث والتفسير وطريقَه فى كتاب «غريب الحديث».

وإنما كَنَى بالقُلُص - وهى النُّوق الشَّوابُّ - عن النساء، وعرَّضَ برجل يقال له جَعْدَة كان يخالفُ إلى المُغَيَّبات من النساء، ففهم عمر رضى الله عنه ما أراد، وجلد جَعْدَة ونفاه[٢]. وقال عنترة:

يا شَاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لهُ   حَرُمَتْ علىَّ ولَيْتَهَا لم تَحْرُمِ[٣]

يُعَرِّض بجارية، يقول: أىُّ صَيْدٍ أنت لمن حَلَّ له أن يَصِيدَكِ، فأمَّا أنا فإنَّ حُرْمَةَ الجِوَار قد حَرَّمَتْك علىَّ.

* * *

(١) رواية صدر البيت هنا كروايته فى اللسان (٦/١٨٨، ٨/ ٣٥٠، ١٣/٤٨٦، ١٥/ ٢١٥)، وفى المؤتلف والمختلف ص٦٣، واللسان (٥/ ٧٥): «أبيض شيظمى». ورواية العجز فيهما فى الموضعين الأخيرين: «معقِّل الذود الخيار». والشيظمى: الطويل الجسم الفتى. والذود: القطيع من الإبل وقد اختلف فى تحديد عدده. والظؤار كفعال - بالضم - جمع ظئر، وهو من الجموع العزيزة، والظئر: العاطفة على غير ولدها، المرضعة له من الناس والإبل، الذكر والأنثى فى ذلك سواء. وجاء فى اللسان (١٣/ ٤٨٦): «أراد أنه يتعرض لهن، فكنَى بالعقل عن الجماع، أى أن أزواجهن يعقِّلونهن، وهو يعقِّلهن أيضًا، كأن البدء للأزواج، والإعادة له».

(٢) نقل هذه القصة ابن رشيق فى العمدة (١/ ٢٨١، ٢٨٢) وصدرها بقوله: وروى ابن قتيبة. وفى اللسان (٥/ ٧٥): «فلما وقف عمر على الأبيات عزله، وسأله عن ذلك الأمر، فاعترف، فجلده مائة معقولاً، وأطرده إلى الشام، ثم سُئل فيه فأخرجه من الشام، ولم يأذن له فى دخول المدينة، ثم سُئل فيه أن يدخل ليجمِّع، فكان إذا رآه عمر توعده، فقال:

أكلَّ الدهر جَعْـدةُ مستحقٌّ   أبا حفص لشَتْم أو وَعيـدِ
فمَا أنا بالبرىء براةَ عُـذْرٍ   ولا بالخالع الرَّسَن الشَّرودِ

(٣) البيت من معلقته، فى شرح القصائد العشر ص٢٠٠. قال التبريزى: «قوله «يا شاة»: كناية عن المرأة، وأراد: يا شاة قنص، أى صيد. وقوله «لمن حلت له»: أى لمن قدر عليها. وقوله «حرمت على» معناه هى من قوم أعداء، واحتج من قال ذلك بقوله: «علقتها عرضًا وأقتل قومها»، والمعنى على هذا أنها لما كانت فى أعدائى لم أصل إليها، وامتنعت منى، وأصل الحرام: الممنوع. وقال الأخفش: معنى «حرمت على»: أى هى جارتى وليتها لم تحرم، أى ليتها لم تكن لى جارة حتى لا تكون لها حرمة، وقيل: إنما كانت امرأة أبيه». والبيت له فى شرح شواهد المغنى ص٢٥٢، ومجمع البيان (١/ ٥٢٦)، والعمدة (١/ ٢٨١).

وقد جاء فى القرآن التعريض:

فمن ذلك ما خبّر الله سبحانه من نبأ الخصم ﴿**إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ**﴾ [ص:٢٢]. ثم قال: ﴿**إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾ [ص:٢٣].

إنما هو مثل ضربه الله سبحانه له، ونبهه على خطيئته به.

وَوَرَّى عن النساء بذكر النِّعاج، كما كنى الشاعر عن جارية بشاةٍ، وكنى الآخر عن النساء بالقُلُص.

وروَى المِنْهَالُ، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس فى قول الله سبحانه، حكاية عن موسى صلى الله عليه: ﴿**لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ**﴾ [الكهف:٧٣]: لم ينس ولكنها من مَعاريض الكلام(١).

أراد ابن عباس أنه لم يقل: إنى نسيت فيكون كاذبًا، ولكنه قال: لا تؤاخذنى بما نسيت، فأوهمه النسيان(٢)، ولم ينس ولم يكذب.

ولهذا قيل: إن فى المعاريض عن الكذب لَمَنْدُوحة(٣).

ومنه قول إبراهيم صلى الله عليه: ﴿**إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ [الصافات:٨٩] أى سأسقم؛ لأن من كتب عليه الموتُ فلا بد من أن يَسْقَمَ.

ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠] أى: ستموت ويموتون.

---

(١) فى الطبرى (١٥/ ١٨٤): «عن سعيد بن جبير، عن أبى بن كعب الأنصارى فى قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ قال: لم ينس، ولكنها من معاريض الكلام... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أى بما تركت من عهدك».

(٢) نقل هذا الثعالبى فى الكنايات، ولم ينسبه للمؤلف.

(٣) فى اللسان (٩/ ٤٥): «والتعريض: خلاف التصريح، والمعاريض: التورية بالشىء عن الشىء. وفى المَثَل، وهو حديث مخرَّج عن عمران بن حصين، مرفوع: إن فى المعاريض لَمندوحةً عن الكذب، أى سَعة. المعاريض: جمع مِعْراض من التعريض. وفى حديث عمر: أمَا فى المعاريض ما يُغنى المسلم عن الكذب؟». وفى حديث ابن عباس: «ما أحب بمعاريض الكلام حمر النعم».

فأوْهَمهم إبراهيم بمعاريض الكلام أنه سقيم عليل، ولم يكن عليلاً سقيمًا، ولا كاذبًا.

وكذلك ما رُوِى فى الحديث من قوله حين خاف على نفسه وامرأته: «إنها أختى»[(١)] لأن بنى آدم يرجعون إلى أبوين؛ فهم إخوة، ولأن المؤمنين إخوة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وكذلك قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. أراد: بل فعله الكبير، إن كانوا ينطقون فسلوهم؛ فجعل النطق شرطًا للفعل، أى إن كانوا ينطقون فقد فعله، وهو لا يعقل ولا ينطق.

وقد رُوِىَ عن النبى ﷺ: «إنَّ إبراهيم كَذَبَ ثلاث كَذَبَات ما منها واحدة إلا وهو يُمَاحِل بها عن الإسلام»[(٢)].

فسمَّاها كَذَبَات؛ لأنها شَاكَهَتْ[(٣)] الكذب وضَارعَتْه.

ولذلك قال بعض أهل السلف لابنه: «يا بنى لا تكذبن ولا تشبَّهن بالكذب». فنهاه عن المعاريض؛ لئلا يجرى على اعتيادها، فيتجاوزَها إلى الكذب، وأحَبَّ أن يكون حاجزًا من الحلال بينه وبين الحرام.

* * *

(١) روى البخارى فى صحيحه (٦/ ٢٧٧) عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كَذَبات: ثنتين منهن فى ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس. فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختى...».

والحديث فى مسلم (٤/ ١٨٤٠، ١٨٤١)، والترمذى (٢/ ١٩٩)، وسنن أبى داود (٢/ ٣٥٥، ٣٥٦)، ومسند أحمد (٢/ ٤٠٣، ٤٠٤).

(٢) الفائق (٣/ ١٠). وفى اللسان (١٤/ ١٤١): «وفى حديث الشفاعة: إن إبراهيم يقول: لست هناكم أنا الذى كذبتُ ثلاث كذَبات. قال رسول الله ﷺ: «والله ما فيها كذبة إلا وهو يماحل بها عن الإسلام» أى يدافع ويجادل، من المِحَال - بالكسر - وهو الكيد، وقيل: المكر». وانظر الدر المنثور (٤/ ٣٢١).

(٣) فى اللسان (١٧/ ٤٠٢): «شَاكَهَ الشىءُ الشىءَ مُشَاكهةً وشِكاهًا: شابهه وشاكَلَه ووافقه وقاربه».

ومن هذا الباب قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤]. والمعنى: إنَّا لضالّون أو مهتدون، وإنكم أيضًا لضالون أو مهتدون، وهو جل وعز يعلم أن رسولَهُ المُهتَدِى وأن مُخَالِفَهُ الضالّ، وهذا كما تقول للرّجل يُكذِّبك ويخالفك: إنَّ أحدنا لكاذب. وأنت تَعنيه، فكذَّبْته من وجهٍ هو أحسن من التصريح، كذلك قال الفرَّاء[(١)].

* * *

وأما قوله سبحانه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾[(٢)] [يونس:٩٤] ففيه تأويلان:

أحدهما: أن تكون المخاطبة لرسول الله صلى الله عليه والمُراد غيره من الشُّكَّاك؛ لأنَّ القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلهم، وهم قد يُخاطِبُون الرَّجل بالشيء ويريدون غيره، ولذلك يقول مُتَمَثِّلُهُمْ: «إيَّاكِ أعنى واسمعى يا جارة»[(٣)].

ومثله قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب:١].

الخطاب للنبى صلى الله عليه والمراد بالوصية والعظة المؤمنون، يدلك على ذلك أنه قال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٢] ولم يقل: بما تعمل خبيرًا.

---

(١) راجع اختلاف أهل العربية فى وجه دخول «أو» فى هذا الموضع فى تفسير الطبرى (٢٢/ ٦٥).

(٢) قال الطبرى (١١/ ١١٥): «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإن كنت يا محمد فى شك من حقيقة ما أخبرناك وأنزل إليك من أن بنى إسرائيل لم يختلفوا فى نبوتك قبل أن تبعث رسولاً إلى خلقه؛ لأنهم يجدونك عندهم مكتوبًا، ويعرفونك بالصفة التى أنت بها موصوف فى كتابهم فى التوراة والإنجيل ـ فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل، كعبد الله بن سَلام ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم، دون أهل الكذب والكفر بك منهم». وقال فى ص١١٦: «لمن يكن ﷺ شاكًا فى حقيقة خبر الله وصحته، والله بذلك من أمره كان عالمًا، ولكنه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضًا؛ إذ كان القرآن بلسانهم نزل».

(٣) مثل يضرب لمن يتكلم بكلام ويقصد به شيئًا غيره، وهو فى مجمع الأمثال (١/ ٥٠، ٥١)، وجمهرة الأمثال ص٧.

ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[١] [الزخرف:٤٥]؟ أى: سل من أرسلنا إليه من قبلك رُسلاً من رسلنا، يعنى أهل الكتاب، فالخطاب للنبى صلى الله عليه والمراد المشركون.

ومثل هذا قول الكُمَيْت فى مدح رسول الله صلى الله عليه[٢]:

إلى السِّراج المُنيرِ أحمدَ لا ... يَعْدِلُنى رَغْبةٌ ولا رَهَبُ
عنه إلى غيره ولو رفعَ النّـ ... ـاسُ إلىَّ العُيونَ وارْتَقَبُوا
وقيل: أفرطتَ، بل قصدتُ ولو ... عَنَّفنى القائلون أوْ ثَلَبُوا
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسانُ ولو ... أُكْثِرَ فيك اللَّجَاجُ واللَّجَبُ
أنت المُصفَّى المَحْضُ المُهذَّبُ فى النِّسْـ ... ـبَةِ إنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ[٣]

فالخطاب للنبى صلى الله عليه والمراد أهل بيته، فورَّى عن ذكرهم به، وأراد بالعائبين واللائمين بنى أمية.

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٥/٤٦، ٤٧). وانظر أمالى المرتضى (٣/١٦٥ ـ ١٦٨) فقد أدار المجلس السادس والخمسين منها على تأويل هذه الآية بعد أن تملأ من كلام ابن قتيبة هنا، ثم انتقده. قال المرتضى (٣/١٦٧): «وقد رُد على ابن قتيبة هذا الجواب، وقيل: إنه أخطأ فى الإعراب؛ لأن لفظة «إليه» لا يصح إضمارها فى مثل هذا الموضع، لأنهم لا يجوزون: «الذى جلست عبد الله» على معنى: الذى جلست إليه عبد الله لأن «إليه» حرف منفصل عن الفعل، والمنفصل لا يضمر، فلما كان القائل إذا قال: «الذى أكرمت إياه عبد الله» ولم يجز أن يضمر إياه لانفصاله من الفعل ـ كانت لفظة «إليه» بمنزلته. وكذلك لا يجوز: «الذى رغبت محمد» بمعنى الذى رغبت فيه محمد؛ لأن الإضمار إنما يحسن فى الهاء المتعلقة بالفعل، كقولهم: «الذى أكلت طعامك، والذى لقيت صديقك» معناهما: الذى أكلته ولقيته. وقال الفراء: إنما حذفت الهاء لدلالة «الذى» عليها. وقال غيره فى حذفها غير ذلك. وكل هذا ليس مما تقدم فى شىء، فصح أن جواب ابن قتيبة مستضعف، والمعتمد ما تقدم».

(٢) الهاشميات ص٥٨، ٥٩، وأمالى المرتضى (٣/١٦٦)، وشرح شواهد الشافية ص٣١١، وتفسير الطبرى (١/٣٨٣، ٣٨٤)، والعمدة (٢/١٣٥، ١٣٦)، ومجمع البيان (١/١٨٢)، والموازنة ص٤٠.

(٣) بعد هذا البيت فى الهاشميات والعمدة:

إليك يا خيرَ مَنْ تضمَّنت الـ ... أرضُ وإنْ عاب قولىَ العيبُ

وهذا البيت فى الموشح ص١٩٨ مما أنكر على الكميت؛ فلا يعيب قوله فى وصف النبى ﷺ إلا كافر بالله أو مشرك.

وليس يجوز أن يكون هذا للنبى صلى الله عليه؛ لأنه ليس أحد من المسلمين يَسوءه مدح رسول الله ﷺ، ولا يُعَنِّفُ قائلاً عليه، ومن ذا يُساوَى به ويُفضَّل عليه حتى يكثر فى مدحه الضَّجَاج واللَّجَب[(١)]؟

وإن الشعراء ليمدحون الرجل من أوساط الناس فيُفْرِطون ويفرِّطون فيغلون وما يرفع الناسُ إليهم العيُون ولا يرتقبون، فكيف يُلامُ هذا على الاقتصاد فى مدح مَنِ الإفراطُ فى مدحه غير تفريط، ولكنه أراد أهل بيته.

والتأويل الآخر: أنّ الناس كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه أصنافًا:

منهم كافرٌ به مُكذِّب، لا يرى إلا أن ما جاء به الباطل.

وآخر مؤمن به مُصَدِّقٌ، يعلم أن ما جاء به الحق.

وشاكٌّ فى الأمر لا يدرى كيف هو، فهو يقدِّم رجلاً ويؤخِّر أخرى.

فخاطَبَ الله سبحانه هذا الصِّنْف من الناس فقال: فإن كنت أيها الإنسان فى شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه فسل الأكابر من أهل الكتاب والعلماء الذين يقرءون الكتاب من قَبْلك، مثل: عبد الله بن سلاَم، وسَلْمانَ الفارسى، وتميم الدَّارى، وأشباههم[(٢)] - ولم يرد المعاندين منهم - فيشهدون على صدقه، ويُخبرونَك بنبوَّته، وما قدَّمه اللهُ فى الكتب من ذكره فقال: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ**﴾ [النساء: ١٠٥، والزمر: ٢] وهو يريد غير النبى صلى الله عليه، كما قال فى موضع آخر: ﴿**لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ**﴾ [الأنبياء: ١٠]، وَحَّد وهو يريد الجمع.

كما قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾[(٣)] [الانفطار: ٦].

و﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ**﴾[(٤)] [الانشقاق: ٦].

وقال: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ**﴾[(٥)] [الزمر: ٨].

---

(١) قارن تعليق المؤلف على الأبيات بتعليق المرتضى عليها (٣/ ١٦٦).

(٢) انظر أمالى المرتضى (٣/ ١٦٦).

(٣) انظر تفسير الطبرى (٣٠/ ٥٥).

(٤) انظر تفسير الطبرى (٣٠/ ٧٣).

(٥) انظر تفسير الطبرى (٢٣/ ١٢٧).

ولم يُرِدْ فى جميع هذا إنسانًا بعينه، إنما هو لجماعة الناس.

ومثلُه قول الشاعر:

إذا كنتَ مُتَّخِذًا صَاحِبًا فلا تَصْحَبَنَّ فتًى دَارِميًّا

ولم يُرِدْ بالخطاب رجلاً بعينه؛ إنما أراد: من كان مُتَّخِذًا صاحبًا فلا يجعله من دارم.

وهذا، وإن كان جائزًا حسنًا، فإنَّ المذهب الأول أعجب إلىّ؛ لأنَّ الكلام اتصل حتى قال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[1] [يونس: ٩٩].

وهذا لا يجوز أن يكون إلا لرسول الله، صلى الله عليه.

* * *

(١) قال الطبرى فى تفسيره (١١/١١٦): «يقول: فلا تكونن من الشاكين فى صحة ذلك وحقيقته. ولو قال قائل: إن هذه الآية خوطب بها النبى ﷺ والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوته، ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه، تنبيهًا له على موضع تعرف حقيقة أمره الذى يزيل اللبس عن قلبه، كما قال جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١] ـ كان قولاً غير مدفوعة صحته».

باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه

من ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع:

كقول الله عز وجل: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾[١] [الذاريات: ١٠]، و﴿قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[٢] [عبس: ١٧]، و﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٣] [التوبة: ٣٠]، وأشباه ذلك[٤].

---

(١) فى الطبرى (٢٦/ ١١٩): «وقال ابن زيد فى قوله: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ قال: القوم الذين كانوا يتخرصون الكذب على رسول الله ﷺ، قالت طائفة: إنما هو ساحر والذى جاء به السحر، وقالت طائفة: إنما هو شاعر والذى جاء به شعر، وقالت طائفة: إنما هو كاهن والذى جاء به كهانة، وقالت طائفة: أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلاً؛ يتخرصون على رسول الله».

(٢) فى الطبرى (٣٠/ ٣٥): «وفى قوله ﴿أَكْفَرَهُ﴾ وجهان: أحدهما: التعجب من كفره مع إحسان الله إليه وأياديه عنده. والآخر: ما الذى أكفره؟ أى أىّ شىء أكفره؟».

(٣) فى الطبرى (١٠/ ٨٠): «عن ابن عباس: يقول: لعنهم الله. وكل شىء قتل فى القرآن فهو لعن، وقال ابن جريج: قاتلهم الله، يعنى النصارى. كلمة من كلام العرب. وأما أهل المعرفة بكلام العرب فإنهم يقولون: معناه: قتلهم الله. . . قالوا: ومعنى قوله: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ كقوله: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠] و﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾ [البروج: ٤] واحد، وهو بمعنى التعجب. فإن كان الذى قالوا كما قالوا فهو من نادر الكلام الذى جاء على غير القياس. . .».

(٤) نقل هذا الكلام أحمد بن فارس فى كتاب الصاحبى ص١٦٩ ثم قال: «لا يجوز لأحد أن يطلق فيما ذكره الله أنه دعاء لا يراد به الوقوع، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم فكان كما أراد؛ لأنهم قتلوا وأهلكوا وقوتلوا ولعنوا، وما كان الله ليدعو على أحد فتحيد الدعوة عنه، قال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ فدعا عليه، ثم قال: ﴿وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] أى وقد تب وحاق به التباب. وابن قتيبة يطلق إطلاقات منكرة، ويروى أشياء شنعة، كالذى رواه عن الشعبى: أن أبا بكر وعمر وعليًا توفوا ولم يجمعوا القرآن. قال: وروى شريك عن إسماعيل بن أبى خالد قال: سمعت الشعبى يقول ويحلف بالله: لقد دخل علىٌّ حفرته وما حفظ القرآن. وهذا كلام شنع جدًا فيمن يقول: سلونى قبل أن تفقدونى، سلونى فما من آية إلا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم فى سهل أم فى جبل؟ وروى السدى عن عبد خير، عن على رضى الله تعالى عنه أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله ﷺ، فأقسم ألا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن. قال: فجلس فى بيته حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن، جمعه من قلبه، وكان عند آل جعفر. وحدثنا على بن إبراهيم، عن على بن عبد العزيز قال: قال أبو عبيد: حدثنى نصر بن باب، عن الحجاج، عن الحكم، عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قال: ما رأيت أحدًا أقرأ من علىٍّ صلوات الله عليه، صلينا خلفه فأسقط =

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه للمرأة: «عَقْرَى حَلْقَى»[1]، أى عقرها الله، وأصابها بوجع فى حلقها.

وقد يراد بهذا أيضًا التعجب من إصابة الرجل فى منطقه، أو فى شعره، أو رميه، فيقال: قاتله الله ما أحسن ما قال، وأخزاه الله ما أشعره، ولله دَرُّه ما أحسن ما احتج به.

ومن هذا قول امرئ القيس فى وصف رامٍ أصاب:

فَهْـــوَ لا تَنْمِى رَمِيَّتُـهُ   مَا لَهُ؟ لا عُدَّ مِنْ نَفَرِهْ[2]

يقول: إذا عُدَّ نفرُه ـ أى قومه ـ لم يُعَدَّ معهم، كأنه قال: قاتله الله، أماته الله.

وكذلك قوله: هَوَتْ أمُّه، وهَبِلَتْهُ، وثَكِلَتْه. قال كعب بن سعد الغَنَوى:

هَوَتْ أُمُّهُ ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا   ومـــاذا يُؤَدِّى اللَّيلُ حِينَ يَئُوبُ[3]

= برزخًا ثم رجع فقرأه، ثم عاد إلى مكانه. قال أبو عبيد: البرزخ ما بين كل شيئين، ومنه قيل للميت هو فى البرزخ؛ لأنه بين الدنيا والآخرة. فأراد أبو عبد الرحمن بالبرزخ: ما بين الموضع الذى أسقط على صلوات الله عليه منه ذلك الحرف إلى الموضع الذى كان انتهى إليه»!

(١) روى البخارى فى كتاب الحج، باب الإدلاج من المحصَّب (٣/ ٤٧٤): «عن عائشة قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر إلا الحج، فلما قدمنا أمرنا أن نَحِلَّ. فلما كانت ليلة النَّفْر حاضت صفية بنت حيى، فقال النبى ﷺ: «عَقْرَى حَلْقَى، ما أُراها إلا حابستكم...». وفى اللسان (١١/ ٣٤٥): «عقرى حلقى، ما أراها إلا حابستنا، معناه: عقر الله جسدها وحَلَقها، أى أصابها بوجع فى حلقها، كما يقال: رَأَسَه وعَضَدَه وصَدَرَه؛ إذا أصاب رأسه وعضده وصدره، قال الأزهرى: وأصله عقرًا حلقًا، وأصحاب الحديث يقولون: عقرى وحلقى بوزن غضبى، حيث هو جار على المؤنث، والمعروف فى اللغة التنوين على أنه مصدر فعل متروك اللفظ تقديره: عقرها الله عقرًا وحلقها الله حلقًا».

(٢) ديوانه ص٦١، والتاج (١٠/ ٣٧٨)، واللسان (٧/ ٤٨)، وفى (٢٠/ ٢١٧): «وأنميت الصيد فنَمى يَنْمِى، وذلك أن ترميه فتصيبه ويذهب عنك فيموت بعدما يغيب، ونَمَى هو، قال امرؤ القيس: فهو... إلخ». وقد ذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير (٢/ ٧٨٦، ٨٣٦) وقال فى الموضع الأول: «يقول: لا تجوز الموضع الذى رماها فيه حتى تموت. وقوله «لا عد من نفره»: يدعو عليه بالموت، يقول: إذا عد أهله لم يعد معهم. ولم يرد وقوع الفعل، ولكنه كما يقال: قاتله الله».

(٣) الأمالى (٢/ ١٥٠)، وجمهرة أشعار العرب ص١٣٣، والأصمعيات ص٩٧، والصاحبى ص١٦٩، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٧)، والجمهرة (١/ ١٧٠)، والمخصص (١٢/ ١٨٢)، والتاج (١٠/ ٤١٦)، واللسان (٢٠/ ١٥٠): «ومعنى هوت أمه: أى هلكت أمه».

ومن ذلك الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان:

نحو قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥] أى يجازيهم جزاء الاستهزاء.

وكذلك: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، هى من المبتدئ سيئة، ومن الله جل وعز جزاء.

وقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]: فالعدوان الأول: ظلم، والثانى: جزاء، والجزاء لا يكون ظلمًا، وإن كان لفظه كلفظ الأول.

ومنه قول النبى صلى الله عليه: «اللهم إنَّ فُلانًا هَجَانى وهو يعلم أنى لست بشاعر، اللهم والْعَنْهُ عددَ ما هجانى، أو مكان ما هجانى»[1] أى جازِه جزاء الهجاء.

وكذلك قوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

---

(١) روى هذا الحديث عن حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب:

أما الرواية عن حذيفة فقد رواها أبو زرعة الرازى، عن سعيد بن محمد الجرمى، عن أبى تميلة، عن أبى حمزة السكرى، عن جابر الجعفى، عن عدى بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن حذيفة، عن النبى ﷺ قال: «إن فلان ابن فلان قد هجانى، وقد علم أنى لست بشاعر، اللهم فالعنه بعدد ما هجانى».

وأما الرواية عن «البراء» فقد رواها الطحاوى فى مشكل الآثار (٤/ ٣٠٠): «حدثنا أبو أمية، حدثنا أحمد بن المفضل الحفرى، حدثنا عيسى بن عبد الرحمن، عن عدى بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله... ثم ذكره بمثل الرواية السابقة، غير أنه جاء فى آخرها: عدد ما هجانى، أو ما كان هجانى».

وروى حديث البراء برواية أخرى فيها التصريح باسم عمرو بن العاص، رواها الرويانى فى مسنده عن محمد بن المثنى، عن أبى عتاب الدلال، عن عيسى بن عبد الرحمن بن فروة الزرقى، عن عدى ابن ثابت، عن البراء مرفوعًا: «اللهم إن عمرو بن العاص هجانى، وهو يعلم أنى لست بشاعر، فاهجه والعنه».

ولقد سأل عبد الرحمن بن أبى حاتم أباه: أبا حاتم الرازى، عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث خطأ، إنما يروونه عن «عدى» عن «النبى» مرسلاً، بلا «براء».

ولست أرى المشكلة فى إرسال هذا الحديث أو اتصاله، إنما هى فى صحته أو عدمها، ولست أراه =

ومنه أن يأتى الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير:

كقوله سبحانه: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦]، و﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه:١٧]، و﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥]، و﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء:٤٢].

ومنه أن يأتى على مذهب الاستفهام وهو تعجب:

كقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ:١، ٢] كأنه قال: عمَّ يتساءلون يا محمد؟ ثم قال: عن النبأ العظيم يتساءلون.

وقوله: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ على التعجب، ثم قال: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات:١٢، ١٣] أُجِّلت.

وأن يأتى على مذهب الاستفهام وهو توبيخ:

كقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦٥].

= صحيحًا. فنحن إذا نظرنا فى سنده ألفينا مداره على عدى بن ثابت فى الروايات الثلاث، وهو ثقة عند أحمد والنسائى والعجلى والدارقطنى وابن حبان. وقال أبو حاتم: صدوق، وكان إمام مسجد الشيعة وقاصهم. وقال ابن معين: شيعى مفرط. وقال الدارقطنى: كان غاليًا فى التشيع. وقال الطبرى: هو ممن يجب التثبت فى نقله.

والراوى لحديث حذيفة عن عدى هو: جابر الجعفى، وهو رافضى، سبئى، يقول برجعة علىٍّ إلى الدنيا! ويشتم الصحابة! وهو فوق ذلك كله كذاب، قال عنه أبو حنيفة: ما رأيت أكذب من جابر الجعفى، ما أتيته بشىء إلا جاءنى فيه بحديث، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث لم يظهرها.

والراوى لحديث البراء فى روايته عن عدى هو: عيسى بن عبد الرحمن بن فروة الزرقى، المدنى، وقد قال عنه البخارى: إنه منكر الحديث. وكذلك قال النسائى وأبو حاتم. وقال عنه ابن حبان: يروى المناكير عن المشاهير، فاستحق الترك.

ومن أجل ذلك كله وجب القول بعدم صحة هذا الحديث.

راجع: مشكل الآثار للطحاوى (٤/ ٣٠٠ ـ ٣٢٤)، وعلل الحديث لابن أبى حاتم (٢/ ٢٦٢، ٢٦٣، ٣٤٤)، والجرح والتعديل (٣/ ٢/ ٢، ٣٩١)، والتاريخ الكبير (٣/ ٢/ ٣٩١، ٤/ ١/ ٤٤)، والضعفاء للعقيلى لوحة ٣٥٥، وتاريخ الإسلام للذهبى (٤/ ٢٧٧)، وتهذيب الكمال للمزِّى لوحة ٤٤٦، وميزان الاعتدال (٣/ ٦١/ ٣١٧)، وتهذيب التهذيب (٧/ ١٦٥، ٨/ ٢١٨)، والمجروحين من المحدثين لوحة ٣٢٣، والكامل لابن عدى جـ٤٢ لوحة ١٥٢.

وانظر الحديث فى اللسان (٢٠/ ٢٢٨)، والنهاية لابن الأثير (٤/ ٢٤١).

ومنه أن يأتى الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد:

كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

وأن يأتى على لفظ الأمر وهو تأديب:

كقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

وعلى لفظ الأمر وهو إباحة:

كقوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِى الأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وعلى لفظ الأمر وهو فرض:

كقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

* * *

ومنه عامٌّ يُرادُ به خاص:

كقوله سبحانه حكاية عن النبى، صلى الله عليه: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]، وحكاية عن موسى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولم يرد كل المسلمين والمؤمنين؛ لأن الأنبياء قبلهما كانوا مؤمنين ومسلمين؛ وإنما أراد مؤمنى زمانه ومسلميه.

وكقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، ولم يصطفهم على محمد صلى الله عليه، ولا أُمَمَهُمْ على أُمَّته، ألاَ تراه يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وإنما أراد عالمى أَزْمِنَتِهم.

وكقوله سبحانه: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات: ١٤] وإنما قاله فريق من الأعراب.

وقوله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، ولم يرد كل الشعراء.

ومنه قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾[١] [آل عمران:١٧٣]، وإنما قاله نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ[٢] لأصحاب محمد، صلى الله عليه: «إن الناس قد جمعوا لكم»، يعني: أبا سفيان، وعُيَيْنَة بن حِصْن، ومالك بن عوف[٣].

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] يريد المؤمنين منهم، يدلك على ذلك قوله في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف:١٧٩] أي خلقنا.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون:٥١] يريد النبي صلى الله عليه وحدَه.

* * *

ومنه جمع يُرَادُ به واحدٌ واثنان:

كقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢] واحد واثنان فما فوق.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ [التوبة:٦٦]: كان رجل من القوم لا يمالئهم على أقاويلهم في النبي صلى الله عليه، ويسير مُجَانِبًا لهم، فسماه الله طائفة وهو واحد[٤].

وكان قتادة يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات:٤]: هو رجل واحد[٥] ناداه: يا محمد، إنّ مَدْحِي زَيْنٌ، وإنّ شتمي شَيْنٌ. فخرج إليه النبي صلى الله عليه فقال: «ويلك، ذاك الله جل وعز»، ونزلت الآية[٦].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٤/١١٨ ـ ١٢١)، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص١٢٦.

(٢) قد أسلم ليالي الخندق، وهو الذي أوقع الخلف بين الحيين: قريظة وغطفان، في وقعة الخندق، فرحلوا عن المدينة، وترجمته في الإصابة (٦/ ٢٤٩)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٦٦).

(٣) نقله ابن فارس في الصاحبي ص٣٤٥ من طبعتي.

(٤) في تفسير القرطبي (٨/ ١٩٩): «واختلف في اسم هذا الرجل الذي عُفي عنه على أقوال: فقيل: مخشي بن حمير، وقيل: مخاش بن حمير... وذكر جميعهم أنه استشهد باليمامة».

(٥) قيل: هو الأقرع بن حابس. وقيل غيره، راجع تفصيل ذلك في أسباب نزول القرآن ص٤٠٨، ٤٠٩، وتفسير الطبري (٢٨/ ٢٦، ٢٧).

(٦) نقله ابن فارس من غير نسبة في الصاحبي ص٨١ (السلفية)، وص٣٤٩ (من طبعتي).

وقوله سبحانه: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء:١١] أي: أخوان فصاعدًا.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف:١٥٠] جاء في التفسير: أنهما لوحان.

وقوله: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤] وهما قلبان[١].

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور:٢٦] يعني عائشة وصفوان بن المعطَّل[٢].

وقال: ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:٣٥] وهو واحد، يدلك على ذلك قوله: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾[٣] [النمل:٣٧].

* * *

ومنه واحد يراد به جميع:

كقوله: ﴿هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ [الحجر:٦٨]، وقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦]، وقوله: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[٤] [الحج:٥].

وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥] والتفريق لا يكون إلا بين اثنين فصاعدًا.

وقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٧].

والعرب تقول: فلان كثير الدرهم والدينار، يريدون الدراهم والدنانير.

وقال الشاعر:

هُمُ المَوْلَى وإن جَنَفُوا علينا ... وَإِنَّا مِنْ لِقَائِهِمُ لَزُورُ[٥]

---

(١) روى الواحدي في أسباب نزول القرآن ص٤٦٩ بسنده إلى ابن عباس قال: «وجدت حفصة رسول الله ﷺ مع أم إبراهيم في يوم عائشة، فقالت: لأخبرنها، فقال رسول الله ﷺ: هي عليَّ حرام إن قربتها. فأخبرت عائشة بذلك، فأعلم الله رسوله ذلك، فعرَّف حفصة بعض ما قالت، فقالت له: من أخبرك؟ فقال: ﴿نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم:٣] فآلى رسول الله على نفسه من نسائه شهرًا، فأنزل الله: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾».

(٢) قد نقل ذلك ابن فارس أيضًا.

(٣) قد نقل ذلك ابن فارس في الصاحبي ص١٨١، وص٣٥٠ من طبعتي.

(٤) انظر مجاز القرآن (١/ ٦٦، ٢/ ٤٤).

(٥) البيت لعامر الخصَفَيِّ في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٦٦، ٦٧) وفي اللسان (١/ ٣٧٧): «وقول =

وقال الله عز وجل: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ [المنافقون:٤] أى الأعداء، ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩] أى رفقاء.

وقال الشاعر:

فقلنا: أسْلِمُــوا إنَّا أخُــوكُمْ وقد بَرِئَتْ من الإحَنِ الصُّدُورُ[١]

* * *

ومنه أن تصف الجميع صفة الواحد[٢]:

نحو قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة:٦]، وقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤].

وتقول: قومٌ عَدْل. قال زهير:

متى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهم: هُمُ بَيْنَنَا فَهُمْ رِضًا وَهُمُ عَــدْلُ[٣]

وقال الشاعر:

* إنَّ العَوَاذِلَ لَيْسَ لى بأميرِ[٤] *

وقال آخر:

* المالُ هَدْىٌ والنِّسَاءُ طَوَالِقُ *

* * *

= عامر الخصفى: هم المولى ـ البيت ـ قال أبو عبيدة: المولى ههنا فى موضع الموالى، أى بنى العم، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر:٦٧]». والجَنَف: الميل والجور.

(١) البيت فى اللسان (١٨/ ٢١) للعباس بن مرداس، ومجاز القرآن (١/ ٧٩، ١٣١، ٢/ ٤٤، ١٩٥)، ومجمع البيان (١/ ٣٦٥).

(٢) نقله ابن فارس فى الصاحبى ص٣٥١ من غير نسبة.

(٣) ديوانه ص١٠٧: «يشتجر: من المشاجرة، وهى الخصومة، وسرواتهم: أشرافهم، وهم بيننا: أى الحاكمون بيننا. ومعنى البيت: أنه إذا اختلف قوم فى أمر رضوا بحكم هؤلاء؛ لما عرف من عدلهم وصحة حكمهم». والبيت فى الصاحبى ص١٨١، والأضداد للسجستانى ص٧٥.

(٤) البيت غير منسوب فى اللسان (٦/ ١٩٨)، والطبرى (١٩/ ٣٤)، وصدره: «يا عاذلاتى لا تَزِدن ملامتى»، وفيهما: «إن العواذل لَسْنَ لى»، وفى الطبرى: «لا تُرِدْنَ ملامتى». وصدره فى مجاز القرآن (٢/ ٢٤٥) من غير نسبة.

ومنه أن يوصف الواحد بالجمع[(١)]:

نحو قولهم: بُرْمَةٌ أَعْشَارٌ[(٢)]، وثوبٌ أَهْدَامٌ[(٣)] وأَسْمالٌ[(٤)]، ونَعْلٌ أَسْماطٌ[(٥)]؛ أى غير مُطْبَقَة.

قال الشاعر:

* جاءَ الشِّتاء وقَميصى أَخْلاَقْ[(٦)] *

* * *

ومنه أن يجتمع شيئان ولأحدهما فِعْلٌ فيجعل الفعل لهما[(٧)]:

كقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف:٦١]. رُوى فى التفسير: أنَّ النَّاسِى كان «يُوشَعَ بن نُون» ويدلك قوله لموسى صلى الله عليه: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ [الكهف:٦٣].

وقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام:١٣٠] والرسل من الإنس دون الجن.

وقوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:١٩، ٢٠]، ثم قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢]. واللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من الماء الملح لا من العذب[(٨)].

---

(١) نقله أحمد بن فارس فى الصاحبى ص١٨١، ٣٥١ من طبعتى، ولم ينسبه إلى صاحبه.

(٢) فى اللسان (٦/ ٢٤٩): «أعشار: مكسَّرة على عشر قطع».

(٣) فى اللسان (١٦/ ٨٦): «الأهدام: الأخلاق من الثياب، والهِدْم ـ بالكسر ـ الثوب الخَلَق».

(٤) فى اللسان (١٣/ ٣٦٧): «قال أبو عبيدة: الأسمال: الأخلاق، الواحد منه سَمَل، وثوب أخلاق إذا أخْلَقَ، وثوب أسمال، كما يقال: رمح أقصاد، وبُرْمة أعشار».

(٥) فى اللسان (٩/ ١٩٦): «ونعل سَميط وأسماط: لا رقعة فيها، وقيل: ليست بمخصوفة، والسميط من النعل: الطاق الواحد ولا رقعة فيها».

(٦) غير منسوب فى اللسان (١١/ ٣١٥) وبعده: «شَرَاذِمٌ يَضْحَكُ منى التوَّاقْ». قيل: التواق: اسم ابنه، ويروى «النواق» بالنون؛ وفيه: (١١/ ٣٧٦، ١٥/ ٢١٥)، والاقتضاب ص١٢، وتفسير الطبرى (١٤/ ١٤، ١٩/ ٤٧)، والجمهرة (٢/ ٢٤٠)، ومعانى القرآن للفراء (١/ ٤٢٧).

(٧) نقله ابن فارس فى الصاحبى ص١٨٥ (السلفية).

(٨) نقله ابن فارس فى الصاحبى ص٣٦١ من طبعتى.

وكذلك قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢].

وقد غلط فى هذا المعنى أبو ذُؤَيْب الهُذَلِىّ، ولا أدرى أمن جهة هذه الآيات غَلِط أم من غيرها؟ قال يذكر الدُّرَّة:

فجاءَ بها مَا شِئْتَ مِنْ لَطَمِيَّةٍ   يَدُومُ الفُرَاتُ فوقَها ويَمُــوجُ[١]

والفُرات لا يدوم فوقها وإنما يدوم الأُجاجُ.

* * *

ومنه أن يجتمع شيئان فيجعل الفعل لأحدهما، أو تَنْسبه إلى أحدهما وهو لهما[٢]:

كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

وقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقال: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] أراد: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد.

وقال الشاعر:

إِنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأَسْـ   ـوَدَ مـا لم يُعَـاصَ كان جُنُونا[٣]

---

(١) ديوانه ص٥٧، واللسان (١٥/ ١٠٤)، وفيه: «تَدوم البحار»، (١٦/ ١٧)، والوساطة ص١٣، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٥٦): «يقول: كأن فيها ماء يموج فيها لصفائها وحسنها»، والصناعتين ص٧١.

(٢) نقله أحمد بن فارس فى الصاحبى ص١٨٥، وص٣٦٢ من طبعتى.

(٣) البيت لحسان بن ثابت، كما فى ديوانه ص٤١٣، واللسان (٣/ ٥٠٧)، وأمالى ابن الشجرى (١/ ٢٧٧)، والكامل (٢/ ٧٩). ولحسان، أو لابنه عبد الرحمن، فى الحيوان (٣/ ١٠٨)، وفيه (٦/ ٢٤٤) غير منسوب، وكذلك فى الصناعتين له ص١٥٢، وغير منسوب فى ص١٤٥، وكذلك فى مجاز القرآن (١/ ٢٥٨، ٢/ ١٦١، ٢٢٢) من غير نسبة. والبيت غير منسوب فى الصاحبى ص١٨٦، ومجمع البيان (١/ ١٠٠)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٦٩)، والبحر المحيط (١/ ١٨٥)، والمخصص (١/ ٣٨)، ومعانى القرآن (١/ ٤٦٨). وقال ابن الشجرى: «قال: ما لم يعاص، فأفرد الضمير وإن كان لاثنين؛ وذلك لأن كل واحد منهما بمنزلة الآخر، فجريا مجرى الواحد، ألا ترى أن شرخ الشباب هو اسوداد الشعر؟ ولولا أنهما لاصطحابهما صارا بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقال: يُعاصَيا».

وقال آخر:

نحن بمـا عنـدنا وأنتَ بمـا عِنْدَك راضٍ والرأيُ مختلفُ(١)

* * *

ومنه أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب(٢):

كقوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ [يونس: ٢٢].

وقوله: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

قال الشاعر:

يا دارَ ميَّـةَ بالعَلْيـاءِ فالسَّنَـدِ أَقْوَتْ وطالَ عليها سَالِفُ الأبَدِ(٣)

* * *

وكذلك أيضًا تجعل خطاب الغائب للشاهد(٤):

كقول الهُذَليّ:

يا وَيْحَ نَفْسِي كـان جِدَّةُ خَالدٍ وبياضُ وَجْهِكَ للتُّرَابِ الأعْفَرِ(٥)

(١) البيت من قصيدة لعمرو بن امرئ القيس الأنصارى يخاطب بها مالك بن العجلان، كما فى جمهرة أشعار العرب ص١٢٧، واللسان (٦/ ٣٥١)، وقبله:

يا مالُ والسيد المُعمَّم قد يُبطره بعضَ رأيه السرَفُ

ونسبه سيبويه (١/ ٣٧، ٣٨) لقيس بن الخَطيم، وهو غير منسوب فى أمالى ابن الشجرى (١/ ٢٦٥، ٢٧٨)، والبحر المحيط (٢/ ٣٢٣، ٣/ ١٢٨)، ومجمع البيان (١/ ٨٩، ١٠٠)، والصاحبى ص١٨٦، ومعانى القرآن للفراء (١/ ٤٣٤، ٤٤٥).

(٢) نقله ابن فارس فى الصاحبى ص٣٥٦ من طبعتى.

(٣) البيت للنابغة، كما فى ديوانه ص٢٣، والصاحبى ص١٨٣، وشرح القصائد العشر ص٢٩٠: «وأقوت: خلت من أهلها، والسالف: الماضى، والأبد: الدهر».

(٤) نقله ابن فارس فى الصاحبى ص٣٥٧.

(٥) البيت لأبى كبير الهذلى، كما فى ديوان الهذليين ص١٠١، من القسم الثانى، وفيه: «يا لهف =

ومنه أن يخاطب الرجل بشيء ثم يجعل الخطاب لغيره[١]:

كقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه. ثم قال للكفار: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾.

يدلك على ذلك قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]؟

وقال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]؟

وقال: ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [طه: ١١٧].

وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، ثم قال: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٨، ٩].

وقال: ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ [النجم: ٣٢] يريد أباكم آدم، صلى الله عليه.

* * *

ومنه أن تأمر الواحد والاثنين والثلاثة فما فوقُ أَمْرَكَ الاثنين[٢]:

فتقول: افعلا.

قال الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٣] [ق: ٢٤] الخطاب لخزنة جهنم، أو زَبانيتها.

قال الفراء: والعرب تقول: وَيْلك ارْحَلاَها وازجُرَاها، وأنشد لبعضهم:

فقلتُ لِصَاحِبِي لا تَحْبِسَانَا ... بِنَزْعِ أُصُولِهِ واجْتَزَّ شِيحَا[٤]

= نفسي... يقول: دفن في أرض ترابها أعفر إلى الحمرة ما هو». وأمالي ابن الشجري (١/ ١٠٢)، والبحر المحيط (١/ ٢٤)، ومجمع البيان (١/ ٢٧)، والصاحبي ص١٨٣، وأمالي المرتضى (٤/ ١٣٩)، وفي تفسير الطبري (١/ ٥٢): «فرجع إلى الخطاب بقوله: «وبياض وجهك» بعد ما قد مضى الخبر عن خالد، على معنى الخبر عن الغائب».

(١) نقله أحمد بن فارس في الصاحبي ص١٨٤ (السلفية)، وص٣٥٨ (من طبعتي).

(٢) نقله ابن فارس في الصاحبي ص١٨٦ (السلفية)، وص٣٦٣ (من طبعتي).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٦/ ١٠٣).

(٤) البيت لُمضرِّس بن رِبْعيٍّ الأسَدي، كما في اللسان (٧/ ١٨٤)، وشرح شواهد الشافية ص٤٨١، وشرح شواهد المغني للسيوطي ص٢٠٤، ونسبه الجوهري (٢/ ٨٦٥) ليزيد بن الطثرية، وروى: «وقلت لحاطبي ولا تحبسنا» بنون التوكيد الشديدة، و«لنزع... واجذر»، والبيت غير منسوب في =

قال الشاعر:

فإنْ تَزْجُرَانِي يا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ وإنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعَا[١]

قال الفراء: ونرى أصل ذلك أنّ الرُّفقة أدنى ما تكون ثلاثة نَفَرٍ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه؛ ألاَ ترى أنّ الشعراء أكثرُ شيءٍ قِيلاً: يا صاحِبيَّ، ويا خليليَّ[٢].

وقال غير الفراء: قال النبي ﷺ: «الواحد شيطان والاثنان شيطانان، والثلاثة رَكْبٌ»[٣].

= اللسان (٥/ ١٩٤)، والصاحبي ص٨٠، ١٨٦، والطبري (٢٦/ ١٠٣).

وقوله: «فقلت لصاحبي» أراد بالصاحب من يحتطب له، بدليل رواية: «وقلت لحاطبي»، وقوله: «لا تحبسانا» خاطب الواحد بلفظ الاثنين، والباء في قوله «بنزع» للسببية، والضمير في قوله «أصوله» راجع إلى الحطب. والجز: القطع وأصله في الصوف. يقول لصاحبه: لا تحبسنا عن شي اللحم بأن تقلع أصول الحطب وعروقه، بل اكتف بقطع الشيح فهو أسهل وأسرع.

(١) البيت لسُويد بن كُراع العُكْلِيّ، كما في اللسان (٧/ ١٨٤)، وشرح شواهد الشافية ص٤٨٤، وهو غير منسوب في الصاحبي ص١٨٦، وتفسير الطبري (٢٦/ ١٠٣). وقال ابن برى، كما في اللسان وشرح شواهد الشافية: «كان سويد قد هجا بني عبد الله بن دارم، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان ابن عفان، فأراد ضربه، فقال سويد قصيدة أولها:

تقول ابنةُ العوفيِّ ليلى: ألاَ ترى إلى ابن كُـراعٍ لا يزال مُفَـزَّعا؟

مخافةُ هـذين الأميرين سَهَّـدَتْ رُقَـادي وغَشَّتْنِي بَيَاضًا مُقَزَّعـا

فإنْ أنتما أحْكَمْتُمـاني فازْجُرا أَراهِـطَ تُؤذيني مِنَ الناس رُضَّعا

وإنْ تَزْجُـراني.......... .... البيت

قال: وهذا يدل على أنه خاطب اثنين: سعيد بن عثمان ومن ينوب عنه أو يحضر معه... وقوله «وإن تدعاني أحم عرضًا ممنعًا» أي إن تركتماني حميتُ عرضي ممن يؤذيني، وإن زجرتماني انزجرتُ وصبرتُ.

(٢) قول الفراء هذا نقله أحمد بن فارس في الصاحبي ص٣٦٣، وص١٨٦ (السلفية)، وذكره الطبري في تفسيره (٢٦/ ١٠٣، ١٠٤) ولم يصرح باسمه، بل قال: «بعض أهل العربية».

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٧٨) باب ما جاء في الوحدة في السفر للرجال والنساء، عن عبد الرحمن ابن حَرْملة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ قال: «الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب».

وأحمد في المسند (١١/ ٣٥، ٣٦، ٢٠٧ المعارف). وأبو داود في كتاب الجهاد، باب في الرجل يسافر وحده (٣/ ٥٠). والترمذي في أبواب الجهاد باب ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده (٢/ ٣١٤). والحاكم في المستدرك (٢/ ١٠٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم. ثم روى بعقبه: «عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: الرجل شيطان والرجلان...».

وتوعَّد معاويةُ رَوْحَ بن زِنْباع، فاعتذر رَوْحٌ[1]، فقال معاوية: خَلِّيا عنه، وأنشد:

* إذا اللهُ سَنَّى عَقْدَ شَىْءٍ تَيَسَّرَا[2] *

وقوله: «سنّى»: أى فتح.

قالوا: وأدنى ما يكون الآمر والنّاهى بين الأعوان اثنان، فجرى كلامُهم على ذلك، ووكَّل اللهُ عز وجل بكل عبدٍ مَلَكَين، وأمر فى الشهادة بشاهدين.

* * *

ومنه أن يخاطب الواحد بلفظ الجميع:

كقوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[3] [المؤمنون:٩٩]، وأكثر من يخاطب بهذا الملوك؛ لأنّ من مذاهبهم أن يقولوا: نحن فعلنا. يقوله الواحد منهم يعنى نفسه، فَخُوطِبُوا بمثل ألفاظهم. يقول الله عز وجل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]، و﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

ومن هذا قوله عز وجل: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس:٨٣]، وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [هود:١٤]، وقوله: ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ [الدخان:٣٦].

* * *

(١) ولّى معاوية روح بن زنباع، فعتب عليه فى جناية فكتب إليه بالقدوم، فلما قدم أمر بضربه بالسياط، فلما أقيم ليضرب قال: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تهدم منى ركنًا أنت بنيته، أو أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها، أو تُشْمِتَ بى عدوًا أنت وَقَمْتَه، وأسألك بالله إلا أتى حلمك وعفوك دون إفساد صنائعك، فقال معاوية: خلّيا عنه، ثم أنشد: إذا الله... إلخ. راجع: الأمالى (٢/ ٢٥٥)، وعيون الأخبار (١/ ١٠٢)، وزهر الآداب (٢/ ٢٧٧)، وأمالى الزجاج ص٧.

(٢) فى المعانى الكبير (١/ ٤٧٤) غير منسوب. وقد اختلف فى صدره فقيل: هو: «وأعلمُ علمًا ليس بالظن أنه»، وقيل: هو: «فلا تيأسا واستَغْفِروا اللهَ إنه» أى اطلبا من الله الغِيرَة، وهى المِيرَة، وأنشده ثعلب: «فلا تَعْجلا واستَغْفِروا اللهَ إنه». قال ابن سيده: «وعندى أن معناه: اسألوه الخصب؛ إذ هو مَيْرُ الله خلقَه». والبيت فى الأمالى (١/ ٢٣٥)، وأساس البلاغة (١/ ٤٦٤، ٢/ ١٧٧)، وتهذيب الألفاظ ص٧٧.

(٣) انظر الصاحبى ص١٨٢ (السلفية)، وص٣٥٣ (طبعتى).

ومنه أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان:

نحو قوله: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾، ثم قال: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٣٤] وليس هذا من قولها[١]، وانقطع الكلام عند قوله: ﴿أَذِلَّةً﴾، ثم قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

وقوله: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف:٥١] هذا قول المرأة، ثم قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف:٥٢] أي ليعلم الملك أنى لم أخُن العزيز بالغيب.

وقوله: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ انقطع الكلام، ثم قالت الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢].

وقوله حكايةً عن ملأ فرعون: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ هذا قول الملأ، ثم قال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف:١١٠]؟

* * *

ومنه أن يأتى الفعل على بنْيَة الماضى وهو دائم، أو مستقبل[٢]:

كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] أى أنتم خير أمّة.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦] أى: وإذ يقول الله يوم القيامة. يدلك على ذلك قوله سبحانه: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩].

وقوله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١] يريد يوم القيامة؛ أى سيأتى قريبًا فلا تستعجلوه.

وقوله: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم:٢٩] أى: من هو صبىٌّ فى المهد.

وكذلك قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤]، وكذلك قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ

(١) أى بلقيس ملكة سبأ، راجع تفسير الطبرى (١٩/٩٦).

(٢) الصاحبى ص١٨٦ (السلفية)، وص٣٦٤ (طبعتى).

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٢٧]، إنما هو: الله سميع بصير، والله على كل شيء قدير.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[1] [فاطر:٩] أي: فنسوقه.

في أشباهٍ لهذا كثيرة في القرآن.

* * *

ومنه أن يجيء المفعول به على لفظ الفاعل[2]:

كقوله سبحانه: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:٤٣] أي: لا معصوم من أمره.

وقوله: ﴿مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق:٦] أي: مَدْفُوق.

وقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة:٢١، والقارعة:٧] أي: مَرْضِيٌّ بها[3].

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [العنكبوت:٦٧] أي: مأمونًا فيه.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:١٢] أي: مُبْصَرًا بها.

والعرب تقول: ليل نائم، وسرٌّ كاتم، قال وَعْلَةُ الْجَرْمِيُّ:

ولـمَّا رأيتُ الخَيْلَ تَتْرَى أثايِجًا   عَلمتُ بأنَّ اليومَ أَحْمَسُ فَاجِرُ[4]

أي: يوم صعب مَفْجُورٌ فيه.

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/٧٩).

(٢) الصاحبي ص١٨٧ (السلفية)، وص٣٦٦ (طبعتي).

(٣) انظر مجاز القرآن (٢/٢٦٨).

(٤) مطلع قصيدة له في الأصمعيات ص١٩٨، ونسبه له ابن قتيبة في المعاني الكبير (٢/٩٤٦)، وقال في شرحه: «أثايج: جماعات. أحمس: شديد. فاجر: يركب فيه الفجور، ولا يبق فيه محرم، أراد مفجور فيه». وهو لوعلة أيضًا في العقد الفريد (٥/٢٣١)، والأغاني (١٥/٧٧)، والنقائض (١/١٥٥)، والخزانة (١/١٩٩). وهو للحارث بن وعلة الجرمي في المفضليات ص١٦٦، وفي الأزمنة والأمكنة (٢/٣٠٨، ٢/٣١٢): «أحمس جاذر، قالوا: أراد بالجاذر: المجذور، وروى «فاجر» أي شديد ذو فجور».

وأن يأتى فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِل:

نحو قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧، والأنعام:١٠١] أى: مبدعها.

وكذلك: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٠، وغيرها] أى: مؤلم.

وقال عمرو بن مَعْدِيكَرِب:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِى السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُنِى وَأَصْحَابِى هُجُوعُ؟[١]

يريد: الداعى المُسْمِع.

* * *

وفَعِيلٌ، يراد به فاعِل:

نحو: حفيظ، وقدير، وسميع، وبصير، وعليم، ومَجيد، وبَدِيءُ الخلق؛ أى بادئُه، من قولك: بَدَأ الله الخلق.

وبصير فى هذا المعنى من بَصُرَ، وإن لم يُستعمل منه فاعل إلا فى موضع واحدٍ، وهو قولهم: أَرَيْتُهُ لَمْحًا بَاصِرًا؛ أى: نظرًا شديدًا باستقصاء وتَحْدِيق.

* * *

ومنه أن يأتى الفاعل على لفظ المفعول به، وهو قليل[٢]:

كقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم:٦١]، أى: آتيًا.

* * *

(١) فى الأغانى (١٤/٣٣) من أبيات «يقولها فى أخته ريحانة بنت معديكرب، لما سَبَاها الصِّمة بن بكر...». والبيت له فى اللسان (١٠/٢٨)، والأضداد للسجستانى ص١٣٣، وتفسير الطبرى (١/ ٩٥)، والبحر المحيط (١/ ٣٦٤)، والشعر والشعراء (١/ ٣٣٢)، وصدره فى الصاحبى ص٢٠١، ومجاز القرآن (١/ ٢٨٢).

(٢) الصاحبى ص١٨٨ (السلفية)، وص٣٦٧ (طبعتى).

باب تأويل الحروف التى ادُّعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم

من ذلك «الحروف المقطَّعة»(١).

قد اختلف المفسرون فى الحروف المُقَطَّعة:

* فكان بعضهم يجعلها أسماء للسور تُعْرَف كل سورة بما افتتحت به منها.

* وكان بعضهم يجعلها أقسامًا.

* وكان بعضهم يجعلها حروفًا مأخوذة من صفات الله تعالى، يجتمع بها فى المُفْتَتَح الواحد صفاتٌ كثيرة، كقول ابن عباس فى ﴿كهيعص﴾ [مريم:١]: إنَّ «الكاف» من كافٍ، و«الهاء» من هادٍ، و«الياء» من حكيم، و«العين» من عليم، و«الصاد» من صادق(٢).

وقال الكَلْبِىُّ: هو كتابٌ كافٍ، هادٍ، حكيمٌ، عالمٌ، صادقٌ.

* * *

ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن، ونرجو ألا يكون ما أريد بالحروف خارجًا منها، إن شاء الله.

فإن كانت أسماء للسور؛ فهى أعلام تدل على ما تدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء وتفرق بينها. فإذا قال القائل: قرأت ﴿المص﴾ أو قرأت ﴿ص﴾ أو ﴿ن﴾ ـ

(١) راجع: تفسير الطبرى (١/ ٦٧ ـ ٧٤)، واللسان (١/ ٤ ـ ٦)، والبحر المحيط (١/ ٣٤)، والقرطبى (١/ ١٥٤ ـ ١٥٧)، والكشاف (١/ ١٢ ـ ١٩)، ومجمع البيان (١/ ٣٢، ٣٣)، والإتقان (٢/ ١٣ ـ ١٩)، والصاحبى ص٩٣ ـ ٩٦.

(٢) انظر تفسير الطبرى (١٦/ ٣٢). وفى اللسان (١٧/ ٣٥٠): «وروى سعيد بن جبير فى تفسيره عن ابن عباس أنه قال فى ﴿كهيعص﴾: هو كاف، هاد، يمينٌ، عزيزٌ، صادقٌ. قال أبو الهيثم: فجعل قوله «كاف» أول اسم الله كاف، وجعل «الهاء» أول اسمه: هاد، وجعل «الياء» أول اسمه: يمين، من قولك: يَمَنَ اللهُ الإنسانَ يَمِينُه يَمْنًا ويُمْنًا فهو ميمون... قال: فجعل اسم اليمين مشتقًا من اليُمن، وجعل «العين» عزيزًا، و«الصاد» صادقًا، والله أعلم».

دَلَّ بذاك على ما قرأ، كما تقول: لقيت محمدًا وكلمت عبد الله، فهى تدل بالاسمين على العيْنين، وإن كان قد يقع بعضها مثل ﴿حمٓ﴾ و﴿الٓمٓ﴾ لعدة سُوَر - فإنَّ الفصل قد يقع بأن تقول: حم السَّجْدة، والم البقرة، كما يقع الوفاق فى الأسماء، فتدل بالإضافات وأسماء الآباء والكُنَى.

* * *

وإن كانت أقسامًا؛ فيجوز أن يكون الله عز وجل أقسم بالحروف المقطعة كلّها، واقتصر على ذكر بعضها مِنْ ذِكْرِ جميعها، فقال: ﴿الٓمٓ﴾ وهو يريد جميع الحروف المقطعة، كما يقول القائل: تعلمت «ا ب ت ث» وهو لا يريد تعلم هذه الأربعة الأحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين، ولكنّه لما طال أن يذكرها كلّها اجتزأ بذكر بعضها. ولو قال: تعلمت «حاء طاء صاد» لَدَلَّ أيضًا على حروف المعجم، كما دلّ بالقول الأول، إلا أن الناس يدلون بأوائل الأشياء عليها فيقولون: قرأت ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يريدون فاتحة الكتاب فيسمونها بأول حرف منها. هذا الأكثر، وربما دَلُّوا بغير الأول أيضًا، أنشد الفرّاء[1]:

لـمَّا رَأَيْتُ أَنَّها فى حُطِّى أَخَذْتُ مِنْهَا بِقُرُونٍ شُمْطِ[2]

يريد «فى أَبى جَاد» فَدَلَّ بحُطِّى كما دَلَّ غيره بأبى جاد.

* * *

(١) فى معانى القرآن (١/٣٦٩)، والرجز لأبى القمقام الأسدى، كما فى تهذيب الألفاظ ص٤٤٧، والأمالى (٢/ ٢٠٠) غير منسوب، وكذلك فى اللسان (١٢/٣٦٨)، ومجمع البيان (١/ ٣٣)، وتفسير الطبرى (١/ ٦٨): «... بعض الرجاز من بنى أسد:

لما رأيتُ أمرهـا فى حُطِّى وفَنَكَتْ فى كَـذب ولَطْ
أخـذتُ منهـا بقُرونٍ شُمْطِ فلم يَزلْ ضربى لها ومَعْطِى
حتى عـلا الرأسَ دمٌ يُغطِّى

فزعم أنه أراد بذلك الخبر عن المرأة أنها فى «أبى جاد» فأقام قوله «لما رأيت أمرها فى حطى» مقام خبره عنها أنها فى «أبى جاد» إذ كان ذاك من قوله يدل سامعه ما يدل عليه قوله: لما رأيت أمرها فى أبى جاد».

(٢) فى معانى القرآن: «أمرها فى حطى».

وإنما أقسم الله بحروف المعجم، لشرفها وفضلها، ولأنها مبانى كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة، ومبانى أسمائه الحُسنَى وصفاته العُلَى، وأصُول كلامِ الأمم[1]، بها يتعارفون، ويذكرون الله ويوحِّدون.

وقد أقسم الله فى كتابه بالفَجْر، والطُّور، وبالعَصْر، وبالتِّين والزَّيتُون ـ وهما جبلان ينبتان التين والزيتون، يقال لأحدهما: طُورُ زَيْتَا وللآخر: طور تَيْنَا، بالسّريانية، من الأرض المقدسة؛ فسماهما بما يُنْبتان ـ وأقسم بالقلم؛ إعظَامًا لِمَا يَسْطُرون.

ووقع القسم بها فى أكثر السور على القرآن فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١، ٢] كأنه قال: وحروف المعجم لَهو الكتاب لا ريب فيه.

و﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أى: وحروفِ المعجم لَهو الله لا إله إلا هو ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٣].

و﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أى: وحروف المعجم لَهو كتاب أُنزل إليك ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١، ٢].

و﴿يسٓ ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ١، ٢]، و﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، و﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

كله أقسام.

* * *

وإن كانت حروفًا مأخوذةً من صفات الله: فهذا فَنٌّ من اختصار العرب؛ وقلّما تفعل العربُ شيئًا فى الكلام المتصل الكثير إلا فَعَلت مثله فى الحرف الواحد المنقطع.

فكما يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان الكلمة لتقارب ما بينهما، أَوْ لأنَّ إحداهما سبب للأخرى، فيقولون للمطر: سماء؛ لأنه من السماء ينزل، ويقولون للنبات: نَدًى؛ لأنه بالندى يَنبت، ويقولون: ما بِهِ طِرْقٌ؛ أى ما به قوّة، وأصل الطِّرق: الشحم، فيستعيرونه مكان القوّة؛ لأنّ القوّة تكون عنه ـ كذلك يستعيرون الحرف فى

(١) فى البحر المحيط (١/ ٣٤): «وقال الأخفش: هى مبادئ كتب الله المنزلة بالألسنة المختلفة، ومبان من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأصول كلام الأمم».

الكلمة مكان الحرف فيقولون: «مَدَهْتُه» بمعنى: «مدحته»؛ لأن «الحاء» و«الهاء» يخرجان جميعًا من مخرج واحد. ويقولون للقبر: جَدَثٌ وجَدَفٌ، ويقولون: ثُومٌ وفُومٌ، ومَغاثِير ومَغافِير[1]، لقرب مخرج «الفاء» من «الثاء».

ويقولون: هَرَقْتُ الماء وأرقته، ولَصِق ولَسِق، وسَحَقْتُ الزعفران وسَهَكْتُه، وغُمار الناس وخُمارهم.

فى أشباهٍ لهذا كثيرة يبدلون فيها الحرفَ من الحرف؛ لتقارب ما بينهما.

* * *

وكما يقلبون الكلام ويُقدِّمون ما سبيله أن يؤخَّر، ويؤخرون ما سبيله أن يُقدَّم، فيقولون:

* كان الزِّناءُ فريضةَ الرَّجْمِ[2] *

أى كان الرجم فريضة الزنا.

ويقولون:

* كأنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ[3] *

يريدون: كأن لون سمائه من غُبرتها لون أرضه.

ويقولون: اعرض الناقة على الحوض، يريدون: اعرض الحوض على الناقة.

وكذلك يقدمون الحرف فى الكلمة وسبيله التأخير، ويؤخرون الحرف وسبيله التقديم، فيقولون: جَذَبَ وجَبَذَ، وبئر عميقة ومَعِيقة، وأَحْجَمْتُ عن الأمر وأَجْحَمْتُ، وبَتَلْتُ الشىءَ أى قطعته وبَلَّته، وما أَطْيَبَهُ وما أَيْطَبَهُ، ورجل أغْزَل

---

(١) فى اللسان (٦/ ٣١٠): «والمغاثير لغة فى المغافير». وفى ص٣٣٢: «والمغافير صمغ يسيل من شجر العُرْفُط، غير أن رائحته ليست بطيبة».

(٢) الشطر للنابغة الجعدى، كما فى اللسان (١٩/ ٧٩)، وقبله: «كانتْ فريضةُ ما تَقولُ كَما»، وهو غير منسوب فى الأضداد للسجستانى ص١٥٢، والبحر المحيط (٦/ ٣٣)، ومجمع البيان (١/ ٢٥٥)، وأمالى المرتضى (١/ ١٥٥).

(٣) لرؤبة كما فى ديوانه ص١، وصدره: «وبلدةٍ عاميَّة أعماؤُه»، ويروى: «ومَهْمَهٍ مُغبرَّةٍ أرجاؤُه»، وهو غير منسوب فى أمالى المرتضى (١/ ١٥٥).

وأرْغَل[١]، واعتاقه الأمر واعتقاه، واعتام واعتمى.

فى أشباه لهذا كثيرة.

* * *

وكما يزيدون فى الكلام الكلمةَ والمعنى طرحُها، كقول الشاعر:

* فما أَلُومُ البِيضَ ألاَّ تَسْخَرَا[٢] *

يريد: أن تسخر.

ويزيدون: إذ، واللام، والكاف، والباء، وأشباه لهذا مما ذكرناه، فى باب المجاز.

كذلك يزيدون فى الكلمة الحرف، كما قال المُفَضَّل العَبْدِى:

* وبَعْضُهُمُ على بَعضٍ حَنِيقُ[٣] *

أى حَنِقٌ.

وقال الآخر:

* أقولُ إذْ خَرَّتْ عَلَى الكَلْكالِ[٤] *

أراد: الكَلْكَل.

وأنشد الفرّاء:

إنَّ شكْلى وَإنَّ شكْلَكِ شتَّى فالْزَمِى الخُصَّ وَاخفِضى تَبْيَضِضّى[٥]

---

(١) فى اللسان (١٤/ ٢): «رجل أرغل وأغرل، وهو الأقلف».

(٢) لأبى النجم، كما فى مجاز القرآن (١/ ٢٦)، وعجزه: «لمَّا رأينَ الشَّمَطَ القَفَنْدَرا» القفندر: القبيح الفاحش؛ أى فما ألوم البيض أن يسخرن. وهو فى سيبويه (٢/ ٣٢)، وتفسير الطبرى (١/ ٦٢)، واللسان (٦/ ٤٢٥)، والأضداد لابن الأنبارى ص١٨٥. وانظر ص٢٥٨.

(٣) فى اللسان (١١/ ٣٥٦)، للمفضَّل النُكرِى. وصدره: «تَلاقَيْنَا بِغَيْنَةِ ذى طُرَيْف».

(٤) فى تفسير الطبرى (١/ ٧٠)، وبعده: «يا ناقتى ما جُلْتِ عن مَجالى» وهو فى الصاحبى ص١٩٣ غير منسوب، وكذلك فى الموشح ص٩٤، وتفسير الطبرى (١/ ٧٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٠)، واللسان (١٤/ ١١٧، ٢٠/ ٣١٢): «قلتُ وقد خَرَّتْ... إلخ».

(٥) فى تفسير الطبرى (١/ ٧٠) غير منسوب، واللسان (١/ ٢٤٨، ٨/ ٣٩١)، والشطر الثانى فى (١٨/ ٢٢٦)، وأمالى ابن الشجرى (١٧/ ١٩٧).

فزاد ضادًا.

فى أشباهٍ لهذا كثيرة.

* * *

وكما يحذفون من الكلام البعض إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقوا، فيقولون: والله أفعل ذاك، يريدون: لا أفعل. ويقولون: أتانا فلانٌ عند مغيب الشمس، أو حين؛ أى حين كادت تغيب.

وقال ذو الرمة يذكر حميرًا:

فلمَّا لَبِسْنَ الليلَ أوْ حِينَ نَصَّبَتْ ... له من خَـذَا آذانِها وَهْـوَ جَـانِحُ[1]

أراد: أو حين أقبل الليل.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١] أراد: لكان هذا القرآن، فَحَذَف.

* * *

وكذلك يحذفون من الكلمة الحرف والشَّطر والأكثرَ، ويبقون البعض والشطر والحرف، يُوحُون به ويُومِئُون. يقولون: «لم يك» فيحذفون النون مع حذفهم الواو لاجتماع الساكنين. ويقولون: «لم أُبل» يريدون: لم أُبَالِ. ويقولون: ولاَكِ افعل كذا، يريدون: ولكن، قال الشاعر:

* وَلاَكِ اسْقِنى إنْ كانَ مَاؤُكَ ذا فَضْلِ[2] *

(١) سبق الكلام عليه فى ص٢٣٦.

(٢) نسبه سيبويه للنجاشى (١/ ٩) وصدره: «ولستُ بآتيه ولا أستطيعُه»، وقال الأعلم فى شرحه: «حذف النون من «لكن» لاجتماع الساكنين ضرورة لإقامة الوزن... وصف أنه اصطحب ذئبًا فى فلاة مضلة لا ماء بها، وزعم أن الذئب رد عليه فقال: لست بآت ما دعوتنى إليه من الصحبة ولا أستطيعه؛ لأننى وحشى وأنت إنسى، ولكن اسقنى إن كان ماؤك فاضلاً عن ريِّك. وأشار بهذا إلى تعسفه للفلوات التى لا ماء فيها فيهتدى الذئب إلى مظانه فيها، لاعتياده لها». والبيت للنجاشى فى سر الفصاحة ص٧٤، والموشح ص٩٣، وهو غير منسوب فى العمدة (٢/ ٢٥٥)، واللسان (١٧/ ٢٧٦).

ويحذفون فى الترخيم، فيقولون: يا صَاحِ، يريدون: يا صاحب، ويا حَارِ، يريدون: يا حارث.

وقرأ بعض المتقدمين: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[١] [الزخرف:٧٧] أى: يا مالك.

وقال الله تعالى: ﴿أَلاَ يَاسْجُدُوا لله﴾[٢] [النمل:٢٥] أى: ألاَ يا هؤلاء اسجدوا لله.

ويقولون: عِمْ صَبَاحًا، أى أنْعِمْ.

وقال الفَرَّاء فى قولهم ستَرَى: إنما أرادوا: سوف ترى ، فحذفوا الواو والفاء. وكذلك أمثالها؛ كقولك: سيكون كذا، وسيفعل كذا، تأويلها عنده: سوف يكون، وسوف يفعل. وفى قوله بينا: إنما هو بينما.

وقال فى الآن: إنما هو أصله الأوانُ، كما قالوا: الراحُ والرِّياح للخمر، قال لَبِيد:

* درَسَ المَنا بِمُتالِعٍ فَأَبَانِ[٣] *

أراد: المنازل، فقطع.

وقال الطِّرِمَّاح يذكر بقرًا:

تَتَّقِى الشَّمْسَ بِمَدْرِيَّةٍ كالحَمَالِيجِ بأيْدِى التِّلامْ[٤]

المَدْرِيَّة: القرون ههنا. والحماليج: مَنَافِيخُ الصَّاغة، شبّه قرونها بها إذا نُفِخ فيها. والتِّلاَمُ: أراد التَّلاميذ، يعنى غلمان الصاغة؛ فقطَع.

وقال أبو دُؤاد:

---

(١) انظر الصاحبى ص١٩٤. وجاء فى البحر المحيط (٨/ ٢٨): «وقرأ الجمهور: «يا مالك» وقرأ عبد الله وعلى وابن وثّاب والأعمش: «يا مال» بالترخيم، على لغة من ينتظر الحرف. وقرأ أبو السرار الغنوى: «يا مال» بالبناء على الضم، جعله اسمًا على حياله».

(٢) قرأ قرّاء المدينة: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا﴾ بتشديد ألا.

(٣) عجزه: «فتَقَادمَتْ بالحُبْسِ فالسُّوبانِ» كما فى اللسان (١٦/ ١٤٢)، وشرح شواهد الشافية ص٣٩٧.

(٤) ديوانه ص١٠٠. وانظر اللسان (١٤/ ٣٣٣)، والمعانى الكبير (٢/ ٧٦٤، ٧٩١).

* فكأنَّما تُذْكِى سَنَابِكُها الحُبَا[١] *

أراد الحُباحِب.

وقال الآخر:

أُناسٌ يَنَـــالُ المـــاءَ قَبْلَ شِفاهِهِمْ لَهُمْ وَارِداتُ الغُرْضِ شُمُّ الأَرَانِبِ[٢]

أراد: الغرضُوف.

وقال الآخر:

* فى لَجَّةٍ أَمْسِكْ فُلانًا عَنْ فُلِ[٣] *

أراد: عن فلان.

وقال [الآخر]:

* قَواطِنًا مكَّةَ من وُرْقِ الحَمِى[٤] *

أراد: الحَمَام.

---

(١) الصاحبى ص١٩٤. وفى اللسان (١/٢٨٨): «وقوله:

يُذْرِينَ جَنْدلَ حائرٍ لِجُنُوبِها فكأنَّها تُذْكِى سَنابِكُها الحُبَا

إنما أراد: الحُباحب، أى نار الحباحب. يقول: تصيب بالحصى فى جريها جُنوبَها».

(٢) البيت غير منسوب فى اللسان (٩/٥٩)، وأساس البلاغة (٢/٥٠٠)، وفيهما: «كِرامٌ يَنال الماءَ». وفى اللسان: «قيل: إنه أراد الغُرْضُوف الذى فى قصبة الأنف، فحذف الواو والفاء، ورواه بعضهم: «لهم عارضاتُ الوِرْدِ».

(٣) سبق تخريجه فى ص٢٧٢.

(٤) فى اللسان (١٥/٤٨): «وأما قول العجَّاج:

ورَبِّ هـــذا البَلَدِ المُحـرَّمِ والقَاطناتِ البيتَ غيرَ الرُّيَّمِ

قَواطِنًا مكةَ مِنْ وُرْقِ الحَمِى

فإنما أراد الحمام، فحذف الميم وقلب الألف ياء. قال أبو إسحاق: هذا الحذف شاذ، لا يجوز أن يقال فى الحمار: الحِمِى، تريد الحمار، فأما الحمام هنا فإنما حُذف منها الألف فبقيت الحَمَمُ، فاجتمع حرفان من جنس واحد، فلزمه التضعيف، فأبدل من الميم ياء». وانظر ديوان العجاج ص٥٨ ـ٦٢، واللسان (١٠/٣٥٤، ١٧/٢٢١، ٢٢٢، ٢٠/١٦٢)، وسيبويه (١/٨، ٥٦، ٢/١٢٢)، ومقاييس اللغة (١/١٣١)، وشرح ابن الناظم ص٢٤٦، والأمالى (٢/١٩٩)، وسر الفصاحة ص٧٤، والعمدة (٢/٢٥٦)، والموشح ص٩٤، وتهذيب الألفاظ ص٤٤٥.

وأنشد الفَرَّاء:

* قلت لها: قِفِي، فقالت لي: قَافْ[١] *

أراد: فقالت: قد وَقَفْتُ، فأومأت بالقاف إلى معنى الوقوف.

* * *

ولم نزل نسمع على ألسنة الناس: الألف: آلاء الله، والباءُ: بهاء الله، والجيم: جمال الله، والميم: مجد الله. فكأنّا إذا قلنا ﴿حمٓ﴾ دللنا بالحاء على حليم، ودللنا بالميم على مجيد.

وهذا تمثيل أردت أن أُرِيَكَ به مكان الإمكان.

وعلى هذا سائر الحروف.

ومن ذهب إلى هذا المذهب فلا أُراه أراد أيضًا إلا القسم بصفات الله، فجمع بالحروف المقطعة معاني كثيرة من صفاته، لا إله إلا هو.

ورُوِي أن بعض السلف وأحسبه عليًا، رحمة الله عليه، قال: الرَّحِمُ هو من الرَّحْمن.

وقد كان قوم من المفسرين يفسرون بعض هذه الحروف فيقولون: ﴿طه﴾: يا رجل، و﴿يسٓ﴾: يا إنسان، و﴿نون﴾: الدَّواة، وقال آخر: «الحوت»، و﴿حمٓ﴾: قُضِي والله ما هو كائن، و«قاف»: جبل محيط بالأرض، و«صَادِ» ـ بكسر الدال ـ من المُصادَاة وهي المعارضة[٢].

(١) هذا أول رجز للوليد بن عقبة، وسبب قوله أنه لما شهد عليه عند عثمان بن عفان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم يعذرونه، فيهم عدى بن حاتم، فنزل الوليد يومًا يسوق بهم فقال يرتجز:

قلتُ لها قفى فقالت لى قافْ لا تَحسبينا قد نَسينا الإيجافْ
والنَّشَوات من عتيق أوصافْ وعَزْف قَيْنات علينا عزّافْ

فقال له عدى: «إلى أين تذهب بنا؟ أقم». راجع الأغانى (٥/ ١٨١)، وشرح شواهد الشافية ص٢٧١، وهو فى الصاحبى ص٩٤ غير منسوب، وكذلك فى مجمع البيان (١/ ٣٤)، والبحر المحيط (١/ ٣٥)، والعمدة (١/ ٢٨٠)، واللسان (١١/ ٢٧٥).

(٢) فى تفسير الطبرى (٢٣/ ٧٤): «اختلف أهل التأويل فى معنى قوله: «ص» فقال بعضهم: هو من =

وهذا ما لا نَعْرِض فيه؛ لأنا لا ندرى كيف هو ولا من أى شىء أُخِذَ، خلا «صادِ» وما ذُهِب إليه فيها.

* * *

= المصاداة، من صاديت فلانًا، وهو أمر من ذلك، كأن معناه عندهم: صاد بعملك القرآن، أى عارضه به، ومن قال هذا تأويله فإنه يقرؤه بكسر الدال؛ لأنه أمر. وكذلك روى عن الحسن... وقال آخرون: هى حرف هجاء... وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به... وقال آخرون: معنى ذلك: صدق الله...».

فى سورة سبأ

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾[1] [سبأ: ٢٠، ٢١].

تأويله: أن إبليس لما سأل الله تبارك وتعالى النَّظِرَةَ فأنْظَرَه قال: لأُغْوِيَنَّهُمْ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ[2] آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَلأَتَّخِذَنَّ مِنهُمْ نَصِيبًا مَفْرُوضًا[3]، وليس هو فى وقت هذه المقالة مستيقنًا أنّ ما قدَّره الله فيهم يتمّ، وإنما قاله ظانًا، فلما اتبعوه وأطاعوه صدَّق ما ظنَّه عليهم أى فيهم، ثم قال الله: وما كان تسليطنا إيّاه إلا لنعلم من يؤمن، أى المؤمنين من الشاكِّين.

وعِلْم الله تعالى نوعان:

أحدهما: علم ما يكون من إيمان المؤمنين، وكفر الكافرين، وذنوب العاصين، وطاعات المطيعين؛ قبل أن تكون.

وهذا علم لا تجب به حجة ولا تقع عليه مَثُوبةٌ ولا عقوبة.

والآخر: علم هذه الأمور ظاهرة موجودة فَيَحِقُّ القَوْلُ ويقع بوقوعها الجزاء.

فأراد جل وعز: ما سلطناه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمنين ظاهرًا موجودًا، وكفر الكافرين ظاهرًا موجودًا.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢] أى: يعلم جهاده وصَبْرَه موجودًا يجب له به الثواب.

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٢/ ٦٠، ٦١).

(٢) فى اللسان (١٣/ ٢٧٥): «البتك: القطع... قال أبو منصور: كأنه أراد ـ والله أعلم ـ تَبْحِيرَ أهل الجاهلية آذان أنعامهم وشقَّهم إياها».

(٣) قال تعالى فى سورة النساء ١١٧ ـ ١١٩: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾(١) [سبأ:٤٦].

تأويله أنّ المشركين قالوا: إن محمدًا مجنون وساحر، وأشباه هذا من خَرْصِهِم(٢)، فقال الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه: قل لهم: اعتبروا أمرى بواحدة، وهى أن تنصحوا لأنفسكم، ولا يميل بكم هوًى عن حق، فتقوموا لله وفى ذاته مقامًا يخلو فيه الرجل منكم بصاحبه فيقول له: هَلُمَّ فَلْنَتَصادَق، هل رأينا بهذا الرجل جِنَّة قط أو جربنا عليه كذبًا؟ فهذا موضع قيامهم مثنى. ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيُفكِّر وينظر ويعتبر. فهذا موضع قيامهم فُرَادى. فإنَّ فى ذلك ما دلَّهم على أنه نذير.

وكل من تحير فى أمر قد اشتبه عليه واستَبْهم أخرجه من الحيرة فيه أن يسأل ويناظِر، ثم يُفكِّر ويعتبر.

* * *

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٢/ ٧٠، ٧١).

(٢) فى اللسان (٨/ ١٨٦): «خَرَصَ يَخْرُصُ، بالضم، خَرْصًا، وتخرَّص أى كذب، ورجل خرَّاص: كذَّاب، وفى التنزيل: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]. . . قال الفراء: معناه: لُعن الكذَّابون الذين قالوا: محمد شاعر، وأشباه ذلك، خَرَصُوا بما لا علم لهم به. وأصل الخرص: التظنِّى فيما لا تستيقنه، ومنه خرص النخل والكَرْم: إذا حَزَرْتَ التمر؛ لأن الحَزْر إنما هو تقدير بظنٍّ لا إحاطة، والاسم: الخِرْص ـ بالكسر ـ ثم قيل للكذب خَرْصٌ لما يدخله من الظنون الكاذبة».

في سورة الفرقان

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيراً﴾[1] [الفرقان: ٤٥، ٤٦].

امتداد الظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. كذلك قال المفسرون، ويدلك عليه أيضًا قوله في وصف الجنة: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] أي لا شمس فيه، كأنه ما بين هذين الوقتين.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: مُسْتَقِرًا دائمًا حتى يكون كظل الجنة الذي لا تَنْسَخُهُ الشمس.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ يقول: لما طلعت الشمس دلت عليه وعلى معناه. وكلّ الأشياء تعرف بأضدادها، فلولا الشمس ما عُرِفَ الظل، ولولا النور ما عرفت الظلمة، ولولا الحق ما عرف الباطل. وهكذا سائر الألوان والطُّعُوم، قال الله عز وجل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] يريد به ضدين: ذكرًا وأنثى، وأسودَ وأبيض، وحلوًا وحامضًا، وأشباه ذلك.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيراً﴾ يعني الظل الممدود بعد غروب الشمس، وذلك أنّ الشمس إذا غربت عاد الظل الممدود، وذلك وقت قَبْضه.

وقوله: ﴿قَبْضًا يَسِيراً﴾ أي: خفيًّا؛ لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كلُّه دفعةً واحدةً، ولا يُقبِل الظلام كلُّه جُملة، وإنما يَقْبِضُ الله جلَّ وعز ذلك الظل قبضًا خفيًا شيئًا بعد شيء، ويُعْقِب كلَّ جزء منه يَقْبِضُه بجزء من سواد الليل حتى يذهب كلّه.

فدَلّ الله عز وجل بهذا الوصف على قدرته ولطفه في مُعَاقَبته بين الشمس والظل

(١) انظر تفسير الطبري (١٩/ ١٢ ـ ١٤).

والليل؛ لمصالح عباده وبلاده.

وبعضهم يجعل قبض الظل عند نسخ الشمس إياه، ويجعل قوله ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أى: سهلاً خفيفًا عليه.

وهو وجه، غير أن التفسير الأول أجمع للمعانى وأشبه بما أراد.

* * *

في سورة يس

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[١] [يس: ٣٨ - ٤٠].

قوله: ﴿تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أى: إلى مستقر لها، كما تقول: هو يجرى لغايته وإلى غايته.

ومُسْتَقَرُّها: أقصى منازلها فى الغروب، وذلك لأنها لا تزال تتقدم فى كل ليلة حتى تنتهى إلى أبعد مَغَاربها ثم ترجع[٢]، فذلك مستقرها لأنها لا تُجَاوزه.

وقرأ بعض السلف: ﴿والشَّمْسُ تَجْرِى لاَ مُسْتَقَرَّ لَهَا﴾[٣] والمعنى: أنها لا تقف، ولا تستقر، ولكنها جارية أبدًا.

وقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ يريد: أنه ينزل كل ليلة منزلاً، ومنازله ثمانية وعشرون منزلاً عندهم، من أول الشهر إلى ثمانٍ وعشرين ليلة منه ثم يَسْتَسِرُّ.

وهذه المنازل هى النجوم التى كانت العرب تنسب إليها الأنواء. وأسماؤها عندهم[٤]: الشَّرَطَان، والبَطِينُ، والثُّرَيَّا[٥]، والدَّبَرَانُ، والهَقْعَةُ، والهَنْعَةُ، والذِّراعُ، والنَّثْرَةُ، والطَّرْفُ، والجَبْهَةُ، والزُّبْرَةُ[٦]، والصَّرْفَة، والعَوَّاءُ، والسِّماكُ، والغَفْرُ،

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٣/ ٥ - ٧).

(٢) قارن هذا بما فى الطبرى (٢٣/ ٥).

(٣) فى البحر المحيط (٧/ ٣٣٦): «وقرأ عبد الله وابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبى رباح وزين العابدين والباقر وابنه الصادق وابن أبى عبلة: «لا مستقر لها» نفيًا مبنيًا على الفتح، فيقتضى انتفاء كل مستقر، وذلك فى الدنيا، أى هى تجرى دائمًا فيها لا تستقر، إلا ابن أبى عبلة فإنه قرأ برفع «مستقر» وتنوينه على إعمالها إعمال ليس».

(٤) راجع أسماء المنازل فى كتاب الأنواء للمؤلف من ص١٦، واللسان (١/ ١٧١).

(٥) فى اللسان بدل «الثريا»: «النَّجْم».

(٦) فى اللسان «الخَرَاتان» مكان «الزبرة».

والزُّبَانَى، والإِكْليلُ، والقَلْبُ، والشَّوْلَةُ، والنَّعَائمُ، والبَلْدَةُ، وسَعْدُ الذَّابح، وسَعْدُ بُلَع، وسَعْدُ السُّعُود، وسَعْدُ الأَخْبِيَة، وفَرْغُ الدَّلْو المُقَدَّم، وفَرْغُ الدَّلْو المُؤَخَّر، والرِّشا، وهو الحوت.

وإذا صار القمر فى آخر منازله دَقَّ حتى يعود كالعُرْجُون القديم وهو العِذْقُ اليابس، والعرجون إذا يبس دَقَّ واسْتَقْوَس حتى صار كالقوس انحناء؛ فشُبِّه القمر به ليلة ثمانية وعشرين[1].

ثم قال سبحانه: ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ يريد: أنهما يسيران الدّهرَ دَائبَين ولا يجتمعان، فَسُلْطان القمر بالليل، وسلطان الشمس بالنهار، ولو أدركت الشمسُ القمرَ لذهب ضوءه، وبطل سلطانه، ودخل النهار على الليل.

يقول الله جل وعز حين ذكر يوم القيامة: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩] وذلك عند إبطال هذا التدبير، ونَقْض هذا التأليف.

﴿وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يقول: هما يتعاقبان، ولا يَسْبِق أحدُهما الآخر؛ فيفُوته ويذهب قبل مجيء صاحبه.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أى: يَجرُون، يعنى الشمس والقمر والنجوم.

* * *

(١) قال الطبرى فى تفسيره (٢٣/ ٥): «فتأويل الكلام: وآية لهم تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم. والعرجون من العذق: من الموضع النابت فى النخلة إلى موضع الشماريخ. وإنما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم ـ والقديم هو اليابس ـ لأن ذلك من العذق لا يكاد يوجد إلا متقوسًا منحنيًا إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يصاب مستويًا معتدلاً كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمر إذا كان فى آخر الشهر قبل استسراره صار فى انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون».

في سورة المرسلات

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لاَّ ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[1] [المرسلات: ٢٩ ـ ٣٣].

هذا يقال فى يوم القيامة للمكذبين، وذلك أن الشمس تدنو من رءوس الخلائق، وليس عليهم يومئذ لباس، ولا لهم كِنَانٌ، فتَلْفَحُهم الشمس وتَسْفَعُهُمْ وتأخذ بأنفاسهم، ومَدَّ ذلك اليوم عليهم كَرْبَه، ثم ينجِّي الله برحمته من يشاء إلى ظل من ظِلِّه، فهناك يقولون: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، ويقال للمكذبين: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ من عذاب الله سبحانه وعقابه، انطلقوا من ذلك إلى ظل من دخان نار جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فِرَق، وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب، فيكونون فيه إلى أن يُفرَغ من الحساب، كما يكون أولياء الله فى ظل عرشه أو حيث شاء من الظل إلى أن يُفرَغ من الحساب، ثم يُؤمَر بكل فريق إلى مُسْتَقَرِّه من الجنة أو النار.

ثم وصف الظل فقال: ﴿لاَّ ظَلِيلٍ﴾ أى: لا يَظلُّكُم من حَرِّ هذا اليوم بل يدنيكم من لهب النار إلى ما هو أشد عليكم من حر الشمس، ولا يغنى عنكم من اللهب.

وهذا مثل قوله سبحانه: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لاَّ بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤] واليَحْمُوم: الدّخان، وهو سُرَادِقُ أهل النار فيما ذكر المفسرون[2].

ثم وصف النار فقال: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ فمن قرأه بتسكين الصاد أراد القَصْرَ من قُصُور مياه الأعراب[3]. ومن قرأه القَصَر شبَّهه بأعناق النخل، ويقال:

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٩/١٤٦ ـ ١٤٨).

(٢) راجع تفسير الطبرى (٢٧/ ١١٠، ١١١).

(٣) فى تفسير الطبرى (٢٩/١٤٦): «فقرأ ذلك قَرَأة الأمصار «كالقصر» بجزم الصاد، واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك فى معناه فقال بعضهم: هو واحد القصور... وقال آخرون: بل هو الغليظ من =

بأصوله إذا قُطع.

ووقع تشبيه الشَّرر بالقصر فى مقاديره، ثم شَبَّهَهُ فى لونه بالجِمالات الصُّفْر وهى السود، والعرب تسمى السُّود من الإبل صُفْرًا، قال الشاعر:

تِلْكَ خَيْلِى مِنْها وتِلْكَ رِكابى ... هُنَّ صُفْرٌ أولادُهـا كالزَّبِيـبِ[1]

أى: هنَّ سود.

وإنما سُمِّيت السُّود من الإبل صُفْرًا؛ لأنه يَشُوبُ سوادَها شىء من صُفْرة، كما قيل لبيض الظباء: أُدْم؛ لأن بياضها تعلوه كُدْرَة.

والشَّرَرُ إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار أَشْبَهُ شىء بالإبل السّود؛ لما يَشوبُها من الصُّفْرة.

* * *

= الخشب كأصول النخل وما أشبه ذلك... وذكر عن ابن عباس أنه قرأها «كالقَصَر» بفتح القاف والصاد... وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا ما عليه قرأة الأمصار، وهو سكون الصاد، وأولى التأويلات به أنه القصر من القصور، وذلك لدلالة قوله: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ على صحته. والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية... وقيل: ﴿بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ ولم يقل: كالقصور، و«الشرر» جماع، كما قيل: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٥] ولم يقل: الأدبار؛ لأن الدبر بمعنى الأدبار، وفُعل ذلك توفيقًا بين رءوس الآيات ومقاطع الكلام؛ لأن العرب تفعل ذلك كذلك، وبلسانها نزل القرآن. وقيل: ﴿كَالْقَصْرِ﴾ ومعنى الكلام: كعظم القصر، كما قيل: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب:١٩] ولم يقل: كعيون الذى يغشى عليهم، لأن المراد فى التشبيه الفعل لا العين». وانظر اللسان (٦/ ٤١٢).

(١) البيت للأعشى، كما فى ديوانه ص٢١٩، واللسان (٦/ ١٣٠)، والخزانة (٢/ ٤٦٤)، وهو غير منسوب فى المخصص (٢/ ١٠٥).

في سورة الأنعام

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[1] [الأنعام: ٣٣].

يريد: أنهم كانوا لا يَنْسبُونَك إلى الكذب ولا يعرفونك به، فلما جِئْتَهُمْ بآيات الله جَحَدُوها، وهم يعلمون أنك صادق.

والجَحْدُ يكون ممن علم الشيء فأنكره، يقول الله عز وجل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[2] [النمل: ١٤].

* * *

(١) انظر تفسير الطبري (٧/ ١١٥، ١١٦).

(٢) في تفسير الطبري (١٩/ ٨٦، ٨٧): «وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ يقول: وكذبوا: [أي فرعون وقومه] بالآيات التسع أن تكون من عند الله... وقوله: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ يقول: وأيقنتها قلوبهم، وعلموا يقينًا أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبينهم الحق ومعرفتهم به... وقوله: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ يعني بالظلم: الاعتداء، والعلو: الكبر، كأنه قيل: اعتداء وتكبرًا».

فى سورة النساء

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾[1] [النساء: ٨، ٩].

فيه قولان:

أحدهما: أن تكون القسمة: الوصية. يقول: إذا حضرها أقرباؤكم الذين لا يرثونكم، والمساكين، واليتامى ـ فاجعلوا لهم فيها حظًّا، وألينوا لهم القول. وليخش من حضر الوصية، وهو لو كان له ولد صِغار خاف عليهم بعده الضَّيْعَة ـ أن يأمر الموصى بالإسراف فيما يعطيه اليتامى والمساكين وأقاربه الذين لا يرثون فيكون قد أمرَه بما لم يكن يفعله لو كان هو الميت. وهو معنى قول سعيد بن جُبَيْر وقَتَادَة.

قال قتادة: إذا حضرتَ وصية ميت فمُرْه بما كنت آمرًا به نفسك، وخَفْ على ورثته ما كنت خائفًا على ضَعَفَةِ أولادك لو تركتهم بعدك[2].

والقول الآخر: أن تكون القسمة: قسمة الورثة الميراث بعد وفاة الرجل. يقول: فإذا حضرها الأقارب واليتامى والمساكين فارْضَخُوا[3] لهم وعِدُوهم. ثم استأنف معنى آخر فقال: وليخش من لو ترك ولدًا صغارًا خاف عليهم الضَّيْعَة، فليُحْسن إلى من كَفَلَه من اليتامى، وليفعل بهم ما يحب أن يُفعل بولده من بعده. وهو معنى قول ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه.

* * *

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٤/ ١٧٦ ـ ١٨٤).

(٢) راجع قول قتادة فى الطبرى (٤/ ١٨٢).

(٣) فى اللسان (٣/ ٤٩٦): «الرضخ: العطية القليلة».

في سورة البقرة

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾[(١)] [البقرة: ٢٦٦].

هذا مثل ضربه الله، تبارك وتعالى، للمنافقين والمُرائين بأعمالهم لا يريدونه بشىء منها.

يقول: يَرِدُون يوم القيامة على أعمال قد مَحَقَهَا الله وأبطلها، ووَكَلَهم فى ثوابها إلى مَنْ عَمِلوا له، أحوجَ ما كانوا إلى أعمالهم، فمثَلهم كمثل رجل كانت له جنَّة فيها من كل الثمرات، وأصابه الكِبَرُ فضَعُفَ عن الكسب، وله أطفال لا يُجْدُون عليه ولا ينفعونه، فأصابها إِعْصَارٌ فيه نار فاحترقت، فَفَقَدَها أَحْوَجَ ما كان إليها، عند كبر السن، وضعف الحِيلة، وكثرة العيال، وطُفُولة الولَد. وهو معنى قول ابن عباس وغيره.

وقد ضرب الله لهم قبل هذا مثلاً فيه هذا المعنى بعينه، فقال: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾[(٢)] [البقرة: ٢٦٤].

يريد سبحانه: أنه مَحَقَ كَسْبَهُم، فلم يقدروا عليه حين حاجتهم إليه، كما أذهب المطر التراب عن الصَّفا، ولم يوافق فى الصَّفا مَنْبِتًا.

ثم ضرب مثلاً للمخلصين، فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أى: تحقيقًا من أنفسهم، فقال: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ وأحسن ما تكون الجِنان والرِّياض على الرُّبا ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وهو أشدُّ المطر، فأضْعَفَتْ فى

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٣/ ٤٩ ـ ٥٣).

(٢) انظر تفسير الطبرى (٣/ ٤٣ ـ ٤٦).

الحمل، ثم قال: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[١] [البقرة:٢٦٥] أى: أصابها طَلٌّ، وهو أضعف المطر. فتلك حالها فى النَّزَل[٢] وتضاعف الثمر، لا ينقص بالطَّلِّ عن مقدارها بالوابل.

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (٣/ ٤٦ ـ ٤٩). وفى ص٤٨: «الربوة من الأرض: ما نشَزَ منها فارتفع عن السيل... وإنما سميت الربوة لأنها ربت فغلظت وعلت، من قول القائل: ربا هذا الشيء يربو؛ إذا انتفخ فعظم... وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه لأن ما ارتفع عن المسايل والأودية أغلظ، وجنان ما غلظ من الأرض أحسن وأزكى ثمرًا وغرسًا وزرعًا مما رقَّ منها، ولذلك قال أعشى بنى ثعلبة فى وصف روضة:

ما روضةٌ مِنْ رياض الحَزْن مُعْشِبةٌ خَضْراءُ جـاد عليهـا مُسْبِلٌ هَطِلُ

فوصفها بأنها من رياض الحزن؛ لأن الحزون غرسها ونباتها أحسن وأقوى من غروس الأودية والتلال وزروعها».

(٢) فى اللسان (١٤/ ١٨٢): «النُّزْل والنَّزَل ـ بالتحريك ـ رَيْعُ ما يُزْرَع، أى زكاؤه وبركته، والجمع أنزال... وأرض نَزِلة: زاكية الزرع والكلأ».

فى سورة الرعد

﴿أَنزلَ منَ السَّماء ماءً فَسَالَتْ أَوْديَةٌ بقَدرِها فاحْتَملَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابيًا ومِمَّا يُوقدُون عَلَيْه فِي النَّارِ ابْتغاءَ حلْيَة أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا ينفعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾[1] [الرعد: ١٧].

هذا مَثل ضربَه اللهُ للحق والباطل. يقول: الباطل وإن ظهر على الحق فى بعض الأحوال وعلاه فإن الله سَيَمْحَقُه ويُبطله، ويجعل العاقبة للحق وأهله، ومثلُ ذلك مَطَرٍ جَوْد، أسال الأودية بِقَدَرِها: الكبير على قدره، والصغير على قدره.

﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِيًا﴾ أى: عاليًا على الماء كما يعلو الباطل تارةً على الحق، ومن جواهر الأرض التى تُدْخَلُ الكيرَ ويُوقَدُ عليها؛ يعنى الذهب والفضة للحِلْية، والشَّبَه[2] والحديد للآلة، حيث يعلوها مثل زبد الماء.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أى: يلقيه الماء عنه فيتعلَّق بأصول الشّجر وبجنَبات الوادى، وكذلك خَبَث الفلزّ يَقْذِفُه الكير. فهذا مَثَل الباطل.

﴿وأَمَّا مَا﴾ الماء الذى ﴿يَنفَعُ النَّاسَ﴾ ويُنْبِتُ المرعى ﴿فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ وكذلك الصَّفْوُ من الفِلزّ يبقى خالصًا لا شَوْبَ فيه. فهو مَثَلُ الحق.

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (١٣/ ٩٠ ـ ٩٣).

(٢) الشبه: النحاس الأصفر.

فى سورة النور

قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1] [النور: ٣٥ ـ ٤٠].

هذا مَثَل ضربه الله لقلب المؤمن، وما أودعه بالإيمان والقرآن من نوره فيه. فبدأ فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أى: بنوره يهتدى مَنْ فى السموات والأرض.

ثم قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ يعنى فى قلب المؤمن. كذلك قال المُفسِّرون.

وكان أُبَىٌّ يقرأ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِنِ﴾، رَوَى ذلك عُبَيدُ الله ابن موسى، عن أبى جعفر الرّازى، عن الربيع بن أنَس، عن أبى العَالية[2].

﴿كَمِشْكَاةٍ﴾، وهى: الكُوَّةُ غير النافذة.

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أى سراج ﴿الْمِصْبَاحُ﴾ فى قنديل، القنديل كأنه من شدة بياضه وتَلألُئِه كوكب دُرِّىٌّ، يَتَوقَّدُ ذلك المصباح بزيت من شجرة ﴿لاَّ شَرْقِيَّةٍ﴾ أى لا بارزة

(١) انظر تفسير الطبرى (١٨/ ١٠٤ ـ ١١٧).

(٢) تفسير الطبرى (١٨/ ١٠٥)، والبحر المحيط (٦/ ٤٥٥).

للشمس كلّ النهار ﴿وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا مُستترة فى الظل كلّ النهار، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس فى بعض النهار، والظلُّ فى بعض النهار، وإذا كان كذلك فهو أنْضَرُ لها، وأجود لحملها، وأكثر لِنُزْلِهَا[1]، وأصفى لدُهنها.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ﴾ يُسْرَج به من شدة صفائه. وتم الكلام، ثم ابتدأ فقال: ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعنى نُورَ المصباح على نور الزّجاجة والدُّهْن ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾.

ثم قال: هذا المصباح ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يعنى المساجد. وذكر أهلها فقال: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾، يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أَمْرَهُ يقينًا فَتَتَقَلَّبُ عما كانت عليه من الشك والكفر، وأن الأبصار يومئذ ترى ما كانت مُغطَّاة عنه فتتقلّب عمَّا كانت عليه. ونحوه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

ثم ضرب مثلاً للكافرين فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ أى كالسراب يحسبه العطشان من البُعْد ماءً يرويه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾.

كذلك الكافر يحسب ما قدّم من عمله نَافِعَهُ، حتى إذا جاءَهُ، أى مات، لم يجد عمله شيئًا؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد أبطله بالكفر ومَحَقَه ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ أى عند عمله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾.

ثم ضرب مثلاً آخر فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ يريد: أنه فى حيرة من كُفْرِه كهذه الظلمات.

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ فى قلبه ﴿فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾.

* * *

(١) انظر ص٣١٩، الهامش رقم (٢).

فى سورة سبأ

﴿ولَوْ تَرَىٰ إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾[١] [سبأ: ٥١ ـ ٥٤].

كان الحسن ـ رضى الله عنه ـ يجعل الفزع يوم القيامة إذا بعثوا من القبور[٢]. يقول: ولو ترى يا محمد فزعهم حين لا فَوْتَ، أى لا مهربَ ولا ملجأ يَفُوتُون به، ويلجئون إليه. وهذا نحو قوله: ﴿فَنَادَواْ وَّلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣] أى نادَوْا حين لا مهرب.

﴿وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعنى القبور[٣].

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ أى بمحمد صلى الله عليه.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾ والتناوش: التَّناول، أى كيف لهم بنيل ما يطلبون من الإيمان فى هذا الوقت الذى لا يُقَال فيه كافرٌ ولا تقبل توبته؟

وقوله: ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يريد بُعْدَ ما بين مكانهم يوم القيامة وبين المكان الذى تُتقبَّل فيه الأعمال.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ أى بمحمد صلى الله عليه، يقول: كيف ينفعهم الإيمان به فى الآخرة وقد كفروا به فى الدنيا؟

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٢/ ٧٢ ـ ٧٦).

(٢) الطبرى (٢٢/ ٧٣).

(٣) هذا على تفسير الحسن، وذهب غيره إلى أن الله عنى بهذه الآية المشركين الذين وصفهم بقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ [سبأ: ٤٣] وقالوا: وعنى بقوله: ﴿إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ عند نزول نقمة الله بهم فى الدنيا، وهو الرأى الذى ارتضاه الطبرى فى ص٧٣، وأنا إلى رأى الحسن أميل.

و﴿ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ أى بالظنّ أن التوبة تنفعهم.

﴿ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أى بعيد من موضع تَقَبُّلِ التوبة.

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ من الإيمان ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم ﴾ أى بأشباههم من الأمم الخالية.

وكان غير الحسن يجعل الفزع عند نُزُولِ بَأْسِ الله من الموت أو غيره، ويعتبره بقوله فى موضع آخر: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] [غافر: ٨٤، ٨٥].

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٤/٥٨).

فى سورة النور

﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾[١] [النور: ٦١].

كان المسلمون فى صدر الإسلام حين أُمروا بالنصيحة ونُهوا عن الخيانة وأُنزل عليهم: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨] أى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق ـ أَدَقُّوا النظر وأفرَطوا فى التوقِّى، وتَرَكَ بعضُهم مُؤاكَلَة بعض:

فكان الأعمى لا يؤاكل الناس؛ لأنه لا يبصر الطعام فيخاف أن يَستأثِر، ولا يؤاكله الناس يخافون لضرره أن يقصر.

وكان الأعرج يَتَوَقَّى ذلك؛ لأنه يحتاج لِزَمَانَتِهِ إلى أن يتفسَّح فى مجلسه، ويأخذ أكثر من موضعه، ويخاف الناس أن يسبقوه لضعفه.

وكان المريض يخاف أن يفسد على الناس طعامهم بأمور قد تَعتَرِى مع المرض: من رائحة تتغيَّر، أو جرح يَبِضُّ[٢]، أو أنف يَذِنُّ[٣]، أو بول يَسْلَس[٤]؛ وأشباه ذلك. فأنزل الله تبارك وتعالى: ليس على هؤلاء جناح فى مؤاكلة الناس، وهو معنى قول ابن عباس فى رواية أبى صالح.

وأما عائشة رضى الله عنها فإنها قالت: كان المسلمون يُوعِبُون[٥] مع رسول الله

---

(١) انظر تفسير الطبرى (١٨/ ١٢٨ ـ ١٣٣).

(٢) يبض: يسيل.

(٣) فى اللسان (٧/ ٣٢): «ذَنَّ أنفه يَذِنُّ: إذا سال. والذَّنين والذُّنان: المخاط الرقيق الذى يسيل من الأنف».

(٤) فى اللسان (٧/ ٤١١): «وسَلِسَ بول الرجل: إذا لم يتهيأ له أن يمسكه».

(٥) فى اللسان (٢٠/ ٣٠٠): «وأوعب القوم: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو، وفى حديث عائشة: كان المسلمون يُوعبون فى النفير مع رسول الله ﷺ؛ أى يخرجون بأجمعهم فى الغزو».

صلى الله عليه في المَغازى، ويدفعون مفاتيحهم إلى الضَّمْنَى، وهم الزَّمْنى، ويقولون لهم: قد أحلَلْنا لكم أن تأكلوا مما فى منازلنا. فكانوا يتوقَّوْن أن يأكلوا من منازلهم حتى نزلت هذه الآية.

وإلى هذا يذهب قوم، منهم الزُّهْرِى[1].

ثم قال الله عز وجل: ﴿وَلا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أراد: ولا عليكم أنفسكم أن تأكلوا من أموال عيالكم وأزْوَاجِكم.

وقال بعضهم: أراد: أن تأكلوا من بيوت أولادكم، فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن الأولاد كَسْبُهم، وأموالهم كأموالهم. يدلك على هذا أن الناس لا يَتَوَقَّوْن أن يأكلوا من بيوتهم، وأن الله سبحانه عدَّد القرابات وهم أبعد نسبًا من الولد، ولم يذكر الولد.

وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[2] [المسد:١، ٢]: أراد: ما أغنى عنه ماله وولده، فجعل الولد كَسْبًا.

ثم قال: ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ﴾ يريد إخوتكم ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ﴾ يعنى العبيد؛ لأن السيد يملك منزل عبده. هذا على تأويل ابن عباس. وقَال غيره: أو ما خزنتموه لغيركم. يريد الزَّمْنَى الذين كانوا يخزنون للغزاة ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ من منازل هؤلاء إذا دخلتموها، وإن لم يحضروا ولم يعلموا، من غير أن تتزوَّدوا وتحملوا، ولا جُناح عليكم أن تأكلوا جميعًا أو فُرادَى، وإن اختلفتم؛ فكان فيكم الزَّهِيد،

---

(١) فى تفسير الطبرى (١٧/١٢٩): «عن معمر قال: قلت للزهرى فى قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾: ما بال الأعمى ذكر هنا والأعرج والمريض؟ فقال: أخبرنى عبيد الله بن عبد الله أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلّفوا زمناهم، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم، يقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا. وكانوا يتحرجون من ذلك، يقولون: لا ندخلها وهم غُيَّب. فأُنزلت هذه الآية رخصة لهم».

(٢) انظر تفسير الطبرى (٣٠/٢١٨).

والرَّغِيب[١]، والصحيح، والعليل.

وهذا من رخصته للقَرَابات وذوى الأوَاصِرِ، كرخصته فى الغرباء والأباعد لمن دخل حائطًا وهو جائع: أن يُصِيبَ من ثمره، أو مرَّ فى سفر بغنم وهو عطشان: أن يشرب من رِسْلِها[٢]، وكما أوجَبَ للمسافر على مَنْ مَرَّ به الضيافَة؛ تَوْسِعَةً منه ولطفًا بعباده، ورغبةً بهم عن دناءة الأخلاق، وضيق النظر.

* * *

(١) فى اللسان (٤/ ١٨٠) عن الأزهرى: «رجل زهيد العين: إذا كان يُقنعه القليل، ورغيب العين: إذا كان لا يُقنعه إلا الكثير».

(٢) الرِّسْل: اللبن، كما فى اللسان (٣/ ٣٠٣).

فى سورة الأنعام

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] [الأنعام: ٧٦ ـ ٧٩].

كان العصر الذى بَعَثَ الله عز وجل فيه إبراهيم صلى الله عليه عصر نُجُوم وكَهَانة، وإنما أمَر «نُمْرُوذ» بقتلِ الوِلدان فى السَّنَة التى ولد فيها إبراهيم صلى الله عليه؛ لأن المنجِّمين والكهَّان قالوا: إنه يولد فى تلك السنة من يدعو إلى غير دينه، ويَرْغَبُ عن سُنَّته[2].

وكان القوم يُعظِّمون النجومَ، ويقضُون بها على غائب الأمور، ولذلك نظر إبراهيم نظرةً فى النجوم فقال: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩].

وكان القوم يريدون الخروج إلى مَجْمَع لهم، فأرادوه على أن يَغْدُوَ معهم، وأراد كَيْدَ أصنامهم خِلاف مَخْرجهم؛ فنظر نظرة فى النجوم، يريد علم النجوم، أى فى مقياس من مقاييسها، أو سبب من أسبابها، ولم ينظر إلى النجوم أنفسها. يدلك على ذلك قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ﴾ [الصافات: ٨٨] ولم يقل: إلى النجوم. وهذا كما يقال: فلان ينظر فى النجوم، إذا كان يعرف حسابها، وفلان ينظر فى الفقه والحساب والنحو وإنما أراد بالنظر فيها: أن يوهمهم أنه يعلم منها ما يعلمون، ويتعرف فى الأمور من حيث يتعرفون؛ وذلك أبلغ فى المِحَال وألطف فى المَكِيدَة ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾[3] [الصافات: ٨٩] أى سَأَسْقَمُ فلا أقدر على الغُدُوِّ معكم. هذا الذى أوهمهم

(١) انظر تفسير الطبرى (٧/ ١٦٢ ـ ١٦٥).

(٢) راجع تفصيل ذلك فى الطبرى (٧/ ١٦٣).

(٣) انظر تفسير الطبرى (٢٣/ ٤٥).

بمعاريض الكلام، ونيَّته أنه سَقيم غدًا لا محالة؛ لأن من كانت غايته الموت ومصيره إلى الفناء فَسَيَسْقَم. ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ولم يكن النبى ﷺ ميِّتًا فى ذلك الوقت، وإنما أراد: إنك ستموت وسيموتون.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ﴾ الزُّهَرَة ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ يريد: أن يستدرجهم بهذا القول، ويُعَرِّفَهم خطأهم، وجهلهم فى تعظيمهم شأن النجوم، وقضائهم على الأمور بدلالتها، فأراهم أنه مُعَظِّمٌ ما عظَّموا، ومُلتمس الهدى من حيث التمسوا. وكلُّ من تَابَعَك على هواك وشايعك على أمرك كُنتَ به أوثقَ، وإليه أسكَنَ وأَرْكَنَ. فأنسوا واطمأنُّوا.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ أراهم النقص الداخِل على النجم بالأُفُول؛ لأنه ليس ينبغى لإلهٍ أن يزول ولا أن يغيب، فـ ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ واعتبر مثل ذلك فى الشمس والقمر، حتى تَبين للقوم ما أراد، من غير جهة العنادِ والمبادأة بالتَّنقص والعيب.

ثم قال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ﴾ وما فيها من نجم وقمر وشمس ﴿وَالْأَرْضَ﴾ وما فيها من بحر وجبل وحجر وصنم، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

ومثل هذا: الحَوارىُّ حين ورد على قوم يعبدون «بُدًّا»[1] لهم فأظهر تعظيمه وتَرْفيلَه[2]، وأراهم الاجتهاد فى دينهم؛ فأكرموه وفضَّلوه وائتمنوه، وصدَروا فى كثير من الأمور عن رأيه. إلى أن دَهَمَهم عدوٌّ لهم خافه الملكُ على مملكته، فشاور الحَوارِىَّ فى أمره، فقال: الرأى أن ندعو إلهنا ـ يعنى البُدَّ ـ حتى يكشف ما قد أظلَّنا؛ فإنا لمثل هذا اليوم كُنَّا نُرشِّحه. فاستَكَفُّوا[3] حوله يتضرَّعون إليه ويَجْأَرُون، وأمْرُ

(١) فى اللسان (٤/ ٤٨): «البُدُّ: الصنم الذى يعبد، لا أصل له فى اللغة. فارسى معرب، والجمع: البددة» بفتح الباء والدال.

(٢) فى اللسان (١٣/ ٣١١): «الترفيل: التسويد والتعظيم، ورفَّلتُ الرجل: إذا عظَّمتَه وملَّكتَه، قال ذو الرمة:

إذا نحن رفَّلنا امرأ ساد قومَـــه ... وإنْ لم يكن مِنْ قَبلِ ذلك يُذْكَرُ»

(٣) فى اللسان (١١/ ٢١٣): «وقال الفراء: استكفَّ القوم حول الشىء: أى أحاطوا به ينظرون إليه».

عدوِّهم يستفحل، وشَوْكتُهُ تشتد يومًا بعد يوم. فلما تبين لهم من هذه الجهة أن «بُدَّهم» لا ينفع ولا يدفع، ولا يبصر ولا يسمع، قال: ههنا إله آخر، أَدْعوه فيَستَجيب، وأستَجيرُه فيُجير، فهلمُّوا فلْنَدْعُهُ. فَدَعَوُا الله جميعًا فصرف عنهم ما كانوا يُحاذرون، وأسلموا.

ومن الناس من يذهب إلى أن إبراهيم صلى الله عليه كان فى تلك الحال على ضلال وحَيرة.

وكيف يُتَوَهَّمُ ذلك على من عصمه الله وطَهَّرَه فى مُسْتَقرِّه ومُسْتَوْدَعِه؟ والله سبحانه يقول: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤] أى: لم يشرك به قطّ، كذلك قال المفسرون، أو من قال منهم[(١)].

ويقول فى صدر الآية: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، ثم قال على أثر ذلك: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾.

فَرُوِىَ: أنه رأى فى الملكوت عبدًا على فاحشة فدعا الله عليه، ثم رأى آخر على فاحشة فدعا الله عليه، فقال له الله: «يا إبراهيم اكْفُفْ دعوتك عن عبادى؛ فإن عبدى بين خلالٍ ثلاث: إما أن أُخرج منه ذرِّية طيّبة، أو يتوب فأغفر له، أو النار من ورائه»[(٢)].

أَفَتُرَى الله أراه الملكوت ليوقن، فلما أيقن رأى كوكبًا فقال: هذا ربى؛ على الحقيقة والاعتقاد؟!

* * *

(١) راجع تفسير الطبرى (٢٣/ ٤٤).

(٢) راجع رواية الطبرى عن عطاء فى هذا المعنى (١١/ ٤٧٣ ـ طبعة شاكر).

فى سورة الأنعام

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١] [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤].

أراد: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] وأنشأ لكم ﴿مِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ يعنى: كبارًا وصغارًا ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنعام: ١٤٢] أى: لا تَقْفُوا أَثَرَه فيما يُحرِّم عليكم مما لم يُحرِّمه اللهُ، ويحلُّه لكم مما حرَّمه الله عليكم.

ثم قال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أى: كلوا مما رزقكم الله ثمانية أزواج. وإنْ شئتَ جعلتَه منصوبًا بالرَّدِّ إلى الحَمُولَةِ والفَرْشِ تَبْيينًا لها[٢].

والثمانية الأزواج: الضأن، والمعز، والإبل، والبقر.

وإنما جعلها ثمانية وهى أربعة؛ لأنه أراد: ذكرًا وأنثى من كل صنف، فالذكر زَوْجٌ، والأنثى زوج، والزوج يقع على الواحد والاثنين[٣]. ألا ترى أنك تقول

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٨/ ٤٨ ـ ٥١).

(٢) فى تفسير الطبرى (٨/ ٤٨): «وإنما نصب الثمانية لأنها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها، كأن معنى الكلام: ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج، فلما قدم قبل الثمانية الحمولة والفرش بيَّن ذلك بعدُ فقال: ثمانية أزواج، على ذلك المعنى...».

(٣) قال أبو بكر: محمد بن القاسم الأنبارى، فى كتاب الأضداد ص٣٢٧: «وقال قُطْرب: الزوج من الأضداد، يقال: زوج للاثنين، وزوج للواحد. وهذا عندى خطأ، لا يعرف الزوج فى كلام العرب لاثنين، إنما يقال للاثنين: زوجان، بهذا نزل كتاب الله، وعليه أشعار العرب: قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥] أراد بالزوجين: الفردين، إذ ترجم عنهما بذكر وأنثى. وقال عز ذكره: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] الآية فكأن المعنى: ثمانية أفراد، أنشأ من الضأن اثنين، وكذلك ما بعدهما، فالأزواج معناها: الأفراد لا غير، والعرب تفرد =

للرجل: زوج، وهو واحد، وللمرأة: زوج، وهى واحدة؟ قال الله تعالى: ﴿وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥].

وكانوا يقولون: ما فى بطون الأنعام حلال لذكورنا ونسائنا، إن كان الجنين ذكرًا، ومُحَرَّمٌ على إناثنا إن كان أُنثى. ويُحرِّمون على الرجال والنساء الوَصيلَةَ وأخاها، ويزعمون أن الله حرَّم ذلك عليهم. فقال الله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾[1] [المائدة: ١٠٣].

وقال يُقايِسهم فى تحريم ما حرَّموا: ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾، فإن كان التحريم من جهة الذكرين: فكل ذكر حرام عليكم،

= الزوج فى باب الحيوان فيقولون: الرجل زوج المرأة والمرأة زوج الرجل... ويقال للأبيض والأسود: زوجان، وللحلو والحامض: زوجان، ولا يقال لأحدهما زوج. فمن ادعى أن الزوج يقع على الاثنين فقد خالف كتاب الله وجميع كلام العرب؛ إذ لم يوجد فيهما شاهد له، ولا دليل على صحته وتأويله». وانظر اللسان (٣/ ١١٥).

وقال الطبرى فى تفسيره (٨/ ٤٨): «ويقال للاثنين: هما زوج، كما قال لبيد:

مِنْ كلِّ مَحفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عليــه كِلَّةٌ وقِرامُهــا»

وانظر معنى البيت فى شرح القصائد العشر ص١٣١.

(١) قد جاء فى تفسير الطبرى (٧/ ٥٦، ٥٧): «والبحيرة: الفعيلة، من قول القائل: بَحَرْتُ أذن هذه الناقة: إذا شقَّها، أبحرها بحرًا، والناقة مبحورة، ثم تصرف المفعولة إلى فعيلة، فيقال: هى بحيرة... عن أبى الأحوص عن أبيه قال: دخلت على النبى ﷺ، فقال له النبى ﷺ: «أرأيت إبلك ألست تُنتجها مسلمة آذانها، فتأخذ الموسى فتجدعها، تقول: هذه بحيرة وتشق آذانها، تقول: هذه صُرُمٌ؟» قال: نعم، قال: «فإن ساعد الله أشد، وموسى الله أحدّ، كل مالك لك حلال لا يحرم عليك منه شىء»...

وأما السائبة: فإنها المسيَّبة المخلاة، وكانت الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه، فيحرم الانتفاع به على نفسه، كما كان بعض أهل الإسلام يعتق عبده سائبة فلا ينتفع به ولا بولائه. وأُخرجت المسيبة بلفظ السائبة، كما قيل: عيشة راضية، بمعنى مرضية.

وأما الوصيلة: فإن الأنثى من نعمهم فى الجاهلية كانت إذا أتأمت بطنًا بذكر وأنثى قيل: قد وصلت الأنثى أخاها بدفعها عنه الذبح، فسموها وصيلة.

وأما الحامى: فإنه الفحل من النعم، يحمى ظهره من الركوب والانتفاع بسبب تتابع أولاد تحدث من فحلته.

وقد اختلف أهل التأويل فى صفات المسميات بهذه الأسماء، وما السبب الذى من أجله كانت تفعل ذلك...».

وإن كان التحريم من جهة الأُنْثَيَيْنِ: فكل أنثى حرامٌ عليكم؛ ﴿أَمْ﴾ حرَّم عليكم ﴿مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ﴾ من الأَجِنَّة؟

فإن كان التحريم من جهة الاشتمال، فالأرحام تشتمل على الذكور، وتشتمل على الإناث، وتشتمل على الذكور والإناث، فكل جنين حرام. ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ أى حين أمر الله بهذا فتكونون على يقين؟ أم تَفْتَرُونه عليه وتختلقونه؟ توبيخ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] [الأنعام: ١٤٤].

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (٨/ ٥٠، ٥١).

فى سورة التين

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[1] [التين: ٤ ـ ٨].

يريد: عدَّلنا خلقه، وقوَّمناه أحسن تعديل وتقويم.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ والسَّافلون: هم الضعفاء والزَّمْنَى والأطفال، ومن لا يستطيع حيلة، ولا يجد سبيلاً. وتقول: سَفَلَ يَسْفُلُ فهو سافِل، وهم سافِلون. كما تقول: عَلا يَعْلو فهو عالٍ وهم عالُون.

وهو مثل قوله سبحانه: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠، والحج: ٥]، وأراد: أنّ الهَرَم يَخْرَفُ ويُهْتَرُ وينقص خَلْقُه، ويضعف بصره وسمعه، وتقلُّ حيلته، ويعجز عن عمل الصالحات؛ فيكونُ أسفلَ من هؤلاء جميعًا.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فى وقت القُوَّة والقدرة، فإنَّهم فى حال الكِبَر غيرُ منقوصين[2]؛ لأنّا نعلم أنا لو لم نسلبهم القدرة والقُوَّة لم يكونوا ينقطعون عن عمل الصالحات، فنحن نُجْرِى لهم أجْرَ ذلك ولا نَمُنُّهُ، أى لا نقطعه ولا ننقصه. وهو معنى قول المفسرين.

ومثله قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ والخسر: النقصان ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٢، ٣] فإنهم غير منقوصين.

ونحوه قولُ رسول الله صلى الله عليه: «يقول الله للكرام الكاتبين: إذا مرض

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٣٠/ ١٥٥ ـ ١٦١).

(٢) نقله منسوبًا ابن الجوزى فى زاد المسير (٩/ ١٧٣).

عبدى فاكتبوا له ما كان يعمل فى صحته، حتى أُعَافِيَهُ أو أَقْبِضَهُ»[١].

ثم قال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الإنسان ﴿بِالدِّينِ﴾ أى: بِمُجَازَاتِى إيَّاك بعملك وأنا أحْكَمُ الحاكمين؟

* * *

(١) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف، فى كتاب الجنائز، عن سفيان بن عيينة، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، يبلغ به النبى ﷺ.

فى سورة والشمس وضحاها

قوله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[1] [الشمس: ٧ ـ ١٠].

أقسم بالنفس وخلقه لها ثم قال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أى: فَهَّمها أعمال البر وأعمال الفجور، حتى عرَف ذلك الجاهلُ والعاقلُ، ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ يريد أفلح من زكى نفسه، أى: أنماها وأعلاها بالطاعة والبرّ والصّدقة واصطناع المعروف.

وأصل التزكية: الزِّيادة، ومنه يقال: زكا الزرع يَزْكو: إذا كثر رَيْعُهُ، وزَكَتِ النَّفقة: إذا بُورك فيها، ومنه زكاة الرّجل عن ماله؛ لأنها تُثَمِّرُ مالَه وتُنَمِّيه. وتَزْكِيَة القاضى للشّاهد منه؛ لأنه يرفعه بالتَّعْديل والذّكر الجميل.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ أى: نَقصها وأخْفَاها بترك عَمل البرِّ، وبركوب المعاصى[2]. والفاجرُ أبدًا خَفِىُّ المكان، زَمِرُ المُرُوءَة، غامض الشَّخْص، ناكسُ الرأس.

ودَسَّاها: من دَسَّسَت، فَقُلِبَتْ إحدى السِّينات ياءً، كما يقال: لَبَّيتُ، والأصل لَبَّبتُ[3]، و: قصَّيْتُ أظفارى، وأصله قَصَصْتُ. ومثله كثير.

فكأنّ النَّطِفَ[4] بارتكاب الفواحش دَسَّ نفسه وقَمَعَها، ومُصْطَنِع المعروفِ شَهَر نفسه ورفعها.

وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبا وأَيْفَاعَ[5] الأرض؛ لتَشْهَر أماكنَها للمُعْتَفِين، وتُوقِد

(١) انظر تفسير الطبرى (٣٠/ ١٣٤ ـ ١٣٦).

(٢) قال الطبرى (٣٠/١٣٥): «يقول تعالى ذكره: وقد خاب فى طلبته فلم يدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصلاح ﴿مَن دَسَّاهَا﴾ يعنى من دسس الله نفسه، فأخملها ووضع منها بخذلانه إياها من الهدى، حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله».

(٣) راجع اللسان (٢/ ٢٢٦). وقد نقل ذلك منسوبًا فى زاد المسير (٩/ ١٤١، ١٤٢).

(٤) النطف: المتهم، كما فى اللسان (١١/ ٢٤٨).

(٥) اليَفاع: المشرف من الأرض.

النِّيران فى الليل للطّارقين.

وكانت اللئام تنزل الأوْلاج[١] والأطراف والأهْضام[٢]: لتُخفى أماكنها على الطّالبين.

فأولئك أعلَوْا أنفسهم وزكّوها، وهؤلاء أخْفَوْا أنفسهم ودسوها، قال الشاعر:

وبَوَّأتَ بَيْتَكَ فى مَعْلَمِ ... رَحِيبِ الْمَبَاءَةِ والمَسْرَحِ[٣]
كَفَيْتَ العُفَاةَ طِلابَ القِرَى ... ونَبْحَ الكِلابِ لِمُسْتَنْبِحِ
تَرَى دَعْسَ آثَارِ تِلْكَ المَطِيِّ ... أخَادِيدَ كاللَّقَمِ الأفْيَحِ[٤]
ولو كنتَ فى نَفَقٍ زَائِغٍ ... لَكُنْتَ عَلَى الشَّرَكِ الأوْضَحِ[٥]

ومثل هذا كثير.

* * *

(١) الأولاج: جمع وَلَجَة - بالتحريك - وهى موضع أو كهف يستتر فيه المارَّة من مطر أو غيره، كما فى اللسان (٣/ ٢٢٣).

(٢) فى اللسان (١٦/ ٩٨): «الهَضْم: ما تطامن من الأرض، وجمعه أهضام».

(٣) الأبيات فى الحيوان (١/ ٣٨١، ٣٨٢، ٥/ ١٣٤، ١٣٥). والبيت الأول غير منسوب فى كتاب المعانى الكبير ص٤٠٩. وفى التاج (١/ ٤٧): «وقرأت فى مشكل القرآن لابن قتيبة» وأنشد البيت الأول والثانى.

(٤) فى اللسان (٧/ ٣٨٧): «دَعَسَت الإبل الطريق تَدْعَسُه دَعْسًا: وطئته وطئًا شديدًا. والدعس: الأثر، وقيل: هو الأثر البيِّن». وفيه (٤/ ١٣٩): «الأخاديد: شرك الطريق، وكذلك أخاديد السياط فى الظهر: ما شقت منه». وفى (١٦/ ٢٠): «واللقم - بالتحريك - وسط الطريق. والأفيح: الواسع».

(٥) زائغ: مائل، والشرك: الطريق الواسع.

فى لا أقسم بيوم القيامة

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝ بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾[١] [القيامة: ٣ ـ ٥].

هذا ردٌّ من الله عليهم، وذلك أنهم ظنوا أن الله لا ينشرُ الموتى، ولا يَقْدِرُ على جَمْعِ العِظام البالية، فقال: بلى، فاعلموا أنّا نقدر على رد السُّلامَيَات[٢] على صغرها، ونؤلِّف بينها حتى يَسْتوىَ البَنان. ومَنْ قدَر على هذا فهو على جمع العظام أقْدَرُ[٣].

ومثلُ هذا رجل قلت له: أتُرَاكَ تَقْدِر على أن تُؤلِّف هذا الحَنْظَلَ فى خيط؟ فيقول لك: نعم وبَيْنَ الخَرْدَل.

وأما قوله سبحانه: ﴿ بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ فقد كثرت فيه التفاسير[٤]:

فقال سعيد بن جُبَيْر: يقول: سوف أتوب، سوف أتوب.

وقال الكلبى: يُكْثِرُ الذنوب، ويُؤخِّرُ التوبة.

وقال آخرون: يتمنَّى الخطيئةَ.

وفيه قول آخر على طريق الإمكان ـ إن كان الله تعالى أراده ـ وهو: أن يكون الفجور بمعنى التكذيب بيوم القيامة، ومن كذَّب بحق فقد فجر. وأصل الفجور: الميل، فقيل للكاذب والمكذِّب والفاسق: فاجرٌ؛ لأنه مال عن الحق.

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٩/ ١١٠ ـ ١١١). وزاد المسير (٨/ ٤١٨).

(٢) فى اللسان (١٥/ ١٩٠): «قال ابن الأعرابى: السلامى: عظام صغار على طول الإصبع أو قريب منها، فى كل يد ورجل أربع سلاميات أو ثلاث».

(٣) قال الطبرى: «يقول تعالى ذكره: أيظن ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها؟ بلى قادرين على أعظم من ذلك: أن نسوى بنانه، وهى أصابع يديه ورجليه فنجعلها شيئًا واحدًا كخف البعير، أو حافر الحمار، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرق أصابع يديه؛ يأخذ بها، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط، فحسن خلقه...». وتفسير ابن قتيبة أحب إلىّ.

(٤) راجع تفسير الطبرى (٢٩/ ١١١، ١١٢).

وقال بعض الأعراب لعمر بن الخطاب رحمه الله، وكان أتاه فشكا إليه نَقَبَ إبله ودَبَرَها، واستَحْمَله فلم يَحْمِلْه:

أَقْسَمَ بالله أبو حَفْصٍ عُمَرْ ... مَـا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ ولاَ دَبَرْ[1]

فاغفرْ له اللَّهُمَّ إن كان فَجَرْ

أى: كذب.

وهذا وجهٌ حسن؛ لأن الفجور اعتراض بين كلامين من أسباب يوم القيامة؛ أولهما: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾، والآخر: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة:٦]، فكأنه قال: أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه فى الآخرة؟ بلى نقدر على أن نجمع ما صغر منها ونؤلف بينه ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ أى: ليكذِّب بيوم القيامة وهو أمامه، فهو يسأل ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ أى: متى يكون؟

* * *

(١) فى اللسان (٢/ ٢٦٢، ٦/ ٣٥٤)، والصاحبى ص١٥٥: أراد بالنقَب ههنا: رقة الأخفاف. والدبر ـ بالتحريك ـ الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة. وقيل: هو أن يقرح خف البعير. وفجر: أى كذب ومال عن الصدق.

فى والصافات

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾(١) [الصافات: ٢٧، ٢٨].

يقول هذا المشركون يوم القيامة لقُرنائهم من الشياطين: إنكم كنتم تأتوننا عن أيماننا؛ لأن إبليس قال: ﴿لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] فشياطينهم تأتيهم من كل جهة من هذه الجهات بمعنًى من الكيد والإضلال.

وقال المفسرون: فمن أتاه الشيطان من جهة اليمين: أتاه من قِبَل الدِّين فَلَبَّسَ عليه الحق.

ومن أتاه من جهة الشمال: أتاه من قِبَل الشَّهوات.

ومن أتاه من بين يديه: أتاه من قبل التَّكذيب بيوم القيامة والثواب والعقاب.

ومن أتاه من خَلْفه: خوَّفه الفقر على نفسه وعلى من يُخَلِّف بعده، فلم يصل رحمًا، ولم يُؤَدِّ زكاةً.

فقال المشركون لقرنائهم: إنكم كنتم تأتوننا فى الدنيا من جهة الدِّين، فتشبِّهون علينا فيه حتى أضْللتمونا. فقال لهم قرناؤهم: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أى: لم تكونوا على حق فنُشَبِّهَه عليكم ونُزِيلكم عنه إلى باطل ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ أى: قدرة فنَقْهَركم ونجبرَكم ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ نحن وأنتم العذاب ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ [الصافات: ٢٩ ـ ٣٢] يعنى بالدعاء والوَسْوَسة.

ومثل هذا قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٣/ ٣٢، ٣٣).

فى سورة ص

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى الأَسْبَابِ ۝ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ﴾(١) [ص: ٩ ـ ١١].

أخبر الله سبحانه عن عنادهم وتكبّرهم وتمسكهم بآلهتهم فى أول السورة، فقال: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢]، وحكى قولهم: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦]، أى اذهبوا ودعوه وتمسكوا بآلهتكم، فقال الله عز وجل: أعندهم بآلهتهم هذه خزائن الرحمة؟! ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى الأَسْبَابِ﴾ أى: فى أبواب السماء، وأبواب السماء: أسبابها، قال الشاعر:

* ولَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّماءِ بِسُلَّمِ(٢) *

ويكون أيضًا ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِى الأَسْبَابِ﴾ أى: فى الحبال إلى السماء، كما سألوك أن تَرْقَى فى السماء وتأتيهم بكتاب. ويقال للرجل إذا تقدم فى العلم وغيره وبرع: قد ارتقى فى الأسباب، كما يقال: قد بلغ السماء.

ونحو هذا قوله فى موضع آخر: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾(٣) [الطور: ٣٨].

وهذا كله توبيخ، وتقرير بالعجز.

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٣/ ٨١ ـ ٨٣).

(٢) الشطر لزهير من معلقته، وصدره: «ومَنْ هاب أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ» كما فى ديوانه ص٣٠، وشرح القصائد العشر ص١٢٠، واللسان (١/ ٤٤١).

(٣) قال الطبرى فى تفسيره (٢٧/ ٢٠): «يقول: أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء يستمعون عليه الوحى، فيدَّعون أنهم سمعوا هنالك من الله: أن الذى هم عليه حق، فهم بذلك متمسكون بما هم عليه؟ وقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: فإن كانوا يدعون ذلك فليأت من يزعم أنه استمع ذلك فسمعه ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ يعنى بحجة تبين أنها حق، كما أتى محمد ﷺ بها على حقيقة قوله وصدقه فيما جاءهم به من عند الله. والسلم فى كلام العرب: السبب والمرقاة...».

ثم قال بعدُ: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ﴾.

وجُنْدٌ بمعنى: حزب لهذه الآلهة. و«ما» زائدة. ومهزوم: مَقْمُوع ذليل. وأصل الهَزْم: الكسر، ومنه قيل للنُّقْرَة في الأرض: هَزْمَةٌ، أي كَسْرَة، وهزَمْتُ الجيش: أي كَسَرْتُهم، وتهزَّمَت القِرْبَةُ: أي انكسرت[1].

يقول: هم حزب عند ذلك مَقْمُوعٌ ذليل من الأحزاب، أي عند هذه المحن، وعند هذا القول؛ لأنهم لا يقدرون أن يدَّعوا لآلهتهم شيئًا من هذا، ولا لأنفسهم.

والأحزاب: سائر من تقدَّمهم من الكفار، سُمُّوا أحزابًا لأنهم تحزَّبوا على أنبيائهم.

يقول الله سبحانه على إثر هذا الكلام: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾[2] [ص:١٢] وكذا وكذا.

ثم قال: ﴿أُوْلَئِكَ الأَحْزَابُ﴾ فأعلَمنا أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب.

وكان ابن عباس ـ في رواية أبي صالح ـ يذهب إلى أن الله تعالى أخبر رسوله أنه سيهزم المشركين يوم بَدْر.

* * *

(١) في اللسان (١٦/ ٩٢): «وتهزمت القربة: يبست وتكسَّرت فصوتت، والهزوم: الكسور في القربة وغيرها، واحدها هَزْم وهَزْمة. والهزيمة في القتال: الكَسْر والفَلُّ».

(٢) بقية الكلام: ﴿ذُو الأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُوْلَئِكَ الأَحْزَابُ﴾.

في سورة السجدة

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[1] [السجدة: ٥].

يريد سبحانه: أنه يَقْضِي الأمرَ في السماء ويُنزله مع الملائكة إلى الأرض فتُوقِعُه، ثم تعرج إلى السماء، أي تصعد بما أوقعته من ذلك الأمر، فيكون نُزُولُها به ورجوعُها في يوم واحدٍ مقداره ألف سنة مما تعدُّون. يريد مقدار المسير فيه على قدر مسيرنا وعدِّنا ألف سنة؛ لأن بُعد ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم، فإذا قطعته الملائكة، بادئةً وعائدةً في يوم واحد، فقد قطعت مسيرة ألف سنة في يوم واحد.

* * *

(١) انظر تفسير الطبري (٢١/٥٨، ٥٩). وزاد المسير (٦/٣٣٣).

فى سورة النمل

﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾[1] [النمل: ٦٥، ٦٦].

أصل ادَّارَك: تَدَارَك، فأُدغمت التاء فى الدال، وأُدخلت ألف الوصل ليسلم للدَّال الأولى السكون. ومثله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ٣٨]، و﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، و﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ [النمل: ٤٧]، إنما هو: تداركوا، وتثاقلتم، وتطيَّرنا.

ومعنى تدارك: تتابع، و﴿عِلْمُهُمْ﴾: حكمهم على الآخرة، وحَدْسُهُم الظُّنون. وأراد: وما يشعرون متى يُبعثون إلاّ بِتَتَابُع الظّنون فى علم الآخرة، فهم يقولون تارة: إنها تكون، وتارة: إنها لا تكون، وإلى كذا تكون، وما يعلم غَيْبَ ذلك إلا الله تعالى.

ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ بل هم من علمها ﴿عَمُونَ﴾.

وكان ابن عباس يقرؤها: ﴿بَلَى أَدَّارَكَ عِلْمُهُم﴾[2]؟

وهذه القراءة أشدّ إيضاحًا للمعنى؛ لأنه قال: وما يشعرون متى يبعثون، ثم قال: بل تداركت ظنونهم فى علم الآخرة؛ فهم يَحْدِسُون ولا يدرون.

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٠/ ٥ ـ ٧). وزاد المسير (٦/ ١٨٨).

(٢) فى تفسير الطبرى (٢٠/ ٥): «وكان ابن عباس، فيما ذكر عنه، يقرأ بإثبات «ياء» فى «بل» ثم يبتدئ: «أدراك» بفتح ألفها على وجه الاستفهام، وتشديد الدال... عن أبى حمزة قال: سمعت ابن عباس يقرأ «بلى أدارك علمهم فى الآخرة» إنما هو استفهام أنه لم يدرك. وكأن ابن عباس وجه ذلك إلى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذبين بالبعث».

ثم قال الطبرى فى ص٦: «فأما القراءة التى ذكرت عن ابن عباس فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب، فخلاف لما عليه مصاحف المسلمين؛ وذلك أن فى «بلى» زيادة ياء فى قراءته ليست فى المصاحف، وهى مع ذلك قراءة لا نعلمها قرأ بها أحد من قرّاء الأمصار».

وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه ص١١٠.

فى سورة الامتحان

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[1] [المتحنة: ١].

ذكر المفسرون أنّها أُنزلت فى حَاطِب بن أبى بَلْتَعَة، وكان كتب إلى المشركين بمكة يخبرهم بمسير الرسول صلى الله عليه؛ لأنّ عياله كانوا بمكة، ولم يكن له بها عشيرة تمنع منهم، فأراد أن يتقرب إليهم ليكفُّوا عن عياله[2]، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ أى تخبرونهم بما يُخبِرُ بمثله الرجلُ أَهْلَ مودّته، وتنصحون لهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ مع النبى صلى

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٨/ ٣٧، ٣٨).

(٢) فى تفسير الطبرى (٢٨/ ٣٨، ٣٩): «عن على رضى الله عنه قال: لما أراد النبى ﷺ أن يأتى مكة أسرَّ إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة، فيهم حاطب بن أبى بلتعة، وأفشى فى الناس أنه يريد خيبر، فكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة أن النبى ﷺ يريدكم. فبعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير بن العوام والمقداد وأبا مَرْثَد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها. فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فوجدنا امرأة فقلنا: أخرجى الكتاب. قالت: ليس معى كتاب. فوضعنا متاعها وفتشنا فلم نجده فى متاعها، فقال أبو مرثد: لعله ألا يكون معها، فقلت: ما كذب النبى ولا كُذب. فقلنا: لتُخرجنَّ الكتاب أو لنُلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، وأخذنا الكتاب فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله. فأرسل إلى حاطب فقال: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علىَّ، كنتُ امرأ ملصقًا فى قريش، ولم يكن لى فيهم قرابة، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتى، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن دينى، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: قد صدقكم. فقال عمر: يا رسول الله، دعنى أضرب عنق هذا المنافق. فقال الرسول ﷺ: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم». وانظر الحديث فى أحكام القرآن للشافعى (٢/ ٤٦ ـ ٤٩).

الله عليه ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ تَمَّ الكلام، يعنى من مكة ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أى: أخرجوا الرسولَ وأخرجوكم لأنْ آمنتم بالله وحده ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾[١] يريد: فلا تلقوا إليهم بالمودة إن كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى طالبين رضاى.

ثم قال: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ أى: كيف تَسْتَتِرُونَ بمودَّتكم لهم منِّى وأنا أعلم بما تُضمرون وما تُظْهِرُونَ؟

ثم ضرب لهم إبراهيم صلى الله عليه مثلاً حين تبرأ من قومه ونَابَذَهم وباغَضَهم، إلى قوله سبحانه[٢]: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] يريد أنَّ إبراهيم صلى الله عليه عاداهم وهجرهم فى كل شىء إلا فى قوله لأبيه: لأستغفرنَّ لك.

* * *

(١) قال الطبرى فى تفسيره (٢٨/٣٨): «وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ من المؤخر الذى معناه التقديم، ووجه الكلام: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق، إن كنتم خرجتم جهادًا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم. ويعنى بقوله تعالى ذكره: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾: إن كنتم خرجتم من دياركم فهاجرتم منها إلى دار مهاجركم للجهاد فى طريقى الذى شرعته لكم، ودينى الذى أمرتكم به، والتماس مرضاتى».

(٢) قال تعالى فى سورة الممتحنة: ٤: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ﴾ إلخ. وانظر تفسير الطبرى (٢٨/٤١، ٤٢).

فى سورة الحج

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[1] [الحج: ١٥].

كان قوم من المسلمين لشدَّة غيظهم وحَنَقهم على المشركين يستبطئون ما وعد اللهُ رسولَه من النصر، وآخرون من المشركين يريدون اتباعَه ويخشون ألا يتم له أمره، فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ﴾ يعنى محمدًا، عليه السلام، على مذاهب العرب فى الإضمار لغير مذكور، وهو يَسمعُنى أعِدُه النصر والإظهار والتمكين، وإن كان يستعجل به قبل الوقت الذى قضيتُ أن يكون ذلك فيه ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ أى بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ يعنى سقف البيت، وكلُّ شىء علاك وأظلّك فهو سماء، والسحاب: سماء، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ [ق: ٩]، وقال سَلاَمةُ بن جَنْدَل[2] يذكر قتلَ كِسْرَى النعمان:

هُوَ الْمُدْخِلُ النعمانَ بَيْتًا سَمَاؤُهُ ... نُحُورُ الفُيُولِ بَعْدَ بَيْتٍ مُسَرْدَقِ[3]

يعنى: سقفَه، وذلك أنّه أدخله بيتًا فيه فِيَلَة فَتَوَطَّأَتْهُ حتى قتلته.

وقوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ قال المفسرون: أى ليختنق ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ أى: هل يذهب ذلك ما فى قلبه؟ وهذا كرجل وعدته شيئًا مرة بعد مرة، ووكّدت على نفسك الوَعْدَ، وهو يُراجِعك فى ذلك، ولا تسكن نفسه إلى قولك، فتقول له: إن كنت لا تثق بما أقوله فاذهب فاختنق. تريد: اجهد جهدك.

هذا معنى قول المفسرين.

---

(١) انظر تفسير الطبرى (١٧/ ٩٥ ـ ٩٧). وزاد المسير (٥/ ٤١٣).

(٢) شاعر جاهلى قديم ترجم له المؤلف فى الشعر والشعراء (١/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٣) البيت فى اللسان (١٢/ ٢٣): «صُدُور الفيول»، وكذلك فى المخصص (٦/ ٧). وبيت مسردق: وهو أن يكون أعلاه وأسفله مشدودًا كله.

وفيه وجه آخر على طريق الإمكان: وهو أن تكون السماء ههنا: السماء بعينها لا السقف، كأنه قال: فليمدد بسبب إليها أى بحبل، وليرتق فيه، ثم ليقطع حتى يَخِرَّ فَيَهْلِك، أى: ليفعل هذا إن بلغَهُ جَهْدُه، فلينظر هل ينفعه.

ومثله قوله لرسول الله صلى الله عليه حين سأله المشركون أن يأتيهم بآية ولم يشأ الله أن يأتيَهُم بها، فشقَّ ذلك عليه: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[1] [الأنعام:٣٥] يريد: اجهد إن بلغ هذا جهدك.

وَروى ابن عُيَيْنَة[2]، عن ابن أبى نَجيح[3]، عن كَرْدَم: أنَّ رجلاً سأل أبا هريرة، وابنَ عمر، وابن عبّاس، عن رجل قتل مؤمنًا متعمدًا، هل له توبة؟ فكلهم قال: هل يستطيع أن يُحْيِيَهُ؟ هل يستطيع أن يَبْتَغِيَ نفقًا فى الأرض أو سلمًا فى السماء؟

يريدون: أنه لا توبة له، كما أن هذا لا يكون.

وقال أبو عبيدة[4]: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ﴾ أى: يرزقه الله. وذهب إلى قول العرب: أَرضٌ مَنْصُورَةٌ؛ أى مَمْطُورَة، وقد نُصِرَت الأرض: أى مُطِرَت[5].

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٧/ ١١٧، ١١٨).

(٢) يقصد سفيان بن عيينة بن أبى عمران الهلالى، أحد أئمة الإسلام. قال ابن وهب: ما رأيت أعلم بكتاب الله من ابن عيينة. وقال الشافعى: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. مات سنة ثمان وتسعين ومائة، ومولده سنة سبع، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص١٢٤.

(٣) فى خلاصة تذهيب الكمال ص١٨٣: «عبد الله بن أبى نجيح الثقفى، مولاهم، أبو يسار المكى. عن طاوس ومجاهد. وعنه عمرو بن شعيب، وأبو إسحاق الفزارى وشعبة. وثَّقه أحمد، روى عنه ابن عيينة. مات سنة إحدى وثلاثين ومائة».

(٤) راجع مجاز القرآن لأبى عبيدة (٢/ ٤٦، ٤٧).

(٥) فى تفسير الطبرى (١٧/ ٩٦): «وقال آخرون: معنى النصر ههنا: الرزق، فعلى قول هؤلاء تأويل الكلام: من كان يظن أن لن يرزق الله محمدًا فى الدنيا ولن يعطيه. وذكروا سماعًا من العرب: من ينصرنى نصره الله، بمعنى من يعطنى أعطاه الله. وذكروا أيضًا سماعًا منهم: نصر المطر أرض كذا؛ إذا جادها وأحياها». واستشهد لذلك ببيت الفقعسى:

وإنَّك لا تُعطى امرأ فوق حظِّه ... ولا تملك الشقَّ الذى الغيثُ ناصرُه

وانظر اللسان (٧/ ٦٧).

كأنه يريد: من كان قانطًا من رزق الله ورحمته فليفعل ذلك، فلينظر هل يُذْهِب كَيْدُه ـ أى حيلته ـ غَيْظَه[1] لتأخر الرزق عنه؟

* * *

(١) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى (٥/ ٤١٤).

فى سورة البقرة

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧ - ٢٠].

﴿الَّذِى﴾ ههنا بمعنى الذين[١] استوقدوا نارًا، وربما جاءت مؤدِّية عن جميع، قال الشاعر:

وإنَّ الذى حَانَتْ بِفَلْجٍ دماؤُهم هُمُ القَوْمُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالدِ[٢]

---

(١) نقله ابن رشيق فى العمدة (٢/ ٢٥٧)، وقال الطبرى فى تفسيره (١/ ١٠٩): «وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن «الذى» فى قوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ بمعنى «الذين» كما قال جل ثناؤه: ﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، وكما قال الشاعر: فإن الذى حانت - البيت. وقد أغفل قائل ذلك فرق ما بين «الذى» فى الآيتين، وفى البيت؛ لأن «الذى» فى قوله: ﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ قد جاءت الدلالة على أن معناها الجمع وهو قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ وكذلك «الذى» فى البيت، وهو قوله: «دماؤهم»، وليست هذه الدلالة فى قوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ فذلك فرق ما بين «الذى» فى قوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وسائر شواهده التى استشهد بها على أن معنى «الذى» فى الآية بمعنى الجماعة، وغير جائز لأحد نقل الكلمة التى هى الأغلب فى استعمال العرب على معنى إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها».

(٢) البيت للأشهب بن رُمَيْلة، كما فى مجاز القرآن (٢/ ١٩٠)، والمؤتلف والمختلف للآمدى ص٣٣، وبعده:

هُمُ ساعدُ الدهر الذى يُتَّقى به وما خيرُ كفٍّ لا تَنُوءُ بساعـدِ

واللسان (٣/ ١٧٣): «وفَلْج: موضع بين البصرة وضَرِيَّة، وقيل: هو وادٍ بطريق البصرة إلى مكة ببطنه منازلُ للحاجِّ». والبيان والتبيين (٤/ ٥٥)، وروايته: «وإنَّ الأُلى»، والخزانة (٢/ ٥٠٨)، وسيبويه (١/ ٩٦)، وسمط اللآلى (١/ ٣٥)، ومجاز القرآن ص٢١٦، وشواهد المغنى ص١٧٥. وفى مجمع البيان (١/ ٥٤)، والعمدة (٢/ ٢٥٧) غير منسوب فيهما. وعجزه فى الكشاف (١/ ٦٩) غير منسوب.

أراد: مَثَلُ المنافقين كمثل قوم كانوا فى ظلمة فأَوْقَدُوا نارًا، فلما أضاءت النار ما حولهم أطْفَأَها الله وتركهم فى ظلمات لا يبصرون.

فالظلمةُ الأولى التى كانوا فيها: الكفر.

واستيقادُهم النارَ قولُهم: «لا إله إلا الله، وإن محمدًا رسول الله».

فلما أضاءت لهم ما حولهم واهتدوا وآمنوا: خَلَوْا إلى شياطينهم فنافقوا، وقالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤]، فسلبهم نور الإيمان، وتركهم فى ظلمات الكفر لا يبصرون.

ثم ضرب لهم مثلاً آخر شبيهًا بهذا المثل، فقال: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾.

فالصيب: المطر، والظلمات: ظلمة الليل، وظلمة السحابة، والرعد: دليل على شدة ظلمة الصيِّب وهَوْله.

أراد: أو مَثَل قوم فى ظلمات ليل ومطر. فَضَرَب الظلمات لكفرهم مثلاً، والبرقَ لتوحيدهم مثلاً، فقال: إذا قالوا «لا إله إلا الله» اهتدوا كما يهتدى هؤلاء القوم بالبرق إذا لمع فيمشون، وجعله يكاد يَخْطَفُ الأبصار لشدَّة ضوئه[1]. وإذا نافقوا فاستهزءوا وخَلَوْا بشياطينهم فتابَعُوهم ـ عَمُوا وصَمُّوا، كما يُظلِمُ على هؤلاء إذا سكن لَمَعانُ البرق فيقومون.

* * *

(١) فى تفسير الطبرى (١/١٢١): «... كمثل غيث سرى ليلاً فى مزنة ظلماء وليلة مظلمة، يحذوها رعد ويستطير فى حافاتها برق شديد لمعانه كثير خطرانه، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ويختطفها من شدة ضيائه ونور شعاعه، وينهبط منها نارات صواعق تكاد تدع النفوس من شدة أهوالها زواهق. فالصيِّب: مثل الظاهر ما أظهر المنافقون بألسنتهم من الإقرار والتصديق. والظلمات التى هى فيه: لظلمات ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب. وأما الرعد والصواعق: فلِمَا هم عليه من الوجَل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله فى آى كتابه...».

فى سورة المزمل

﴿الْمُزَّمِّلُ﴾: المُتَزمِّل، فأدغمت التاء فى الزَّاى، وكذلك ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾ هو: المُتدثِّر بثيابه، فأدغمت التاء فى الدال. وكل من التف بثوبه فقد تَزَمَّلَ به.

﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ أى: صلِّ الليل إلا شيئًا يسيرًا منه تنام فيه وهو الثلث، ثم قال: ﴿نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾[(١)] [المزمل: ١ - ٣] أى: قم نصفه، فاكتفى بالفعل الأول من الثانى لأنه دليل عليه. أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث، أو زِدْ على النصف إلى الثلثين. جعل له سعةً فى مدّة قيامه بالليل. فلما نزلت هذه الآية قام رسول الله صلى الله عليه وطائفة من المؤمنين معه أدْنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه، وأخذ المسلمون أنفسهم بالقيام على المقادير حتى شَقَّ ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ أى: وتقوم نصفه وثلثه ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ فيعلم مقدار ثلثيه ونصفه وثلثه، وسائر أجزائه ومواقيته، ويعلم أنكم ﴿لَّن تُحْصُوهُ﴾ أى: لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام فيه ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[(٢)] [المزمل: ٢٠] رخّص لهم أن يقوموا ما أمكن وخفّ، لغير مدة معلومة ولا مقدار.

وكان هذا فى صدر الإسلام، ثم نسخ بالصلوات الخمس. كذلك قال المفسرون.

وقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾[(٣)] [المزمل: ٦] وهى: آناؤه وساعاته، مأخوذة من نَشَأَتْ تَنْشَأُ نَشْئًا، ونشأت: أى ابتدأت وأقبلت شيئًا بعد شىء، وأنشأها الله فَنَشَأَتْ وأنشأتْ. ومنه قوله سبحانه: ﴿أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف: ١٨]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥] أى: ابتدأناهن ونَبَّتناهن، ومنه قيل لصغار الجوارى: نَشَأٌ[(٤)].

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٩/ ٧٨ - ٨٠).

(٢) انظر تفسير الطبرى (٢٩/ ٨٧ - ٨٩).

(٣) انظر تفسير الطبرى (٢٩/ ٨٠ - ٨٢)، وزاد المسير (٨/ ٣٩٠ - ٣٩١).

(٤) فى اللسان (١/ ١٦٥)، والتاج (١/ ١٢٧): «قال نُصَيْبٌ:

وَلَوْلا أنْ يُقَـالَ صَبَا نُصَيْبٌ ... لَقُلْتُ: بِنَفْسِىَ النَّشَأُ الصِّغَارُ

فكأنه قال: إن ساعات الليل الناشئة، فاكتفى بالوصف من الاسم.

وقوله: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أى: أثقل على المصلى من ساعات النهار. وهو من قولك: اشتدت على القوم وَطْأَةُ سُلْطانِهم؛ إذا ثقل عليهم ما يُلْزِمهم ويأخذهم به. فأعلم الله نبيه أن الثواب فى قيام الليل على قدر شدة الوطأة وثقلها.

ومن قرأها: ﴿وِطاءً﴾ على تقدير «فِعال»[1] فهو مصدر لِوَاطَأْت فلانًا على كذا مُوَاطأة ووِطَاءً. وأراد: أنّ القراءة فى الليل يَتَوَاطأ فيها قلب المصلى ولسانه وسمعه على التَّفَهُّم والأداء والاستماع، بأكثر مما يَتَواطأ عليه بالنهار.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ أى: أخلص للقول وأسمع له[2]؛ لأن الليل تهدأ عنه الأصوات، وتنقطع فيه الحركات، فيخلص القول، ولا يكون دون تَسَمُّعِه وتَفَهُّمِه حائل[3].

وقوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾ [المزمل:٧] يعنى: تصرفًا وإقبالاً وإدبارًا فى حوائجك وأشغالك.

* * *

(١) قرأ بعض قراء البصرة ومكة والشام: «وطاء» بكسر الواو ومد الألف، على أنه مصدر من قول القائل: واطأ اللسان القلب مواطأة ووطاء. والصواب من القول فى ذلك عندنا «أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب» كما فى تفسير الطبرى (٢٩/ ٨١، ٨٢).

(٢) فى الطبرى (٢٩/ ٨٢): «وقوله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ يقول: وأصوب قراءة...».

(٣) نقله ابن الجوزى فى زاد المسير (٨/ ٣٩٢) من غير نسبة.

فى سورة الفتح

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(١) [الفتح: ٢٥].

كان بمكة قوم مؤمنون مختلطون بالمشركين غير متميزين ولا معروفى الأماكن، فلما صدّ المشركون رسولَ الله صلى الله عليه عن المسجد الحرام وعكَفُوا الهَدْىَ أن يَبلُغَ مَحِلَّه، قال الله سبحانه: لولا أن بمكة رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمناتٍ لا تعرفونهم فتطئُونهم لو دخلتموها، أى تقتلونهم لِيُدْخِلَهُمُ اللهُ فى رَحْمَته لو فعلتم؛ فَتُصِيبَكُمْ من قتلهم بغير علم مَعَرَّةٌ، أى يَعيبكم المشركون بذلك ويقولون: قد قتلوا أهل دينهم وعذبوهم كما فعلوا بنا وتلزمكم الدِّيَات(٢).

ثم قال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أى تميزوا من المشركين ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ المشركين بالسيف ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾، فصار قوله سبحانه: ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ جوابًا لكلامين: أحدهما: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾، والآخر: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾.

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٦/ ٦٠ ـ ٦٥).

(٢) قال الطبرى فى ص٦٥: «و «أن» من قوله: ﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ فى موضع رفع ردًا على الرجال؛ لأن معنى الكلام: ولولا أن تطئوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم، فتصيبكم منهم معرة بغير علم ـ لأذن الله لكم أيها المؤمنون فى دخول مكة، ولكنه حال بينكم وبين ذلك، ليدخل الله فى رحمته من يشاء. يقول: ليدخل الله فى الإسلام من أهل مكة من يشاء قبل أن تدخلوها. وحذف جواب لو استغناء بدلالة الكلام عليه.

وقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ يقول: لو تميز الذين فى مشركى مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم، ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم ـ لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا. يقول: لقتلنا من بقى فيها بالسيف، أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذاب الله».

فى سورة الأعراف

﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] [الأعراف:١٧٦].

كلُّ شىءٍ يَلْهَثُ فإنما يلهث من إِعْيَاء أو عطش أو عِلَّة، خلا الكلب، فإنَّه يلهث فى حال الكلال، وحال الرّاحة، وحال الصحة والمرض، وحال الرِّىّ والعطش.

فضربه الله مَثَلاً لمن كذَّب بآياته فقال: إن وَعظْتَه فهو ضالّ، وإن لم تَعِظْه فهو ضالّ، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لَهَثَ، أو تركته على حاله رابضًا لهث[2].

ونحوه قوله: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾[3] [الأعراف:١٩٣].

---

(١) فى تفسير الطبرى (٩/٨٨، ٨٩): «يقول تعالى ذكره: فمثل هذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل الكلب الذى يلهث، طردته أو تركته. ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب، فقال بعضهم: مثله به فى اللهث، لتركه العمل بكتاب الله وآياته التى آتاها إياه، وإعراضه عن مواعظ الله التى فيها إعراض من لم يؤته الله شيئًا من ذلك، فقال جل ثناؤه فيه: إذا كان سواء أمره وعظ بآيات الله التى أتاها إياه أو لم يوعظ، فى أنه لا يتعظ بها ولا يترك الكفر به، فمثله مثل الكلب الذى سواء أمره فى لهثه طرد أو لم يطرد؛ إذ كان لا يترك اللهث بحال... وقال آخرون: إنما مثَّله جل ثناؤه بالكلب؛ لأنه كان يلهث كما يلهث الكلب».

وقال الطبرى: إن التأويل الأول أولى القولين بالصواب «لدلالة قوله تعالى: ﴿ ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته، وقد علمنا أن اللهاث ليس فى خلقة كل مكذب كتب عليه ترك الإنابة من تكذيبه بآيات الله، وأن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم، فكان معلومًا بذلك أنه للذى وصف الله صفته فى هذه الآية، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله - مَثَل».

(٢) نقله ابن الجوزى فى زاد المسير (٣/ ٢٩٠، ٢٩١) ونسبه للمؤلف، وفيه: «... على حاله رابضًا لهث».

(٣) قال الطبرى فى تفسيره (٩/ ١٠٢): «يقول تعالى ذكره فى وصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون فى عبادتهم ربهم إياه: ومن صفته أنكم أيها الناس إن تدعوهم إلى الطريق المستقيم والأمر الصحيح السديد ﴿ لا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ لأنها ليست تعقل شيئًا، فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلاً جائرًا، وتركب ما كان مستقيمًا سديدًا. وإنما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها تنبيههم =

. . . .

* * *

= على عظيم خطئهم وقبح اختيارهم. يقول جل ثناؤه: فكيف يهديكم إلى الرشاد من إن دعى إلى الرشاد وعرفه لم يعرفه ولم يفهم رشادًا من ضلال، وكان سواء دعاء داعيه إلى الرشاد وسكوته؛ لأنه لا يفهم دعاءه ولا يسمع صوته ولا يعقل ما يقال له؟ فكيف يعبد من كانت هذه صفته؟ أم كيف يشكل عظيم جهل من اتخذ ما هذه صفته إلهًا؟ وإنما الرب المعبود: هو النافع من يعبده، الضار من يعصيه، الناصر وليه، الخاذل عدوه، الهادى إلى الرشاد من أطاعه، السامع دعاء من دعاه. وقيل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ فعطف بقوله: ﴿صَامِتُونَ﴾ وهو اسم، على قوله: ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ وهو فعل ماض، ولم يقل: أم صمتم، كما قال الشاعر:

سواءٌ عليك النَّفْرُ أم بِتَّ ليلةً ... بأهل القِبابِ من نُمَيْر بْنِ عامرِ

وقد ينشد: أم أنت بائت».

فى سورة البقرة

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾[1] [البقرة: ٨٤، ٨٥].

نزلت فى بنى قُرَيظة والنَّضِير. يقول: أخذ الله عليكم فى الكتاب: ألاَّ تسفكوا دماءكم، أى لا تَقْتَتِلوا، فيقتل بعضكم بعضًا، ولا تتركوا أسيرًا فى أيدى الآسرين فيقتلوه، ولا تُخرجوا أنفسكم من دِياركم، أى لا تغلبوا أحدًا على داره وتخرجوه. فقبلتم ذلك وأقررتم به، وهو أخذ الميثاق ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بذلك ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أى تقتتلون فيقتل بعضكم بعضًا ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أى تتعاونون ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ﴾ بهم ﴿أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ من ديارهم ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ فى فك الأسير ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فى إخراجكم مَنْ أخرجتم من ديارهم ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. فجُوزِىَ «بنو النَّضير» بأن أخرجَهم رسولُ الله صلى الله عليه عن ديارهم لأوَّل الحَشْر، وجُوزِىَ «بنو قُرَيظة» بقتل المُقاتِلة وسَبْى الذُّرِّيَّة[2].

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (١/ ٣١٢ ـ ٣١٨).

(٢) فى تفسير الطبرى (١/ ٣١٨): «ثم اختلف فى الخزى الذى أخزاهم الله بما سلف من معصيتهم إياه، فقال بعضهم: ذلك هو حكم الله الذى أنزله إلى نبيه محمد ﷺ من أخذ القاتل بمن قتل والقوَد به قصاصًا، والانتقام للمظلوم من الظالم. وقال آخرون: بل ذلك هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على دينهم ذِلة لهم وصَغارًا. وقال آخرون: بل ذلك الخزى الذى جوزوا به فى الدنيا: إخراج رسول الله ﷺ بنى النضير من ديارهم لأول الحشر، وقتل مقاتلة قريظة، وسبى ذراريهم، فكان ذلك خزيًا فى الدنيا، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم».

فى الزخرف

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[(١)] [الزخرف: ٨١].

لما قال المشركون: لله ولد، ولم يرجعوا عن مقالتهم بما أنزله الله على رسوله، عليه السلام، من التبرُّؤ من ذلك ـ قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ أى: عندكم فى ادعائكم ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أى: أول الموحِّدين، ومَنْ وَحَّدَ الله فقد عبده، ومن جعل له ولدًا أو ندًا فليس من العابدين، وإن اجتهد.

ومنه قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أى: إلا ليُوَحِّدون.

قال مُجَاهد: يريد إن كان لله ولد فى قولكم، فأنا أول من عبد الله ووحّده، وكذّبكم بما تقولون[(٢)].

وبعض المفسرين يجعل «إن» بمعنى «مَا»[(٣)]؛ وليس يعجبنى ذلك.

ويقال: العابدون ههنا: الغِضَابُ الآنفون. يقال: عَبِدْتُ من كذا أَعْبَدُ عَبَدًا[(٤)].

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٥/ ٦٠، ٦١).

(٢) تفسير الطبرى (٢٥/ ٦٠). ورأى مجاهد هذا هو الذى ارتضاه الأزهرى فى تأويل هذه الآية المشكلة، وقال عنه بعد أن ذكر أقوال السلف فيها: إنه أحسن من جميع ما قالوا، وأسوغ فى اللغة، وأبعد من الاستكراه، وأسرع إلى الفهم. راجع تفصيل ذلك فى اللسان (٤/ ٢٦٥، ٢٦٦).

(٣) فى زاد المسير (٧/ ٣٣٢): «قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد؛ فيكون المعنى: ما كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله على يقين أنه لا ولد له. وقال أبو عبيدة: الفاء على هذا القول بمعنى الواو».

(٤) فى تفسير الطبرى (٢٥/ ٦١): «وقال آخرون: معنى ذلك: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول الآنفين ذلك. ووجهوا معنى العابدين إلى المنكرين الآبين، من قول العرب: قد عَبِدَ فلان من هذا الأمر؛ إذا أنف منه وغضب وأباه، فهو يَعْبَد عَبَدًا، كما قال الشاعر:

ألاَ هويتْ أمُّ الوليـد وأصبحتْ ... لِمَا أبصرتْ فى الرأس منى تَعَبَّدُ

وكما قال الآخر:

متى ما يشأ ذو الودِّ يَصْرِمْ خليلَه ... ويَعْبَدْ عليـــه لا مَحــالةَ ظالمًا»

وأكثرُ ما تأتى الأسماءُ من فَعِلَ يَفْعَلُ على «فَعِلٍ»، كقوله: وَجِلَ يَوْجَلُ فهو وَجِلٌ، وفَزِعَ يَفْزَعُ فهو فَزِعٌ.

وربما جاء على «فاعل» نحو: عَلِمَ يعلم فهو عالمٌ.

وربما جاء منه على «فَعِلَ» و«فاعِل» نحو: صَدِىَ يَصْدَى فهو صَدٍ وصادٍ، كذلك تقول: عَبِدَ يَعْبَدُ فهو عَبِدٌ وعَابِدٌ، قال الشاعر:

* وأَعْبَدُ أنْ تُهْجَى تَميمٌ بِدَارِمِ[1] *

* * *

(١) فى اللسان (٤/ ٢٦٥): «وقيل فى قول الفرزدق:

أولئك قومٌ إنْ هجونى هجوتُهم واعْبَدُ أنْ أهجـــو كُلَيْبًا بدَارِمِ

أعبد أى آنَفُ». والبيت للفرزدق فى مجاز القرآن (٢/ ٢٠٦)، والجمهرة (١/ ٢٤٦)، والبحر المحيط (٨/ ٢٨).

في سورة النساء

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] [النساء: ٤٦].

هؤلاء قوم من اليهود كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه إذا حدثهم وأمرهم: سَمِعنا، ويقولون في أنفسهم: عصينا. وإن أرادوا أنْ يكلِّموه بشيء قالوا له: اسمع يا أبا القاسم[2]، ويقولون في أنفسهم: لا سمعت. ويقولون له: راعنا. يُوهِمُونه في ظاهر اللفظ أنهم يريدون انتظرنا حتى نكلمك بما نريد، كما تقول العرب: أَرْعِني سَمْعَك وراعِني، أي: انتظرني وترفَّق بي وتَلَوَّم عَلَيَّ، هذا ونحوه، وإنما يريدون سَبَّه بالرُّعُونة في لغتهم، فقال الله سبحانه: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ﴾ كذا وكذا، ويقولون: ﴿رَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أي: قلبًا للكلام بها ﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ مكان قولهم: سمعنا وعصينا، وقالوا: ﴿وَاسْمَعْ﴾ مكان قولهم: لا سمعت، ﴿وَانظُرْنَا﴾ مكان قولهم: راعنا ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾[3].

والعرب تقول: نَظَرْتُكَ وانتظَرْتك، بمعنًى واحد[4]، قال الحُطَيْئَة:

---

(١) انظر تفسير الطبري (٥/ ٧٥ ـ ٧٧).

(٢) قال ابن قتيبة في المعارف ص٦١: «وولد لرسول الله ﷺ من خديجة: القاسم، وبه كان يُكْنَى... قال مجاهد: مكث القاسم سبع ليالٍ ثم مات بمكة».

(٣) في الطبري (٥/ ٧٦): «يعني بذلك جل ثناؤه: ولو أن هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم قالوا لنبي الله: سمعنا يا محمد قولك وأطعنا أمرك وقبلنا ما جئتنا به من عند الله، واسمع منا وانظرنا ما نقول وانتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ يقول: لكان ذلك خيرًا لهم عند الله وأقوم، يقول: وأعدل وأصوب في القول، وهو من الاستقامة، من قول الله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦] بمعنى: وأصوب قيلًا».

(٤) قال الطبري: (٥/ ٧٧): «... فلا نعرف انظرنا في كلام العرب إلا بمعنى: انتظرنا، وانظر إلينا. =

وقـــد نَظَرْتُكُمُ إينـاءَ عاشِيَـــةٍ للخَمْسِ طَالَ بهَا حَوْزِى وتَنْسَاسِى(١)

* * *

= فأما انظرنا بمعنى انتظرنا فمنه قول الحطيئة:

وقـــد نَظرْتُكم لو أنَّ دِرَّتكُم يومًا يجىء بها مَسْحِى وإبْساسى

وأما انظرنا بمعنى انظر إلينا، فمنه قول عبيد الله بن قيس الرقَيَّات:

ظاهراتُ الجمال والحُسْنِ يَنظُرْ نَ كمـــا يَنْظرُ الأراكَ الظِّبَاءُ

بمعنى: كما ينظر إلى الأراك الظباء».

(١) ديوانه ص٥٣: «نظرتكم عشاء صادرة»، واللسان (٧/ ٧٤، ٢٠٥): «إيناء صادرة للورد»، (١٨/ ١١٥) «إيناء صادرة للخمس... يقول: انتظرتكم كما تنتظر الإبل الصادرة التى ترد الخمس ثم تُسْقَى لِتَصْدُر. والإيناء: الانتظار، والصادرة: الراجعة عن الماء. يقول: انتظرتكم كما تنتظر الإبلُ الصادرة الإبلَ الخوامس لتشرب معها. والحوز: السوق قليلاً قليلاً، والتنساس: السوق الشديد، وهو أكثر من الحوز». وفى اللسان (١٩/ ٢٩٢): «أعْشاءَ صادرة للخمس» قال شمر: يقول: انتظرتكم انتظار إبل خوامس، لأنها إذا صَدَرَتْ تَعشَّت طويلاً وفى بطونها ماء كثير، فهى تحتاج إلى بَقْل كثير، وواحد الأعشاء: عِشْىٌ، وعِشْىُ الإبل: ما تَتعشَّاه».

في سورة المائدة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ﴾[1] [المائدة: ١٠٦ ـ ١٠٨].

قد اختلف الناس قديمًا في تأويل هذه الآية والسبب الذي نزلت فيه، وأنا مُخبرٌ من تلك المذاهب والتأويلات بأشبَهِها بلفظ الكتاب، وأولاها بمعناه.

وأراد الله عز وجل أن يعرفنا كيف نشهد بالوصية عند حضور الموت، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ أي: رجلان عَدْلان من المسلمين تُشْهِدُونَهما على الوصية.

وعلم اللهُ سبحانه أنّ من الناس من يسافر فيَصْحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين، وينزل القريةَ التي لا يسكنها غيرُهم، ويَحضرهُ الموت فلا يجد من يُشْهِدُه من المسلمين، فقال: ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أي: من غير دينكم ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: سافرتم ﴿ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ وتمَّ الكلامُ. فالعَدْلان من المسلمين للحضر والسفر خاصّة إنْ أمكن إشهادُهما في السفر. والذِّميان في السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما.

ثم قال: ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ أراد: تحبسونهما من بعد صلاة العصر إن ارتبتم في شهادتهما وشككتُم، وخشيتم أن يكونا قد غيَّرا أو

(١) انظر تفسير الطبري (٧/ ٦٥ ـ ٨١). وزاد المسير (٢/ ٤٤٤).

بدَّلا وكتما وخانا. وخصّ هذا الوقت؛ لأنه قبل وُجوبِ الشمس[١]، وأهل الأديان يعظمونه ويذكرون الله فيه، ويَتَوَقَّوْن الحلف الكاذب وقول الزور، وأهل الكتاب يصلُّون لطلوع الشمس وغروبها.

فيحلفان بالله ﴿لا نَشْتَرِى به ثَمَنًا﴾ أى: لا نبيعه بعرَضٍ، ولا نُحابى فى شهادتنا أحدًا ولو كان ذا قُرْبَى، ولا نَكْتُمُ شَهادةً عَلِمْناها.

فإذا حلفا بهذه اليمين على ما شَهِدَا به قُبلت شهادتهما، وأُمْضِى الأمرُ على قولهما.

ورَوَى معاوية بن عمرو[٢]، عن زائدة[٣]، عن زكريا[٤]، عن الشعبى أنه قال: مات رجل بِدَقُوقَا[٥] ولم يَشهده إلا نصرانيَّان، فأشهدَهُما على وصيته، فقَدِما الكوفة وأبو موسى الأشعرى عليها، فتقدَّما إليه فأَحْلَفَهُما فى مسجد الكوفة بعد العصر: بالله ما بدَّلا ولا كتَمَا ولا كذبا. وأجاز شهادتهما[٦].

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ بعد هذه اليمين أى: ظُهِرَ ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أى: حنثا فى اليمين بِكذبٍ فى قولٍ، أو خيانة فى وديعة ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ﴾ أى: قام فى اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت الذين استحق منهم الأوليان، وهما الوَلِيّان، يقال: هذا الأَوْلَى بفلان، ثم يُحذف من الكلام بفلان، فتقول: هذا الأَوْلَى، وهذان الأوليان؛ كما تقول: هذا الأكبرُ، فى معنى الكبير، وهذان الأكبران، و﴿عَلَيْهِمُ﴾ بمعنى «منهم»، كما تقول: استحققت عليك كذا، واستوجبت عليك كذا، أى: استحققته منك، واستوجبته منك، وقال الله

---

(١) فى اللسان (٢/ ٢٩٤): «ووجَبَت الشمس وَجْبًا ووُجوبًا: غابت».

(٢) هو معاوية بن عمرو بن خالد بن غلاب. قال ابن سعد: مات سنة أربع عشرة ومائتين عن ست وثمانين سنة، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص٣٢٧.

(٣) هو زائدة بن قدامة الثقفى، مات غازيًا بأرض الروم سنة اثنتين وستين ومائة، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص١٠٢.

(٤) هو زكريا بن أبى زائدة، قال أبو نعيم: مات سنة ثمانٍ وأربعين ومائة، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص١٠٤.

(٥) قرية بين أربل وبغداد، كما فى معجم البلدان (٤/ ٦٦).

(٦) تفسير الطبرى (٧/ ٧١). وانظر تفسير القرطبى (٦/ ٣٤٦)، وأحكام القرآن (٢/ ١٤٨).

سبحانه: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين:٢] أى: من الناس.

وقال صَخْرُ الغَيِّ:

مَتَى مَا تُنْكِروها تَعْرِفُوها ... على أقْطَارِها عَلَقٌ نَفِيثُ[1]

يريد: من أقطارها.

فإذا أقام الوليان مُقام الذِّمِّيَّيْن لليمين، حَلَفَا بالله لقد ظهرنا على خيانة الذميين وكذبهما وتبديلهما، وما اعتدينا عليهما، و﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ أى: أصَحُّ لِكُفْرِهما وإيماننا.

فإذا حلف الوليان على ما ظَهَرَا عليه، رُجِعَ على الذِّمِّيين بما اخْتَانَا، ونُقِضَ ما مَضَى عليه الحكم بشهادتهما.

ثم قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ أى: هذا الحكم أقرب بهم إلى أن يأتوا بالشهادة على وجهها، يعنى أهل الذمة ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ﴾ على أولياء الميت ﴿بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ فَيُحَلَّفُوا على خيانتهم وكذبهم، فَيُفْضَحوا، أو يُغَرَّموا.

وأكثر العلماء يذهب إلى أن هذا باب من الحُكْم «مُحْكَمٌ» وأنه «لم ينسخ» من سورة المائدة شيء؛ لأنها آخر ما نزل.

وبعضهم يذهب إلى «أنه مَنسوخٌ»[2] بقوله سبحانه: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة:٢٨٢].

(١) نسبه ابن قتيبة لصخر فى كتاب المعانى الكبير (٢/ ٩٧٠)، وأدب الكاتب ص٥٢١، والصواب أنه لأبى المُثلَّم الهذلى من كلمة له رد بها على صخر الغى، كما فى ديوان الهذليين ص٢٢٤ من القسم الثانى. والأقطار: النواحى، والعلق: الدم، ويقال: دم نفيث: إذا نفثه الجرح، أى أظهره. والهاء فى قوله: «تنكروها» تعود على المقالة، قال ابن السيد فى الاقتضاب ص٤٥٢: «والمعنى: إنى أقول فيكم مقالة لا تقدرون على إنكارها ورفعها عن أنفسكم؛ لأنى أسميها بأسمائكم وأشهرها بذكركم، وتأتيكم وعلى أقطارها الدم المنفوث، أى أنها مقالة تثير الحرب وسفك الدماء، كما يقال: هذا كلام يقطر منه الدم». وانظر الجواليقى ص٣٧٣. والبيت لصخر فى اللسان (٣/ ١٧)، والمقصور والممدود ص١٠٣، وهو غير منسوب فى اللسان (٢٠/ ٢٦٥)، وتفسير الطبرى (٧/ ٧٩).

(٢) راجع تفسير الطبرى (٧/ ٧١)، وتفسير القرطبى (٦/ ٣٥٠).

فى سورة الروم

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾(١) [الروم:٢٨].

هذا مثل ضَرَبه الله لمن جعل له شركاء من خَلْقه، فقال قبل المثل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾(٢) [الروم:٢٧] يريد: إعادته على المخلوق أهون من ابتدائه؛ لأنه ابتدأه فى الرحم نطفة، وعلَقَة، ومُضْغة، وإعادته تكون بأن يقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧، وغيرها] فذلك أهون على المخلوق من النّشأة الأولى. كذلك قال ابن عباس فى رواية أبى صالح. وإن جعلته لله جعلت ﴿أَهْوَنُ﴾ بمعنى: وهو هيّن عليه، أى سهل عليه. ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ﴾ [الروم:٢٧] يعنى: شهادة أن لا إله إلا الله.

ثم ضرب المثل فقال: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وذلك أقرب عليكم ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ﴾ من عبيدكم الذين تملكون ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ﴾ وعبيدكم ﴿سَوَاءٌ﴾ يأمرون فيه كأمركم، ويحكمون كحكمكم، وأنتم ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أى كما يخاف الرجلُ الحرُّ شريكه الحرَّ فى المال يكون بينهما، فلا يأمر فيه بشىء دون أمره، ولا يُمْضِى فيه عَطيَّةً بغير إذنه.

وهو مثل قوله: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات:١١] أى لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين.

وقوله: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:١٢] أى بأمثالهم من المؤمنين.

يقول: فإذا كنتم أنتم بهذه المنزلة فيما بينكم وبين أرِقَّائكم، فكيف تجعلون لله من عبيده شركاء فى ملكه؟

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢١/ ٢٥، ٢٦).

(٢) انظر تفسير الطبرى (٢١/ ٢٣، ٢٤).

ومثله قوله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فجعل منكم المالك والمملوك ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ يعنى: السادة ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾[1] [النحل:٧١] من عبيدهم حتى يكونوا فيه شركاء. يريد: فإذا كان هذا لا يجوز بينكم فكيف تجعلونه لله؟

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (١٤/ ٩٥).

فى سورة النحل

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾(١) [النحل: ٧٥].

هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عُبد دُونَه، فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ فهذا «مثل من جُعِلَ إلهًا دُونه أو معه» لأنه عاجز مُدَبَّرٌ، مملوك لا يقدر على نفع ولا ضرٍّ.

ثم قال: ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾.

فهذا «مثَلُه جل وعز» لأنه الواسع الجواد القادر، الرَّازق عِباده جَهْرًا من حيث يعلمون، وسرًا من حيث لا يعلمون.

وقال بعض المفسرين: هو مثَل للمؤمن، والكافر. فالعبد هو الكافر، والمرزوق: هو المؤمن(٢).

والتفسير الأول أعجب إلىّ؛ لأنَّ «المَثل» توسَّط كلامين هما لله تعالى:

أمَّا الأوَّل: فقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣].

فهذا لله ومن عُبِدَ من دونه.

(١) انظر تفسير الطبرى (١٤/٩٩ ـ ١٠٢).

(٢) قال بهذا ابن عباس وقتادة، وقال الطبرى فى تفسيره (١٤/٩٩): «يقول تعالى ذكره: شبه الله لكم شبهًا أيها الناس: للكافر من عبيده، والمؤمن منهم؛ فأما مثل الكافر، فإنه لا يعمل بطاعة الله، ولا يأتى خيرًا، ولا ينفق فى شىء من سبيل الله ماله؛ لغلبة خذلان الله عليه، كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شىء فينفقه. وأما المؤمن بالله، فإنه يعمل بطاعة الله، وينفق فى سبيله ماله، كالحر الذى آتاه الله مالاً فهو ينفق منه سرًا وجهرًا. يقول: بعلم من الناس وغير علم ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾؟ يقول: هل يستوى العبد الذى لا يملك شيئًا ولا يقدر عليه، وهذا الحر الذى قد رزقه الله رزقًا حسنًا فهو ينفق كما وصف؟ فكذلك لا يستوى الكافر العامل بمعاصى الله المخالف لأمره، والمؤمن العامل بطاعته...».

وأمَّا الآخر: فقوله بعد انقضاء المثل: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(١) [النحل: ٧٤].

ولأنه ضرب لهذا المعنى مثلاً آخر بعقب هذا الكلام فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ أى: أخرس ﴿لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ﴾ أى: عِيَالٌ وثِقْلٌ على قرابته ووليِّه ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ فهذا «مثل آلهتهم»؛ لأنها صمٌّ بكم عُمْىٌ، ثِقْلٌ على من عبدَها فى خدمتها والتَّعَبُّد لها، وهى لا تأتيه بخير.

ثم قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢) [النحل: ٧٦]؟ فجعل هذا «المثل» لنفسه.

* * *

(١) كان فى الأصول بدلها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ وهو خطأ؛ لأن هذه لم ترد فى سورة النحل بعد انقضاء المثل، وإنما وردت فى سورة الزمر: ٢٩ بعد انقضاء المثل الذى ضربه الله فى قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾.

(٢) انظر تفسير الطبرى (١٤/ ١٠٠ ـ ١٠٢).

فى سورة النحل أيضًا

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾[1] [النحل: ٩٢].

هذا مثل لمن عاهد الله وحلف به، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[2] [النحل: ٩١] فتكونوا إن فعلتم كامرأة غزلت غزلاً وقوَّت مِرَّته وأبْرَمَتْه، فلما استحكم نقضته فجعلته أنْكَاثًا.

والأنكاثُ: ما نُقِضَ من أخلاق بيوت الشعر والوبر لِيُغْزَلَ ثانية ويُعَاد مع الجديد، وكذلك ما نُقِضَ من خَلَقِ الخزِّ.

ومنه قيل لمن أعطاك بيعته على السمع والطاعة ثم خرج عليك: ناكِثٌ؛ لأنه نقض ما وَكَّدَ على نفسه بالأيمان والعهود، كما تَنقُضُ النَّاكثة غَزْلَها.

ثم قال: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ أى: دغَلاً وخيانة وحِيَلاً[3] ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾[4] أى: لأن يكون قومٌ أغنى من قوم، وقومٌ أعلى من قوم، تريدون أن تَقْتَطِعوا بأيمانكم حقوقًا لهؤلاء فتجعلوها لهؤلاء.

وقال المفسرون فى التى نقضت غزلها: هى امرأة من قريش وكانت حمقاء[5]، فكانت تغزل الغَزْلَ من الصوف والشّعر والوبر بِمغزل فى غِلَظِ الذِّراع، وصِنَّارَةٍ فى قدر الإصبع، وفَلْكَةٍ عظيمة، فإذا أَحْكَمَتْهُ أمرَت خادمها فنقضته.

(١) انظر تفسير الطبرى (١٤/ ١١١ ـ ١١٣)، وزاد المسير (٤/ ٣٨٥).

(٢) انظر تفسير الطبرى (١٤/ ١٠٩ ـ ١١١).

(٣) فى تفسير الطبرى (١٤/ ١١٢): «والدخل فى كلام العرب: كل أمر لم يكن صحيحًا».

(٤) قال الطبرى فى تفسيره (١٤/ ١١٢): «أربى: أفعل من الربا، يقال: هذا أربى من هذا وأربأ منه: إذا كان أكثر منه... وإنما يقال: أربى فلان من هذا؛ وذلك للزيادة التى يزيدها على غريمه على رأس ماله».

(٥) قال مقاتل: هى امرأة من قريش تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب، ويقال: ريطة بنت زيد مناة بن تميم. وقال ابن الأنبارى: «اسمها ريطة بنت عمرو المرِّية، ولقبها الجعراء، وهى من أهل مكة، وكانت معروفة عند المخاطبين، فعرفوها بوصفها، ولم يكن لها نظير فى فعلها ذلك...». راجع: زاد المسير (٤/ ٤٨٥)، والتعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام، للسهيلى ص٦٦.

فى سورة الصافات

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾(١) [الصافات: ٦٤، ٦٥].

طلعها: ثمرها، سُمِّىَ طَلْعًا لطلوعه كلّ سنة، ولذلك قيل: طَلْعُ النخل، لأوَّل ما يخرج من ثمره(٢)، فإذا انتقل عن ذلك فصار فى حال أخرى سمى باسم آخر.

والشياطين: حيّات خفيفاتُ الأجسام قبيحات المناظر.

قال الشاعر وذكر ناقةً:

تُلاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِىٍّ كَأَنَّهُ ... تَعمُّجُ شيطانٍ بذى خِرْوَعٍ قَفْرِ(٣)

يعنى: زمامًا، شبَّه تلوِّيه بِتَلَوِّى الحيّة.

وقال آخر:

عُجَيِّزٌ تَحْلِفُ حين أَحْلِفُ ... كمِثْلِ شيطانِ الحَماطِ أعْرَفُ(٤)

والحَماط: شجر(٥). والعرب تقول إذا رأت منظرًا قبيحًا: كأنه شيطان الحَماط.

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٣/ ٤٠، ٤١). وزاد المسير (٧/ ٦٢ ـ ٦٤).

(٢) فى اللسان (١٠/ ١٠٨): «الطلع: نَوْر النخلة ما دام فى الكافور، الواحدة طَلْعة».

(٣) نسبه الجاحظ فى الحيوان (٤/ ١٣٣) لطَرَفة، وهو غير موجود فى ديوانه، وذكره بدون نسبة فى (١/ ١٥٣، ٦/ ١٩٢)، وهو غير منسوب كذلك فى مقاييس اللغة (٢/ ٢٨، ٣/ ١٨٤)، واللسان (١/ ٢٨٧، ٣/ ١٥٣، ١٧/ ١٠٥، ١٨/ ١٣٠)، والمخصص (٨/ ١٠٩).

والمثنى: زمام الناقة، والحضرمى: المنسوب إلى حضرموت، ويقال: تعمجت الحية: أى تلوت، والشيطان: الحية.

(٤) فى اللسان (١٧/ ١٠٤): «فإن العرب تسمى بعض الحيات شيطانًا، وقيل: هو حية له عرف قبيح المنظر». وأنشد لرجل يذم امرأة له: عَنْجَردٌ تحلف... إلخ.

وقد ورد البيت بهذه الرواية من غير نسبة أيضًا فى (٩/ ١٤٦، ١٨/ ٢٤١). ويقال: شىء أعرف: أى له عرف. والعرف: منبت الشعر والريش من العنق.

(٥) راجع اللسان (٩/ ١٤٦).

يريدون: حيّة تأوى فى الحَماط، كما يقولون: أَيْمُ الضَّال[١]، وذِئبُ الغَضَى[٢]، وأرنبُ خُلَّة[٣]، وتَيْسُ حُلَّب[٤]، وقُنفُذُ بُرْقَة[٥].

وذهب بعض المفسرين إلى أنه أراد الشياطين بأعيانها[٦]. شبّه ثمر هذه الشجرة فى قبحه برءوسها، وهى إن لم تُرَ فإنَّها موصوفة بالقبح، معروفة به[٧].

---

(١) فى اللسان (١٤/ ٣٠٦): «الأيْم والأيِّم ـ بسكون الياء، وتشديدها مثل: هين، وهين ـ الحية الأبيض اللطيف، وعم به بعضهم جميع ضروب الحيات».
والضال: نوع من الشجر، راجع وصفه فى اللسان (١٣/ ٤٢٢).

(٢) فى اللسان (١٩/ ٣٦٥): «والعرب تقول: أخبث الذئاب ذئب الغضى، وإنما صار كذا لأنه لا يباشر الناس إلا إذا أراد أن يُغير، يعنون بالغضى هنا الخَمَرَ، فيما ذكر ثعلب، وقيل: الغضى هنا هذا الشجر، ويزعمون أنه أخبث الشجر ذئابًا».

(٣) فى اللسان (١٣/ ٢٢٤): «الخُلَّة من النبات: ما كانت فيه حلاوة من المرعى».

(٤) فى اللسان (١/ ٣٢٣): «يقال: تيس حُلَّب، وتيس ذو حُلَّب، وهى: بقلة جعدة غبراء فى خضرة، تنبسط على الأرض، يسيل منها اللبن إذا قُطع منها شىء... الأصمعى: أسرع الظباء تيس الحُلَّب؛ لأنه قد رعى الربيع...».

(٥) فى اللسان (١١/ ٢٩٨): «البُرقة: أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل، ويقال: قنفذ برقة، كما يقال: ضَبٌّ كُدْية، والجمع بُرَقٌ».

(٦) راجع اللسان (١٧/ ١٠٤، ١٠٥).

(٧) فى تفسير الطبرى (٢٣/ ٤١): «فإن قال قائل: وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين فى القبح، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رءوس الشياطين، وإنما يمثل الشىء بالشىء تعريفًا من الممثل الممثل له قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه، مع معرفة الممثل له الشيئين كليهما أو أحدهما، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين لم يكونوا عارفين بشجرة الزقوم ولا برءوس الشياطين، ولا كانوا رأوهما ولا واحدًا منهما؟
قيل له: أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبيَّنها حتى عرفوا ما هى وما صفتها... فلم يتركهم فى عماء منها.
وأما فى تمثيله طلعها برءوس الشياطين فأقوال لكل منها وجه مفهوم:
أحدها: أن يكون مثل ذلك برءوس الشياطين على ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم، وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم فى مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة فى تقبيح الشىء قال: كأنه شيطان. فذلك أحد الأقوال.
والثانى: أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانًا، وهى حية لها عرف، فيما ذكر، قبيح الوجه والمنظر...
والثالث: أن يكون مثل نبت معروف برءوس الشياطين، ذكر أنه قبيح الرأس».

فى سورة النساء

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[1] [النساء: ٧٨، ٧٩].

الحسنة ههنا: الخِصْبُ والمطر. يقول: إن أصابهم خِصْبٌ وغَيْثٌ قالوا: هذا من عند الله.

والسيئة: الجدب والقحط. يقول: وإن تصبهم سيئة يقولوا: هذه من عندك. أى بشؤمك، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾.

ومثل هذا قوله حكاية عن فرعون وملئه: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ يريد إذا جاءهم الخِصْبُ والمطر قالوا: هذا هو ما لم نَزلْ نَتَعَرَّفه ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ﴾ أى يتشاءمون بهم ﴿ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾[2] [الأعراف: ١٣١] أى ما تطيّروا بموسى ـ لمجيئه ـ من عند الله.

ونحو قوله: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ﴾ أى: خِصْبًا وخيرًا ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أى: جَدْبٌ وقحط ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أى: بذنوبهم ﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[3] [الروم: ٣٦].

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٥/ ١١٠ ـ ١١٢). وزاد المسير (٢/ ١٣٧ ـ ١٣٩).

(٢) فى تفسير الطبرى (٩/ ٢٠، ٢١): «يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ورأوا ما يحبون فى دنياهم قالوا: لنا هذه، ونحن أولى بها، وإن تصبهم سيئة ـ يعنى جدوب وقحوط وبلاء ـ يطيروا بموسى ومن معه، يقول: يتشاءموا بهم ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية مذ جاءنا موسى عليه السلام...».

(٣) فى تفسير الطبرى (٢١/ ٢٩): «يقول تعالى ذكره: وإذا أصاب الناس منا خصب ورخاء وعافية فى الأبدان والأموال فرحوا بذلك، وإن تصبهم منا شدة من جدب وقحط وبلاء فى الأموال والأبدان ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يقول: بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله وركبوا من المعاصى ﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ يقول: إذا هم ييأسون من الفرج. والقنوط هو: الإياس».

ثم قال: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ أى: من خير ﴿فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ أى: من شر ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾(١) [النساء: ٧٩] أى: بذنبك. الخطاب للنبى صلى الله عليه والمُرَادُ غيره، على ما بَيَّنْتُ فى «باب الكناية».

* * *

(١) فى تفسير الطبرى (٥/ ١١١): «يعنى ما يصيبك يا محمد من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك، يتفضل به عليك إحسانًا منه إليك... وما أصابك من شدة وأذى ومكروه فمن نفسك، يعنى بذنب استوجبتها به، اكتسبته نفسك».

في سورة يونس

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1] [يونس: ١١].

يريد أن الناس عند الغضب وعند الضّجر قد يَدْعُون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وبالخزى وتعجيل البلاء، كما قد يدعونه بالرزق والرحمة وإعطاء السُّؤْل.

يقول: فلو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذى يستعجلونه استعجالهم بالخير - لقُضِيَ إليهم أجلُهم، أى لَهَلَكُوا.

وفى الكلام حذف للاختصار، كأنه قال: ولو يُعجّل الله للناس إجابتهم بالشر الذى يستعجلونه استعجالهم بالخير لهلكوا.

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (١١/ ٦٥)، وزاد المسير (٤/ ١١، ١٢).

فى سورة هود

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود:١٧][1].

هذا كلام مردود إلى ما قبله، محذوف منه الجواب للاختصار، على ما بيَّنا فى «باب المجاز».

وإنما ذكر الله تعالى قبل هذا الكلام قومًا ركَنوا إلى الدنيا ورَضُوا بها عوَضًا من الآخرة فقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾[2] [هود:١٥] أى: نُؤتيهم ثوابَ أعمالهم فى الدنيا؛ إذ كان عملُهم لها وطلبُهم ثوابَها، وليس لهم فى الآخرة إلا النار.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ [هود:١٦] أى: ذهب وبطل؛ لأنهم لم يريدوا الله بشىء منه.

ثم قَايَسَ بين هؤلاء وبين النبى صلى الله عليه وصحابته فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ يعنى محمدًا صلى الله عليه ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أى من ربِّه، «الهاء» مَرْدُودَة إلى الله تعالى.

والشاهد من الله تعالى للنبى صلى الله عليه: جبريل عليه السلام[3]، يريد أنه يتبعه ويُؤيِّده ويُسَدِّده ويَشْهَده.

ويقال: الشاهد: القرآن ﴿يَتْلُوهُ﴾ يكون بعده تاليًا شاهدًا له.

(١) انظر تفسير الطبرى (١٢/ ١٠ ـ ١٣). وزاد المسير (٤/ ٨٥ ـ ٨٩).

(٢) والآية التى بعدها: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وانظر تفسير الطبرى (١٢/٨ ـ ١٠).

(٣) راجع تفسير الطبرى (١٢/ ١١، ١٢).

وهذا أعجب إليَّ؛ لأنّه يقول: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ يعنى التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ قبل القرآن يشهد له بما قدَّم الله فيها من ذكره.

والجواب ههنا محذوف. أراد: أفَمنْ كانت هذه حاله كهذا الذى يريد الحياة الدنيا وزينَتها؟ فاكتفى من الجواب بما تقدم؛ إذ كان فيه دليل عليه.

ومثله قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾. ولم يذكر الذى هو ضده؛ لأنه قال بعدُ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1] [الزمر: ٩].

فالقانتون آناءَ الليل والنهار هم الذين يعلمون، وأضدادهم هم الذين لا يعلمون، فاكتفى من الجواب بما تأخَّر من القول؛ إذ كان فيه دليل عليه.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه يؤمنون بهذا.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ يعنى مشركى العرب وغيرهم ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أى فى شك ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[2] الخطاب للنبى صلى الله عليه والمُرَاد غيرُه، على ما بينا فى «باب الكناية».

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٣/١٢٨، ١٢٩).

(٢) فى تفسير الطبرى (١٢/١٢): «يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾ بهذا القرآن فيجحد أنه من عند الله من الأحزاب، وهم المتحزبة على مللهم ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ أنه يصير إليها فى الآخرة بتكذيبه، يقول الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ يقول: فلا تك فى شك منه، من أن موعد من كفر بالقرآن من الأحزاب النار، وأن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك من عند الله. ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن القرآن فقال: إن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك يا محمد الحق من ربك لا شك فيه».

فى سورة الأنعام

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾(١) [الأنعام: ١٥٤].

أراد: آتينا موسى الكتابَ تمامًا على المحسنين، كما تقول: أُوصى بمال للذى غزا وحج، تريد الغازِين الحاجِّين(٢)، ويكون «الذى» فى موضع «من» كأنه قال: تمامًا على من أحسَن.

والمحسنون: هم الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين، والمؤمنون. و«على» فى هذا الموضع بمعنى «لام الجر»، كما يقال: أَتَمَّ الله عليه وأَتَمَّ له. قال الرَّاعى:

رَعَتْهُ أشْهُرًا وَخَلا عَلَيْها ... فَطَارَ النِّىُّ فيها واسْتَغارَا(٣)

أراد: وخلا لها.

وتَلْخيصُهُ: آتينا موسى الكتابَ تتميمًا مِنَّا للأنبياء وللمؤمنين الكُتُبَ ﴿وَتَفْصِيلاً﴾ مِنّا ﴿لِكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾.

وقد يكون أنْ تُجعل «الذى» بمعنى «ما» أى آتينا موسى الكتاب تمامًا على ما أحْسَنَ من العلم والحكمة وكتبِ الله المتقدمة. وأراد بقوله: ﴿تَمَامًا﴾ على ذلك، أى زيادة على ذلك.

والتأويل الأول أعجب إلىّ؛ لأنه فى مصحف عبد الله: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِينَ

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٨/ ٦٦ ـ ٦٨). وزاد المسير (٣/ ١٥٢ ـ ١٥٤).

(٢) نقله ابن الجوزى منسوبًا للمؤلف فى زاد المسير (٣/ ١٥٣).

(٣) البيت له فى اللسان (٦/ ٣٤٣، ١٨/ ٢٦١): «ويروى: فسار النِّىُّ فيها، أى ارتفع. واستغار: أى هبط. وهذا كما يقال: «تَصوَّبَ الحُسْنُ عليها وارتَقَى»، قال الأزهرى: معنى استغار فى بيت الراعى هذا: أى اشتد وصلب، يعنى شحم الناقة ولحمها إذا اكتنز، كما يَستَغير الحبل إذا أُغير، أى شُد فتلُه». وفيه (٢٠/ ٢٢٤): «النى: الشحم، من نَوَت الناقة إذا سمنت».

أَحْسَنُوا﴾[١]. وفى هذا ما دل على ذلك التأويل.

وقد يتصرف أيضًا إلى معنًى آخر، كأنه قال: آتيناه الكتاب إتْمامًا مِنَّا للإحسان على مَنْ أحسَن[٢].

* * *

(١) قراءة عبد الله بن مسعود هذه فى تفسير الطبرى (٨/ ٦٦)، والقراءات الشاذة ص٤١.

(٢) راجع تفسير الطبرى (٨/ ٦٧، ٦٨).

فى سورة المائدة

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ﴾[١] [المائدة: ٣٣].

المحاربون لله ورسوله: هم الخارجون على الإمام وعلى جماعة المسلمين، يُخِيفُون السُّبُل، ويَسْعَوْن فى الأرض بالفساد. وهم ثلاثة أصناف:

* رجل قتل النفس ولم يأخذ مالاً.

* ورجل قتل النفس وأخذ المال.

* ورجل أخذ المال ولم يقتل النفس.

فإذا قَدَرَ الإمامُ عليهم فإنَّ بعضَهم يقول: هو مخيَّر فى هذه العقوبات، بأَيِّها شاءَ عاقبَ كل صِنْفٍ منهم.

وكان بعضهم يجعل لكل صِنفٍ منهم حدًا لا يتجاوَزُه إلى غيره:

* فمن قتل النفس ولم يأخذ المال قُتِل؛ لأن النفس بالنفس.

* ومن قتل النفس وأخذ المال: صُلِبَ إلى أن يموت، فكان الشَّهْر له بالصَّلْب جزاءً له بأخْذِه المال، وقتله جزاءً له بقتله النفس.

* ومن أصاب المال ولم يقتل، فإن شاء الإمامُ قطع يده اليمنى جزاءً بالسَّرِق، ورِجْلَه اليسرى جزاءً بالخروج والمجاهرة بالفساد. وإن شاء نفاه من الأرض.

وقد اختلفوا فى نفيه من الأرض[٢]:

* فقال بعضهم: هو أن يقال: مَنْ لَقِيَه فليقتله.

* وقال آخر: هو أن يُطلَب فى كل أرض يكون بها.

(١) انظر تفسير الطبرى (٦/ ١٣٢ ـ ١٤٢)، وزاد المسير (٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٦).

(٢) راجع تفصيل الخلاف فى تفسير الطبرى (٦/ ١٤٠ ـ ١٤٢)، وزاد المسير (٢/ ٣٤٦).

* وقال آخر: هو أن يُنفَى من بلده.

* وقال آخر: هو أن يُحبَس.

قال أبو محمد: ولا أرى شيئًا من هذه التفاسير أشْبَه بالنفى فى هذا الموضع من الحبس؛ لأنّه إذا حُبس ومُنع من التصرُّف والتقلُّب فى البلاد فقد نُفِىَ منها كلِّها وأُلْجِئَ إلى مكان واحد[١]. وقال بعض المسجونين:

خرَجْنا مِنَ الدُّنيا ونحنُ منَ اهلِها ... فلَسْنا مِنَ الأحياءِ فيها ولا المَوْتَى[٢]
إذا جاءَنا السَّجَّانُ يومًا لِحاجةٍ ... عَجِبْنا وقُلْنا: جاءَ هذا من الدُّنْيَا

ومَنْ جعَلَ النفىَ لهُ أنْ يُقالَ: مَن لَقِيَهُ فليقتله، أو أن يُطلَب فى كل أرض يكون بها: فإنه يذهب ـ فيما أحسب ـ إلى أنَّ هذا جزاؤه قبل أن يُقْدَرَ عليه؛ لأنَّه لا يجوز أن يكون الإمام يظفر به فيدع عقوبته ثم يقول: مَن لقيه فليقتله. أو يجده فيتركه ثم يطلبه فى كل أرض.

وإذا كان هذا هكذا اختلفت العقوباتُ؛ فصار بعضُها لمن قُدِرَ عليه، وبعضُها لمن لم يُقْدَر عليه. وأشْبَهُ الأشياءِ أنْ تكونَ كلّها فيمن ظُفِرَ به.

وأما نفيُه من بلده إلى غيره، فليس نفى الخَارِبِ[٣] من بلده إلى غيره عُقُوبَةً له؛ إذ كان فى خِرَابَتِهِ وخُروجِه غائبًا عن مِصْرِه، بل هو إهمال وتَسْليط وبَعْثٌ على التَّزيُّد فى العَيْث والفساد.

* * *

(١) راجع تفسير الطبرى (٦/١٤١) فإنه يقول: «وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال: معنى النفى من الأرض فى هذا الموضع: هو نفيه من بلد إلى بلد غيره، وحبسه فى السجن فى البلد الذى نفى إليه حتى تظهر توبته من فسوقه ونزوعه عن معصيته ربَّه».

(٢) من أبيات ذكرها ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١/ ٨١ ، ٨٢) ولم ينسبها، وذكرها مع غيرها الشريف المرتضى فى أماليه (١/ ١٠١) ونسبها لصالح بن عبد القدوس. وانظر المحاسن والأضداد ص٣٨.

(٣) فى اللسان (١/ ٣٣٧): «الخارب: اللص... خرب يخرب خرابة، مثل: كتب يكتب كتابة».

فى سورة الأنبياء

﴿وَذَا النُّونِ إذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] [الأنبياء: ٨٧].

يستوحش[2] كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبًا، ويَحْمِلُهم التنزيه لهم، صلوات الله عليهم، على مخالفة كتاب الله جلّ ذِكْره، واستكراهِ التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التى لا تُخيل عليهم، أو على من عَلِمَ منهم ـ أنَّها ليست لتلك الألفاظ بِشكْل، ولا لتلك المعانى بِلِفْق[3].

* كتأوُّلهم فى قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[4] [طه: ١٢١] أى: بَشِمَ من أكل الشجرة. وذهبوا إلى قول العرب: غَوِىَ الفَصِيلُ: إذا أكثر من اللبن حتى يَبْشَم. وذلك غوَى ـ بفتح الواو ـ يَغْوِى غَيًّا. وهو من البَشَم: غَوِى ـ بكسر الواو ـ يغوَى غَوًى. قال الشاعر يذكر قوسًا:

مُعَطَّفَةُ الأثْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُها ... بِرَازِئِهَا دَرًّا ولا مَيِّتٍ غَوَى[5]

وأراد بالفَصِيل: السَّهم. يقول: ليس يَرْزَؤُها دَرًّا، ولا يموتُ بَشَمًا.

---

(١) فى تفسير الطبرى (١٧/ ٦٠، ٦١): «يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد ذا النون، يعنى صاحب النون، والنون: الحوت، وإنما عنى بذى النون يونس بن متى...».

(٢) من هنا إلى قوله: «حتى يكون معاودًا لذلك الفعل معروفًا به» نقله البلوى فى كتاب ألف باء (٢/ ٣٨٨).

(٣) اللفق: ـ بكسر اللام ـ أحد لِفْقَىِ المُلاءة، وهما لِفْقان، ما داما متضامين. راجع اللسان (١٢/ ٢٠٦)، وأساس البلاغة (٢/ ٣٤٩).

(٤) تفسير الطبرى (١٦/ ١٦٢).

(٥) البيت غير منسوب فى اللسان (١٩/ ٣٧٩): «يعنى القوس وسهمًا رمى به عنها، وهذا من اللغز»، وغوى هنا مصدر ليس بفعل. وهو فى إصلاح المنطق ص٢١٣، ٢٢٧ غير منسوب، وتهذيب إصلاح المنطق (٢/ ٥٤)، وتفسير الطبرى (٨/ ٩٩)، والمقصور والممدود ص٨١. وانظره مع شرحه فى المعانى الكبير (٢/ ١٠٤٧).

ولو وُجِد أيضًا فى «عصَى» مثل هذا السَّنَن لركبوه، وليس فى «غَوَى» شىءٌ إلا ما فى «عَصَى» من مَعْنَى الذّنب؛ لأن العاصِىَ لله التَّارِك لأمره غاوٍ فى حاله تلك، والغَاوى عاصٍ. والغَىُّ ضدُّ الرُّشد، كما أن المعصية ضد الطاعة.

وقد أكل آدمُ ﷺ من الشجرة التى نُهِىَ عنها باستزْلالِ إبليس وخدائعه إيَّاه بالله والقسم به إنه لمنَ الناصحين، حتى دَلاَّهُ بغُرُورٍ[١]. ولم يكن ذنبه عن إرْصاد[٢] وعداوة وإرْهَاصٍ[٣] كذُنوب أعداءِ الله. فنحن نقول: «عصَى وغَوَى»، كما قال الله تعالى، ولا نقول: آدم «عاصٍ ولا غَاوٍ»؛ لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدِّم ولا نيّة صحيحة، كما تقول لرجل قطع ثوبًا وخاطه: قد قطعه وخاطه، ولا تقل «خائط ولا خيَّاط» حتى يكون مُعَاوِدًا لذلك الفعل، معروفًا به.

* * *

* وكتأولهم فى قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ أنها همَّتْ بالمعصية، وهمّ هو بالفرار منها! وقال بعضهم: وهمَّ بضربها! والله تعالى يقول: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[٤] [يوسف:٢٤]. أفترَاه أراد الفرار منها، أو الضرب لها، فلما رأى البرهان أقام عندها وأمسك عن ضربها؟! هذا ما ليس به خفاء ولا يغلُط مُتَأوِّلُه. ولكنها همَّتْ منه بالمعصية هَمَّ نِيَّة واعتقاد، وهَمَّ نبى الله ﷺ هَمًّا عارِضًا بعد طُول المُرَاوَدَة، وعند حدوث الشهوة التى أُتِىَ أكثرُ الأنبياء فى هفواتهم منها.

وقد رُوِى فى الحديث[٥]: أنه ليس من نبى إلا وقد أخطأ أو هَمَّ بخطيئة غير يحيى

---

(١) فى اللسان (١٨/ ٢٩٢) عن الجوهرى: «ودلاَّه بغرور: أى أوقعه فيما أراد من تغريره».

(٢) الإرصاد: الإعداد، كما فى اللسان (٤/ ١٥٨).

(٣) فى اللسان (٨/ ٣١١): «والإرهاص على الذنب: الإصرار عليه، وفى الحديث: وإن ذنبه لم يكن عن إرهاص؛ أى عن إصرار وإرصاد، وأصله من الرَّهْص، وهو تأسيس البنيان».

(٤) انظر تفسير الطبرى (١٢/ ١٠٨ ـ ١١٣).

(٥) روى الإمام أحمد فى مسنده (٤/ ٨٠ ـ المعارف) عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد من ولد آدم إلا قد أخطأ أو همَّ بخطيئة، ليس يحيى بن زكريا».

وفى مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٩): «عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: كل بنى آدم يلقى الله بذنب، وقد يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا؛ فإنه كان سيداً وحصوراً ونبيًّا من =

ابن زكريا عليهما السلام؛ لأنَّه كان حَصُوراً لا يأتى النساء ولا يُرِيدُهُنَّ. فهذا يَدُلُّك على أنَّ أكثر زلَّات الأنبياء من هذه الجهة، وإن كانوا لم يَأْتُوا فى شىء منها فاحشةً، بنِعَم الله عليهم ومَنِّه؛ فإن الصغير منهم كبيرٌ، لِمَا آتاهم الله من المعرفة، واصطفاهم له من الرسالة، وأقام عليهم من الحُجَّة. ولذلك قال يوسف صلى الله عليه: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣] يريد ما أضمره وحدَّث به نفسَه عند حدوث الشّهوة. وقد وضع الله تعالى الحَرَجَ عمَّن هَمَّ بخطيئةٍ ولم يعملها.

* * *

وقالوا فى قوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً﴾: إنه غاضَبَ قومه! استيحاشًا من أن يكون مع تأييد الله وعصمته وتوفيقه وتطهيره يخرج مُغَاضِبًا لربِّه. ولم يذهب مغاضبًا لربِّه ولا لقومه؛ لأنّه بُعث إليهم فدعاهم بُرْهَةً من الدّهر فلم يستجيبوا، ووعَدَهم عن الله فلم يرغبوا، وحذَّرهم بأسه فلم يرهبوا، وأعلمهم أنّ العذابَ نازلٌ عليهم لوقتٍ ذَكَرَهُ لهم، ثم إنه اعتزلهم يَنْتَظِرُ هَلَكَتَهم. فلما حضر الوقت أو قرُب فكَّرَ القومُ واعتبروا، فتابوا إلى الله وأنابوا، وخرجوا بالمراضيع وأطفالها يَجْأَرُون ويتضرَّعون، فكشف الله تعالى عنهم العذابَ، ومتَّعهم إلى حين.

فإنْ كان نبى الله، صلى الله عليه ذهب مُغَاضِبًا على قومه قبل أن يؤمنوا، فإنما راغَمَ من استحق فى الله أن يُرَاغَمَ، وهَجَرَ من وجب أن يهجر، واعتزل من علم أنْ قد حقَّت عليه كلمةُ العذاب. فبأىِّ ذنبٍ عُوقِب بالتهام الحوت، والحَبْسِ فى الظُّلُمات، والغمّ الطويل؟

وما الأمر الذى أَلاَمَ فيه فَنَعاهُ اللهُ عليه إذْ يقول: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات:١٤٢]، والمُليمُ: الذى أَجْرَمَ جُرْمًا استوجب به اللَّوْم؟

ولِمَ أخرجهُ من أُولى العَزْم من الرُّسُل، حين يقول لنبيه صلى الله عليه: ﴿فَاصْبِرْ

= الصالحين. وأهوى النبى إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال: ذكَره مثل هذه القذاة. رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه حجاج بن سليمان الرعينى. وثّقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبو زرعة وغيره. وبقية رجاله ثقات».

وانظر تفسير الطبرى (٦/ ٣٧٧، ٣٧٨).

لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ [القلم: ٤٨]؟

وإن كان الغضب عليهم بعد أن آمنوا، فهذا أغْلظ مما أنكروا، وأفْحش مما استقبحوا؛ كيف يجوز أن يغضب على قومه حين آمنوا، ولذلك انتُجِبَ[١]، وبه بُعث، وإليه دعا؟!

وما الفرق بين عدو الله ووليّه إن كان وليّه يغضب من إيمان مائة ألف أو يزيدون؟

والقول فى هذا: أنّ المُغَاضَبَة: المُفَاعَلَة من الغضب، والمُفَاعَلَة تكون من اثنين، تقول: غَاضَبْتُ فلانًا مُغَاضَبَةً وتَغَاضَبْنَا: إذا غضب كلٌّ واحد منكما على صاحبه، كما تقول: ضارَبْتُهُ مُضارَبَةً، وقاتلتُه مُقاتلةً، وتَضَارَبْنَا وتقاتلنا.

وقد تكون المفاعلة من واحد، فتقول: غاضَبتُ من كذا: أى غَضِبْتُ، كما تقول: سافرتُ وناولْتُ، وعَاطيتُ الرَّجُلَ، وشَارَفْتُ الموضع، وجاوزْتُ، وضاعَفْتُ، وظاهرتُ، وعاقبتُ.

ومعنى المُغَاضَبة ههنا: الأنفَة؛ لأنَّ الأنِفَ من الشيء يَغْضَبُ، فتُسَمَّى الأَنَفةُ غضبًا، والغضبُ أنفةً؛ إذا كان كل واحد بسببٍ من الآخر، تقول: غضبت لك من كذا، وأنت تُرِيد أنِفْتُ، قال الشاعر:

غَضِبْتُ لَكُمْ أَنْ تُسَامُوا اللَّفَاءَ بِشَجْنَاءَ مِنْ رَحِمٍ تُوصَلُ[٢]

يروى مرة: «أنِفْتُ لكم»، ومرة: «غضبت لكم»؛ لأنّ المَعْنَيين متقاربان.

وكذلك «العَبَدُ» أصله: الغَضَبُ. ثم قد تُسمَّى الأَنَفةُ عَبَدًا. قال الشاعر:

* وأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بِدَارِمِ[٣] *

---

(١) المنتجب: المختار من كل شيء، كما فى اللسان (٢/ ٢٤٥).

(٢) نسبه ابن قتيبة فى المعانى الكبير (١/ ٥٢٨) لخداش بن زهير، وروايته فيه: «أنفنا لهم»، وقد قال فى شرحه: «اللفاء: النقصان، وشجناء: اشتباك الرحم، ومنه قول النبى ﷺ فى الرحم: إنها شِجْنة من الله عز وجل. وشجر متشجِّن: ملتف».

(٣) فى اللسان (٤/ ٢٦٥): «وقيل فى قول الفرزدق:

أولئك قومٌ إنْ هجونى هجوتُهم واعْبَدُ أنْ أهجو كُلَيْبًا بدَارِمِ

أعبد: أى آنَفُ. وقد سبق البيت ص٣٥٩.

يريد: آنَفُ.

وحكى أبو عُبَيد، عن أبى عَمْرو، أنّه قال فى قوله تعالى: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف:٨١]: هو من الغضب والأنَفَة. ففسَّرَ الحرف بالمعنيين لتقاربهما.

فكأنّ نبيّ الله ﷺ لمّا أخبرهم عن الله أنَّه مُنزل العذاب عليهم لأجَلٍ، ثم بَلَغَهُ بعد مُضِيِّ الأجَلِ أنّه لم يأتهم ما وعدهم - خَشِيَ أنْ يُنْسَبَ إلى الكذب ويُعَيَّر به، ويُحقَّق عليه، لا سيّما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب فنفعها إيمانُها غيرُ قومه، فدخلته الأَنَفَةُ والحَمِيَّة، وكان مَغيظًا بطول ما عاناه من تكذيبهم وهُزْئهم وأذاهم واستخفافهم بأمر الله، مُشْتَهِيًا لأن ينزل بأسُ الله بهم. هذا إلى ضِيقِ صَدْرِه، وقلّة صبره على ما صبر على مثله أولو العَزْم من الرُّسل.

وقد روى فى الحديث[1] أنه كان ضيِّق الصدر، فلما حُمِّلَ أعْبَاءَ النُّبُوَّة تَفَسَّخَ تحتها تَفسُّخَ الرُّبَع[2] تحت الحِمْل الثَّقيل، فمضى على وجهه مُضِيَّ الآبِق النَّادِّ. يقول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الصافات:١٣٩، ١٤٠].

* * *

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أى: لن نُضيِّقَ عليه، وأنَّا نُخلِّيه ونُهْمِله[3]. والعرب تقول: فُلانٌ مُقدَّر عليه فى الرزق، ومُقتَّرٌ عليه، بمعنًى واحد، أى مضيَّق عليه.

(١) فى تفسير الطبرى (١٧/ ٦١): «حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن، عن وهب بن منبِّه اليمانى قال: سمعته يقول: إن يونس بن متى كان عبدًا صالحًا، وكان فى خلقه ضيق، فلما حُمِّلت عليه أثقال النبوة - ولها أثقال لا يحملها إلا قليل - تفسَّخ تحتها تفسخ الرُّبع تحت الحمل، فقذفها بين يديه، وخرج هاربًا منها، يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم:٤٨] أى لا تلق أمرى كما ألقاه».

وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٥٨٤، ٥٨٥)، وكلمة «أمرى» فيه حرفت إلى «أخرى». وهو غير مسند فى تفسير البغوى (٥/ ٥٢٤). وما ذكره ابن قتيبة نقله القرطبى فى تفسيره (١١/ ٣٣٩).

(٢) فى اللسان (٤/ ١٤): «وتفسَّخ الرُّبَعُ تحت الحمل الثقيل: وذلك إذا لم يُطقه». وفيه (٩/ ٤٦١): «الربع: الفَصِيل الذى يُنتج فى الربيع».

(٣) راجع تفسير الطبرى (١٧/ ٦٢، ٦٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر:١٦]. وقَدَرَ - بالتخفيف والتثقيل - قال أبو عَمْرو بن العَلاء: قَتَر وقَتَّر، وقَدَر وقَدَّر، بمعنًى واحد، أى ضيَّق. فعاقبه اللهُ عن حميَّته وأنَفَته وإباقته، وكراهيته العفوَ عن قومه، وقَبُولِ إنَابَتِهِمْ - بالحبس له، والتَّضييق عليه فى بطن الحوت.

وفى رواية أبى صالح: أن ملكًا من ملوك بنى إسرائيل كان أمَرَه بالمسير إلى «نِينَوَى» ليدعوَ أهلها بأمر «شَعْيَاء» النبى عليه السلام، فأنِفَ من أن يكون ذهابه إليهم بأمر أحدٍ غير الله تعالى، فخرج مُغَاضِبًا للملك، فعاقبه الله بالتِقَام الحُوتِ.

قال: فلما قذفهُ الحوت بعثه اللهُ إلى قومه فدعاهم وأقام بينهم حتى آمنوا[١].

* * *

(١) راجع ما روى فى ذلك فى: تفسير البغوى (٥/ ٥٢٣)، والدر المنثور (٤/ ٣٣٢ - ٣٣٤).

فى سورة يوسف

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾[١] [يوسف: ١١٠].

قد تكلم المفسرون فى هذه الآية بما فيه مَقْنَعٌ وغناء عن أن يُوضَّح بغير لفظهم:

* فروَى عبد الرّزاق، عن مَعْمَرٍ عن قتادة أنّه قال: ﴿اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ من قومهم ﴿وَظَنُّوا﴾ أى: علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ وكان يقرؤها بالتشديد[٢].

* وروَى عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزُّهْرِى، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: اسْتَيْأَسَ الرُّسُل ممن كذَّبهم من قومهم أن يُصَدِّقوهم، وظنَّت الرّسل أن من قد آمن بهم من قومهم قد كذَّبوهم، جاءَهم نصر الله عند ذلك. وكانت تقرأ ﴿فكُذِّبوا﴾ بضم الكاف وتشديد الذال[٣].

* وروى حجّاج، عن ابن جُرَيج، عن ابن أبى مُلَيْكة، عن عُروَة، عن عائشة أنها قالت: لم يزل البلاءُ بالرّسل حتى خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين قد كذَّبوهم[٤].

---

(١) انظر تفسير الطبرى (١٣/٥٣ ـ ٥٨).

(٢) قال الطبرى فى تفسيره (١٣/٥٨): «وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قرأة المدينة والبصرة والشام؛ أعنى بتشديد الذال من «كذبوا» وضم كافها. وهذا التأويل الذى ذهب إليه الحسن وقتادة فى ذلك ـ إذا قرئ بتشديد الذال وضم الكاف ـ خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة؛ لأنه لم يوجه الظن فى هذا الموضع منهم أحد إلى معنى العلم واليقين، مع أن الظن إنما استعمله العرب فى موضع العلم فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر أو من غير وجه المشاهدة والمعاينة، فأما ما كان من علم أُدرك من وجه المشاهدة والمعاينة فإنها لا تستعمل فيه الظن، لا تكاد تقول: أظننى حيًا، وأظننى إنسانًا، بمعنى: أعلمنى إنسانًا، وأعلمنى حيًا. والرسل الذين كذبتهم أممهم لا شك أنها كانت لأممها شاهدة، ولتكذيبها إياها منها سامعة، فيقال فيها: ظنت بأممها أنها كذبتها».

(٣) تفسير الطبرى (١٣/٥٨).

(٤) تفسير الطبرى (١٣/٥٧).

* وروَى حَجَّاج، عن ابن جُرَيجٍ، عن مُجَاهد أنه قرأها ﴿قد كَذَبُوا﴾ بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال، يريد: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم فظنَّ قومُهم أنَّ الرُّسلَ قد كَذَبوا فيما بلَّغوا عن الله عز وجل(١).

* وروَى حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن ابن أبى مُليكة، عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿كُذِبُوا﴾ بضم الكاف وكسر الذال وتخفيفها. وقال: كانوا بشرًا، يعنى الرسل، يذهب إلى أن الرسل ضَعُفُوا فظنُّوا أنهم قد أُخْلِفُوا(٢).

وهذه مذاهب مختلفة، والألفاظ تحتملها كلّها، ولا نعلم ما أراد الله عز وجل، غير أنّ أحْسنَها فى الظاهر، وأولاها بأنبياء الله، صلوات الله عليهم، ما قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.

* * *

(١) فى تفسير الطبرى (١٣/٥٨): «وروى عن مجاهد فى ذلك قول هو خلاف جميع ما ذكرنا من أقوال الماضين الذين سمينا أسماءهم وذكرنا أقوالهم، وتأويل خلاف تأويلهم، وقراءة غير قراءة جميعهم، وهو أنه كان يقرأ «وظنوا أنهم قد كذبوا» بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال... وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها؛ لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار على خلافها. ولو جازت القراءة بذلك لاحتمل وجهًا من التأويل، وهو أحسن مما تأوله مجاهد، وهو: حتى إذا استيأس الرسل من عذاب الله قومها المكذبة بها، وظنت الرسل أن قومها قد كذبوا وافتروا على الله بكفرهم بها. ويكون الظن موجهًا حينئذ إلى معنى العلم، على ما تأوله الحسن وقتادة».

(٢) قال الطبرى فى تفسيره (١٣/٥٧): «وهذا تأويل، وقول غيره من أهل التأويل أولى عندى بالصواب، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء. والرسل إن جاز أن يرتابوا بوعد الله إياهم، ويشكوا فى حقيقة خبره مع معاينتهم من حجج الله وأدلته ما لا يعاينه المرسَل إليهم فيعذروا فى ذلك - إن المرسل إليهم لأولى فى ذلك منهم بالعذر. وذلك قول إن قاله قائل لا يخفى أمره. وقد ذكر هذا التأويل لعائشة فأنكرته أشد النكرة، وقالت: معاذ الله، ما حدث الله رسوله شيئًا قط إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى ظن الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوهم. وكانت تقرؤها: «قد كذبوا» تثقلها».

فى سورة لإيلاف قريش

يذهب «بعض الناس» إلى أنّ هذه السورة وسورة الفيل واحدة.

وبلغنى عن ابن عُيَيْنَةَ أنه قال: كان لنا إمام بالكوفة يقرأ: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾ و﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**﴾ ولا يفرِّق بينهما.

وتَوَهَّم القومُ أنهما سورة واحدة؛ لأنهم رأوا قوله: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**﴾ مردودًا إلى كلام فى سورة الفيل.

وأكثر الناس على أنهما سورتان، على ما فى مصحفنا، وإن كانتا مُتَّصِلَتَى الألفاظ، على مذهب العرب فى التضمين.

والمعنى أنّ قريشًا كانت بالحرم آمنة من الأعداء أنْ تهجم عليها فيه، وأنْ يعرض لها أحدٌ بسوء إذا خرجت منه لتجارتها. وكانوا يقولون: قريش سُكانُ حرم الله، وأهل الله وولاة بيته. والحرمُ وادٍ جَدِيب لا زرع فيه ولا ضَرْعَ، ولا شجر ولا مَرْعَى، وإنما كانت تعيش قريش فيه بالتّجارة، وكانت لهم رحلتان فى كل سنة: رحلةٌ إلى اليمن فى الشتاء، ورحلة فى الصيف إلى الشام. ولولا هَاتَانِ الرِّحلتَانِ لم يُمكن به مُقام، ولولا الأَمْنُ بجوارِهم البيت لم يقدروا على التصرُّف.

فلمَّا قصد أصحاب الفيل إلى مكة ليَهْدِموا الكعبة ويَنْقُلُوا أحجارها إلى اليمن فيبنوا به هناك بيتًا ينتقِل به الأمن إليهم، ويصير العزُّ لهم، أهْلَكَهم اللهُ سبحانه؛ لتُقيم قريش بالحَرم، ويجاوروا البيت، فقال يَذكر نعمته: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ**﴾. ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**﴾ أى: فَعل ذلك ليُؤَلِّف قريشًا هاتين الرِّحلتين اللَّتين بهما تَعَيُّشُهُمْ ومُقَامُهم بمكة[1].

---

(١) قال الطبرى فى تفسيره: (٣٠/١٩٧): «واختلف أهل العربية فى المعنى الجالب هذه اللام فى قوله: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**﴾ فكان بعض نحويى البصرة يقول: الجالب لها قوله: ﴿**فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ**﴾ =

تقول: أَلِفْتُ موضع كذا؛ إذا لَزِمْتَه، وآلَفَنِيه اللهُ، كما تقول: لزمت موضع كذا، وألزَمَنِيه اللهُ.

وكرَّر ﴿لِإِيلَافِ﴾ كما تقول في الكلام: أعطيتك المال لصيانة وجهك صِيانةً عن كلِّ الناس، فتكرَّر الكلام للتوكيد، على ما بينا في «باب التكرار».

ثم أمرهم بالشكر فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم﴾ [قريش: ٣، ٤] في هذا الموضع الجَدِيب من الجوع، وآمنهم فيه والناس يُتَخطَّفُونَ حَوْلَهُ من الخوف.

* * *

= فهي في قول هذا القائل صلة لقوله: جعلهم. فالواجب على هذا القول أن معنى الكلام: ففعلنا بأصحاب الفيل هذا الفعل نعمة منا على أهل هذا البيت، وإحسانًا منا إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف. فتكون اللام في قوله: ﴿لإيلاف﴾ بمعنى إلى، كأنه قيل: نعمة لنعمة وإلى نعمة؛ لأن إلى موضع اللام واللام موضع إلى... كان بعض نحويي الكوفة يقول: وقد قيل هذا القول، ويقال: إنه تبارك وتعالى عجب نبيه فقال: اعجب يا محمد لنعم الله على قريش في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، ثم قال: فلا يتشاغلوا بذلك عن الإيمان واتباعك، يستدل بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ وكان بعض أهل التأويل يوجه تأويل قوله: ﴿لإيلاف قُرَيْشٍ﴾ إلى ألفة بعضهم بعضًا... والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن هذه اللام بمعنى التعجب، وإن معنى الكلام: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، فليعبدوا رب هذا البيت. والعرب إذا جاءت بهذه اللام فأدخلوها في الكلام للتعجب اكتفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل الذي يجلبها. وأما القول الذي قاله من حكينا قوله أنه من صلة قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ فإن ذلك لو كان كذلك لوجب أن يكون ﴿لإيلاف﴾ بعض ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، وأن لا تكون سورة منفصلة من ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، وفي إجماع المسلمين على أنهما سورتان تامتان كل واحدة منهما منفصلة عن الأخرى ما يبين عن فساد القول الذي قاله من قال ذلك، ولو كان قوله: ﴿لإيلاف قُرَيْشٍ﴾ من صلة قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ لم تكن ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تامة حتى توصل بقوله: ﴿لإيلاف قُرَيْشٍ﴾؛ لأن الكلام لا يتم إلا بانقضاء الخبر...».

فى سورة النحل

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾[١] [النحل: ٤٨].

تَفَيُّؤُ الظِّلالِ: رجوعُها من جانب إلى جانب، فهى مرة تُجَاهَ الشَّخْص، ومرة وراءه، ومرة عن يمينه، ومرة عن شماله.

وأصل الفَيْء: الرُّجوع، ومنه قيل للظل فى العَشِيّ: فَيْءٌ، لأنه فَاءَ، أى رجع من جانب إلى جانب. ومنه الفَيْءُ فى الإيلاء[٢] إنما هو: الرّجوع إلى المرأة.

وأصل السجود: التَّطَأْطُؤ والميل، يقال: سجد البعير وأَسْجِد: إذا طُؤْطِئَ لِيُرْكَب، وسجدت النَّخلة: إذا مالت. قال لبيد يصف نخلاً:

* غُلْبٌ سَوَاجِدُ لم يَدْخُل بها الحَصَرُ[٣] *

فالغُلْب: الغلاظ الأعناق[٤]. والسَّوَاجِدُ: المواثل.

ومن هذا قيل لمن وضع جبهته بالأرض: ساجد؛ لأنه تَطَامَنَ فى ذلك.

ثم قد يُستعارُ السجودُ فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذُّل، كما يستعار التطأطؤُ والتَّطامنُ فيوضعان موضع الخشوع والخضوع والانقياد والذل، فيقال: تَطَامَنْ

(١) فى تفسير الطبرى (١٤/ ٧٨): «فتأويل الكلام إذًا: أَوَلَمْ ير هؤلاء الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من جسم قائم: شجر أو جبل أو غير ذلك، يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل، يقول: يرجع من موضع إلى موضع، فهو فى أول النهار على حال ثم يتقلص ثم يعود إلى حال أخرى فى آخر النهار».

(٢) الإيلاء: الحلف، يقال: آليت من امرأتى أُولى إيلاءً: إذا حلف أن لا يجامعها.

(٣) ديوانه ص٦٠. وفى اللسان (٤/ ١٨٩): «ونخلة ساجدة: إذا أمالها حملها، وسجدت النخلة: إذا مالت، ونخل سواجد: مائلة، عن أبى حنيفة، وأنشد للبيد:

بين الصَّفَا وخَلِيجِ العينِ ساكنةٌ غُلْبٌ سواجدُ لم يدخلْ بها الحَصَرُ

قال: وزعم ابن الأعرابى أن السواجد هنا: المتأصِّلة الثابتة». والحصر: العطش.

(٤) اللسان (٢/ ١٤٤).

للحق؛ أى اخْضَع له، وتَطَأْطَأْ لها تَخَطَّك؛ أى تذلَّل لها ولا تَعززْ.

ومن الأمثال المبتذلة: اسْجُدْ للقرد فى زمانه[١]. يراد: اخضع للسِّفْلة واللئيم فى دولته، ولا يُراد معنى سجود الصلاة. قال الشاعر:

بِجَمْعٍ تَضِـلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاتِه ... تَرَى الأُكْمَ فيها سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ[٢]

يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأُكْمَ ووَطِئَتْها حتى خشعت وانخفضت.

ومن خلق الله عز وجل المُسَخَّرُ المقصورُ على فعل واحد، كالنَّار شأنها الإحراق، والشمس والقمر شأنُهُمَا المسير الليلَ والنَّهارَ دَائِبَيْن، والفلك المسخَّر للدوران.

ومنه المُسَخَّرُ لمعنيين، ثم هو مُخَيَّرٌ بينهما، كالإنسان فى الكلام والسكوت، والقيام والقعود، والحركة والسكون. والشمس والظلّ خَلْفان مُسَخَّران لأَنْ يُعَاقِبَ كلٌّ واحدٍ منهما صاحِبَه بغير فَصْلٍ.

والظلُّ فى أول النهار قبل طلوع الشمس يَعُمُّ الأرضَ كما تَعُمُّها ظلمةُ الليل، ثم تطلعُ الشمسُ فَتَعُمُّ الأرضَ إلا ما سترته الشُّخُوصُ، فإذا ستر الشَّخص شيئًا عاد الظلّ. فرجوعُ الظلِّ بعد أن كان شمسًا، ودورَانُه من جانب إلى جانب ـ هو سُجُودُه؛ لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتَّسخير، وهو فى ذلك يميل، والميل: سجود.

---

(١) فى الحيوان (١/ ٣٤٥): «وقال العتابى:

اسجدْ لقردِ السوء فى زمانه ... وإنْ تلقَّــاك بخُنْزُوانه

لا سيَّما ما دام فى سُلْطانه»

(٢) من أبيات لزيد الخيل فى الكامل (١/ ٣٥٨)، وروايته: «بجيش». وقال المبرد فى شرحه: «قوله: «تضل البلق فى حجراته» يقول: لكثرته لا يرى فيه الأبلق، والأبلق مشهور المنظر؛ لاختلاف لونيه. وحجراته: نواحيه. وقوله: «ترى الأكم فيها سجداً للحوافر» يقول: لكثرة الجيش تطحن الأكم حتى تلصقها بالأرض».

والبيت فى المعانى الكبير لزيد، وفى شرحه يقول ابن قتيبة: «يقول: إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف فغيرها أحرى أن تضل، يصف كثرة الجيش، ويريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر».

وهو لزيد أيضًا فى الأغانى (١٦/ ٥٢)، ومجموعة المعانى ص١٩٢، ومجمع البيان (١/ ١٤١)، وتفسير الطبرى (١/ ٢٨٩)، وغير منسوب فيه (١/ ٢٣٨)، وفى الأضداد لابن الأنبارى ص٢٥٧، والصناعتين ص٢٢١، والصاحبى ص٢٢٤، والأزمنة والأمكنة (١/ ٣٥)، وعجزه كذلك فى اللسان (٤/ ١٨٩)، والبحر المحيط (١/ ٥١). ولعروة بن زيد فى الوساطة ص٤٣٥.

وكذلك قوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:٦] أى: يستسلمان لله بالتَّسْخير.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [الرعد:١٥] أى: يستسلم مَنْ فى السموات مِنَ الملائكة ومن فى الأرض من المؤمنين طَوْعًا، ويستسلم مَنْ فى الأرض مِنَ الكافرين كَرْهًا مِنْ خوف السيف ﴿وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ مُسْتَسْلِمةٌ.

وهو مثل قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

* * *

فى سورة ويل لكل همزة

﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾[1] [الهمزة: ٦، ٧].

قوله: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ أى تُوفِى عليها وتُشْرِفُ، ويقال: طلعَ الجبلَ واطَّلَع عليه؛ إذا علا فَوْقَه.

وخصَّ الأفئدة؛ لأن الألمَ إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه. فأخبرنا أنهم فى حال مَن يموت وهم لا يموتون.

وهو كما قال: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] يريد أنه فى حال من يموت وهو لا يموت.

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (٣٠/ ١٩٠).

فى سورة محمد صلى الله عليه

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[1] [محمد: ٢٠ ـ ٢٢].

كان المسلمون إذا بطل الوحىُ يقولون: هلاَّ نزل شىءٌ، تَأْميلاً أن تنزل عليهم بُشْرى من الله وفتحٌ وخير وتخفيف ﴿ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ أى مُحْدَثة. وسُميت المحدَثة مُحْكَمَةً؛ لأنها حين تنزل تكون كذلك حتى يُنْسَخَ منها شىءٌ. وهى فى حَرْف عبد الله: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدَثَةٌ﴾[2]. ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴾ أى: فُرِضَ فيها الجهاد ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أى: شكٌّ ونفاق ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ يريد أنهم يشخصون نحوَكَ بأبصارهم، وينظرون نظرًا شديدًا بتحديق وتحديد، كما ينظر الشَّاخِصُ ببصره عند الموت، من شدَّة العداوة. والعرب تقول: رَأَيْتُه لَمْحًا بَاصِرًا؛ أى نظرًا صُلْبًا بتحديق. ونحوه قوله: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ [القلم: ٥١] أى: يسقطونك بشدة نظرهم؛ وقد تقدم ذكر هذا[3].

ثم قال: ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ تَهَدُّدٌ وَوَعِيدٌ. وتمّ الكلام، ثم قال: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ وهذا مختصر، يريد قولهم قبل نزول الفَرْضِ: سَمْعٌ لك وطاعة.

﴿ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ ﴾ أى: جاء الجِدّ كرهوا ذلك، فحذف الجواب، على ما بينت فى «باب الاختصار»[4].

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٦/ ٣٤ ـ ٣٦)، والبحر المحيط (٨/ ٨٠ ـ ٨٢).

(٢) تفسير الطبرى (٢٥/ ٣٤).

(٣) راجع ص ٢٠٠.

(٤) راجع ص١٦٩.

ثم ابتدأ فقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾. ثم قال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أى: انصرفتم عن النبى عليه السلام وما يأمركم به ﴿أَن تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ يريد: فهل تريدون إذا أنتم تركتم محمدًا صلى الله عليه وما يأمركم به أن تَعُودُوا إلى مثل ما كنتم عليه من الكفر والإفساد فى الأرض وقطعِ الأرحام؟

* * *

فى سورة ق

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1] [ق: ٢١ ـ ٢٩].

السائق ههنا: قرينُها من الشياطين، سُمِّى سائقًا لأنه يتبعها وإنْ لم يَحُثَّها ويدفعها. وكان رسول الله صلى الله عليه يسوق أصحابه، أى يكون وراءهم.

والشَّهيد: المَلَك الشاهد عليها بما عملت.

يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ فى الدنيا ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ أى: أريناك ما كان مستورًا عنك فى الدنيا ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أى: فأنت ثَاقبُ البصر لَمَّا كُشف عنك الغطاء.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ يعنى: المَلَك ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ يعنى: ما كتبه من عمله حاضر عندى.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يقال: هو قول الملك، ويقال: قول الله جل ذكره. و﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ من الشياطين: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

* * *

وهذا مثل قوله سبحانه: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] يعنى: قرناءهم. والعرب تقول: زَوَّجتُ البعير بالبعير؛ إذا قَرَنْتَ أحدَهُما بالآخر. ومنه قوله: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤] أى: قَرَنَّاهم بهن.

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٦/ ١٠١ ـ ١٠٥).

ثم قال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ [الصافات: ٢٧ ـ ٣١] يعنى: نحن وأنتم ذائقون العذاب، وقد تقدم تفسير هذا[(١)].

* * *

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ يعنى: المجرمين وقُرَنَاءَهم من الشياطين ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أى: لا يُغَيَّرُ عن جهته، ولا يُحَرَّف، ولا يُزاد فيه ولا يُنقَص؛ لأنِّى أعلم كيف ضلُّوا وكيف أضللتموهم ﴿وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

* * *

(١) راجع ص ٣٤٠.

فى سورة الروم

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾[1] [الروم: ١ ـ ٥].

كانت «فارس» غلبت «الروم» على أرض الجزيرة، وهى أَدْنَى أرض الروم من سلطان فارس، فسُرَّ بذلك مشركو قريش.

وكان المسلمون يحبّون أن تَظْهَرَ الروم على أهل فارس؛ لأن الروم أهل كتاب، وأهل فارس مجوس، فساءهم أن غلبوهم على شيء من بلادهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أى: والروم من بعد أن غُلبُوا ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ أهل فارس. وغَلَبهم يكون للغالبين والمغلوبين جميعًا، كما تقول: والشهداء من بعد قَتْلهم سيُرزقون، أى: من بعد أن قتلوا ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ والبِضْعُ: ما فوق الثلاث ودون العشر. فغَلَبت الرومُ أهلَ فارس وأخرجوهم من بلادهم «يوم الحُدَيْبية».

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أى: له الغلبة لمن شاء مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أى: يوم يغلب الروم أهل فارس ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ أهلَ الكتاب على المجوس.

قال الشَّعْبى فى سورة الفتح: أُنزلت بعد الحُدَيبية، فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبايعوه مبايعة الرِّضْوان، وأُطْعِمُوا نخلَ خَيْبر، وظَهَرَتِ الرّوم على فارس، وفرح المؤمنون بتصديق كتاب الله، وظهرت الروم على المجوس.

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (٢١/ ١١ ـ ١٦).

في سورة القصص

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾(١) [القصص: ٨٥، ٨٦].

مَعَادُ الرَّجُلِ: بلدُه؛ لأنه يَتَصَرَّفُ في البلاد ويَضْرِبُ في الأرض ثم يعود إلى بلده. يقال: رُدَّ فلانٌ إلى مَعَادِه؛ أي رُدَّ إلى بلده. ومثله قولُهم لمنزل الرجل: مَثَابٌ ومَثَابَةٌ؛ لأنَّه يتصرَّفُ في حوائجه ثم يَثُوبُ إليه.

وكان رسول الله صلى الله عليه حين خرج من مكة إلى المدينة اغتم بمُفَارَقَةِ مكة؛ لأنَّها مولده وموطنه ومنشؤُه، وبها أهله وعشيرته، واستوحش، فأخبره الله سبحانه في طريقه أنَّه سَيَرُدُّه إلى مكة، وبشَّره بالظهور والغَلَبَة.

وفي الآية تقديم وتأخير، والمعنى: إنَّ الذي فَرَضَ عليك القرآن، أي جعلك نبيًا يُنْزِلُ عليك القرآن ـ وما كُنْتَ ترجو قبلَ ذلك أَنْ تكون نبيًا يُوحَى إليك الكتابُ ـ لَرَادُّكَ إلى مكة ظاهرًا قاهرًا. وهو معنى تفسير أبي صالح ومُجاهد.

وقال الحسن: مَعَادُه: يوم القيامة. ووافقه على ذلك الزُّهْرِي(٢).

وروى عن عبد الرزَّاق، عن مَعْمَر، عن قَتَادَة قال: هذا مما كان ابن عباس يكْتُمه(٣).

* * *

(١) انظر تفسير الطبري (٢٠/ ٧٩ ـ ٨١).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٠).

(٣) في تفسير الطبري (٢٠/ ٨٠) عدة روايات عن ابن عباس قال فيها: لرادك إلى معاد، أي إلى الموت أو إلى مكة. ورواية قتادة في الدر المنثور (٥/ ١٤٠).

فى سورة الجن

قال أبو محمد:

فى هذه السورة إشكال وغموضٌ: بما وقع فيها من تكرار «إنَّ» واختلاف القرَّاء فى نصبها وكسرها، واشْتِبَاهِ ما فيها من قول الله تعالى وقول الجن، فاحْتَجْنا إلى تأويل السورة كلها[١].

قال تعالى لنبيه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وكانوا استمعوا لرسول الله صلى الله عليه وهو يقرأ ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن:١] يعنى: أنهم قالوا ذلك لقومهم حين رجعوا إليهم. واعتبارُ هذا قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[٢] [الأحقاف:٢٩].

ثم قال: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[٣] [الجن:٣] يقال: جَدَّ فلانٌ فى قومه؛ إذا عظُم عندهم.

---

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ٦٤ ـ ٧٨).

(٢) تمام الآية: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾.

(٣) سرد الطبرى اختلاف أهل التأويل فى تفسير هذه الآية (٢٩/ ٦٥، ٦٦)، ثم قال: «وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب قول من قال: عنى بذلك: تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن للجد فى كلام العرب معنيين: أحدهما الجد الذى هو أبو الأب أو أبو الأم، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة، وذلك أنهم قد قالوا: ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ومن وصف الله بأن له ولدًا أو جدًا هو أبو الأب أو أبو الأم ـ فلا شك أنه من المشركين. والمعنى الآخر: الجد الذى بمعنى الحظ، يقال: فلان ذو جد فى هذا الأمر، إذا كان له حظ فيه، وهو الذى يقال له بالفارسية: البخت. وهذا المعنى الذى قصده هؤلاء النفر من الجن بقيلهم: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ إن شاء الله. وإنما عنوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا تكون له صاحبة ولا ولد؛ لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذى تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذى يحدث منه الولد، فقال النفر من الجن: علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفًا ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة أو وقاع شىء يكون منه ولد».

ثم قال: ﴿وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: ٤] أى: جاهلنا يقول شططًا، أى: غُلُوًّا فى الكذب والجور.

ثم قال: ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: ٥] يقولون: كنا نتوهم أنّ أحدًا لا يقول على الله باطلاً. يريدون: إنَّا كنا قبل اليوم نُصدِّقهم ونحن نظن أن أحدًا لا يكذب على الله. وانقطع ههنا قول الجن.

و«إن» فى جميع هذا مكسورة[١] إلا ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾.

---

(١) وهى فى جميع هذا مفتوحة فى المصحف، ويجدر بنا أن نورد هنا أقوال القراء فى ذلك، كما فصلها أبو جعفر الطبرى فى تفسيره (٢٩/ ٦٦): قال: «واختلفت القَرَأَة فى قراءة قوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ﴾ فقرأه أبو جعفر القارئ وستة أحرف أخر بالفتح، منها: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ﴾، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾، ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾.

وكان نافع يكسرها كلها إلا ثلاثة أحرف: أحدها: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، والثانية: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾، والثالثة: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾.

وأما قَرَأَة الكوفة غير عاصم، فإنهم يفتحون جميع ما فى آخر سورة النجم، وأول سورة الجن، إلا قوله: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا﴾، وقوله: ﴿قال إِنَّما أدعُو ربِّى﴾ وما بعده إلى آخر السورة، وأنهم يكسرون ذلك غير قوله: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ﴾.

وأما عاصم، فإنه كان يكسرها جميعها إلا قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ فإنه كان يفتحها.

وأما أبو عمرو، فإنه كان يكسرها جميعها إلا قوله: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ فإنه كان يفتح هذه وما بعدها.

فأما الذين فتحوا جميعها إلا فى موضع القول كقوله: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا﴾، وقوله: ﴿قال إِنَّما أدعُو ربِّى﴾، ونحو ذلك ـ فإنهم عطفوا «أن» فى كل السورة على قوله: ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ وآمنا بكل ذلك، ففتحوها بوقوع الإيمان عليها. . .

وأما الذين كسروها كلها، وهم فى ذلك يقولون: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾ فكأنهم أضمروا يمينًا مع لو، وقطعوها عن النسق على أول الكلام، فقالوا: والله أن لو استقاموا. . .

ومن كسرها كلها ونصب ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ فإنه خص ذلك بالوحى، وجعل ﴿وَأَن لَّوِ﴾ مضمرة فيها اليمين.

وأما نافع، فإن ما فتح من ذلك فإنه رده على قوله: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾، وما كسره فإنه جعله من قول الجن.

وأحب ذلك إلىَّ أن أقرأ به: الفتح فيما كان وحيًا، والكسر فيما كان من قول الجن؛ لأن ذلك أفصحها فى العربية، وأبينها فى المعنى، وإن كان للقراءات الأخر وجوه غير مدفوعة صحتها».

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن:٦] فإن شئت أن تنصب ﴿وَأَنَّهُ﴾ وتردها إلى قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾، وأنه أوحى إليَّ أنه كان رجال - نَصَبْتَ. وإن شئت أن تكسرها وتجعلها مبتدأة من الله سبحانه فَعَلْتَ.

وكان الرجل فى الجاهلية إذا سافر فصار إلى موضع مُقْفِرٍ مُوحِش لا أنيس به قال: أعوذ بسيِّد هذا المكان من سفهائه. يعنى سفهاء الجن، ويعنى بالسيد: رئيسهم.

يقول الله عز وجل: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] يريد أنهم يزدادون بهذا التعوُّذ طُغيانًا وإثمًا فيقولون: سُدْنا الجن والإنس.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن:٧] يقول: ظن الجن كما ظننتم أيها الإنس أن لا بعث يوم القيامة[1]. أى كانوا لا يؤمنون بالبعث كما أنكم لا تؤمنون به.

وانقطع ههنا قول الله تعالى.

وقالت الجن: ﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[2] [الجن:٨].

و«إِنَّا» مكسورة نَسَقٌ على ما تقدم من قولهم. يريدون: حُرِستْ بالنجوم من استماعنا وكنا قبل ذلك نقعد منها مقاعد للسمع.

وروَى عبد الرَّزَّاق عن مَعْمَر أنه قال: قلت للزهرى: أكان يُرمى بالنجوم فى الجاهلية؟ فقال: نعم.

قلت: أفرأيت قوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩].

---

(١) راجع تفسير الطبرى (٢٩/ ٦٨).

(٢) قال الطبرى فى تفسيره (٢٩/ ٦٩): «يقول عز وجل مخبرًا عن قيل هؤلاء النفر: وأنّا طلبنا السماء وأردناها ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ﴾ يقول: فوجدناها قد ملئت ﴿حَرَسًا شَدِيدًا﴾ يعنى حفظة ﴿وَشُهُبًا﴾ وهى جمع شهاب، وهى النجوم التى كانت ترجم بها الشياطين... عن سعيد بن جبير قال: كانت الجن تستمع فلما رجموا قالوا: إن هذا الذى حدث فى السماء لشىء حدث فى الأرض، قال: فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبى ﷺ خارجًا من سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر، فذهبوا إلى قومهم منذرين».

فقال: غُلِّظَتْ وشُدِّدَ أمْرُها حين بُعث النبى ﷺ.

وروى عبد الرزَّاق، عن مَعْمَر، عن الزُّهْرِى[١]، عن على بن حُسَين، عن ابن عباس أنه قال: بينا النبى ﷺ جالس فى نفر من الأنصار إذ رُمِىَ بنجم فاسْتَنَارَ، فقال: ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية؟ فقالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم. فى حديث فيه طول اختصرناه وذكرنا هذا منه لِنَدُلَّ على أن الرجم قد كان قبل مَبْعَثِه ولكنه لم يكن مثله الآن فى شدة الحراسة قبل مبعثه، وكانت تسترق فى بعض الأحوال، فلما بُعِثَ مُنِعَتْ من ذلك أصلاً.

وعلى هذا وجدنا الشعراء القدماء:

قال بِشْرُ بن أبى حازم الأسَدى وهو جاهلى:

والْعَيْرُ يُرْهِقُها الغُبَارُ وَجَحْشُهـا ... يَنْقَضُّ خَلْفَهما انْقِضَاضَ الكَوْكَبِ[٢]

وقال أوْس بن حَجَر، وهو جاهلى:

---

(١) ذكر مسلم فى صحيحه حديثًا انفرد به عن البخارى، فى باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، وهو بسنده عن ابن شهاب الزهرى قال: «حدثنى على بن حسين أن عبد الله بن عباس قال: أخبرنى رجل من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله رُمى بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: ماذا كنتم تقولون فى الجاهلية إذا رُمى بمثل هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: وُلد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم. فقال رسول الله ﷺ: فإنها لا يُرمَى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكنْ ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمرًا سبَّح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيَستخبر بعض أهل السموات بعضًا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يَقْرِفُونَ فيه ويَزِيدُونَ».

(٢) البيت لبشر فى ديوانه ص٣٧، وفى المعانى الكبير (٢/٧٣٩): «شبه الحمار والجحش بالكوكب المنقض فى سرعته وبياضه». وهو فى الحيوان (٦/٢٧٣) وفيه: «يرهقها الحمار». وقال الجاحظ فى ص٢٧٩: «وقد طعنت الرواة فى هذا الشعر الذى أضفتموه إلى بشر بن أبى خازم من قوله: والعير يرهقها ـ البيت ـ فزعموا أنه ليس من عادتهم أن يصفوا عَدْوَ الحمار بانقضاض الكوكب ولا بدن الحمار ببدن الكوكب وقالوا: فى شعر بشر مصنوع كثير، مما قد احتملته كثير من الرواة على أنه من صحيح شعره».

وَانْقَضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبَعُه نَقْعٌ يَثُورُ تَخَالُهُ طُنُبَا[١]

وقال عَوْف بن الخَرِع، وهو جاهلى:

يَرُدُّ علينا العَيْرَ مِنْ دُونِ أَنْفِهِ أو الثَّوْرَ كالدُّرِّيِّ يَتْبَعُه الدَّمُ[٢]

وفى أيدى الناس كتب من كتب الأعاجم وسيرهم تنبئ عن انقضاض النجوم فى كلّ عصر وكلّ زمان[٣].

ثم قالت الجن: ﴿وَإِنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ﴾ حين اشتدت حراسة السماء من استراق السمع ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] أى خيرًا.

ثم قالت الجن: ﴿وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾، أى: مِنَّا بررَةٌ أتقياء، ومنّا دون البررة، وهم مسلمون و﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١] أى: أصنافًا، وكلُّ فرقة قِدَّة، وهى مثل قطعة فى التقدير وفى المعنى؛ فكأنهم قالوا: نحن أصناف وقطعٌ.

ثم قالت الجن: ﴿وَإِنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن: ١٥] أى: الكافرون، الآية. وانقطع كلام الجن.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[٤] [الجن: ١٦]

---

(١) البيت لأوس فى ديوانه ص٣، وفى المعانى الكبير (٢/ ٧٣٨)، وبعده:

يخفى وأحيانًا يَلُوح كما رفع المشيرُ بكفِّه لَهبا

وهو له فى الحيوان (٦/ ٢٧٤)، واللسان (١/ ٦٧) وفيه: «فانقضّ كالدِّرِّىءِ يتبعه نَقْعٌ يَثُوبُ» والدِّرِّىء: الكوكب المنقض يُدْرَأ على الشيطان. وقوله: تخاله طنبًا، يريد: تخاله فسطاطًا مضروبًا». وقال الجاحظ بعقب هذا البيت: «وهذا الشعر ليس يرويه لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح بن أوس».

(٢) البيت لعوف فى الحيوان (٦/ ٢٧٥) كما هنا، وفى المعانى الكبير (٢/ ٧٣٩): «دون إلفه» وأحسب أنه هو الصواب، قال زهير:

فردَّ علينا العَيْرَ من دون إلْفه على رَغْمه يَدْمَى نساهُ وفائلُه

رده علينا: قطعه من إلفه. وإلفه: أتانه. ونساه: عرق فى رجله. والفائل: عرق فى الفخذ، كما قال ثعلب فى شرح ديوان زهير ص١٣٦.

(٣) راجع ما قاله الجاحظ عن هذا فى الحيوان (٦/ ٢٨٠).

(٤) راجع تفسير الطبرى (٢٩/ ٧١، ٧٢).

أى: لو آمنوا جميعًا لوَسَّعْنا عليهم فى الدنيا. وضَرَبَ الماء الغَدَقَ، وهو الكثير، لذلك مثلاً؛ لأنَّ الخير والرِّزق كلّه بالمطر يكون، فأقيم مُقامه إذ كان سَبَبَه، على ما أعلمتك فى «باب المجاز».

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن:١٧] أى: لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم.

وفيه قول آخر، يقول: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾ جميعًا على طريقة الكفر لَوَسَّعنا عليهم وجعلنا ذلك فتنة لهم، و«أن» منصوبةٌ مَنْسُوقَةٌ على ما تقدم من قوله سبحانه.

ثم قال: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[١] [الجن:١٧] أى: يدخله عذابًا شاقًا.

يقال: سَلَكْتُ الخيط فى الحبَّة وأَسْلَكْتُه؛ إذا أدخلته، ومنه سُمِّى الخَيْطُ سِلْكًا، تقول: سَلَكْتُه سَلْكًا، فتفتح أوَّل المصدر. وتقول للخيط: هذا السِّلْكُ؛ فتكسر أوّل الاسم، مثل القَطْف والقِطْف[٢].

ومن الصَّعَد قيل: تَصَعَّدَنى هذا الأمر، أى شَقَّ على. والصَّعُودُ: العَقَبَةُ الشَّاقة، ومنه قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر:١٧].

ثم قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[٣] [الجن:١٨] بنصب «أنَّ» نَسَقٌ على ما تقدَّم من قوله. يريد أنّ السجودَ لله، ولا يكون لغيره؛ جمع مَسْجَدٍ، كما تقول: ضربتُ فى البلاد مَضْرَبًا بعيدًا، وهذا مَضْرَبٌ بعيد.

ثم قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ بنصب «أنّ» نَسَقٌ على ما تقدم من قوله سبحانه. يريد: لما قام النبى عليه السلام ﴿يَدْعُوهُ﴾ أى: يدعو الله ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن:١٩] يعنى الجنَّ كادوا يَلْبَدُونَ به ويَتَراكَبُون، رَغْبَةً فيما سمعوا منه،

---

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ٧٣).

(٢) القطف ـ بفتح القاف ـ فعلك بالثمرة إذا قطعتها، والقطف ـ بكسرها ـ نفس الثمرة.

(٣) قال الطبرى فى تفسيره (٢٩/ ٧٣): «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن، وأن المساجد لله فلا تدعوا أيها الناس مع الله أحدًا ولا تشركوا به فيها شيئًا، ولكن أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة».

وشَهْوَةً له(١).

ثم قال سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ إِنِّى لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢١ ـ ٢٧] أى ارتضاه للنُّبُوَّة والرِّسالة؛ فإنَّه يُطْلِعُه على ما يشاء من غيبه.

ثم قال: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧] أى: يجعل بين يديه وخلفه رصدًا من الملائكة، يحوطون الوحْىَ من أن تَسْتَرِقَهُ الشياطين فَتُلْقِيَهُ إلى الكَهَنَة، حتى تخبرَ به الكهنة إخْبَارَ الأنبياء؛ فلا يكون بينهم وبين الأنبياء فَرْقٌ، ولا يكون للأنبياء دلالة.

ثم قال: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨] أى: ليبلِّغوا رسالات ربهم(٢).

و«العلم» ههنا مثله فى قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] يريد: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولَمَّا تُجَاهدوا وتصبروا، فيعلم الله ذلك ظاهرًا موجودًا يَجبُ به ثوابكم، على ما بينا فى غير هذا الموضع(٣).

---

(١) هذا تأويل من تأويلات سردها الطبرى (٢٩/ ٧٣ ـ ٧٥)، ثم قال: «وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك قول من قال: ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمدًا ﷺ لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعًا فى إطفاء نور الله. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب؛ لأن قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ عقيب قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ وذلك من خبر الله، فكذلك قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾. وأخرى: أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ فمعلوم أن الذى يتبع ذلك الخبر عما لقى المأمور بالا يدعو مع الله أحدًا فى ذلك، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة».

(٢) قال الطبرى (٢٩/ ٧٨): «وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب قول من قال: ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم؛ وذلك أن قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ من سبب قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ وذلك خبر عن الرسول، فمعلوم بذلك أن قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ من سببه إذ كان ذلك خبرًا عنه».

(٣) راجع ص٣٠٨، ٣٠٩.

فى سورة البقرة

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾(١) [البقرة: ٢٧٥].

هذا فى يوم القيامة. يريد: أنه إذا بُعث النَّاسُ مِنْ قبورهم خرجوا مُسْرِعين، يقول الله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾(٢) [المعارج: ٤٣] أى يسرعون؛ إلاَّ أَكَلَةَ الرِّبا، فإنهم يقومون ويسقطون، كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان ويسقط؛ لأنهم أكلُوا الرّبا فى الدنيا، فأرباه اللهُ فى بطونهم يوم القيامة حتى أثْقَلَهُم، فهم ينهضون ويسقطون، ويريدون الإسراع فلا يقدرون(٣).

* * *

(١) انظر تفسير الطبرى (٣/ ٦٧، ٦٨).

(٢) فى تفسير الطبرى (٢٩/ ٥٥): «وقوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾ بيان وتوجيه عن اليوم الأول الذى فى قوله: ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ وتأويل الكلام: حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدونه يوم يخرجون من الأجداث، وهى: القبور، واحدها جَدَث ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ يقول: كأنهم إلى عَلَم قد نُصب لهم يستبقون... والإيفاض: الإسراع».

(٣) لخصها ابن الجوزى فى زاد المسير (١/ ٣٣٨).

فى سورة الأحزاب

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[1] [الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

إن الله جلّ ذكره لما استَخْلَفَ آدمَ على ذُرِّيته، وسلّطه على جميع ما فى الأرض من الأنعام والطير والوحش ـ عهد إليه عهدًا أمره فيه ونهاه، وحرّم عليه وأحلّ له، فقَبِلَه، ولم يزل عاملاً به إلى أن حضرتْه الوفاةُ، فلما حضرته صلى الله عليه سألَ اللهَ أن يُعْلِمَه من يَستخلفُ بعدَه ويقلِّده من الأمانة ما قلَّده. فأمره أن يعرض ذلك على السموات بالشَّرْطِ الذى أَخَذَ عليه من الثَّواب إنْ أطاع، ومن العقاب إن عصى. فَأَبَيْنَ أنْ يَقْبَلْنَه شَفَقًا من عقاب الله.

ثم أَمَرَه أن يعرض ذلك على الأرض والجبال؛ فكلُّها أَبَاه.

ثم أمره أن يعرضه على ولده، فعرضه عليه فقبله بالشَّرْط، ولم يَتَهَيَّب منه ما تَهَيَّبَتْه السماء والأرض والجبال.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً﴾ لنفسه ﴿جَهُولاً﴾ بعاقبةِ ما تَقَلَّدَ لربِّه.

ثم قال: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ أى عرضنا ذلك عليه ليتقلَّدَه، فإذا تقلَّدَه ظهر نفاقُ المنافق وشِرْكُ المشرك، فعذّبه الله به، وظهر إيمان المؤمن فتاب الله عليه. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيماً﴾.

هذا قولٌ على مذهب بعض المفسرين.

وفيه قول آخر:

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٢/٣٨ ـ ٤٢).

قالوا: الأمانة: الفرائض، عرضت على السموات والأرض والجبال بما فيها من الثواب والعقاب فأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها، وعُرِضَت على الإنسان بما فيها من الثواب والعقاب فحملها.

والمعنيان في التفسيرين مُتَقاربان[1].

* * *

(١) قال الطبرى فى تفسيره (٢٢/ ٤١): «وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عنى بالأمانة فى هذا الموضع: جميع معانى الأمانات فى الدين وأمانات الناس. وذلك أن الله لم يخص بقوله ﴿عَرَضْنَا الأَمَانَةَ﴾ بعض معانى الأمانات، لما وصفنا».

فى سورة الفرقان

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[١] [الفرقان: ٧٧].

فى هذه الآية مضمر وله أشكلَتْ. أى: ما يَعْبَأ بعذابكم ربِّى لولا ما تدعونه من دونه من الشريك والولد[٢]. ويُوضّح ذلك قوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أى يكون العذاب لمن كذّب ودعا من دُونه إلهًا لازمًا.

ومثله من المضمر قول الشاعر:

مَنْ شَـاءَ دَلَّى النَّفْسَ فى هُـوَّةٍ ضَنْكٍ، وَلكِنْ مَنْ لَهُ بالمَضِيقْ؟[٣]

أراد: ولكن من له بالخروج من المضيق؟

وقال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، أى من كان يريد عِلم العزَّة: لمن هى؟ فإنها لله تعالى.

* * *

---

(١) فى تفسير الطبرى (١٩/ ٣٥): «وقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم: أى شىء يعدكم وأى شىء يصنع بكم ربى؟... وقوله: ﴿لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾ يقول: لولا عبادة من يعبده منكم وطاعة من يطيعه منكم. وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ يقول تعالى ذكره لمشركى قريش قوم رسول الله ﷺ: فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذى أرسل إليكم، وخالفتم أمر ربكم الذى أمر بالتمسك به، لو تمسكتم به كان يعبأ بكم ربى، فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم وخلافكم أمر بارئكم عذابًا لكم ملازمًا، قتلاً بالسيوف، وهلاكًا لكم مفنيًا، يلحق بعضكم بعضًا... ففعل الله ذلك بهم، وصدقهم وعده، وقتلهم يوم بدر بأيدى أوليائه، وألحق بعضهم ببعض، فكان ذلك العذاب اللزام».

(٢) قال الطبرى (١٩/ ٣٦): «وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول فى تأويل ذلك: قل: ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد، وهذا قول لا معنى للتشاغل به؛ لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل».

(٣) فى اللسان (١٢/ ٧٧): «والمضيق: ما ضاق من الأماكن والأمور، قال: مَنْ شا يُدَلِّى النفسَ ـ البيت ـ أى بالخروج من المضيق». وقد ذكره فى (١٨/ ٢٩١) شاهدًا على أن دلى الشىء فى المهواة: أرسله، وروايته كما هنا.

باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة

١ـ القضاء

أصل قَضَى: حَتَمَ[١]، كقول الله عز وجل: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ [الزمر: ٤٢] أي: حتَمه عليها.

ثم يصير الحَتْمُ بمعانٍ، كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أى: أمر، لأنه لما أمر حَتَم بالأمر.

وكقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤] أى: أعلمناهم؛ لأنّه لَمَّا خَبَّرهم أنهم سيفسدون فى الأرض حتم بوقوع الخبر.

وقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] أى: صنعهن.

وقوله: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢] أى: فاصنع ما أنت صانع.

ومثله قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ [يونس: ٧١] أى: اعملوا ما أنتم عاملون ولا تُنْظِرون.

قال أبو ذُؤَيْب:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ... دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[٢]

أى صنعهما داود وتُبَّع.

---

(١) فى اللسان (٢٠/٤٧)، ومقاييس اللغة (٥/٩٩).

(٢) ديوانه ص١٩، واللسان (٤/٣٧٩، ١٠/٧٧)، والمعانى الكبير (٢/١٠٣٩). مسرودتان: درعان. قضاهما: فرغ منهما داود النبى عليه السلام «أو صنع السوابغ» والصنع: الحاذق بالعمل، ثم رد «تبعًا» على «صنع». وفى الموضع الأول من اللسان: «سمع أن داود، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، كان سُخِّر له الحديد فكان يصنع منه ما أراد، وسمع أن تُبَّعًا عملها، وكان تبع أمر بعملها ولم يصنعها بيده؛ لأنه كان أعظم شأنًا من أن يصنع بيده. والتبابعة: ملوك اليمن، واحدهم تُبَّع، سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضًا، كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعًا له على مثل سيرته».

وقال الآخر فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

قَضَيْتَ أُمورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَها ... بَوَائِجَ فى أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتَّقِ[1]

أى عملت أعمالاً؛ لأنَّ كلّ من عمل عملاً وفرغ منه فقد ختمه وقطعه.

ومنه قيل للحاكم: قاضٍ؛ لأنّه يقطع على الناس الأمور ويَحْتِم. وقيل: قُضِىَ قَضَاؤُكَ؛ أى فُرِغَ من أمرك. وقالوا للميت: قد قَضَى؛ أى فرغ.

وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد.

* * *

(١) نسبه أبو تمام فى حماسته (٣/ ١٠٧) للشمَّاخ بن ضِرار، وتابعه على ذلك الحصرى فى زهر الآداب (٤/ ١١٥). وقال التبريزى فى شرح الحماسة: «قال أبو رياش: الذى عندى أنه لُمزَرِّد أخيه، وقال أبو محمد الأعرابى: هو لجَزْء بن ضرار أخيه». والبيت للشماخ فى اللسان (٣/ ٤٠)، وهو غير موجود فى ديوانه، ونسبه الجاحظ فى البيان والتبيين (٣/ ٣٦٤) لمزرِّد بن ضِرار، وفى الأغانى (٨/ ١٠٢) من شعر الجن الذى ناحت به على عمر قبل أن يقتل بثلاث، فلما قتل نحله الناس للشماخ بن ضرار، أو لجَزْء بن ضِرار، وهو غير منسوب فى تفسير الطبرى (١/ ٤٠٤). والبوائج: جمع بائجة، وهى الداهية.

٢ ـ الهدى

أَصل هدى: أرشد[١]، كقوله: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

وقوله: ﴿وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: ٢٢] أي: أرشدنا.

ثم يصير الإرشاد بمعان، كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: ١٧] أي: بيَّنا لهم.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [السجدة: ٢٦] أي: أَوَ لَمْ يُبيِّن لهم.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ١٠٠] أي: أَلَمْ يُبيِّنَ لهم.

فالإرشاد في جميع هذه بالبيان.

ومنها إرشادٌ بالدعاء، كقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] أي: نبيٌّ يدعوهم.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣] أي: يدعون، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] أي: تدعو.

ومنها إرشاد بالإلهام، كقوله: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] أي: صورته من الإناث، ثم هدى؛ أي: ألهمه إتْيَانَ الأنثى، ويقال: طلبَ المرعى وتوقِّي المهالك.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] أي: هدى الذكر بالإلهام لإتيان الأنثى.

ومنها إرشاد بالإمضاء، كقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] أي: لا يُمْضِيه ولا يُنفِذه، ويقال: لا يصلحه.

وبعض هذا قريب من بعض.

* * *

(١) اللسان (٢٠/٢٢٨). وانظر الإتقان (١/٢٤١) ففيه: «يأتي الهدى على سبعة عشر وجهًا...». ومقاييس اللغة (٦/٤٢، ٤٣)، والبرهان (١/١٠٣).

٣ـ الأمة

أصل الأُمَّة: الصِّنْفُ من الناس والجماعة[١]، كقوله عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أى: صنفًا واحدًا فى الضلال ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:٢١٣].

وكقوله عز وجل: ﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٨] أى: أصناف، وكل صنف من الدواب والطير مثل بنى آدم فى المعرفة بالله، وطلب الغذاء، وتَوقِّى المهالك، والتماس الذَّرْءِ، مع أشباه لهذا كثيرة.

ثم تصير الأُمَّة: الحِينَ، كقوله عز وجل: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥].

وكقوله: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود:٨]. أى: سنين معدودة. كأنّ الأمّة من الناس القَرْنُ يَنْقَرِضُونَ فى حين، فَتُقَامُ «الأُمَّةُ» مُقام «الحِين».

ثم تصير الأمّةُ: الإمام والربَّانى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٠] أى: إمامًا يَقْتَدِى به الناس؛ لأنه ومن اتبعه أمّة، فسُمِّى أُمَّةً لأنه سبب الاجتماع.

وقد يجوز أن يكون سُمِّى أُمَّةً: لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثلُه فى أمة. ومن هذا يقال: فلان أمةٌ وَحْدَه، أى: هو يقوم مقام أمة.

وقد تكون الأمةُ: جماعـةَ العلماء، كقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران:١٠٤] أى: يعلمون.

والأُمَّة: الدِّين، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٢، ٢٣] أى: على دين، قال النابغة:

حَلَفْـتُ فلم أَتْرُكْ لِنَفْسِـكَ رِيبةً ... وهَلْ يأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ؟[٢]

---

(١) اللسان (١٤/٢٨٨).

(٢) هو للنابغة فى جمهرة اللغة (١/١٨٩)، واللسان (١٤/٢٩٢). ويروى: «ذو إمَّة» فمن قال: «ذو أمة» فمعناه: ذو دين، ومن قال: «ذو إمة» فمعناه: ذو نعمة أُسديت إليه.

أي: ذو دين.

والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد: أمة، فتقامُ الأمةُ مُقام الدين، ولهذا قيل للمسلمين: أمّة محمد ﷺ لأنهم على أمر واحد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المؤمنون:٥٢] مجتمعة على دين وشريعة.

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [النحل:٩٣] أي: مجتمعة على الإسلام.

* * *

٤ـ العهد

الأمان: عهد[١]، قال الله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤].

واليمين: عهد، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١].

والوصية: عهد، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾ [يس: ٦٠].

والحِفَاظُ: عهد، قال ﷺ: «إنَّ حُسْنَ العهدِ مِنَ الإيمان»[٢].

والزَّمان: عهد، يقال: كان ذلك بعهد فلان.

والعهد: الميثاق. ومنه قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] أي: لا ينال ما وعدتُك من الإمامة الظالمين من ذريتك. والوَعْدُ من الله: ميثاق.

* * *

---

(١) اللسان (٤/ ٣٠٥)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٦٧).

(٢) في المستدرك للحاكم (١/ ١٥): «حدثنا أبو العباس: محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا أبو عاصم، حدثنا صالح بن رستم، عن ابن أبي مُليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي، فقال لها رسول الله ﷺ: من أنت؟ قالت: أنا جثَّامة المُزنية. فقال: بل أنت حسَّانة المزنية. كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان».

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة وليس له علة»، وأقره الذهبي.

والحديث في الإصابة (٨/ ٥١، ٥٧)، وأسد الغابة (٥/ ٤٢٤، ٤٢٥)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٧٣٨)، وانظر اللسان (٦/ ٣٠٦).

٥ـ الإلُّ

الإلُّ: هو الله تعالى(١). قال مُجَاهد فى قوله سبحانه: ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠] يعنى الله عز وجل. ومنه «جَبْرَ إِلّ»(٢) فى قراءة من قرأه بالتشديد.

ويقال للرحم: «إلٌّ»، كما اشتق لها الرَّحِمُ من الرَّحمن. وقال حَسَّان:

لَعَمْرُكَ إنَّ إلَّكَ فِي قُرَيْـش ... كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ(٣)

أى: رَحِمُك فيهم، وقُرْبَاكَ منهم(٤).

ومن ذهب بالإلِّ فى قوله تعالى: ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ﴾ إلى الرَّحِم، فهو وجه حسن. كما قال الشاعر:

دَعَــوْا رَحِمًا فِينَا وَلاَ يَرْقُبُونَهَـا ... وَصَدَّتْ بأيديها النِّسَاءُ عَنِ الدَّمِ(٥)

يريد: أن المشركين لم يكونوا يَرْقُبُون فى قراباتهم من المسلمين رَحِمًا، وقد قال الله

---

(١) راجع اللسان (١٣/ ٢٦)، والأمالى (١/ ٤١، ٤٢)، وتفسير الطبرى (١٠/ ٥٩ ـ ٦١).

(٢) فى الأضداد لابن الأنبارى ص٣٤٦: «وقولهم جبرئيل معناه: عبد الله، فالجبر: العبد، والإيل والإل: الربوبية. وكان ابن يعمر يقرأ «جبر إل» بتشديد اللام...» وانظر اللسان (٥/ ١٨٣، ١٨٤).

(٣) البيت له فى اللسان (١٣/ ٢٦)، والأمالى (١/ ٤١)، وروايتهما: «من قريش»، والحيوان (٤/ ٣٦٠)، وتفسير الطبرى (١٠/ ٦٠)، والمعانى الكبير (١/ ٣٣٦)، وهو غير منسوب فى الأضداد لابن الأنبارى ص٣٤٦، ومقاييس اللغة (١/ ٢١). والسقب: ولد الناقة، كما فى اللسان (١/ ٤٥١). والرأل: ولد النعام، كما فى اللسان (١٣/ ٢٧٧). وقد علق الجاحظ على البيت بقوله: «وقد عاب عليه هذا البيت ناس، وظنوا أنه أراد التبعيد فذكر شيئين قد يتشابهان من وجوه. وحسان لم يرد هذا، وإنما أراد ضعف نسبه فى قريش، وأنه حين وجد أدنى سبب انتحل ذلك السبب». وهو غير منسوب فى المخصص (٢/ ١٥١).

(٤) قال ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير: أراد أنك ضعيف النسب فى قريش، وأنك حين وجدت أدنى سبب ادعيت إليهم، وأن ذلك السبب فى ضعفه كشبه الرَّأْل بالسَّقْب».

(٥) أنشده ابن قتيبة غير منسوب فى كتاب المعانى الكبير (٢/ ٩٤٩)، وقال فى شرحه: «أى كانوا يناشدونهم برحم بينهم، وهم لا يرعونها حين حاربوهم، فظفروا بهم، واستقبلت النساء الطالبين فقلن بأيديهن: كفوا، حسبهم».

تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ [الشورى: ٢٣].

قال ابن عباس: يريد: لا أسألكم على ما أتيتكم به من الهدى أجرًا إلا أن تَوَدُّونى فى القرابة منكم. وكانت لرسول الله صلى الله عليه ولاداتٌ كثيرةٌ فى بُطُون قريش. وقال الله عز وجل: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ** ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال ابن عباس: قالت قريش: يسألنا أن نَوَدَّه فى القرابة وهو يشتم آلهتنا ويعيبها؟! فأنزل الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ** ﴾ [سبأ: ٤٧].

ويقال للعهد: «إِلٌّ»؛ لأنّه بالله يكون.

* * *

٦ـ القنوت

القُنُوت: القيام(١).

وسئل ﷺ: أيّ الصلاة أفضل؟ فقال: «طول القنوت»(٢)، أى طول القيام.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزمر:٩]، أى: أمَّن هو مُصلٍّ، فسميت الصلاة قنوتًا؛ لأنها بالقيام تكون.

وَرُوِيَ عنه عليه السلام أنه قال: «مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل القَانِت الصائم»(٣)، يعنى المصلِّى الصَّائم.

ثم قيل للدعاء: قُنوتٌ؛ لأنّه إنما يدعُو به قائمًا فى الصلاة قبل الركوع أو بعده.

وقيل: الإمساكُ عن الكلام فى الصلاة قُنُوتٌ؛ لأن الإمساك عن الكلام يكون فى القيام، لا يجوز لأحد أن يأتى فيه بشىء غير القرآن.

قال زَيْد بن أَرْقَم: كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، فَنُهِينا عن الكلام وأُمِرْنا بالسكوت(٤).

---

(١) اللسان (٢/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أفضل الصلاة طول القنوت (١/ ٥٢٠) من حديث جابر. وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فى طول القيام فى الصلوات (١/ ٤٥٦). والترمذى فى كتاب الصلاة، باب ما جاء فى طول القيام فى الصلاة (١/ ٨٧)، وقال حديث حسن صحيح. وأحمد فى المسند (٣/ ٣٠٢، ٣٩١). كلهم من حديث جابر ابن عبد الله.

والنسائى فى كتاب الزكاة، باب جهد المقل (١/ ٣٤٩)، وأحمد فى المسند (٣/ ٤١٢)، كلاهما من حديث عبد الله بن حبشى.

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى (٣/ ١٤٩٨)، وأحمد فى المسند (٢/ ٤٢٤)، وأبو يعلى فى مسنده (٤/ ١٤٠٢)، كلهم من حديث أبى هريرة.

(٤) قال السيوطى فى الدر المنثور (١/ ٣٠٥، ٣٠٦): «أخرج وكيع، وأحمد، وسعيد بن منصور، وعبد ابن حميد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن جرير، وابن خزيمة، والطحاوى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن حبان، والطبرانى، والبيهقى، عن زيد بن أرقم =

ويقال: إن قانتين فى هذا الموضع: مطيعين[(١)].

والقنوت: **الإقرار بالعُبُودِيّة**، كقوله: ﴿**وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ**﴾ [الروم: ٢٦] أى: مُقِرُّون بعبوديته.

والقنوت: **الطاعة**، كقوله: ﴿**وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ**﴾ [الاحزاب: ٣٥]، أى: المطيعين والمطيعات.

وقوله: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ**﴾ [النحل: ١٢٠] أى: مطيعًا لله.

ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة؛ لأنّ جميع هذه الخلال: من الصلاة، والقيام فيها، والدعاء وغير ذلك ـ يكون عنها.

* * *

= قال: كنا نتكلم على عهد رسول الله ﷺ يكلم الرجل منا صاحبه وهو إلى جنبه فى الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت، ونُهينا عن الكلام».

(١) راجع الروايات فى ذلك: فى تفسير الطبرى (٥/٢٢٨ ـ ٢٣١) طبعة شاكر.

٧ـ الدين

الدِّين: الجزاء[١]. ومنه قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: ٤] أى: يوم الجزاءِ والقصاص. ومنه يقال: دِنْتُهُ بما صَنَعَ؛ أى جزيته بما صنع. وكما تَدِينُ تُدَانُ[٢].

والدِّين: المُلْكُ والسّلطان. ومنه قول الشاعر:

لَئِنْ حَلَلْتُ بِجَـــوٍّ فى بنى أَسَـدٍ فى دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ دُونَنَا فَدَكُ[٣]

أى فى سلطانه. ويقال مِنْ هذا: دِنْتُ القَوْمَ أدِينُهم؛ أى قهرتهم وأذللتهم، فدانوا أى ذلُّوا وخضعوا.

والدِّين لله إنما هو من هذا. ومنه قول القُطَامِىِّ:

* كانَتْ نَوَارُ تَدِينُكَ الأَدْيَانَا[٤] *

أى تُذِلُّك[٥]. ومنه قول الله تعالى: ﴿**وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ**﴾ [التوبة: ٢٩] أى: لا يطيعونه.

والدِّين: الحساب؛ من قوله تعالى: ﴿**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ [التوبة: ٣٦]. ومنه قوله عز وجل: ﴿**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ**﴾ [النور: ٢٥] أى: حسابهم.

---

(١) اللسان (١٧/ ٢٧)، والأمالى (٢/ ٢٩٥).

(٢) فى اللسان (١٧/ ٢٧): «وفى المثل: كما تدين تدان، أى كما تُجازِى تُجازَى، أى تُجازَى بفعلك وبحسب ما عملت. وقيل: كما تفعل يُفعل بك».

(٣) البيت لزهير كما فى ديوانه ص٨٣، والكامل (١/ ١٩٢)، والأمالى (٢/ ٢٩٥)، من قصيدة يخاطب بها الحارث بن ورقاء الصيداوى، من بنى أسد، وكان قد أغار على بنى عبد الله بن غطفان فغنم واستاق إبل زهير وراعيه يساراً. وبعده:

لَيَأتِيَنَّـكَ منى مَنْطِقٌ قَـذَعٌ باقٍ كما دنَّس القُبْطِيَّةَ الوَدَكُ

جو: موضع فى ديار بنى أسد، وعمرو: هو عمرو بن هند بن المنذر بن ماء السماء. وفدك: قرية بالحجاز. والقذع: القبيح. باق: أى يجرى على أفواه الرواة ويبقى مع الدهر. والقبطية: ثياب بيض رقاق من كتان تصنع بمصر. والودك: الدسم.

(٤) فى ديوانه ص١٥: «كانت جنوب»، وصدره كما فى الديوان، والأمالى (٢/ ٢٩٥): «رَمَتِ المَقَاتِلَ من فؤادك بعد ما».

(٥) قال القالى: «معناه: تستعبدك بحبها».

٨ـ المولى

المَوْلَى: المُعْتقُ. والمَوْلَى: المُعْتَقُ. والمَوْلَى: عَصَبَةُ الرَّجُل[١]. ومنه قول الله عز وجل: ﴿**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي**﴾ [مريم: ٥] أراد: القرابات.

وقال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ أَمْرِ مَوْلاَهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِل»[٢] أى: بغير أمر وليها.

وقد يقال لمن تولاَّه الرجلُ وإن لم يكن قرابةً: مَوْلَى. قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ**﴾ [محمد: ١١] أى: ولىُّ المؤمنين، وأن الكافرين لا ولى لهم.

وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا**﴾ [الدخان: ٤١] أى: ولىٌّ عن وَلِيِّه شيئًا، إمَّا بالقرابة أو بالتَّوَلِّى.

والحليف أيضًا: المَوْلَى. قال النابغة الجَعْدى:

مَوَالِيَ حِلْفٍ لا مَوَالِي قَرَابَةٍ ... ولكنْ قَطِينًا يَسْأَلُونَ الأَتَاوِيَا[٣]

وقال الله عز وجل: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٦] يريد: إذا دعاهم إلى أمر، ودَعَتْهم أنفسهم إلى خلاف ذلك الأمر ـ كانت طاعته أوْلى بهم من طاعتهم لأنفسهم.

* * *

(١) اللسان (٢٠/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه الدارمى فى مسنده، باب النهى عن النكاح بغير ولى (٢/ ١٣٧). والترمذى فى السنن، كتاب النكاح، باب ما جاء: لا نكاح إلا بولى (١/ ٢٠٤)، وقال: هذا حديث حسن. وأبو داود فى السنن: كتاب النكاح، باب الولى (٢/ ٣٠٨، ٣٠٩). وابن ماجه فى السنن: كتاب النكاح، باب لا نكاح بغير ولى (١/ ٦٠٥). وسعيد بن منصور فى السنن (٣/ ١/ ١٣٣). وابن أبى شيبة فى المصنف (٣/ ٢/ ١٦٠). والحاكم فى المستدرك (٢/ ١٦٨).

(٣) البيت له فى اللسان (٢٠/ ٢٩٠): «يقول: هم حلفاء لا أبناء عم».

٩- الضلال

الضّلال: الحيرة والعُدول عن الحق والطريق(١). يقال: ضَلَّ عن الحق، كما يقال: ضل عن الطريق. ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:٧].

والضلال: النسيان. والنَّاسي للشيء عَادلٌ عنه وعن ذكره، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] أي: النَّاسين. وقال: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ﴾(٢) [البقرة:٢٨٢] أي: إن نَسِيَتْ واحدة ذكَّرت الأخرى.

والضلال: الهَلَكة والبطلان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾(٣) [السجدة: ١٠] أي: بَطَلْنَا ولَحِقْنا بالتراب. ويقال: أضَلَّ القومُ ميِّتَهم، أي: قَبَرُوه. قال النابغة:

* وآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ(٤) *

أي: قابِرُوه.

---

(١) اللسان (١٣/ ٤١٥).

(٢) في اللسان (١٣/ ٤١٧): «وذكر الخليل وسيبويه أن المعنى: استشهدوا امرأتين لأن تذكِّر إحداهما الأخرى ومن أجل أن تذكِّرها. قال سيبويه: فإن قال إنسان: فلم جاز «أن تضل» وإنما أعد هذا للإذكار؟ فالجواب عنه: أن الإذكار لما كان سببه الإضلال جاز أن يُذكر «أن تَضِلَّ»؛ لإن الإضلال هو السبب الذى به وجب الإذكار. قال: ومثله: أعددتُ هذا أن يميل الحائط فأدْعَمَه، وإنما أعددتَه للدعم لا للميل، ولكنّ الميل ذُكر لأنه سبب الدعم، كما ذُكر الإضلال لأنه سبب الإذكار، فهذا هو البيِّن إن شاء الله».

(٣) في اللسان (١٣/ ٤١٩): «وضل الرجل: مات وصار ترابًا فضَلَّ فلم يَتبيَّنْ شيء من خَلْقه. وفى التنزيل العزيز ﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾ معناه أئذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا فضللنا فى الأرض فلم يَتبيَّنْ شيء من خَلْقنا».

(٤) ديوانه ص٨٤، وفى المعانى الكبير (٢/ ١٢٠٠): «وآب مُصلُّوه» بالصاد، وقال ابن قتيبة فى شرحه: «قال الأصمعى: قدم الأولون بخبر موته ولم يُصدِّقوا، وجاء المصلُّون، وهم الذين جاءوا بعدهم، من خبر موته بعين جلية، والمُصَلِّى: الثانى من السوابق. ويروى: «وآب مضلوه» أى: قابروه». وانظر ص١٦٨، ١٦٩.

١٠ـ الإمام

الإمام: أصله ما ائْتَمَمْتَ به[١]. قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] أى: يُؤْتَمُّ بك، ويُقْتَدَى بسنَّتك.

ثم يجعل الكتاب إمامًا يؤتم بما أحصاه. قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] أى: بكتابهم الذى جُمِعَتْ فيه أعمالهم فى الدنيا.

وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢] يعنى: كتابًا، أو يعنى: اللَّوح المَحْفُوظ.

وقد يُجعل الطريق إمامًا؛ لأنَّ المسافر يأتم به ويستدل. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩] أى: بطريق واضح[٢].

* * *

---

(١) اللسان (١٤/ ٢٨٩).

(٢) انظر اللسان (١٤/ ٢٩١).

١١ـ الصلاة

الصلاة: الدعاء(١). قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣] أى: ادع لهم، إنّ ذلك مما يُسكِّنهم وتَطمئن إليه قلوبهم.

وقال: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ [التوبة:٩٩] يعنى: دعاءه.

وقال الأعشى يذكر الخمر والخمَّار:

وقابَلَهَـا الرِّيحُ فى دَنِّهَـا ... وَصَلَّى على دَنِّهَا وَارْتَسَمْ(٢)

أى: دعا لها بالسلامة من الفساد والتغيُّر.

والصَّلاةُ من الله: الرحمة والمغفرة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾(٣) [الأحزاب:٥٦]. وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب:٤٣]. وقال: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة:١٥٧] أى: مغفرة.

وقال النبى ﷺ: «اللهم صَلِّ على آلِ أبى أَوْفَى»(٤) يريد: ارحمهم واغفر لهم.

والصلاة: الدين. قال تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود:٨٧]، ويقال: قراءَتُك(٥).

* * *

(١) اللسان (١٩/ ١٩٨).

(٢) ديوانه ص٢٩، وقبله:

وصَهْباءَ طاف يَهُودِيُّها ... وأبرَزَهـا وعليهـا خَتَمْ

واللسان (١٧/ ١٦، ١٥/ ١٣٣): «وارتسم الرجل: كبَّر ودعا، والارتسام: التكبير والتعوُّذ».

(٣) انظر اللسان (١٩/ ١٩٨).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة (٣/ ٢٨٦)، ومسلم فى كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته (٦/ ٧٥٢ ـ ٧٥٧). وانظر اللسان (١٩/ ١٩٨).

(٥) القائل بذلك هو الأعمش، كما فى تفسير الطبرى (١٥/ ٤٥١، ٤٥٢) طبعة شاكر.

١٢ ـ الكتاب

أصل الكتاب: ما كَتَبَهُ اللهُ في اللَّوح مما هو كائن[١].

ثم تتفرع منه معانٍ ترجع إلى هذا الأصل. كقوله: ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾ [المجادلة: ٢١] أي: قضى الله ذلك وفرغ منه.

وقوله: ﴿**لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾ [التوبة: ٥١] أي: ما قضى الله لنا.

وقوله: ﴿**لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ**﴾ [آل عمران: ١٥٤] أي: قُضِيَ؛ لأنَّ هذا قد فُرِغَ منه حين كُتِبَ.

ويكونُ كُتِبَ بمعنى فُرِضَ، كقوله: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ**﴾ [البقرة: ١٧٨] أي: فرض، و﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**﴾ [البقرة: ١٨٠]، ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ**﴾ [النساء: ٧٧]؟ أي: فَرَضْتَ.

ويكون كَتَبَ بمعنى جَعَل، كقوله: ﴿**كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ**﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿**فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران: ٥٣، والمائدة: ٨٣]. وقال: ﴿**فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وتكون كَتَبَ بمعنى أمَر، كقوله: ﴿**ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ [المائدة: ٢١] أي: أمركم أن تدخلوها.

ويقال: كَتَب ههنا أيضًا: جَعَل. يريد ادخلوا الأرض التي كتبها الله لولد إبراهيم، عليه السلام، أي: جعلها لهم.

* * *

(١) اللسان (٢/ ١٩٢)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٥٨، ١٥٩).

١٣ ـ السبب والحبل

السَّبَب: أصله الحبل(١).

ثم قيل لكل شيء وصَلْتَ به إلى موضع، أو حاجة تريدها: سَبَبٌ. تقول: فلان سَبَبِي إليك، أي وصلني إليك. و: ما بيني وبينك سبب؛ أي آصِرَة رَحِم، أو عاطفة مَوَدَّة. ومنه قيل للطريق: سَبَبٌ؛ لأنك بسلوكه تصل إلى الموضع الذي تريده، قال عز وجل: ﴿**فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾ [الكهف:٨٥] أي: طريقًا.

وأسباب السماء: أبوابها؛ لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها. قال الله عز وجل حكايةً عن فرعون: ﴿**لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ**﴾ [غافر:٣٦، ٣٧]. وقال زهير:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ(٢)

وكذلك الحَبْلُ(٣)، قال الله عز وجل: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران:١٠٣] أي: بعهد الله أو بكتابه، يريد: تمسكوا به؛ لأنه وُصْلَةٌ لكم إليه وإلى جَنَّته.

ويقال للأمان أيضًا: حبل؛ لأنّ الخائف مستتر مَقْمُوعٌ، والآمن مُنْبَسِطٌ بالأمان مُتَصَرِّف، فهو له حبل إلى كل موضع يريده.

قال الله تعالى: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ [آل عمران:١١٢] أي: بأمان.

وقال الأعْشَى:

وَإِذَا تُجَوِّزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ ... أَخَذَتْ مِنَ الأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا(٤)

---

(١) اللسان (١٧/ ٤٤١).

(٢) البيت من معلقته، في شرح القصائد العشر ص١٢٠، وديوانه ص٣٠. «أسباب السماء: نواحيها ووجوهها. أي من اتقى الموت لقيه».

(٣) اللسان (١٣/ ١٤٢).

(٤) البيت له في اللسان (١٣/ ١٤٣)، وديوانه ص٢٤؛ من قصيدة يمدح بها قيس بن معديكرب. وقبله =

وأما قول امرئ القيس:

إنِّى بحَبْلِك وَاصِلٌ حَبْلِى ... وبِرِيشِ نَبْلِكِ رَائِشٌ نَبْلِى(١)

فإنه يريد: إنِّى وَاصِلٌ بينى وبينك.

وأصل هذا يكون فى البعيرين: يكونان مُفْتَرِقَيْن وعلى كل واحد منهما حَبْلٌ، فَيُقْرَنانِ بأنْ يُوصَل حبل هذا بحبل هذا.

وقال أبو زُبَيْد يذكر رجلاً سرى ليلةً كلها:

نَاطَ أَمْرَ الضِّعافِ فاجْتَعَل اللَّيْـ ... ـلَ كَحَبْلِ العَــادِيَّةِ المَمْــدُودِ(٢)

يريد: أن مسيره اتصل الليل كلّه، فكان كحبل ممدود.

* * *

= فى حديثه عن ناقته:

فتركتُهـا بعـــد المَراح رزيَّة ... وأمنتُ عند ركوبها إعْجالَها

فتنـــاولت قيسًا بحـر بلاده ... فأتته بعــــد تَنوفة فأنا لَهـا

وقال المرصفى فى رغبة الآمل (٥٢/٤): «تجوزها: تسوغها قطع الطريق المخوف. والحبال: العهود والمواثيق. يريد أنه سلك طرقًا مخوفة لا يمر بواحدة منها إلا أخذ من أهلها عهدًا وميثاقًا حتى لا يتعرض إليه أحد يقتله أو ينهب ماله». وقال تلميذه «محمود محمد شاكر» فى شرحه: «كان الراكب أو الركْب إذا أراد اجتياز أرض قبيلة أخذ منهم العهد أن يجيروه حتى يجوز أرضهم، فيحموه حتى لا يعتدى عليه أحد فينهب ماله، فذلك معنى قوله: «فإذا تجوزها حبال قبيلة» يعنى عهود القبيلة التى تحميه حتى يجوز أرضها وحماها. يقول: إذا جازت أرض قبيلة بما أخذت من عهدها «أخذت من الأخرى إليك حبالها» أى أخذت عهود قبيلة أخرى، لتجوز أرضها وحماها إليك. يمدحه بأنه موهوب مطاع فى القبائل، حسب قاصده أن يذكر للقبائل اسمه حتى يعطوه الأمان ويجيزوه أرضهم، لا يناله مكروه»

(١) ديوانه ص١١٥، واللسان (١٤٣/١٣)، وفيه (١٩٨/٨): «راش سهمه يريشه ريشًا: إذا ركّب عليه الريش، ورشت السهم: ألزقت عليه الريش».

(٢) فى اللسان (١١٧/١٣): «وقال أبو زُبيد يَرْثى اللَّجْلاج ابن أخته: ناط ـ البيت ـ أى جعل سير الليل كله مستقيمًا كاستقامة حبل البئر إلى الماء. والعادية: البئر القديمة». وهو من قصيدة طويلة فى جمهرة أشعار العرب ص١٤١ وفيها: «واحتفل الليل. ناط: علق ورفع. والعادية: الطريق: والحبل: أثر الناس».

١٤ـ الظلم

أصل الظلم في كلام العرب: وضعُ الشيء في غير موضعه[(١)].

ويقال: «مَنْ أشبه أباه فما ظلم»[(٢)]، أي: فما وضعَ الشَّبَه غيرَ موضعه.

وظُلْمُ السِّقاء: هو أن يُشْرَبَ قبل إدْراكه[(٣)].

وظُلم الجَزُور: أن يُعْتَبَط، أي ينحر، من غير علَّة.

وأرض مَظْلُومة: أي حُفِرت وليست موضع حَفْرٍ.

ويقال: الزم الطريقَ ولا تظلمْه، أي: لا تعدل عنه[(٤)].

ثم قد يصير الظلم بمعنى الشِّرْك؛ لأنَّ من جعل لله شريكًا فقد وضع الرُّبوبيّة غيرَ موضعها. يقول الله سبحانه: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:١٣]، وقال: ﴿**وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام:٨٢] أي: بشرك.

ويكون الظلم: النّقصان؛ قال الله تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [البقرة:٥٧] أي: ما نقصونا.

وقال: ﴿**آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا**﴾ [الكهف:٣٣] أي: لم تَنْقُص منه شيئًا. ومنه يقال: ظلمتك حقَّك، أي: نقصتك. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ [مريم:٦٠]، و﴿**لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا**﴾ [يس:٥٤].

ويكون الظلم: الجحْدَ، قال الله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا**﴾ [الإسراء:٥٩] أي: جَحَدُوا بأنَّها من الله تعالى.

وقال: ﴿**بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾ [الأعراف:٩] أي: يَجْحَدُون.

---

(١) اللسان (١٥/٢٦٦)، ومقاييس اللغة (٤٦٨، ٤٦٩).

(٢) المثل في لسان العرب (١٧/٢٦٦)، وتفسيره هو تفسير الأصمعي، وهو في جمهرة الأمثال ص١٨٥، ومجمع الأمثال (٢/٢٧٦).

(٣) في اللسان (١٥/٢٦٩): «يقال: ظلمتُ السِّقاء، وظلمت اللبن: إذا شربتَه أو سقيتَه قبل إدراكه وإخراج زُبدته».

(٤) في اللسان (١٥/٢٦٦): «وفي حديث ابن زِمْلٍ: لزموا الطريق فلم يظلموه؛ أي لم يعدلوا عنه».

١٥ـ البلاء

أصل البلاء: الاختبار(١)، قال الله جل وعلا: ﴿**وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا**﴾ [النساء:٦] أى: اختبروهم.

وقال: ﴿**إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**﴾ [الصافات:١٠٦] يعنى: ما أُمِرَ به إبراهيمُ من ذبح ابنه، صلوات الله عليهما.

وقال: ﴿**وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**﴾ [الأعراف:١٦٨] أى: اختبرناهم.

ثم يقال للخير: بلاء، وللشر: بلاء؛ لأنّ الاختبار الذى هو بلاء وابتلاء يكون بهما. قال الله تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾ [الأنبياء:٣٥] أى: نختبركم بالشر لنعلم كيف صبركم، وبالخير لنعلم كيف شكركم. ﴿**فِتْنَةً**﴾: أى اختباراً.

ومنه يقال: اللهم لا تَبْلُنَا إلا بالتى هى أحسن. أى: لا تختبرنا إلا بالخير، ولا تختبرنا بالشر.

يقال من الاختبار: بَلَوْتُه أَبْلُوهُ بَلْوًا، والاسم بَلاءٌ. ومن الخير: أَبْلَيْتُه أُبْلِيه إِبْلاءً. ومنه يقال: يُبلِى ويُولِى. قال زهير:

* فَأَبْلاهُمَا خَيْرَ البلاءِ الذى يَبْلُو(٢) *

أى: خير البلاء الذى يختبر به عباده.

ومن الشر: بَلاه الله يَبْلُوه بَلاءً. قال الله عز وجل: ﴿**وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة:٤٩] أى: نعمة عظيمة. ﴿**وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ**﴾ [الدخان:٣٣] أى: نِعَمٌ بَيِّنَةٌ عظام.

---

(١) اللسان (٢٠/ ٩٠).

(٢) صدره كما فى ديوانه ص١٠٩: «رأى اللهُ بالإحسان ما فَعَلا بكم» يقول: رأى الله فعلهما حسنًا. وتحقيق لفظه: رأى الله فعلهما بالإحسان، أى مع الإحسان إليكم، وإنما قال: خير البلاء؛ لأن الله تعالى يبتلى بالخير والشر، فيقول: أبلاهما الله خير ما يبلو به عباده. وقوله: «فأبلاهما» معناه الدعاء لهما، وقوله: «رأى الله بالإحسان» يحتمل أن يكون خبرًا. ويروى: «جزى الله بالإحسان» وهى رواية اللسان (١٨/ ٩٠).

١٦ـ الرجز والرجس

الرِّجْزُ: العذاب[١]. قال الله تعالى حكاية عن قوم فرعون: ﴿**لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ**﴾ [الأعراف: ١٣٤] أي العذاب.

ثم قد يُسمَّى كَيْدُ الشيطان: رِجْزًا؛ لأنّه سبب العذاب. قال الله تعالى: ﴿**وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ**﴾ [الأنفال: ١١].

* * *

والرِّجْس: النَّتْنُ[٢].

ثم قد يُسمَّى الكفرُ والنفاقُ: رِجْسًا؛ لأنه نَتَن. قال الله تعالى: ﴿**فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ**﴾ [التوبة: ١٢٥] أي: كفرًا إلى كفرهم، أو نفاقًا إلى نفاقهم.

وقال الله تعالى: ﴿**وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [يونس: ١٠٠].

وقال الله عز وجل: ﴿**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾ [المدثر: ٥] يعني: الأوثان، سمَّاها رِجزًا ـ والرِّجز: العذاب ـ لأنها تُؤَدِّي إليه.

* * *

(١) اللسان (٧/ ٢١٩).

(٢) اللسان (٧/ ٣٩٨).

١٧ـ الفتنة

الفتنة: الاختبار(١)، يقال: فَتَنْتُ الذهبَ في النّار: إذا أدخلتَهُ إليها لتعلم جودتَه من رداءته. وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ [العنكبوت:٣] أي: اختبرناهم. وقال لموسى عليه السلام: ﴿**وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا**﴾ [طه: ٤٠]. ومنه قوله: ﴿**ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام:٢٣] أي: جوابُهم؛ لأنهم حين سئلوا اختُبِر ما عندهم بالسؤال، فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار إلا هذا القول.

والفتنة: التعذيب، قال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾(٢) [البروج: ١٠] أي: عذّبوهم بالنار.

وقال عز وجل: ﴿**يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾ أي: يعذَّبون ﴿**ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ**﴾ [الذاريات:١٣، ١٤] أي يُقَال لهم: ذوقُوا فِتْنَتَكم، يراد هذا العذاب بذاك.

وقال عز وجل: ﴿**فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ**﴾ [العنكبوت: ١٠] أي: جعل عذاب الناس وأذاهم كعذاب الله.

والفتنة: الصدُّ والاستزْلال، قال الله عز وجل: ﴿**وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾ [المائدة:٤٩] أي: يَصُدُّوكَ ويَسْتَزِلُّوك(٣). وقال الله تعالى: ﴿**وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ [الإسراء:٧٣]، وقال: ﴿**مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ**﴾(٤) [الصافات: ١٦٢، ١٦٣] أي: صادين.

والفتنة: الإشراك والكفر والإثم، كقوله: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ [البقرة:١٩٣، والأنفال:٣٩] أي: شرك.

---

(١) انظر اللسان (١٧/ ١٩٣).

(٢) انظر اللسان (١٧/ ١٩٧).

(٣) في اللسان (١٣/ ٣٢٥): «وزلَّ في رأيه ودينه يَزَلُّ زَلاًّ وزَلَلاً... وأزلَّه هو، واستزلَّه غيره».

(٤) انظر اللسان (١٧/ ١٩٦).

وقال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة:١٩١] يعنى الشرك.

وقال: ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة:٤٩] أى: فى الإثم.

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور:٦٣] أى: كفر وإثم.

وقال: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحديد:١٤] أى: كفرتم وآثَمْتموها.

والفتنة: العِبْرَةُ، كقوله: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:٨٥]، وفى موضع آخر: ﴿لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة:٥] أى: يَعْتَبِرُونَ أمرهم بأمرنا؛ فإذا رأونا فى ضُرٍّ وبلاء ورأوا أنفسهم فى غبطة ورخاء ظَنُّوا أنهم على حق ونحن على باطل.

وكذلك قوله: ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام:٥٣].

* * *

١٨ ـ الفرض

الفرض: وجوب الشيء[١]. ويقال: فرضت عليك كذا؛ أى: أوجبته. قال الله تعالى: ﴿**فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ**﴾ [البقرة:١٩٧] أى: أوجبه على نفسه. وقال: ﴿**فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ**﴾ [البقرة:٢٣٧] أى: ألزمتم أنفسكم. وقال: ﴿**قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٥٠] أى: ألزمناهم.

ومنه قوله فى آية الصدقات بعد أن عدّد أهلها: ﴿**فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ**﴾ [النساء: ١١].

وقيل للصلاة المكتوبة: فريضة. وقيل لسهام الميراث: فريضة.

وقال: ﴿**قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ**﴾ [التحريم: ٢] أى: أوجب لكم أن تُكفِّرُوا إذا حَلَفْتم.

وبعض المفسرين يجعلها بمعنى: بَيَّنَ لكم كيف تُكَفِّرون عنها.

قال: ومثلها: ﴿**سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا**﴾ [النور: ١] أى: بيَّنَّاها.

وقد يجوز فى اللغة أن يكون فرضناها: أوجبنا العمل بما فيها.

وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ**﴾ [القصص: ٨٥].

قال المفسرون: فيه أنزل عليك القرآن.

وقد يجوز فى اللغة أن يكون أوجب عليك العمل بما فيه.

وقال: ﴿**مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ**﴾ [الأحزاب: ٣٨].

قال المفسرون: فيما أحل الله له.

وقد يجوز فى اللغة أن يكون: ما أوجب له من النكاح، يعنى: نكاحَ أكثرَ من أربع.

* * *

(١) اللسان (٩/ ٦٦).

١٩ـ الخيانة

الخيانة: أن يُؤتَمَن الرجلُ على شيء، فلا يُؤدِّيَ الأمانة فيه(١).

يقال لكل خائن: سارق، وليس كل سارق خائنًا.

والقَطْع يجب على السارق، ولا يجب على الخائن؛ لأنه مؤتمن. قال النَّمِر بن تَوْلَب:

وَإِنَّ بَنِى رَبِيعَـةَ بَعْـدَ وَهْبٍ ... كَرَاعِى البَيْتِ يَحْفَظُهُ فَخَانَا(٢)

ويقال لناقض العهد: خائن؛ لأنه أَمِنَ بالعهد وسكن إليه، فغَدَرَ ونَكَثَ. قال الله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً**﴾ [الأنفال:٥٨] أى: نقضًا للعهد.

وكذلك قوله: ﴿**وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ**﴾ [المائدة:١٣] أى: غدر ونكث.

ويقال لعاصى المسلمين: خائن؛ لأنَّه مؤتَمن على دينه. قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ**﴾ [الأنفال:٢٧] يريد المعاصىَ.

وقال الله تعالى: ﴿**عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ**﴾ [البقرة:١٨٧] أى: تخونونها بالمعصية.

---

(١) اللسان (١٦/ ٣٠٢).

(٢) نسبه له ابن قتيبة فى المعانى الكبير (١/ ٥٩٢)، وأدب الكاتب ص٣٧. وقال ابن السِّيد فى الاقتضاب ص٣٠٣: «وقوله: «بعد وهب» يريد بعد خيانة وهب، وليس يريد بعد هلاك وهب، ولو كان كذلك لكان قد مدح وهبًا، وليس يمدحه إنما يذمه. والمعنى: إن وهبًا كان أوثقهم وأجدرهم بالأمانة، فإذا قد خان وهب فهم أجدر بالخيانة. والدليل على أنه يذم وهبًا قوله قبل هذا البيت:

يريد خيانتى وَهْبٌ وأرجو ... من الله البراءةَ والأمانا

فإنَّ الله يعلمنى ووَهْبًا ... ويعلم أنْ سنلقاه كلانا

ويروى: «يحفظه» بضم الياء، أى يؤتمن عليه، يقال: حفظ الرجل الشىء وأحفظته إياه. وهذا بيّن لا إشكال فيه. وصف بالحفظ والخيانة. والجواب عن هذا من وجهين: أحدهما: أن الفاء فى كلام العرب إنما وضعت لتدل على أن ما بعدها يقع عقيب ما قبلها، فمعناه: يحفظه أولاً ثم يعقب الحفظ بالخيانة. والثانى: أن يكون معنى يحفظه: يدعى أنه يحفظه وهو يخون؛ لأن العرب تنسب الفعل إلى من يدعى كما تنسبه إلى ما هو له بالحقيقة...». وانظر شرح أدب الكاتب للجواليقى ص١٤٥.

٢٠ـ الإسلام

الإسلام: هو الدخول فى السِّلْم، أى: فى الانقياد والمتابعة(١). قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] أى: انقاد لكم وتابعكم.

والاستسلام مثله. يقال: سلَّمَ فلانٌ لأمْرِكَ واستسلم وأسْلَم؛ أى دخل فى السِّلْم. كما تقول: أشْتَى الرجلُ: إذا دخل فى الشتاء، وأربع: دخل فى الربيع، وأقْحَطَ: دخل فى القحط.

فمن الإسلام: متابعةٌ وانقيادٌ باللِّسان دون القلب. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] أى: انْقَدْنا من خوف السيف.

وكذلك قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣] أى: انقاد له وأَقَرَّ به المؤمن والكافر.

ومن الإسلام: مُتَابَعَةٌ وانقيادٌ باللسان والقلب. ومنه قوله حكايةً عن إبراهيم: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]. وقوله: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] أى: انقدت لله بلسانى وعَقْدِى، والوجه زيادة. كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، يُريد: إلا هو. وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] أى لله. قال زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيل(٢) فى الجاهلية:

أَسْلَمْتُ وَجهى لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ المُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالَا(٣)

أى: انقادت له المُزْن.

* * *

(١) اللسان (١٥/ ٢٨٦).

(٢) راجع أخباره فى: الأغانى (٣/ ١٥ ـ ١٧)، والمعارف ص٢٧.

(٣) البيت فى تفسير الطبرى (١/ ٣٩٣)، والمعارف ص٢٧، ومجمع البيان (١/ ١٨٧)، والأغانى (٣/ ١٧) وبعده فيه:

وأسلمتُ وجهى لمن أسلمتْ ... له الأرضُ تحملُ صخرًا ثقالا

دحـاها فلمَّا استوتْ شدَّهـا ... سـواءً وأرسى عليهـا الجبالا

٢١ـ الإيمان

الإيمان: هو التصديق[(١)]. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أى: بمصدِّق لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف:١٧]. وقال: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر:١٢] أى: تُصدِّقوا.

والعبد مؤمن بالله، أى مصدِّق. واللهُ مؤمن: مصدِّقٌ ما وَعَده، أو قابلٌ إيمانه. ويقال فى الكلام: ما أُومِنُ بشىءٍ مما تقول؛ أى ما أُصدِّق به.

فمن الإيمان: تصديق باللسان دون القلب، كإيمان المنافقين. يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ [المنافقون:٣] أى: آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم. كما كان من الإسلام انقياد باللسان دون القلب.

ومن الإيمان: تصديق باللسان والقلب. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٧]، كما كان من الإسلام انقياد باللسان والقلب.

ومن الإيمان: تصديق ببعض وتكذيب ببعض. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] يعنى مشركى العرب، إن سألتَهم مَنْ خلَقَهم قالوا: الله، وهم مع ذلك يجعلون له شركاء. وأهل الكتاب يؤمنون ببعض الرُّسل والكتب ويكفرون ببعض. قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر:٨٥] يعنى: ببعض الرسل والكتب، إذ لم يؤمنوا بهم كلِّهم.

وأما قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾ ثم قال: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة:٦٢] ـ فإن هؤلاء قوم آمنوا بألسنتهم. فقال تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم بقلبه ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، كأنه قال: إن المنافقين والذين هَادُوا.

* * *

(١) اللسان (١٦/ ١٦٢).

٢٢ـ الضر

الضَّرُّ: ـ بفتح الضاد ـ ضد النفع[1]، قال الله عز وجل: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: ٧٢، ٧٣]. وقال: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨] أي: لا أملك جرَّ نفعٍ ولا دفع ضرٍّ.

والضُّرُّ: الشدة والبلاء، كقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فمن الشدّة: قَحْطُ المطر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ [يونس: ٢١] أي: مطرًا من بعد قحط وجَدْب.

ومنه: الهول، كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٦٧].

ومنه: المرض، كقول أيوبَ عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ [الزمر: ٤٩].

ومنه: النقص، كقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٣٢].

* * *

(١) اللسان (٦/ ١٥٣)، وأدب الكاتب ص٣٠٦.

٢٣ـ الحَرَج

الحَرَج: أصله الضيق(١).

ومن الضيق: الشك، كقول الله تعالى: ﴿فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢] أى: شك؛ لأنَّ الشَّاكَّ فى الشىء يضيق صدرًا به.

ومن الحرج: الإثم، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] أى: إثم. ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١] أى: إثم.

وأما الضِّيقُ بعينه فقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] أى: ضيق، و﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] وحَرِجًا. ومنه الحَرَجَةُ وهى: الشجر المُلْتَفُّ.

* * *

(١) اللسان (٣/ ٥٦).

٢٤ـ الروح

الرُّوح والرِّيح والرَّوْح: من أصل واحد[١] اكْتَنَفَتْهُ معانٍ تقاربت، فبُنِيَ لكلٍّ معنًى اسمٌ من ذلك الأصل، وخُولِفَ بينهما فى حركة البِنْيَة.

والنَّار والنُّور من أصل واحد، كما قالوا: المَيْل والمَيَل، وهما جميعًا من مَالَ. فجعلوا المَيَل ـ بفتح الياء ـ فيما كان خِلْقَةً؛ فقالوا: فى عنقه مَيَل، وفى الشجرة مَيَل. وجعلوا المَيْل ـ بسكون الياء ـ فيما كان فِعْلاً؛ فقالوا: مَالَ عن الحق مَيْلا[٢]، وفيه مَيْلٌ علىَّ، أى تحامل.

وقالوا: اللَّسَنُ، واللَّسْنُ واللِّسْنُ، وهذا كله من اللسان، فاللَّسَنُ: جودة اللِّسان. واللَّسْنُ: العَذْل واللوم. ويقال: لَسَنْتُ فلانًا لَسْنًا: أى عذلته، وأخذته بلسانى. واللِّسْنُ: اللّغةُ. يقال: لكلِّ قومٍ لِسْن.

وقالوا: حَمْلُ الشجرة ـ بفتح الحاء ـ وحَمْل المرأة ـ بفتح الحاء ـ . وقالوا لما كان على الظهر: حِمْل[٣]**، والأصل واحد.**

فى أشباهٍ لهذا كثيرة، وقد ذكرنا منها طرفًا فى صدر الكتاب[٤].

* * *

وأما الرُّوح: فرُوحُ الأجسام الذى يقبضه الله عند الممات[٥].

والرُّوحُ: جبريل عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ**﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] يعنى جبريل. وقال: ﴿**وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾ [البقرة: ٢٥٣] أى بجبريل.

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٥٤).

(٢) أدب الكاتب ص٣٠٣.

(٣) أدب الكاتب ص٣٠٣، ومقاييس اللغة (٢/ ١٠٦).

(٤) راجع ص٧٧.

(٥) اللسان (٣/ ٢٨٩).

والرُّوح ـ فيما ذكر المفسرون ـ: مَلَكٌ عظيم من ملائكة الله يقوم وحده فيكون صفًّا وتقوم الملائكة صفًّا، قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائكَةُ صَفًّا﴾[1] [النبأ: ٣٨]، وقال عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥].

ويقال للملائكة: الرُّوحَانِيُّون؛ لأنهم أرواح، نُسِبُوا إلى الرُّوح ـ بالألف والنون ـ لأنها نِسْبَةُ الخِلْقة[2]، كما يقال: رَقَبَانِيٌّ وَشَعَرَانِيٌّ.

والرُّوحُ: النَّفْخُ، سُمِّى رُوحًا لأنه ريح تخرج عن الرُّوح. قال ذو الرُّمة وذكر نارًا قدحها:

فَلَمَّـــا بَـدَتْ كَفَّنْتُهَـــا وَهْىَ طَفْلَـةٌ ... بِطَلْسَـاءَ لم تَكْمُلْ ذِراعًا ولا شِبْـرًا[3]

وَقُلْتُ له: ارْفَعْهَـا إليكَ وَأَحْيِهَـا ... بِرُوحِـكَ وَاقْتَتْـهُ لَهَـا قِيتَةً قَـدْرًا[4]

وَظَاهِرْ لَهَا مِنْ يَابِسِ الشَّخْتِ وَاسْتَعِنْ ... عليها الصَّبَا وَاجْعَلْ يَدَيْكَ لَهَا سِتْرًا[5]

قوله: «وأحيها برُوحك»، أى: أحيها بنفخك.

والمسيح: رُوحُ الله؛ لأنه نَفْخَةُ جبريل فى دِرْع مريم. ونُسِبَ الرُّوحُ إلى الله تعالى لأنه بأمره كانَ. يقولُ اللهُ: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١] يعنى نَفْخَةَ جبريل.

---

(١) انظر أقوال العلماء فى معنى الروح هنا فى تفسير أبى جعفر الطبرى (٣٠/ ١٥، ١٦).

(٢) فى اللسان (٣/ ٣٩١): «وفى الحديث: الملائكة الروحانيون، يروى بضم الراء وفتحها، كأنه نَسَبٌ إلى الرُّوح أو الرَّوْح، وهو نسيم الريح، والألف والنون من زيادات النسب. ويريد به أنهم أجسام لطيفة لا يدركها البصر».

(٣) ديوانه ص١٧٦. وفى اللسان (٧/ ٤٣١): «وقال فى قول ذى الرمة: «بطلساء لم تكمل ذراعًا ولا شبرًا» يعنى خرقة وَسِخَةَ ضَمَّنها النارَ حين اقتدح».

(٤) فى اللسان (٣/ ٢٨٦): «بروحك واجعله لها» أى أحيها بنفخك، واجعله لها، الهاء للروح لأنه مذكر فى قوله: «واجعله» والهاء التى فى «لها» للنار لأنها مؤنثة». وفيه (٢/ ٢٣٢): «ويقال: حاييتُ النار بالنفخ كقولك: أحييتها. قال الأصمعى: أنشد بعض العرب بيت ذى الرمة: «فقلت له ارفعها إليكَ وحَايِها. . .». وفيه (١٨/ ٣٧٩): «ونفخ فى النار نفخًا قُوتًا واقْتاتَ لها: كلاهما رفق بها. واقْتَتْ لنارك قِيتةً: أى أطعمها. قال ذو الرمة: فقلت له: خذها إليك ـ البيت ـ وإذا نفخ نافخ فى النار قيل له: انفخ نفخًا قوتًا، واقتَتْ لها نفخك قِيتةً، يأمره بالرفق فى النفخ القليل».

(٥) فى اللسان (٢/ ٣٥٥): «ويقال للحطب الدقيق: شَخْت».

وقد يجوز أن يكون سُمِّيَ رُوحَ الله لأنه بكلمته كان، قال الله تعالى «كن» فكان.

وكلامُ الله: رُوحٌ؛ لأنه حياة من الجهل ومَوْتِ الكُفْرِ، قال: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ [غافر:١٥]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

ورحمةُ الله: رُوحٌ. قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[١] [المجادلة:٢٢] أي برحمةٍ، كذلك قال المفسرون.

ومن قرأ: ﴿فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ﴾[٢] [الواقعة:٨٩] بضم الراء، أراد: فرحمةٌ ورزقٌ. والريحان: الرزق، قال النَّمِرُ بن تَوْلَب:

سَلَامُ الإلهِ ورَيْحَانُه ... ورَحْمَتُهُ وَسَمَاءٌ دِرَرْ[٣]

فجمع بين الرزق والرحمة، كما قال الله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، وهذا شاهد لتفسير المفسرين.

قال أبو عبيدة: ﴿فَرُوحٌ﴾، أراد: حياةً وبقاء لا موت فيه[٤].

ومن قرأ: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ بالفتح، أراد: الرّاحة وطيب النَّسيم.

---

(١) انظر اللسان (٣/ ٢٨٥).

(٢) انظر اللسان (٣/ ٢٨٥). وفي تفسير الطبري (٢٧/ ١٢١): «قرأته عامة قراء الأمصار: فروح - بفتح الراء - بمعنى: فله برد وريحان. يقول: ورزق واسع في قول بعضهم، وفي قول آخرين: فله راحة وريحان، وقرأ ذلك الحسن البصري: فروح - بضم الراء - بمعنى أن روحه تخرج في ريحانة. وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح؛ لإجماع الحجة من القراء عليه، بمعنى: فله الرحمة والمغفرة والرزق الطيب الهني».

(٣) البيت له في مجاز القرآن (٢/ ٤٣). وفي اللسان (٣/ ٨٥): «قال الأزهري: والعرب تقول: سبحان الله وريحانه. قال أهل اللغة: معناه: واسترزاقه، وهو عند سيبويه من الأسماء الموضوعة موضع المصادر، تقول: خرجتُ أبتغي رَيْحَان الله، قال النمر بن تولب:

سـلامُ الإله ورَيْحـانُهُ ... ورحمتُـه وسمـاءٌ دِرَرْ
غَمـامٌ يُنَزِّلُ رزقَ العبادِ ... فأحيا البلادَ وطاب الشَّجَرْ

قال: ومعنى قوله «وريحانه»: ورزقه. قال الأزهري: قاله أبو عبيدة وغيره. قال: وقيل: الريحان ههنا هو الريحان الذي يُشَمُّ».

(٤) في مجاز القرآن (٢/ ٥٣): «فرُوح وريحان: فحياة وبقاء ورزق. ورَوْح: أي بَرْد».

وقد تكون الرُّوحُ: الرحمة، قال الله تعالى: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] أي: من رحمته. سَمَّاها رَوْحًا لأنَّ الرَّوْحَ والرَّاحةَ يكونان بها(١).

* * *

(١) هذه العبارة فى اللسان نقلاً عن التهذيب للأزهرى. وقد ولد الأزهرى سنة اثنين وثمانين ومائتين، ومات سنة سبعين وثلاثمائة، كما فى بغية الوعاة ص٨.

٢٥ـ الوحى

الوحى: كلُّ شيء دَلَلْتَ به من كلام أو كتاب أو إشارة أو رسالة[١]. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [النساء:١٦٣]، وقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، فهذا إرسال جبريل بالقرآن.

وقال: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١١]، أى أشار إليهم وأومأ.

وقال بعض المفسرين: كتب إليهم.

قال أبو محمد:

والتفسير الأول أعجبُ إلىَّ؛ لأنه قال فى موضع آخر: ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران:٤١].

والرمز: تحريك الشفتين أو الحاجبين أو العينين، ولا يكون كتابًا.

والوحى: إلهام، كقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة:١١١]، و﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل:٦٨] أى: ألهمها.

والوحى: إعلام فى المنام، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ﴾ [الشورى:٥١].

والوحى: إعلام بالوَسْوَسَة من الشيطان، قال: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام:١٢١]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

والوحى: أمر، قال الله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة:٥] أى: أمرها. وقال الراجز:

---

(١) اللسان (٢٠/٢٥٧).

* وَحَى لها القَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ(١) *

أى أمرها بالقرار فَقَرَّت، يعنى الأرض. ويقال: سخَّرها.

* * *

(١) الرجز للعجاج كما فى ديوانه ص٥، واللسان (٢٠/٢٥٧) وبعده: «وشدَّها بالراسياتِ الثُّبَّت».
وقيل: أراد: أوحى، إلا أن من لغة هذا الراجز إسقاط الهمزة مع الحرف، ويروى «أوحى» قال ابن بري: ووَحَى فى البيت بمعنى: كَتَبَ».

٢٦ـ الفرح

الفَرحُ: المسرَّة، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ [يونس: ٢٢] أى: سُرُّوا.

والفرح: الرضا؛ لأنه عن المسرة يكون، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣، والروم: ٣٢] أى: راضون، وقال: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣] أى: رضوا.

والفرح: البَطَرُ والأَشَرُ؛ لأن ذلك عن إفراط السرور، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، وقال: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]، وقال: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: ٧٥].

وقد تبدل «الحاء» فى هذا المعنى «هاء» فيقال: فَرِهٌ أى بَطِرٌ، قال الله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩] أى: أَشِرِينَ بَطِرين. و«الهاء» تبدل من «الحاء» لقُرب مخرجيهما، تقول: «مدحته» و«مدهته»، بمعنًى واحد.

* * *

٢٧ـ الفتح

الفتح: أن يُفتحَ المُغْلَق، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر:٧٣].

والفتح: النَّصر، كقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء:١٤١]، وقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ [المائدة:٥٢]؛ لأن النصر يَفْتح الله به أمرًا مغلقًا.

والفتح: القضاء؛ لأن القضاء فصل للأمور، وفتح لما أشكل منها، قال الله جل ذكره: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ [السجدة:٢٨، ٢٩] يعني يوم القيامة؛ لأنه يقضي الله فيه بين عباده.

ويقال: أراد فتح مكة لا ينفع الذين كفروا إيمانهم من خوف السيف، فلم ينفعهم ذلك وقتلهم خالد بن الوليد.

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [سبأ:٢٦] أي: يقضي (وهو خير الفاتحين)[١] أي: خير القضاة.

وقال أعرابي لآخر ينازعه: بيني وبينك الفتاح، يعني الحاكم.

وقال ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٢] [الفتح:١]: كنت أقرؤها ولا أدري ما هي، حتى تزوجت بنت مِشْرَح[٣] فقالت: فتح الله بيني وبينك، أي حكم الله بيني وبينك.

---

(١) تمام الآية الأولى: ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦]، والآية الثانية في سورة الأعراف رقم ٨٩ وصحتها: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

(٢) في تفسير الطبري (٢٦/ ٤٢): «يقول: إنا حكمنا لك يا محمد حكمًا يبين لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر، لتشكر ربك وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم وفتحه ما فتح لك».

(٣) اسمها زُرْعة بنت مشرح الكندية، كما قال ابن قتيبة في المعارف ص٥٤، وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١٧: «زهرة بنت منشرح الكندية». وفي ص٤٠٢: «زرعة بنت مشرح». وكذلك في نسب قريش ص٢٨، ٢٩، وفي الإصابة (٨/ ١٠٠): «زرعة بنت محرش» بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الراء، بعدها معجمة.

٢٨ـ الكريم

الكريم: الشريف الفاضل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] أى: أفضلكم. وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ﴾ [الإسراء:٧٠] أى: شرَّفناهم وفضَّلناهم. وقال حكايةً عن إبليس: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء:٦٢] أى: فضَّلت. وقال: ﴿إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾ [الفجر:١٥] أى: فضَّله. وقال: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦] أى: الشريف الفاضل. وقال: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١] أى: شريفًا. وقال: ﴿إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٢٩] أى: شريف لشرف كاتبه، ويقال: شريف بالخَتْم.

والكريم: الصَّفوح، وذلك من الشرف والفضل، قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠] أى: صفوح. وقال: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦] أى: الصَّفوح.

والكريم: الكثير الكرم، قال الله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٤، ٧٤، والحج:٥٠، والنور:٢٦، وسبأ:٤] أى: كثير.

والكريم: الحَسَن، وذلك من الفضل. قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء:٧] أى: حَسَن. وكذلك قوله: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥، وق:٧] أى: حسن يُبتهج به. وقال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣] أى: حَسَنًا.

وهذا وإن اختلف، فأصله الشرف.

* * *

٢٩ـ المثل

المَثَل: بمعنى الشّبه[١]، يقال: هذا مَثَل الشيء ومِثْله، كما يقال: شَبَه الشيء وشِبْهُه، قال الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا**﴾ [العنكبوت: ٤١] أي: شَبَه الذين كفروا شبه العنكبوت.

وقال: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾ [الجمعة: ٥] أي: شبههم الحمار.

والمَثَلُ: العبْرة، كقوله تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ**﴾[٢] [الزخرف: ٥٦] أي: عبرةً لمن بعدَهم. وقوله: ﴿**وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الزخرف: ٥٩] أي: عبرة.

والمَثَلُ: الصّورة والصِّفة، كقوله: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ**﴾[٣] [محمد: ١٥] أي: صفة الجنة.

* * *

(١) اللسان (١٤/ ١٣٢)، ومجمع الأمثال (١/ ٩).

(٢) انظر اللسان (١٤/ ١٣٤).

(٣) انظر اللسان (١٤/ ١٣٣).

٣٠ـ الضرب

الضَّرْب: باليد، كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، وقوله: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

والضرْبُ: المسير، قال الله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المزمل: ٢٠].

والضرب: التَّبيين والوصف، قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً﴾ [النحل: ٧٥]، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾[1] [النحل: ٧٤]، أى لا تصفوه بصفات غيره ولا تشبهوه.

* * *

(١) فى تفسير الطبرى (١٤/ ٩٩): «وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ يقول: فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه؛ فإنه لا مثل له ولا شبه».

٣١ـ الزوج

الزوج: اثنان، وواحد، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾[١] [النجم:٤٥] فجعل كل واحد منهما زوجًا.

وهو بمعنى: الصِّنف، قال: ﴿خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ﴾ [يس:٣٦] يعنى: الأصناف.

وقال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام:١٤٣] أى: ثمانية أصناف.

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء:٧] أى: من كل صِنْف حسن.

والزَّوج: القَرين، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء:١].

وقال: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[٢] [الصافات:٢٢] أى: قرناءهم.

وقال: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير:٧] أى: قُرنت نفوس الكفار بعضها ببعض.

ومنه قوله: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[٣] [الدخان:٥٤] أى: قرناهم.

والعرب تقول: زَوّجت إبلى؛ إذا قرنت بعضها ببعض.

* * *

---

(١) انظر ص٣٣١، ٣٣٢.

(٢) انظر اللسان (٣/ ١١٧).

(٣) انظر اللسان (٣/ ١١٧).

٣٢ـ الرؤية

الرّؤية: المعاينة، كقول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً﴾ [الإنسان: ٢٠] أى: عاينت.

والرؤية: عِلم، كقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الانبياء: ٣٠] أى: ألم يعلموا.

وقال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة:١٢٨] أى: أعلمنا.

وقال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سبأ:٦] أى: يعلم.

وقال: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥] أى: علّمك الله.

وقال المفسرون فى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران:٢٣]: ألم تُخبَروا. وكذلك أكثر ما فى القرآن.

* * *

٣٢ـ النسيان

النسيان: ضد الحفظ، كقوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ [الكهف:٦٣]. وقال: ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف:٧٣].

والنسيان: الترك، كقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه:١١٥] أي: ترك.

وقوله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: بما تركتم الإيمان بلقاء هذا اليوم ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ [السجدة:١٤] أي: تركناكم.

وقوله: ﴿وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧] أي: لا تتركوا ذلك.

* * *

٣٤ـ الصاعقة والصعق

الصَّعْقُ: الموت، قال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ [الزمر:٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣] أي: ميتًا، ثم ردَّ الله إليه حياته.

وقال الله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء:١٥٣] أي: الموت، يدلك على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة:٥٦].

والصاعقة: العذاب، كقوله: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١٣].

والصاعقة: نار من السحاب، قال الله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ [الرعد:١٣].

وأُراها سُمِّيت صاعقة؛ لأنها إذا أصابت قَتَلَتْ، يقال: صَعَقَتْهُمْ؛ أي: قتلتهم.

* * *

٣٥ـ الأخذ

الأخذ: أصله باليد، ثم يستعار في مواضع:

فيكون بمعنى: القبول، قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١] أي: قبلتم عهدي. وقال تعالى: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١] أي: فاقبلوه. وقال: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] أي: يقبلها. وقال: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨] أي: لا يقبل. وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: اقبله.

ويكون بمعنى: الحبس والأسر، قال الله تعالى: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ [يوسف: ٧٨] أي: احبسه. وقال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ﴾ أي: ائسِرُوهم ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] أي: احبسوهم.

ويقال للأسير: أخِيذ.

والأخذ: التعذيب، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ﴾ [هود: ١٠٢] أي: تعذيبه.

وقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠] أي: عذَّبنا.

وقال: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥] أي: ليعذبوه، أو ليقتلوه.

* * *

٣٦ـ السلطان

السلطان: المُلك والقهر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ [سبأ: ٢١].

والسلطان: الحُجَّةُ، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [غافر: ٢٣] أى: حجة.

وقال: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ [الأنعام: ٨١] أى: حجة فى كتاب الله.

وقال: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الصافات: ١٥٦] أى: حجَّة.

وقال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١] أى: حجة وعذر.

* * *

٣٧ـ البأس والبأساء

البأس والبأساء: الشدة، قال الله تعالى: ﴿**فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾ [الأنعام: ٤٢].

والبأس: الشدة بالعذاب، قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**﴾ [غافر: ٨٤] أي: عذابنا.

وقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا**﴾ [الأنبياء: ١٢].

وقال: ﴿**فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ**﴾ [غافر: ٢٩] أي: يمنعنا من عذاب الله.

والبأس: الشدّة بالقتال، قال الله تعالى: ﴿**عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [النساء: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿**نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ [النمل: ٣٣].

وقال: ﴿**بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ**﴾ [الحشر: ١٤].

وقال: ﴿**وَحِينَ الْبَأْسِ**﴾ [البقرة: ١٧٧].

* * *

٣٨ـ الخلق

الخَلْقُ: التَّخَرُّص[١]، قال الله تعالى: ﴿**إنْ هَذَا إلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ**﴾[٢] [الشعراء:١٣٧] أى: خرصهم للكذب.

وقال تعالى: ﴿**وتَخْلُقُونَ إفْكًا**﴾ [العنكبوت:١٧] أى: تخرُصون كذبًا.

وقال تعالى: ﴿**إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلاقٌ**﴾[٣] [ص:٧] أى: افتعال للكذب[٤].

والعرب تقول للخرافات: أحاديثُ الخَلْق[٥].

والخَلْقُ: التَّصْوِير، قال الله تعالى: ﴿**وَإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**﴾ [المائدة:١١٠] أى: تُصَوِّرُهُ.

والخَلْق: الإنْشاءُ والابتداء، قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ [الأعراف:١٨٩].

---

(١) اللسان (١١/ ٣٧٥).

(٢) فى تفسير الطبرى (١٩/ ٦٠): «اختلفت القراء فى قراءة ذلك: فقرأته عامة قراء المدينة سوى أبى جعفر، وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم: ﴿إنْ هَذَا إلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾ من قبلنا ـ بضم الخاء واللام ـ وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بن العلاء: ﴿إن هذا إلا خَلْق الأولين﴾ بفتح الخاء وتسكين اللام، بمعنى: ما هذا الذى جئتنا به إلا كذب الأولين وأحاديثهم... وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ: ﴿إنْ هَذَا إلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾ بضم الخاء واللام، بمعنى إن هذا إلا عادة الأولين ودينهم، كما قال ابن عباس؛ لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذى كانوا يتخذونه، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم، فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم، واقتفاء منهم آثارهم، فقالوا: ما هذا الذى نفعله إلا خلق الأولين، يعنون عادة الأولين...».

(٣) انظر اللسان (١١/ ٣٧٦).

(٤) فى اللسان (١١/ ٣٧٦): «وفى حديث أبى طالب: إن هذا إلا اختلاق، أى كذب، وهو افتعال من الخَلْق والإبداع، كأن الكاذب تخلَّق قولَه».

(٥) فى اللسان (١١/ ٣٧٦): «والعرب تقول: حدثنا فلان بأحاديث الخَلْق، وهى الخرافات من الأحاديث المفتعلة».

وأصل الخَلْق: التقدير، ومنه قيل: خَالِقَةُ الأَدِيم[١]، قال زهير:

ولأَنْتَ تَفْرِى مـا خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لاَ يَفْرِى[٢]

والخَلْقُ: الدِّين، كقوله تعالى: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه﴾ [الروم: ٣٠] أى: لدين الله.

وقال تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّه﴾ [النساء: ١١٩] أى: دينه. ويقال تغيير خلقه بالخصاء وبَتْكِ الآذان، وأشباه ذلك.

* * *

(١) فى اللسان (١١/ ٣٧٥): «والخلق: التقدير، وخَلَق الأديم يَخْلُقه خلقًا: قدَّره لِمَا يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مَزادةً أو قِرْبة أو خُفًّا».

(٢) ديوانه ص٩٤، والجمهرة (٢/ ٢٤٠)، والأضداد لابن السكيت ص٢٠٥، وشرح شواهد الشافية ص٢٢٩، وسيبويه (٢/ ٢٨٩)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢١٤)، والحيوان (٣/ ٣٨٣)، واللسان (٢٠/ ١١)، وتفسير الطبرى (١٨/ ٩)، والبحر المحيط (١/ ٩٣، ٢/ ٤٦٥). وفى اللسان (١١/ ٣٧٥): «يقول: أنت إذا قدَّرت أمرًا قطعته وأمضيته، وغيرك يقدِّر ما لا يقطعه؛ لأنه ليس بماضى العزم، وأنت مَضَّاء على ما عزمت عليه».

٣٩ـ الرجم

الرجم: أصله الرّمى[١]، كقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ**﴾ [الملك: ٥] أى: مرامى.

ثم يستعار فيوضع موضع القتل؛ لأنهم كانوا يقتلون بالرّجم. ورُوِى[٢] أنَّ ابن آدم قتل أخاه رجمًا بالحجارة، وقُتِل رجمًا بالحجارة، فلما كان أول القتل كذلك سُمِّى رجمًا وإن لم يكن بالحجارة، ومنه قوله تعالى: ﴿**لَنَرْجُمَنَّكُمْ**﴾[٣] [يس: ١٨] أى: لنقتلنكم. وقال تعالى: ﴿**وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ**﴾ [الدخان: ٢٠] أى: تقتلون. وقال: ﴿**وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ**﴾ [هود: ٩١] أى: قتلناك.

ويوضع موضع الشتم؛ لأن الشتم رمىٌ، ولذلك يقال: قذف فلانٌ فلانًا؛ إذا شتمه. وأصل القذف: الرمى، ومنه قول أبى إبراهيم له: ﴿**لَأَرْجُمَنَّكَ**﴾[٤] [مريم: ٤٦] أى: لأشتمنك.

ويوضع موضع الظن، ومنه قوله: ﴿**رَجْمًا بِالْغَيْبِ**﴾ [الكهف: ٢٢] أى: ظنًّا.

ويقال: رجم بالظَّنِّ؛ كأنه رمى به.

والرَّجْم: اللعن. والطَّرْد: لعن، ومنه قيل: ذئبٌ لَعين: أى طريد.

وإنما قيل للشيطان: رجيم، أى طريد؛ لأنه يُطرد برجم الكواكب.

* * *

---

(١) اللسان (١٥/ ١١٧).

(٢) انظر تفسير الطبرى (١٠/ ٢٢٠ ـ ٢٢٤).

(٣) تمام الآية: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٤) تمام الآية: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾.

٤٠ـ السعى

السَّعْى: الإسراع فى المشى[1]، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠] أى: يسرع فى مشيه، وهو العدو أيضًا.

والسعى: المشى، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [الصافات:١٠٢] يعنى المشى، ويقال: المعاونة له على أمره.

وقال: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:٩] أى: امشوا. وقرأ بعض السلف: ﴿فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾[2].

وقال: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[3] [البقرة: ٢٦٠] أى: مشيًا، كذلك قال بعض المفسرين.

والسعى: العمل، قال الله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩].

وقال: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾[4] [الإسراء:١٩] أى: عمل لها عملها.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ [الحج:٥١، وسبأ:٥] أى: جدُّوا فى ذلك.

وقال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل:٤] أى: عملكم لَشتَّى، أى مختلف.

وأصل هذا كله: المشى والإسراع فيه.

* * *

(١) اللسان (١٩/١٠٧).

(٢) قرأ ذلك عبد الله بن مسعود، كما فى اللسان (١٩/١٠٧)، وعمر بن الخطاب وابن مسعود وابن الزبير، كما فى القراءات الشاذة لابن خالويه ص١٥٦.

(٣) انظر تفسير الطبرى (٣/ ٤٠).

(٤) بعد ذلك: ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾

٤١ـ المحصنات

الإحْصَانُ هو: أن يحمى الشيء ويمنع منه[١].

والمحصَنات من النساء: ذوات الأزواج؛ لأن الأزواج أَحْصَنُوهُنَّ، ومنعوا منهن، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

والمحصنات: الحَرَائرُ وإن لم يكنَّ متزوجات؛ لأن الحرّة تُحْصَنُ وتُحْصِنُ، وليست كالأَمَة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]. وقال: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥] يعني الحرائر.

والمحصنات: العَفَائِفُ، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النور: ٤] يعني العفائف.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢] أي: عفَّت.

* * *

(١) اللسان (١٦/ ١٧٦).

٤٢ ـ المتاع

المَتَاعُ: المُدَّة، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١].

ومنه يقال: مَتَع النهار. ويقال: أمتع الله بك.

والمتاع: الآلات التي يُنتفع بها، قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ [الرعد: ١٧].

والمتاع: المنفعة، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣، وعبس: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦].

وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾[١] [النور: ٢٩]

أي: ينفعكم ويقيكم من الحرّ والبرد، يعني الخَانات.

ومنه: مُتْعَةُ المُطَلَّقَة[٢].

* * *

(١) انظر اللسان (١٠/٢٠٩).

(٢) متعة المرأة: ما وُصلتْ به بعد الطلاق. راجع اللسان (١٠/٢٠٦، ٢٠٧).

٤٣ - الحساب

الحساب: الكثير، قال الله تعالى: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ:٣٦] أى: كثيرًا.

ويقال: أَحْسَبْتُ فلانًا: أى أعطيتهُ ما يُحْسِبُه، أى يكفيه، ومنه قول الهُذَلِيِّ:

* حِسَابٌ وَرَجْلٌ كالجرادِ يَسُومُ[1] *

والحساب: الجزاءُ، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية:٢٦] أى: جزاءهم.

وقال تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء:١١٣]؛ لأن الجزاء يكون بالحساب.

والحساب: المحاسبة، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٨].

* * *

(١) فى اللسان (١/٣٠٣): «والحساب: الكثير، وفى التنزيل: ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ أى كثيرًا كافيًا، وكل من أرضى فقد أحسب، وشىء حساب: أى كاف، ويقال: أتانى حساب من الناس، أى جماعة كثيرة، وهى لغة هذيل، وقال ساعدة بن جؤيَّة الهذلى:

فلم يَنْتَبِهْ حتَّى أحاطَ بِظَهْرِه حِسابٌ وسِرْبٌ كالجرادِ يَسُومُ»

والبيت بهذه الرواية لساعدة فى ديوان الهذليين (١/٢٢٩)، وأساس البلاغة للزمخشرى (١/١٧٣).

٤٤ ـ الأمر

الأمْرُ: القَضَاءُ، قال الله تعالى: ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**﴾ [السجدة: ٥] أي: يقضي القضاء. وقال تعالى: ﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: القضاء.

والأمر: الدِّين، قال الله تعالى: ﴿**فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ**﴾ [المؤمنون: ٥٣] أي: دينهم. وقال تعالى: ﴿**حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ**﴾ [التوبة: ٤٨].

والأمر: القول، قال الله تعالى: ﴿**إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ**﴾ [الكهف: ٢١] يعني قولهم.

والأمر: العذاب، قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ**﴾ [إبراهيم: ٢٢] أي: وجب العذاب. وقال تعالى: ﴿**وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ**﴾ [هود: ٤٤].

والأمر: القيامة، قال الله تعالى: ﴿**أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾ [النحل: ١]. وقال تعالى: ﴿**وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ**﴾ [الحديد: ١٤] أي: القيامة أو الموت.

والأمر: الوحي، قال الله تعالى: ﴿**يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ**﴾ [الطلاق: ١٢].

والأمر: الذنب، قال الله تعالى: ﴿**فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا**﴾ [الطلاق: ٩] أي: جزاء ذنبها.

وهذا كله وإن اختلف فأصله واحد.

ويكنى عن كل شيء: بالأمر؛ لأن كلّ شيء يكون فإنما يكون بأمر الله، فسميت الأشياء أُمورًا؛ لأن الأمر سببُها، يقول الله تعالى: ﴿**أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾ [الشورى: ٥٣].

* * *

باب تفسير حروف المعانى وما شاكلها من الأفعال التى لا تتصرف

كأيِّن

كأيّن هى بمعنى: كم[١]. قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾[٢] [الطلاق:٨] أى: وكم من قرية.

وفيها لغتان: كَأَيِّن بالهمز وتشديد الياء، **وكائِن** على تقدير قائل وبائع، وقد قُرِئَ بهما جميعًا فى القرآن، والأكثر والأفصح تخفيفها، قال الشاعر:

وكائِنْ أَرَيْنَا الموتَ مِنْ ذى تَحِيَّةٍ ... إذا مـــا ازْدَرَانَا أَوْ أَصَرَّ لِمَأْثَمِ[٣]

وقال آخر:

وكائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَادَتُـه أَوْ نَقْصُـــه فى التَّكَلُّـمِ[٤]

* * *

---

(١) نقل هذا أحمد بن فارس فى كتاب الصاحبى ص١٣٢، ولم ينسبه إلى ابن قتيبة.

(٢) فى تفسير الطبرى (٢٨/٩٧): «يقول تعالى ذكره: وكأين من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وخالفوه، وعن أمر رسل ربهم فتمادوا فى طغيانهم وعتوهم ولجوا فى كفرهم... قال ابن زيد: العتو ههنا: الكفر والمعصية، عتوا: كفروا. عتت عن أمر ربها: تركته ولم تقبله. وقيل: إنهم كانوا قومًا خالفوا أمر ربهم فى الطلاق فتوعد الله ـ بالخبر عنهم ـ هذه الأمة أن يفعل بهم فعله بهم إن خالفوا أمره فى ذلك».

(٣) الصاحبى ص١٣٢.

(٤) البيت لزهير من معلقته فى شرح الزوزنى ص٩٠، ونسبه الجاحظ فى البيان والتبيين (١/ ١٧٠) للأعور الشَّنِّىّ، وذكر بعده بيتًا آخر وهو:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه ... فلم يبق إلاَّ صورةُ اللحمِ والدمِ

وذكرهما ابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة ص٢٩ من غير نسبة، ثم أعاد ذكرهما فى ص٥٩ ونسبهما لأبى الأعور السلمى.

كيف

كيف: بمعنى: على أي حال، تقول: كيف أنت؟ تريد: بأي حال أنت؟

وتقع بمعنى: التعجب، في مثل قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة:٢٨]؟

* * *

سِوى وسُوى

سِوَى وسُوى بمعنى: غير، وهما جميعًا فى معنى بدل. وهى مقصورة. وقد جاءت ممدودة مفتوحة الأول، وهى فى معنى غير.

قال ذُو الرُّمَّة:

ومَــا تَجَــافَى الغَيْثُ عنهُ فمـا بِهِ ... سَوَاءَ الحَمَامِ الحُضَّنِ الخُضْرِ حَاضِرُ(١)

يريد: غيرَ الحَمَام.

وسَوَاء ـ مفتوحة الأول ممدودة ـ بمعنى: وسط. قال: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥] أى: فى وسطه.

وقد جاءت أيضًا بمعنى: وسط، مكسورة الأوّل مقصورةً، قال الله تعالى: ﴿مَكَانًا سِوًى﴾ [طه: ٥٨] أى: وَسَطًا.

* * *

(١) ديوانه ص٢٤٨. وفى هامش (م): «سوى: غير، الحمام: جمع حمامة، الحضن: جمع حاضنة، الخضر: جمع أخضر. يصف ماء ومفازة بعيدة عن الريف. وقيل: أراد ماء بئر لا ماء مطر».

أَيَّان

أيَّان بمعنى: متى، ومتى بمعنى: أيُّ حين.

ونرى أصلها: أيُّ أوان، فحُذفت الهمزة والواو، وجُعل الحرفان واحدًا، قال الله تعالى: ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١]؟ أي متى يبعثون؟ و﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦]؟

* * *

الآن

الآنَ[١]: **هو الوقت الذى أنت فيه، وهو حدُّ الزّمانين**: حدُّ الماضى من آخره، وحدُّ الزمان المستقبل من أوله.

قال الفراء[٢]: «هو حرف بنى على الألف واللام، ولم يُخْلَعَا منه، وتُرِكَ على مذهب الصِّفة؛ لأنه فى المعنى واللفظ، كما رأيتهم فَعَلُوا بالذى[٣]، فتركوه على مذهب الأداة، والألف واللام له لازمة غير مفارقة».

وأرى أصله: أوَانٌ، حذفت منه الألف، وغُيِّرت واوه إلى الألف، كما قالوا فى الرَّاح: الرِّياح. وأنشد:

كـأنَّ مكَـــاكِيَّ الجِـــوَاءِ غُدَيَّةً ... نَشَاوَى تَسَاقَوْا بالرِّيَاحِ المُفَلْفَلِ[٤]

قال: فهى مَرَّةً على تقدير «فَعَلٍ» ومرَّةً على تقدير «فَعَال»، كما قالوا: زَمَن، وزَمَان.

وإن شئْتَ جعلتها من قولك: آنَ لك أن تفعل كذا وكذا، أدخلت عليها الألف واللام ثم تركتها على مذهب «فَعَلَ»[٥] منصوبة، كما قالوا: «نَهى رسول الله ﷺ عن

---

(١) راجع اللسان (١٦/ ١٨٤ ـ ١٨٧)، والمخصص (١٤/ ٨٤).

(٢) فى معانى القرآن (١/ ٤٦٧ ـ ٤٦٩).

(٣) فى اللسان (١٦/ ١٨٥): «بالذى والذين فتركوهما». وكذلك فى معانى القرآن للفراء (١/ ٤٦٧).

(٤) غير منسوب فى معانى القرآن للفراء (١/٤٦٨)، وفى اللسان (١٦/١٨٦): «وأنشد أبو القَمْقام» وروايته كما هنا، ورواه فى (١٤/٤٨) من غير نسبة: «صُبِحْنَ سُلافًا من رحيقٍ مُفَلْفَلِ». والبيت فى الصاحبى ص١١٥ لأبى القمقام الأسدى. والمكاكى: جمع مُكَّاء، وهو طائر يألف الريف. والجواء: جمع جَو، وهو الهواء الذى بين السماء والأرض. ويقال: خمر مفلفل: ألقى فيه الفلفل فهو يَحْذِى اللسان، وشراب مفلفل أى يَلْذَع لذع الفُلفل. وقد رواه ابن قتيبة فى المعانى الكبير من غير نسبة (١/ ٢٩٥)، وقال فى شرحه: «أراد بالرياح: الراح، فزاد ياء. شبهها بنشاوى لكثرة أصواتها وغنائها». ونسب فى اللسان (٣/ ٢٩٥) لامرئ القيس، وهو له فى ديوانه ص١٠٤، وشرح القصائد العشر ص٥٤.

(٥) فى اللسان (١٦/١٨٦): «على مذهب فَعَل، فأتاها النصب مِنْ نصب فَعَل، وهو وجه جيد، كما قالوا... إلخ».

قِيلَ وقال وكثرة السُّؤال»[١] فكانتا كالاسمين وهما منصوبتان، ولو خُفِضَتا[٢] على النَّقْل لهما من حدِّ الأفعال إلى الأسماء في النّية كَانَ صوابًا.

وسمعت العرب تقول: مِنْ شُبَّ إلى دُبَّ، ومن شُبٍّ إلى دُبٍّ، مخفوض منون، يذهبون به مذهب الأسماء. والمعنى: مُذْ كان صغيرًا فشبَّ إلى أن دَبَّ كبيرًا.

قال الله تعالى: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩١]؟ ﴿آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس:٥١]؟ أي: أفي هذا الوقت وفي هذا الأوان تتوب وقد عصيت قبل؟

* * *

(١) روى مسلم في صحيحه: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات (٣/ ١٣٤١): أن المغيرة بن شعبة كتب إلى معاوية: سلام عليك. أما بعد. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله حرم ثلاثًا، ونهى عن ثلاث: حرم عقوق الوالد، ووأد البنات، ولا وهات. ونهى عن ثلاث: قِيلٍ وقالٍ، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

ورواه من حديث أبي هريرة (٣/ ١٣٤٠) بلفظ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم قِيلَ وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

وهذه الرواية أخرجها مالك في الموطأ: كتاب الكلام، باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين (٢/ ٩٩٠).

(٢) في معاني القرآن ص٤٦٩: «ولو خفضتهما على أنهما أُخرجتا من نية الفعل إلى نية الأسماء كان صوابًا».

أنَّى

أنَّى: يكون بمعنيين.

يكون بمعنى: كيف، نحو قول الله تعالى: ﴿**أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٢٥٩] أى: كيف يحييها؟ وقوله: ﴿**فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٣] أى: كيف شئتم.

ويكون بمعنى: من أين، نحو قوله: ﴿**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**﴾ [التوبة: ٣٠]، وقوله: ﴿**أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ**﴾ [الأنعام: ١٠١].

والمَعْنَيَان متقاربان، يجوز أن يُتأوَّل فى كل واحد منهما الآخر.

وقال الكُمَيْت:

أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ آبَكَ الطَّرَبُ؟ مِنْ حَيْثُ لاَ صَبْوَةٌ وَلاَ رِيَبُ[1]

فجاء بالمعنيين جميعًا.

* * *

(١) مطلع قصيدة له فى الهاشميات ص٥٦، وهو له فى تفسير الطبرى (٢/٣٣٦)، والبحر المحيط (٢/٤٤٣)، ومجمع البيان (١/ ٣٢٠)، وشرح شواهد الشافية ص٣١٠، والشطر الأول غير منسوب فى مقاييس اللغة (١/١٥٣)، واللسان (٢٠/٣٢٢)، وشرح الحماسة للمرزوقى (١/٥٣). وقال عبد القادر البغدادى فى شرحه: «آبك: جاءك وغشيك، وهو فعل ماضٍ من الأوب. والطرب: خفة من فرح أو حزن، والمراد الأول. والصبوة: الصبا والشوق. والريب: جمع ريبة، وهى الشبهة. يقول: كيف طربت مع كبر سنك من حيث لا يوجد الطرب ومواضعه؟ الصبوة للفرح، والريب للحزن».

ويكأن

وَيْكَأَنَّ(١). قد اختُلف فيها: فقال الكسائى: معناها: ألم تر، قال الله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٨٢]، وقال: ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢] يريد: ألم تر.

وروى عبد الرّزاق، عن معمر، عن قتادة(٢) أنه قال: وَيْكَأَنَّ: أوَ لا يَعلمُ أن الله يبسط الرزق لمن يشاء.

وهذا شاهد لقول الكسائى.

وذكر الخليل أنها مفصولة: وَىْ، ثم تبتدئ فتقول: كأنَّ الله(٣).

وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح: هى: كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء، كأنه لا يفلح الكافرون. وقال: وَىْ صلةٌ فى الكلام.

وهذا شاهد لقول الخليل.

ومما يدل على أنها كأنَّ: أنها قد تُخفَّف أيضًا كما تُخفَّف كأنَّ، قال الشاعر:

وَيْكَأَنْ مَنْ يكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ـبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ(٤)

وقال بعضهم: ويكأن: أى رحمةٌ لك، بلغة حِمْيَر.

---

(١) فى سيبويه (١/ ٢٩٠): «سألت الخليل عن قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ﴾ وعن قوله: ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ﴾ فزعم أنها مفصولة من كأن، والمعنى على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم، أو نبهوا فقيل لهم ما يشبه أن يكون ذا عندكم هكذا. والله أعلم».

(٢) فى تفسير الطبرى (٢٠/ ٧٧): «فأما قتادة فإنه روى عنه فى ذلك قولان... أحدهما: ويكأنه: ألم تر أنه... والقول الآخر: ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: أوَ لم يعلم أن الله. ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾: أوَ لا يعلم أنه...».

(٣) اللسان (٢٠/ ٣٠٠)، وسيبويه (١/ ٢٩٠).

(٤) البيت لزيد بن عمرو بن نُفيل كما فى عيون الأخبار (١/ ٢٤٢)، وسيبويه (١/ ٢٩٠)، والبحر المحيط (٧/ ١٣٥)، والخزانة (٣/ ٩٧)، وفى اللسان (٢٠/ ٣٠١، ٣٨١) له أو لنُبَيْه بن الحجاج السهمى. وهو غير منسوب فى الصاحبى ص١٣٧، ومجالس ثعلب (١/ ٣٨٩)، ومجمع البيان (١/ ١٩٦)، والخصائص (٣/ ٤١، ١٦٩)، والصحاح (٦/ ٢٥٥٧)، وتفسير الكشاف (٢/ ١٥١).

كأنَّ

كأنَّ: تشبيه، وهى: «أنَّ» أُدخلت عليها «كاف التشبيه» الخافضة، ألاَ ترى أنك تقول: شربتُ شرابًا كعسل، وشربت شرابًا كأنه عسل؛ فيكونان سواء؟!

وقد يخفف كأنّ، ويحذف الاسم فيكون كالكاف، قال الشاعر يصف فرسًا:

جَمُومُ الشَّدِّ شائِلَةُ الذُّنَابَى وهَادِيها كأنْ جِذْعٌ سَحُوقُ[1]

أراد: كجذع.

وقال آخر:

* كأَنْ ظَبْيَةٌ تَعْطُو إلى نَاضِرِ السَّلَمْ[2] *

* * *

(١) البيت للمُفضَّل النُّكَرِىِّ، كما فى اللسان (٢٠/ ٢٣٢). وفيه (١٤/ ٣٧٢): «فرس جموم: إذا ذهب منه إحضار جاءه إحضار، وكذلك الأنثى، قال النَّمِرُ بن تَوْلَب:

جَمومُ الشدِّ شائلةُ الذُّنابَى تَخالُ بياضَ غُرَّتها سِراجَا

قوله: شائلة الذنابى: يعنى أنها ترفع ذنبها فى العدو». وفيه (٢٠/ ٢٣٢): «وكل متقدم: هاد، والهادى: العنق لتقدمه» والجذع: ساق النخلة. وفيه (١٢/ ١٩): ونخلة سحوق: طويلة. وأنشد ابن برى للمفضل النكرى: «كأن جذع سحوق». والبيت فى الجمهرة (١/ ٢٥٢).

(٢) صدره كما فى الكامل (١/ ٥٠): «ويومًا توافينا بوجه مُقَسَّم». وهو غير منسوب فيه. وهو مطلع قصيدة فى الأصمعيات ص١٧٧ لعَلْباء بن أرقم بن عوف. ومعنى تعطو: تتناول. والسلم: شجر كثير الشوك. وفى اللسان (١٥/ ٣٨٢): «ورجل مقسَّم الوجه أى جميل كله، كأن كل موضع منه أخذ قسمًا من الجمال. وفلان قَسِيم الوجه ومُقَسَّم الوجه. وقال باعث بن صُرَيْم اليَشْكُرى، ويقال: هو كعب بن أرقم اليشكرى:

ويومًا تُوافينا بوجهٍ مُقَسَّمٍ كأن ظبيةٌ تَعطُو إلى وَارِق السَّلَمْ
ويومًا تُريد مالَنا مَعَ مالها فإنْ لم نُنلْها لم تُنمْنا ولم تَنَمْ
نَظلُّ كأنَّا فى خُصومٍ غَرامةٍ تُسمِّعُ جيرانى التَألِّىَ والقَسَمْ
فقلتُ لها: إنْ لا تُناهَىْ فإنَّنى أخو النُّكْرِ حتَّى تَقْرَعِى السِّنَّ من نَدَمْ»

وانظر تفصيل الخلاف فى قائل هذا البيت فى الخزانة (٤/ ٣٦٥ ـ ٣٦٧)، وهو فى سيبويه (١/ ٢٨١، ٤٨١).

لات

لات. قال سيبويه[(١)]: «لات» مشبَّهة بـ«ليس» فى بعض المواضع، ولم تُمكَّنْ تَمكُّنَها، ولم يستعملوها إلا مُضْمَرًا فيها؛ لأنها ليست كَلَيْسَ فى المخاطبة والإخبار عن غائب، ألا ترى أنك تقول: لَيْسَتْ ولَيْسُوا، وعَبْدُ الله لَيْسَ ذاهبًا، فتَبْنى عليها، و«لاَتَ» لا يكون فيها ذاك، قال الله تعالى: ﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣] أى: ليس حين مَهْرَب.

قال: وبعضهم يقول: ﴿وَلاَتَ حِينُ مَنَاصٍ﴾ فيَرْفَعُ؛ لأنها عنده بمنزلة «ليس»، وهى قليلة، والنصب بها الوجه[(٢)]. وقد خُفِضَ بها، قال أبو زُبَيْد الطَّائى:

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلاَتَ أَوَانٍ ... فأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بقـاءِ[(٣)]

وقال آخر:

فلمَّا عَلِمْتُ أَنَّنِى قَــدْ قَتَلْتُهُ ... نَدِمْتُ عَلَيه لاتَ سَاعةَ مَنْدَمِ

وإنما تكون «لات» مع الأحْيان وتعمل فيها، فإذا جَاوَزَتْهَا فليس لها عمل.

وقال بعض البغداديين[(٤)]: «التاء» تُزاد فى أول «حين»، وفى أوّل «أوان»، وفى

(١) راجع نص كلام سيبويه فى الكتاب (١/ ٢٨). وانظر مجاز القرآن (٢/ ١٧٦).

(٢) فى اللسان (١٠/ ٣٥٧): «وقال الفراء: معنى ﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾: أى ليس بحين فرار، وتنصب بها لأنها فى معنى ليس، وأنشد: «تَذَكَّرَ حبَّ ليلى لاتَ حِينا»، قال: ومن العرب من يخفض بلات، وأنشد: «طلبوا صلحنا ولات أوان»، قال شمر: أجمع علماء النحويين من الكوفيين والبصريين أن أصل هذه التاء التى فى «لات» هاء وُصلت بـ«لا» فقالوا: «لاة» لغير معنى حادث، كما زادوا فى «ثُمَّ وثُمَّة» ولزمت، فلما وصلوها جعلوها تاء».

(٣) البيت له فى خزانة الأدب (٢/ ١٥١)، وشرح شواهد المغنى ص٢١٩، والكشاف (٣/ ٣١٦)، وهو غير منسوب فى اللسان (٢٠/ ٣٥٧)، والأزمنة والأمكنة (١/ ٢٤٠)، وتفسير الطبرى (٢٣/ ٧٧، ٧٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٦)، والبحر المحيط (٧/ ٣٨٤)، والمخصص (١٦/ ١١٩).

(٤) فى اللسان (١٦/ ١٨٧): «قال أبو عبيد: قال الأموى: قوله: تلآن: يريد الآن، وهى لغة معروفة، يزيدون التاء فى «الآن» وفى «حين» ويحذفون الهمزة الأولى، يقال: تلآن وتحين. قال أبو وَجْزَة:

العاطفون تَحِينَ ما من عاطفٍ ... والمُطعِمُون زمانَ ما مِنْ مُطْعِمِ =

أول «الآن»، وإنما هى «لا» ثم تبتدئ فتقول: تَحِينَ وَتلاَنَ. والدليل على هذا أنهم يقولون: تَحِينَ من غير أن يتقدمها «لا». واحتج بقول الشاعر:

العَاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ   وَالْمُطْعِمُونَ زَمَانَ مَا مِنْ مُطْعِمِ(١)

وبقول الآخر:

* وَصِلِينا كما زَعَمْتِ تَلاَنَا(٢) *

وجرُّ العرب بها يُفْسِدُ عليه هذا المذهب؛ لأنهم إذا جَرُّوا ما بعدها جعلُوها كالمضاف للزّيادة، وإنما هى «لا» زيدت عليها «الهاء»، كما قالوا: ثُمَّ وثُمَّةَ.

وقال ابن الأعْرَابى فى قول الشاعر: «العَاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ»:

إنما هو: «العاطفونه» بالهاء، ثم تبتدئ فتقول: «حِينَ ما مِنْ عَاطِفٍ» فإذا وصلتَه صارت الهاء تاءً. وكذلك قوله: «وصِلِينا كما زَعَمْتِه» ثم تبتدئ فتقول: لانا، فإذا وصلته صارت الهاءُ تاءً، وذهبت همزةُ الآن.

= وقال آخر: «وصلينا كما زعمتِ تَلانا»، قال: وكان الكسائى والأحمر وغيرهما يذهبون إلى أن الرواية: «العاطفونة» فيقول: جعلَ الهاء صلة، وهو وسط الكلام، وهذا ليس يوجد إلا على السكت. قال: فحدثت به الأموى فأنكره. قال أبو عبيد: وهو عندى على ما قال الأموى».

(١) لأبى وجزة، كما فى اللسان (١٦/ ١٩١، ٢٠/ ٣٦١) وفيها: «العاطفون حين ما من عاطف». وفى الطبرى (٢٣/ ٧٨): «العاطفونة حين» وهو غير منسوب فيه.

(٢) غير منسوب فى المخصص (١٦/ ١١٩)، واللسان (١٦/ ١٨٧)، وفى ص٢٩١ وقبله فيها: «نَوِّلى قبل نَأْى دارى جُمانا»، وفى ص٢٢٢: «الأحمر: تَلانَ فى معنى الآن. وأنشد لجميل بن معمر:

نَوِّلى قبل نَأْيِ دارى جُمانا   وصلينا كما زَعَمْتِ تَلانا
إنَّ خير المُواصِلينَ صفاءً   مَنْ يُوافى خليلَه حيثُ كانا

وفى تفسير الطبرى (٢٣/ ٧٨) غير منسوب:

نولِّى قبل يوم سَبْيِ جُمانا   وصلينا كما زعمتِ تَلانا

ثم قال الطبرى بعد ذلك «... وأما ما استشهد به [يعنى أبا عبيدة فيما أرى] من قول الشاعر: «كما زعمتِ تَلانا» فإن ذلك منه غلط فى تأويل الكلمة، وإنما أراد الشاعر بقوله: «وصلينا كما زعمت تلانا»: وصلينا كما زعمت أنت الآن، فأسقطت الهمزة من أنت، فلقيت التاء من «زعمت» النون من «أنت» وهى ساكنة، فسقطت من اللفظ، وبقيت التاء من «أنت» ثم حذفت الهمزة من «الآن» فصارت الكلمة فى اللفظ كهيئة «تلان» والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من «الآن» لأنها تاء أنت».

قال: وسمعتُ الكلابيَّ ينهى رجلاً عن عمل، فقال: حسبَك تَلاَن. أراد: حَسْبُكَهُ الآنَ، فلمّا وَصَلَ صارت الهاء تاء.

وسنُبَيِّنُ كيف الوقوف عليها[1] وعلى أمثالها من التاءات الزوائد، في كتاب «القراءات» إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) في البحر المحيط (٧/ ٣٨٤): «والوقف عليها [لات] بالتاء قول سيبويه والفراء وابن كيسان والزجّاج. ووقف الكسائي والمبرد [لاه] بالهاء. وقوم على «لا» وزعموا أن التاء زيدت في حين، واختاره أبو عبيدة وذكر أنه رآه في الإمام مخلوطًا «تاؤه» بحين. وكيف يصنع بقوله: ولات ساعة مندم، ولات أوان؟». وانظر تفسير الطبري (٢٣/ ٧٨).

مهما

مهما: هى بمنزلة «ما» فى الجزاء[١].

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢] [الأعراف:١٣٢] أى: ما تأتنا به من آية.

وقال الخليل فى مهما: هى «ما» أُدخلت معها «ما» لغوًا، كما أُدخلت مع «متى» لغوًا، تقول: متى تَأْتنى آتكَ، ومتى ما تَأْتِنى آتكَ، وكما أُدخلت مع «ما» أىٌّ لغوًا، كقوله: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[٣] [الإسراء: ١١٠]، أى: أَيًّا تَدْعُوا.

قال: ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظًا واحدًا فيقولوا: «مَا مَا» فأبدلوا الهاء من الألف التى فى الأولى.

هذا قول الخليل.

وقال سيبويه: وقد يجوز أن تكون «مَهْ» ضُم إليها «ما»[٤].

* * *

(١) سيبويه (١/ ٤٣٣).

(٢) قال الطبرى فى تفسيره (١٩/ ٢١): «يقول تعالى ذكره: وقال آل فرعون لموسى: يا موسى، مهما تأتنا به من علامة ودلالة لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون فما نحن لك فى ذلك بمصدقين، على أنك محق فيما تدعونا إليه. وكان ابن زيد يقول فى معنى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ : ما».

(٣) فى تفسير الطبرى (١٥/ ١٢١): «يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركى قومك المنكرين دعاء الرحمن: ادعوا الله أيها القوم أو ادعوا الرحمن، أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، بأى أسمائه تدعون ربكم، فإنما تدعون واحدًا فله الأسماء الحسنى، وإنما قيل ذلك له ﷺ لأن المشركين ـ فيما ذكر ـ سمعوا النبى يدعو ربه: يا ربنا الله، ويا ربنا الرحمن، فظنوا أنه يدعو إلهين، فأنزل الله على نبيه هذه الآية احتجاجًا لنبيه عليهم». قال أبو جعفر: «ولدخول «ما» فى قوله: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا﴾ وجهان: أحدهما: أن تكون صلة، كما قيل: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠] والآخر: أن تكون فى معنى «إن» كررت لما اختلف لفظاهما، كما قيل: ما إن رأيت كالليلة ليلة».

(٤) فى اللسان (٢٠/ ٣٦٣): «وزعم الخليل أن «مهما»: «ما» ضمت إليها «ما» لغوًا، وأبدلوا الألف هاء. وقال سيبويه: يجوز أن تكون كإذ، ضُم إليها ما».

ما ومَن

«ما» و«من»: أصلهما واحدٌ، فَجُعلت مَنْ للناس، وما لغير الناس.

تقول: مَنْ مَرَّ من القوم؟ و: ما مرّ بك من الإبل؟

وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾[1] [الليل:٣]: أى ومَنْ خَلَقَ الذَّكَر والأُنثى. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[2] [الشمس:٥ - ٧]: هى عنده فى هذه المواضع بمعنى «مَنْ».

وقال أبو عَمْرو: هى بمعنى «الذى». قال: وأهل مكة يقولون إذا سَمِعُوا صَوْتَ الرعد: سبحان ما سبَّحْتَ له[3].

وقال الفَرَّاء: هو: وخَلْقِه الذَّكَرَ والأنثى، وذكر أنها فى قراءة عبد الله: ﴿والذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾[4].

* * *

---

(١) انظر قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن (٢/ ٣٠١).

(٢) انظر مجاز القرآن (٢/ ٣٠٠).

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٤٠).

(٤) فى تفسير الطبرى (٣٠/ ١٣٩): «وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ يحتمل الوجهين اللذين وصفت فى قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾، وهو أن يجعل «ما» بمعنى «من» فيكون ذلك قسمًا من الله جل ثناؤه بخالق الذكر والأنثى، وهو ذلك الخالق. وأن تجعل «ما» مع ما بعدها بمعنى المصدر، ويكون قسمًا بخلقه الذكر والأنثى. وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود وأبى الدرداء أنهما كانا يقرآن ذلك: «والذكرِ والأنثى» ويأثره أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ».

وجاء فى البحر المحيط (٨/ ٤٨٣): «والثابت فى مصاحف الأمصار والمتواتر: «وما خلق الذكر والأنثى» وما ثبت فى الحديث من قراءة: «والذكر والأنثى» نقل آحاد، مخالف للسواد، فلا يعد قرآنًا».

كاد

كاد: بمعنى هَمَّ ولم يفعل.

ولا يقال: يكاد أن يفعل، إنما يقال: كاد يفعل، قال الله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

وقد جاءت فى الشعر، قال الشاعر:

* قَدْ كادَ مِنْ طُولِ البِلَى أَنْ يَمْصَحا[١] *

وأنشد الأصمعى:

كادتِ النَّفْسُ أَنْ تَفِيظَ عَلَيْهِ ... إِذْ ثَوَى حَشْوَ رَيْطَةٍ وبُرُودِ[٢]

ولم يأت منها إلاَّ فَعَل يَفْعَلُ، وتثنيتهما وجمعهما. ولم يُبْنَ منها شىء غير ذلك.

وقال بعضهم: قد جاءت «كاد» بمعنى «فَعَلَ»، وأنشد قول الأعشى:

* وكادَ يَسْمُو إِلَى الجُرْفَيْنِ فَارْتَفَعَا[٣] *

أى: سما فارتفع.

قال: ومثله قول ذى الرُّمَّة:

ولو أَنَّ لُقْمَانَ الحكيمَ تَعَرَّضَتْ ... لِعَيْنَيْــهِ مَىٌّ سَافِرًا كـــادَ يَبْرَقُ[٤]

أى: لو تعرضت له لَبَرَق، أى: دَهِشَ وتَحيَّر.

---

(١) قبله: «رَبْعٌ عفا مِنْ بعد ما قد انْمَحَى» وهو لرُؤْبة، كما فى سيبويه (١/ ٤٧٨)، واللسان (٤/ ٣٨٧)، والخزانة (٤/ ٩١)، والجمل للزجاجى ص٢١٠. وهو غير منسوب فى الإنصاف ص٢٣٤، والدرر اللوامع (١/ ١٠٥)، وأدب الكاتب ص٤١١. وقال ابن السِّيد فى الاقتضاب ص٣٩٦: «هذا البيت يروى لرؤبة بن العجّاج، ولم أجده فى ديوان شعره. يصف منزلاً بَلِىَ حتى كاد لا يتبين له أثر. ويقال: مَصَحَ الشىء يَمْصَحُ؛ إذا ذهب».

(٢) البيت غير منسوب فى اللسان (٩/ ٣٣٤)، والخزانة (٤/ ٩٠). ويقال: فاظت نفسه تفيظ: أى خرجت روحه.

(٣) صدره كما فى الصاحبى ص١٧٦: «حتَّى تناول كلبًا فى ديارهمُ» وهو غير منسوب فيه، وللأعشى فى مقاييس اللغة (١/ ٤٤٩) وفيه: «يسمو إلى الجَرْباء» والجرباء: السماء. وفى ديوان الأعشى ص٨٦:

ومــا مجــاور هيت إن عرضت له ... قد كاد يسمو إلى الجُرفين فارتفعا

(٤) ديوان ذى الرمة ص٣٩٢، واللسان (١١/ ٢٩٦).

بل

بل: تأتى لتَدَارُكِ كلامٍ غلطتَ فيه، تقول: رأيتُ زيدًا بل عَمْرًا.

ويكون لترك شىء من الكلام وأخذ فى غيره.

وهى فى القرآن بهذا المعنى كثير، قال الله تعالى: ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ﴾ ثم قال: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:١، ٢] فترك الكلام الأول وأخَذَ ببَلْ فى كلام ثانٍ.

ثم قال حكاية عن المشركين: ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ فترك الكلام وأخَذَ ببل فى كلام آخر فقال: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص:٨].

فى أشباه لهذا كثيرة فى القرآن.

قال الشاعر:

بَلْ هَلْ أُرِيكَ حُمُولَ الحَىِّ غادِيَةً ... كالنَّخلِ زَيَّنَهَا يَنْعٌ وإفْضَاحُ(١)

وقال آخر:

* بل مَنْ يَرى البَرْقَ يَشْرِى بِتُّ أَرْقُبُهُ(٢) *

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى، كما فى ديوان الهذليين ص٤٥ وروايته: «يا هل أريك»، وقال شارحه: «أراد: يا هذا هل أريك. ويروى: «بل هل أريك» وينع: إدراك. والإفضاح: يقال: قد أفضح البُسْر: إذا ما اختلط فى خضرته بصفرة أو حمرة، قال الأخفش: شبه الإبل وما عليها من الزينة بالصفرة والحمرة بالنخل الحامل. وفى اللسان (٣/٣٧٩): «وأفضح البسر: إذا بدت فيه الحمرة، وأفضح النخل: احمر واصفر، قال أبو ذؤيب: «يا هل رأيتُ حُمولَ الحىِّ» ـ البيت. وسئل بعض الفقهاء عن فضيح البُسْر، فقال: ليس بالفضيح ولكنه الفضوح، أراد أنه يُسكر فيفضح شاربه إذا سكر منه. والفضيحة: اسم منْ هذا لكل أمر سيئ يَشْهَرُ صاحبه بما يسوء».

(٢) فى اللسان (١٩/١٥٧): «شَرِىَ البرق ـ بالكسر ـ شَرًى: لمع وتتابع لمعانه». وكلمة «يشرى» زائدة، والبيت للبيد بن ربيعة، ويروى:

بل مَنْ يرى البرقَ بتُّ أرقبُه ... يُزجى حبيًّا إذا خبَا ثَقَبَا

وإذا ولِيَتِ اسمًا ـ وهى بهذا المعنى ـ خُفِضَ بها، وشُبِّهت بِرُبَّ وبالواو.

وتأتى مبتدأةً، قال أبو النَّجْم:

* بل مَنْهَلٍ نَاءٍ مِنَ الغِيَاضِ *

وكذلك «الواو» إذا أتت مُبْتَدَأَةً غير نَاسِقَةٍ للكلام على كلام ـ كانت بمعنى رُبَّ.

وهى كذلك فى الشعر، كقوله:

* وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُه[1] *

وقال آخر:

* وَدَوِّيَّةٍ قَفْرٍ تَمشَّى نَعَامُهَا[2] *

وقال آخر:

* وهَاجِرَةٍ نَصَبْتُ لها جَبِينى[3] *

يَدِلُّون بهذه الواو الخافضةِ على ترك الكلام الأول، وائْتِنَافِ كلام آخر.

* * *

(١) لرؤبة، كما سبق فى ص٢٢١.

(٢) للشمّاخ، كما فى اللسان (٣/١٠٨)، والمعانى الكبير (١/٣٤٦)، وفى ديوانه ص١١: «تمشى نعاجها». وعجزه: «كمَشْى النصارى فى خِفاف اليَرَنْدَجِ». والدوية: الفلاة المترامية الأطراف. تمشى: أصله تتمشى. واليرندج والأرندج: جلد أسود تعمل منه الأخفاف. قال ابن قتيبة فى شرحه: «شبه سواد أرجل النعام بسواد خفاف الأرندج فى أرجل النصارى؛ لأنهم كانوا يلبسونها، والعرب كانت تلبس الأدَم».

(٣) قال المُثقِّب العبدى من قصيدة له فى المفضليات ص٢٨٩:

فقلتُ لبعضهنَّ وشد رَحْلى ... لهاجرةٍ نَصَبْتُ لها جَبِينى

هل

هل[1]: تكون للاستفهام، ويدخلها من معنى التقرير والتّوبيخ ما يدخل الألفَ التى يُسْتَفهم بها، كقوله تعالى: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ﴾ [الروم: ٢٨]، وهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ. وكذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٣٤].

والمفسِّرون يجعلونها فى بعض المواضع بمعنى: «قد»، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾[2] [الإنسان: ١] أى: قد أتى. وقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩]، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١]، و: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الذاريات: ٢٤].

هذا كله عندهم بمعنى: «قد».

ويجعلونها أيضًا بمعنى: «ما» فى قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، و: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، و: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ﴾ [الزخرف: ٦٦]، و: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، و: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

هذا كله عندهم بمعنى: «ما».

وهو والأوَّل عند أهل اللغة تقرير.

* * *

---

(١) اللسان (١٤/ ٢٣١).

(٢) انظر اللسان (١٤/ ٢٣٢).

لَوْلا ولَوْما

لولا[1]: تكون فى بعض الأحوال بمعنى: هَلاَّ، وذلك إذا رأيْتَها بغير جواب.

تقول: لولا فعلت كذا، تريد: هلاَّ فعلت كذا، قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ [هود:١١٦]، ﴿**فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ**﴾ [التوبة:١٢٢]، ﴿**فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا**﴾ [الأنعام:٤٣]، ﴿**فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ**﴾ [الواقعة:٨٦]، أى: فهلا. وقال: ﴿**فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ**﴾[2] [يونس:٩٨].

وقال الشاعر:

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ ... بَنِى ضَوْطَرَى لَوْلاَ الكَمِىَّ الْمُقَنَّعـا[3]

---

(١) اللسان (٢٩/٣٥٨).

(٢) انظر تفسير الطبرى (١١/١١٧).

(٣) البيت لجرير فى ديوانه ص٣٣٨، والصاحبى ص١٣٥، وشرح شواهد المغنى ص٢٢٩، واللسان (٦/ ١٦٠، ٢٠/ ٣٦٠). وهو غير منسوب فى مجمع البيان (١/ ١٩٥)، والكامل (١/ ١٦٣)، وفى زيادات الأخفش عليه: «لجرير، وقيل: للأشهب بن رُمَيْلة». وله فى المخصص (١٣/ ١٩٩)، وفى تفسير الطبرى (١/ ٤٠٧) للأشهب، وكذلك مجاز القرآن (١/ ٥٢، ١٩١، ٣٤٦)، وقد جاء فى اللسان (٦/ ١٦٠): «ويقال للقوم إذا كانوا لا يغنون غناء: بنو ضوطرى، ومنه قول جرير يخاطب الفرزدق حين افتخر بعقر أبيه غالب فى معاقرة سُحَيْم بن وُثَيْل الرِّياحى مائة ناقة بموضع يقال له: صَوْأَر، على مسيرة يوم من الكوفة، ولذلك يقول جرير أيضًا:

وقـد سرَّنى ألاَّ تَعُـدَّ مُجـاشِعٌ ... مِنَ المجد إلاَّ عَقْرَ نِيبٍ بِصَوْأَرِ

قال ابن الأثير: وسبب ذلك أن غالبًا نحر بذلك الموضع ناقة وأمر أن يصنع منها طعام وجعل يهدى إلى قوم من بنى تميم جفانًا، وأهدى إلى سُحيم جفنة فكفأها وقال: أمفتقر أنا إلى طعام غالب إذا نحر ناقة؟ فنحر غالب ناقتين، فنحر سحيم مثلها، فنحر غالب ثلاثًا، فنحر سحيم مثلهن، فعمد غالب فنحر مائة ناقة، ونكل سحيم، فافتخر الفرزدق فى شعره بكرم أبيه غالب فقال: تعدون عقر النيب ـ البيت، يريد: هلا الكمى، ويروى «المدجَّجا» ومعنى تعدون: تجعلون وتحسبون، ولهذا عداه إلى مفعولين... قال: وقد يجوز أن يكون: تعدون فى بيت جرير من العد، ويكون على إسقاط «منْ» الجارِّ، تقديره: تعدون عقر النيب من أفضل مجدكم، فلما أسقط الخافض تعدى الفعل فنصب».

والنيب: جمع ناب، والناب: الناقة المسنة، سموها بذلك حين طال نابها وعظم، وهو مما سمى فيه الكل باسم الجزء، كما فى اللسان (٢/ ١٧٤)، وانظر الخزانة (١/ ٤٦٢).

أي: فَهلاً تَعدُّون الكَميَّ.

وكذلك «لَوْمَا»: قال: ﴿**لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ**﴾ [الحجر:٧] أي: هَلاَّ تأتينا.

فإذا رأيتَ للَوْلا جوابًا فليست بهذا المعنى، كقوله: ﴿**فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [الصافات:١٤٣، ١٤٤]، فهذه «لَوْلاَ» التى تكون لأمرٍ لا يقع لوقوع غيره.

وبعض المفسرين يجعل لَوْلا فى قوله: ﴿**فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ**﴾ بمعنى «لَمْ» أى: فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانُها عند نزول العذاب إلاّ قومَ يُونُسَ.

وكذلك قوله: ﴿**فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ أى: فلم يكن.

* * *

لــما

لَمَّا[١]: **تكون بمعنى «لم»**، فى قوله: ﴿**بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ**﴾[٢] [ص:٨] أى: بل لم يذوقوا عذاب.

وتكون بمعنى «إلاَّ»، قال تعالى: ﴿**وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[٣] [الزخرف:٣٥] أى: إلاَّ متاعُ الحياة الدنيا، ﴿**إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾[٤] [الطارق:٤] أى: إلاَّ عليها، وهى لغة هذيل مع «إن» الخفيفة التى تكون بمعنى «ما».

ومَن قرأ ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَا مَتَاعُ﴾ بالتخفيف ﴿وَإِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ جعَل «ما» صلة، وأراد: وإن كلٌّ ذلك لَمتاع الحياة، وإن كلُّ نفسٍ لَما عليها حافظ.

فإذا رأيتَ للَمَّا جوابًا فهى لأمر يقع بوقوع غيره بمعنى «حين»، كقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ**﴾ [الزخرف:٥٥] أى: حين آسفونا، و﴿**لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ**﴾ [هود:١٠١] أى: حين جاء أمر ربك.

* * *

(١) اللسان (١٦/ ٢٦).

(٢) انظر اللسان (١٦/ ٢٧).

(٣) انظر تفسير الطبرى (٢٥/ ٤٣).

(٤) انظر اللسان (١٦/ ٢٣).

أو

أو: تأتى للشك(١)، تقول: رأيت عبد الله أو محمدًا.

وتكون للتخيير بين شيئين، كقوله: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة:٨٩]، وقوله: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦]، أنتَ فى جميع هذا مُخيَّرٌ أيَّهُ فعلت أجزأ عنك.

وربما كانت بمعنى واو النَّسَق: كقوله: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات:٥، ٦] يريد: عُذرًا ونذرًا. وقوله: ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه:١١٣] أى: لعلهم يتقون ويحدث لهم القرآن ذِكْرًا.

هذا كلُّه عند المفسرين بمعنى واو النسق.

وأما قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(٢) [الصافات:١٧٤]، فإن بعضهم يذهب إلى أنها بمعنى: بل يزيدون(٣)، على مذهب التَّدارك لكلام غَلِطْتَ فيه.

وكذلك قوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:٧٧]، وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٩].

وليس هذا كما تأوَّلوا، وإنما هى بمعنى «الواو» فى جميع هذه المواضع: وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون، و: ما أمر الساعة إلا كلمح البصر وهو أقرب، و: فكان قاب قوسين وأدنى.

---

(١) اللسان (١٨/٥٧).

(٢) انظر اللسان (١٨/٥٧).

(٣) فى اللسان (١٨/٥٧): «وقال ثعلب: قال الفراء: بل يزيدون. قال: كذلك جاء فى التفسير مع صحته فى العربية». وجاء فى تفسير الطبرى (٢٣/٦٦): «يقول تعالى ذكره: فأرسلنا يونس إلى مائة ألف من الناس أو يزيدون على مائة ألف. وذكر عن ابن عباس أنه قال: بل يزيدون، كانوا مائة ألف وثلاثين ألفًا».

وقال ابن أَحْمَرَ:

قَرَى عَنْكُمَا شَهْرَيْنِ أو نصفَ ثالثٍ إلى ذاكُمـــا قــدْ غَيَّبَتْنِى غِيَابِيَا[(١)]

وهذا البيت يوضح لك معنى الواو. وأراد: قَرى شهرين ونصفًا،ولا يجوز أن يكون أراد: قرى شهرين بل نصف شهر ثالث.

وقال آخر:

أَثَعْلَبَـةَ الفَـوارِسِ أوْ رِياحًا عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ وَالخِشَابَا[(٢)]

أراد: وعدلت هذين بهذين[(٣)].

* * *

(١) الإنصاف ص٢٠٠، والأزمنة والأمكنة (٢/٣٠٧). وفى الصاحبى ص١٠٠: «فذلكما شهرين».
وفى الخزانة (٤/ ٤٢٥): «فأما قوله:

ألاَ فالبثا شهرين أو نصف ثالثٍ إلى ذاك مـا قــد غيَّبَتْنى غِيابيا

فهو من باب: جالس الحسن أو ابن سيرين. ألا ترى أنه إن لبث شهرين فقط أو شهرين وبعض ثالث فقد ائتمر؟».

(٢) البيت لجرير كما فى ديوانه ص٦٦، وفى مجاز القرآن (٢/١٤٨) غير منسوب، وهو فيه (٢/٢٢٧) لجرير، والبحر المحيط (٨/ ٤٠)، ومجمع البيان (١/ ١٤٠)، واللسان (١/٣٤٣، ١٩/ ٢٤٢). وفى أمالى ابن الشجرى (١/٢٩٧): «مدح ثعلبة ورياحًا، وذم طهية والخشاب، فلذلك وصف ثعلبة بالفوارس، فالتقدير إذًا: أحقرت ثعلبة؟». وسيبويه (١/٥٢، ٤٨٩). وقال الأعلم فى شرحه: «استشهد به لنصب ثعلبة بإضمار فعل دل عليه ما بعده، فكأنه قال: أظلمت ثعلبة، عدلت بهم طهية، ونحوه من التقدير، خاطب الفرزدق فاخرًا عليه برهطه الأدنى إليه من تميم؛ لأن ثعلبة ورياحًا من بنى يربوع بن حنظلة، وجرير بن كليب بن يربوع، وطهية والخشاب من بنى مالك بن حنظلة، والفرزدق من بنى دارم بن مالك بن حنظلة، فهم أدنى إليه، وإنما قال: الفوارس؛ لأن فرسان تميم معدودون فى بنى يربوع بن حنظلة».

(٣) الخزانة (٤/ ٤٢٤).

أم

أم: تكون بمعنى أو[1]، كقوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦، ١٧] وكقوله: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ٦٨، ٦٩].

هكذا قال المفسرون، وهي كذلك عند أهل اللغة في المعنى، وإن كانوا قد يفرقون بينهما في الأماكن.

وتكون أمْ بمعنى ألف الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤] أراد: أيحسدون الناس؟

وقوله: ﴿مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾ [ص: ٦٢، ٦٣] أي: زاغت عنهم الأبصار، وألف «اتخذناهم» موصولة.

وكقوله: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ أراد: أَلَهُ البنات ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أراد: أتسألهم أجرًا؟ ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٣٩ ـ ٤١] أراد: أعندهم الغيب؟

وهذا في القرآن كثير، يدلُّك عليه قوله: ﴿الم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ١ ـ ٣]، ولم يتقدم في الكلام: أيقولون كذا وكذا فترد عليه: أم تقولون؟ وإنما أراد: أيقولون افتراه؟ ثم قال: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

* * *

(١) اللسان (١٤/ ٣٠٠).

لا

لا: تكون بمعنى لَمْ، قال الله تعالى: ﴿فلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ﴾[1] [القيامة: ٣١] أى: لَمْ يُصدِّق ولم يُصلِّ.

وقال الشاعر:

وأىُّ خَمِيسٍ لا أَفَأْنَا نِهَابَهُ ... وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ كَبْشِهِ دَمَا؟![2]

أى: لَمْ نُفِئْ نِهَابَهُ.

وقال آخر:

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ... وَأَىُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا[3]

أى: لم يُلِمَّ بالذنوب.

* * *

(١) انظر: تفسير الطبرى (٢٩/ ١٢٣).

(٢) البيت لطرفة فى ديوانه ص٥، ومجاز القرآن (٢/ ٢٧٨)، والكامل (٢/ ٩٣): «الخميس: الجيش، أفأنا: رددنا، والنهاب: الغنائم»، وهو منسوب فى الصاحبى ص١٣٦، والبحر المحيط (٨/ ٣٩)، وأمالى ابن الشجرى (٢/ ٢٢٨).

(٣) البيت غير منسوب فى الصاحبى ص١٣٦، والبحر المحيط (٨/ ٣٩٠)، وتفسير الطبرى (٢٧/ ٣٩، ٤٠)، وأمالى ابن الشجرى (١/ ١٢٧)، واللسان (٢٠/ ٣٥٦)، وفيه (١٤/ ٣٧١) لأبى خراش الهذلى، (١٦/ ٢٣) لأمية بن أبى الصلت أو لأبى خراش الهذلى، وفى شرح شواهد المغنى لأبى خراش، ثم قال السيوطى ص٢١٣: «وأخرج الترمذى وابن جرير والبزار وغيرهم من طريق زكريا بن أبى إسحاق، عن عمرو بن دينار، وعن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿إلاَّ اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] قال: هو الرجل الذى يلم بالفاحشة ثم يتوب. وقال: قال رسول الله ﷺ:

إنْ تغفر اللهم تغفر جمًّا ... وأى عبد لك لا ألمَّا

قال الترمذى: حديث حسن صحيح غريب». ورواية الطبرى لهذا الحديث فى تفسيره (٢٧/ ٣٩)، والجم: الكثير.

والحديث فى المستدرك (٢/ ٤٦٩) وقد صححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبى، وهو فى الترمذى (٢/ ٢٢٤).

أولى

أولى: تهدُّدٌ ووعيدٌ[1]، قال الله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥]، وقال: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠، ٢١].

وقال الشاعر لمنهزم:

أَلْفِيَتَا عَيْنَاكَ عِنْـــدَ القَفَا ... أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَاقِيَهْ[2]

* * *

(١) اللسان (٢٠/٢٩٣، ٢٩٤).

(٢) البيت غير منسوب فى الصاحبى ص١٤٨، وأمالى ابن الشجرى (١/١١٦)، والمعانى الكبير (٢/٨٩٩). وهو فى نوادر أبى زيد ص٦٢ من قصيدة لعمرو بن ملقط الجاهلى، وكذلك هو فى شرح شواهد المغنى ص١١٣. قال السيوطى فى ص١١٤: «ومعنى البيت: وصفه بالهرب فهو يلتفت إلى ورائه فى حال انهزامه فتلفى عيناه عند قفاه، وأولى كلمة تهديد. قال الأصمعى: معناه: قاربه فأهلكه. وذا واقية: أى وقاية، مصدر على فاعلة».

لا جرم

لا جَرَمَ [١]: قال الفراء[٢]: هى بمنزلة لا بُدّ ولا محالة، ثم كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة حَقًّا. وأصلها من: جَرَمْتُ؛ أى كَسَبْتُ.

وقال فى قول الشاعر:

ولقــــد طَعَنْتُ أبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً   جَرَمَتْ فَزَارَةَ بَعْدَها أَنْ يَغْضَبُوا[٣]

أى: كَسَبَتْهُم الغضبَ أبدًا.

قال: وليس قولُ من قال «حُقَّ لِفَزارةَ الغضبُ» بشىء[٤].

---

(١) الفاخر للمفضل بن سلمة ص١٩٩، ومجاز القرآن (١/١٤٧، ٣٥٨)، واللسان (١٤/ ٣٦٠، ٣٦١)، وأدب الكاتب (ص٦٢، ٦٣)، والمخصص (١٣/١١٧، ١١٨).

(٢) فى اللسان (١٤/٣٦١): «قال الفراء: لا جرم كلمة كانت فى الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة، فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقًّا، فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم، ألاَ تراهم يقولون: لا جرم لآتينَّك. قال: وليس قول من قال جَرَمْتُ حَقَقْتُ بشىء، وإنما لَبَّس عليه الشاعر أبو أسماء بقوله: «جرمت فزارةُ بعدها أن يغضبوا» فرفعوا فزارة وقالوا: أن نجعل الفعل لفزارة كأنها بمنزلة حَقَّ لها أو حُقَّ لها أن تغضب. قال: وفزارة منصوب فى البيت، المعنى: جَرَمَتْهُمُ الطعنةُ الغضبَ أى كسبتْهم. وقال أبو عبيدة: أحقَّتْ عليهم الغضبَ، أى أحقت الطعنةُ فزارةَ أن يغضبوا، وحقَّت أيْضًا من قولهم: لا جرم لأفعلن كذا أى حقًّا».

(٣) البيت لأبى أسماء بن الضَّريبة أو لعطيَّة بن عَفيف كما فى اللسـان (١٤/ ٣٦٠، ٣٦١)، والخزانة (٤/ ٣١٠)، ومجاز القرآن (١/ ١٢٠)، والاقتضاب ص٣١٣، وللفزارى فى سيبويه (١/٤٦٩)، وهو غير منسوب فى أدب الكاتب ص٦٣، والفاخر ص٢٠٠، والصاحبى ص١٢١، ومقاييس اللغة (١/٤٤٦)، وأمالى المرتضى (١/ ٧٤)، وصواب البيت: «ولقد طعنت أبا عيـنة» بفتح التاء؛ لأن الشاعر يخاطب كُرْزًا العقيلى ويرثيه، وكان قد طعن أبا عيينة، وهو حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى يوم الحاجر، ويدل على ذلك قوله قبل هذا البيت:

يا كُرْزُ إنَّك قد فتكتَ بفارسٍ   بطلٍ إذا هــابَ الكُماةُ وَجَبَّبُوا

قال ابن السـيد: «وقوله: «جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا»: أى كسبت فزارة الغضب عليك».

(٤) قول الفراء هذا ذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص٦٣، وعلق عليه ابن السيد ص٣١٣ بقوله: «وقول الفراء: وليس قول من قال «حق لفزارة الغضب بشىء» رد منه على سيبويه والخليل؛ لأن معناه عندهمـا: أحقت فزارة بالغضب، فأن يغضبوا على تأويلهما مفعـول سقط منه حرف الجر، =

ويقال: فلانٌ جَارِمُ أَهْلِه، أى كاسِبُهم، وجَرِيمَتُهم[1].

ولا أَحْسَبُ الذَّنبَ سُمِّى جُرْمًا إلاّ مِن هذا؛ لأنه كَسْبٌ واقْتِرَاف.

* * *

= وهو على قول الفراء مفعول لا تقدير فيه لحرف الجر، وكلا التأويلين صحيح».

وقد أخطأ أحمد بن فارس فى نسبة قول الفراء إلى ابن قتيبة حيث يقول فى كتاب الصاحبى ص١٢١: «قال ابن قتيبة: وليس قول من قال «حق لفزارة الغضب» بشىء. والأمر بخلاف ما قاله؛ لأن الذى يحصل من الكلمة ما قلناه أنه بمعنى: حق؛ فيكون على هذا: جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا، المعنى: أحقَّت الطعنة لفزارة الغضب».

(١) فى اللسان (١٤/ ٣٥٩): «قال الفراء: وسمعت العرب يقولون: فلان جريمةُ أهلِه، أى كاسبهم، وخرج يَجْرِمُ أهله أى يكْسِبُهم...». وقول الفراء فى معانى القرآن (١/ ٢٩٩).

إن الخفيفة

إن الخفيفة: تكون بمعنى «ما»، كقوله تعالى: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]، و﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٢٩]، و﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

وقال المفسرون: وتكون بمعنى لَقَدْ، كقوله: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾ [الإسراء: ١٠٨]، و﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧]، و﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦]، و﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس: ٢٩].

وقالوا أيضًا: وتكون بمعنى إذ، كقوله: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أى: إذ كنتم، وقوله: ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]، وقوله: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وهى عند أهل اللغة: «إن» بعَيْنِها، لا يجعلونها فى هذه المواضع بمعنى «إذْ» ويذهبون إلى أنه أراد: من كان مؤمنًا لم يَهِنْ ولم يَدْعُ إلى السَّلْم، ومن كان مؤمنًا لم يَخْشَ إلا الله، ومَنْ كان مؤمنًا ترك الرِّبا.

* * *

ها

ها: بمنزلة خُذْ وتَنَاوَلْ، تقول: هَا يَا رَجُلُ. وتأمر بها، ولا تنهى.

ومنها قول الله تعالى: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[1] [الحاقة: ١٩]، ويقال للاثنين: هاؤُمَا اقرءا.

وفيها لغات[2]، والأصل: هَاكُم اقْرَءوا، فحذَفُوا الكافَ، وأبدلوا الهمزة، وألقَوْا حَرَكَةَ الكاف عليها.

* * *

(١) في اللسان (٢٠/ ٣٧٢): «جاء في التفسير أن الرجل من المؤمنين يعطى كتابه بيمينه، فإذا قرأه رأى فيه تبشيره بالجنة فيعطيه أصحابه فيقول: هاؤم اقرءوا كتابي؛ أي خذوه واقرءوا ما فيه لتعلموا فوزي بالجنة. يدل على ذلك قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ أي علمت ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠، ٢١]».

(٢) راجع هذه اللغات في اللسان (٢٠/ ٣٧٢).

هات

هاتِ: بمعنى أعْطنى(١)، مكسورة التاء، مثل رَامِ وغازِ وعاطِ فُلانًا. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١] أى: ائتوا به.

قال الفراء: ولم أسمع هَاتِيَا فى الاثنين، إنما يقال للواحد والجميع، وللمرأة: هاتى، وللنِّساء: هاتِينَ. وتقول: ما أُهَاتِيكَ، بمنزلة مَا أُعاطِيكَ. وليس من كلام العرب هاتَيْتُ. ولا يُنْهَى بها(٢).

* * *

(١) اللسان (٢٢٧/٢٠).

(٢) اللسان (٢٢٧/٢٠).

تعال

تعال: تفَاعل من علَوْت، قال الله تعـالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١].

ويقال للاثنين من الرجال والنساء: تَعَالَيَا، وللنساء: تَعَالَيْنَ.

قال الفراء: أصلها: عَالِ إلَيْنَا، وهو من العُلُوِّ.

ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إيَّاها صارت عندهم بمنزلة هَلُمَّ، حتى استجازُوا أن يقولوا للرجل وهو فوق شرَفٍ: تَعَالَ، أى اهبط، وإنما أصلها: الصعود.

ولا يجوز أن يُنْهَى بها، ولكن إذا قَالَ: تعال، قلت: قد تَعَالَيْتُ، وإلى أى شىء أَتَعَالَى(١).

* * *

(١) اللسان (١٩/ ٣٢٤).

هلمَّ

هَلُمَّ: بمعنى تعال[١].

وأهل الحجاز لا يُثَنُّونَها ولا يجمعونها. وأهل نجد يجعلونَها من هَلْمَمت، فيُثَنُّونَ ويَجمعُون ويُؤنِّثُون. وتوصل باللام فيقال: هَلُمَّ لَكَ، وهَلُمَّ لَكُمَا.

قال الخليل: أصلها «لُمَّ» زيدت الهاء فى أولها[٢].

وخالفه الفراء فقال: أصلها «هَلْ» ضُمَّ إليها «أُمَّ» والرَّفْعَةُ التى فى اللام من همزة «أُمَّ» لَمَّا تُرِكَت انتقلت إلى ما قبلها.

وكذلك «اللهم» نرى أصلها: «يا اللهُ أُمَّنَا بِخَيْرٍ» فكثرت فى الكلام فاختلطت، وتُرِكت الهمزة.

* * *

(١) اللسان (١٦/١٠١)، والمخصص (١٤/٨٦).

(٢) فى اللسان (١٦/١٠١): «قال الجوهرى: هلم يا رجل - بفتح الميم - بمعنى تعال، قال الخليل: أصله «لُمَّ» من قولهم: «لَمَّ الله شعثه» أى جمعه، كأنه أراد: لُمَّ نفسَك إلينا أى اقْرُبْ، وها للتنبيه، وإنما حُذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجُعلا اسمًا واحدًا».

كلا

كَلاَّ: رَدْعٌ وزَجْرٌ(١)، قال الله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلاَّ﴾ [المعارج: ٣٨، ٣٩].

وقال: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلاَّ﴾ [المدثر: ٥٢، ٥٣].

وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلاَّ﴾ [القيامة: ١٩، ٢٠] يريد: انتهِ عن أن تَعْجَلَ به.

وقال: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلاَّ﴾ [الهمزة: ٣، ٤] أي: لا يخلده مالُه.

وقال: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلاَّ﴾ [الانفطار: ٨، ٩] أي: ليس كما غُرِرْتَ به.

وقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلاَّ﴾ [المطففين: ١ ـ ٧] يريد: انتهُوا.

* * *

(١) في اللسان (٢٠/٩٦): «وقال الأخفش: معنى كلا الردع والزجر. قال الأزهري: وهذا مذهب سيبويه، وإليه ذهب الزجاج في جميع القرآن».

رُوَيْدًا

رُوَيْدًا: بمعنى مَهْلاً[(١)]، ورُوَيْدَكَ: بمعنى أمْهِل، قال الله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق:١٧] أى: أمهلهم قليلاً.

وإذا لم يتقدمها «أمهلهم» كانت بمعنى مَهْلاً.

ولا يُتكلَّمُ بها إلاَّ مصغَّرة ومأمورًا بها.

وجاءت فى الشعر بغير تصغير فى غير معنى الأمر، قال الشاعر:

* كأنَّها مِثْلُ مَنْ يَمْشِى عَلَى رُودِ[(٢)] *

أى: على مَهْل.

* * *

(١) اللسان (٤/ ١٧١).

(٢) كذا أنشده ابن قتيبة، وتبعه ابن فارس فى الصاحبى ص١٢٤، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٥٨)، والمخصص (١٤/ ٨٩)، والتاج (٢/ ٣٤٩)، والصواب ما فى اللسان (٤/ ١٧١)، والتاج (٢/ ٣٥٩): «قال الجَموح الظَّفَرِىُّ:

تَكادُ لا تَثْلِمُ البطحاءَ وَخْدتُها كأنَّهـا ثَملٌ يَمْشِى على رُودِ»

وفى أساس البلاغة (١/ ٣٧٩): «قال الهذلى: تكاد لا تَثْلِمُ البطحاءَ خطوتُها...» إلخ.

ألاَ

ألاَ: تَنْبيه، وهي زيادة في الكلام.

قال تعالى: ﴿**أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ**﴾ [هود:٨].

وقال: ﴿**أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ**﴾ [هود:٥].

وتقول: ألاَ إنَّ القوم خارجون. تريد بها: افْهَم اعْلَم أنَّ الأمر كذا وكذا.

* * *

الويل

الويل: كلمة جامعة للشر كله[١]. قال الأصمعى: وَيْلٌ تَقبيح، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨].

تقول العرب: له الوَيْلُ، والأَلِيل. والأليل: الأنين.

وقد توضع فى موضع التَّحَسُّر والتفجُّع، كقوله: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾[٢] [الأنبياء:١٤]. و﴿يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ [المائدة:٣١].

وكذلك: وَيْحٌ ووَيْسٌ، تصغير[٣].

* * *

(١) اللسان (١٤/ ٢٦٤).

(٢) تمام الآية: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

(٣) فى اللسان (١٤/ ٢٦٦): «قال المازنى: حفظت عن الأصمعى: الويل: قُبوح، والوَيْح: ترحُّم، والوَيْس: تصغيرهما، أى هى دونهما. وقال أبو زيد: الويل هَلَكة، والويح: قبوح، والويس: ترحم. وقال سيبويه: الويل: يقال لمن وقع فى هلكة، والويح: زجر لمن أشرف على هلكة، ولم يذكر فى الويس شيئًا».

لعمرك

لَعَمْرُك، ولَعَمْرُ الله: هو العُمْر[1].

ويقال: أطال الله عُمْرَك، وعَمْرَك، وهو قسم بالبقاء.

* * *

(١) اللسان (٦/ ٢٧٩).

إى

إى: بمعنى بلى، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

ولا تأتى إلا قبل اليمين، صِلةً لها.

* * *

لَدُن

لَدُن: بمعنى عِند، قال تعالى: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف:٧٦] أى: بلغت من عندى.

وقال: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ [الأنبياء:١٧] أى: من عندنا.

وقد تحذف منها النون كما تحذف من «لم يكن»، قال الشاعر:

* مِن لَدُ لَحْيَيْهِ إلى مُنْحُورِهِ[١] *

أى: من عند لَحْيَيه.

وفيها لغة أخرى أيضًا: لدى، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف:٢٥] أى: عند الباب[٢].

* * *

(١) الصاحبى ص١٤٠، وسيبويه (٢/ ٣١١)، واللسان (١٧/ ٣٦٩)، وشرح شواهد الشافية ص١٦١.
وهو لغَيْلان بن حُرَيْث الربعى، فى وصف جمل، وقبله:

* يستوعب البُوعين من جَرِيره *

والبوع: لغة فى الباع. والجرير: الحبل. وقوله: «لحييه: مثنى لحى ـ بفتح اللام وسكون الحاء المهملة ـ وهو العظم الذى ينبت عليه الأسنان. والمنحور ـ بضم الميم، وبعد النون حاء مهملة ـ لغة فى النحر والمنحر، ومعناه أعلى الصدر، وهو الموضع الذى تقع عليه القلادة، والموضع الذى ينحر فيه الهدى وغيره. يريد الشاعر: أن طول حبل هذا الجمل ـ الذى هو مقوده ـ من لحييه إلى موضع نحره مقدار باعين، أى أنه طويل العنق».

(٢) نقله ابن فارس فى الصاحبى ص١٤٠.

باب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض

«فى» مكان «عَلَى»[١]

قوله تعالى: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أى: على جذوع النخل.

قال الشاعر:

وَهُمْ صَلَبُوا العَبْدِيَّ فى جِذْعِ نَخْلَةٍ ... فلا عَطَسَتْ شيبانُ إلاَّ بأجْدَعا[٢]

وقال عَنْتَرة:

بَطَلٌ كأنَّ ثِيَابَهُ فى سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ[٣]

أى: على سرحه؛ من طوله.

* * *

(١) أدب الكاتب ص٥٠٢.

(٢) البيت غير منسوب فى أدب الكاتب ص٥٠٢، والاقتضاب ص٤٣١، والبحر المحيط (٦/ ٢٦١)، وتفسير الطبرى (١٦/ ١٤١)، والصاحبى ص١٢٨، والكامل (٢/ ٧١)، وهو فى اللسان (٢٠/ ٢٧) لامرأة من العرب، وفيه (٤/ ٢٦٧) لسُويد بن أبى كاهل. والجمهرة (٣/ ٤٩٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٤) غير منسوب، وفى (٢/ ٢٣٤) للشيبانى، قال ابن برى: «قوله: «بأجدعا» أى بأنف أجدع، فحذف الموصوف وأقام صفته مكانه». وقال السيوطى فى شرح شواهد المغنى ص٦٤: «هذا البيت من قصيدة لسُويد بن أبى كاهل اليشكرى... هكذا فى كتاب منتهى الطلب، وعزاه صاحب الحماسة البصرية إلى قراد بن حنش الصاردى...».

(٣) البيت له من معلقته فى شرح القصائد العشر ص١٩٩، والكامل (١/ ٥٥)، والعمدة (١/ ٢٨٨)، واللسان (٣/ ٣١٠، ٢٠/ ٢٧)، وشرح شواهد المغنى ص١٦٤، وأمالى المرتضى (٢/ ١٥)، والمعانى الكبير (١/ ٤٨٨). وهو غير منسوب فى البحر المحيط (٢/ ٢٥٨). والسرحة: ضرب من الشجر، ويحذى: يلبس، والسبت ـ بالكسر ـ كل جلد مدبوغ. وفى اللسان (٢/ ٣٤٣): «مدحه بأربع خصال كرام: أحدها أنه جعله بطلاً أى شجاعًا، الثانى: أنه جعله طويلاً، شبهه بالسرحة، الثالث: أنه جعله شريفًا للبسه نعال السبت، الرابع: أنه جعله تام الخلق ناميًا؛ لأن التوأم يكون أنقص خلقًا وقوة وعقلاً وخلقًا».

«الباء» مكان «عن»

قال الله تعالى: ﴿فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٩] أي: عنه.

قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَة:

فإنْ تَسْألُونِى بالنِّسَاءِ فإنَّنى بَصِيرٌ بأدْوَاءِ النِّساءِ طَبِيبُ[1]

أى: عن النساء.

وقال ابن أَحْمَر:

تُسَائِلُ بِابْنِ أَحْمَرَ مَنْ رآهُ أَعَارَتْ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا؟[2]

* * *

(١) فى ديوانه ص١١، وأدب الكاتب ص٥٠٥، والأدواء: جمع داء.

(٢) البيت لعمرو بن أحمر الباهلى، وقد رواه ابن قتيبة بهذه الرواية فى أدب الكاتب ص٥٠٦، ورواه ابن دريد فى الجمهرة (٢/ ٣٨٩): «وربَّتَ سائلٍ عنى حَفِىٍّ»، وابن السِّيد فى الاقتضاب ص٤٣٤، وكذلك روى فى اللسان (٦/ ٢٩١). ورواه الجوهرى: «وسائلة بظهر الغيب عنى». وقال الجواليقى فى شرحه ص٣٥٥: «يقول: تسائل هذه المرأة عن ابن أحمر أصارت عينه عوراء أم لم تعوَر؟ يقال: عارت العين وعرتها أنا وعوَّرتها، ويروى: «تعارا» بفتح التاء وكسرها، وهى لغة فيما كان مثله، وأراد: تعارن ـ بالنون الخفيفة التى للتأكيد ـ فأبدل منها ألفًا لينة للوقف». وقال ابن السيد: «وبعد هذا البيت:

فإنْ يفرحْ بما لاقيتُ قومى لئامُهمُ فلم أُكثر حِـــوارَا

والحوار: مصدر حاورته فى الأمر: إذا راجعته فيه. يقول: لم أكثر مراجعة مَنْ سُرَّ بذلك من قومى، ولا عنفته فى سروره بما أصابنى، وكان رماه رجل يقال له مخشى بسهم ففقأ عينه...».

وانظر شرح شواهد الشافية ص٣٥٣.

«عن» مكان «الباء»

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣] أي: بالهوى.

والعرب تقول: رميتُ عن القوس، أي: رميت بالقوس[1].

* * *

(١) أدب الكاتب ص٥٠٧، وشرح المفضليات لابن الأنباري.

«اللام» مكان «على»

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢] أى: لا تجهروا عليه بالقول. والعرب تقول: سقط فلانٌ لِفيه، أى: على فيه. قال الشاعر:

* فَخَرَّ صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ[١] *

وقال آخر:

* مُعَرَّسُ خَمْسٍ وُقِّعَتْ لِلْجَنَاجِنِ[٢] *

(١) أدب الكاتب ص٥١٠، والبحر المحيط (٦/ ١٠، ٨٨) غير منسوب أيضًا. وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص٤٣٩: «هذا البيت يروى للمُكَعْبِر الأسدى، وقيل: إنه للمُكَعْبِر الضبىِّ، ويقال: إنه لشريح بن أوفى العبسى. وقيل: إنه لعصام بن المقشعر العبسى. وذكر ابن شبة أنه للأشعث بن قيس الكندى وصدره: «تناولتُ بالرمح الطويل ثيابَه». وهذا الشعر قيل فى محمد بن طلحة، وقتل يوم صفين، وكان على قال لأصحابه: اجعلوا شعاركم حاميم لا يبصرون، وكان محمد بن طلحة من أصحاب معاوية، فكان إذا حمل عليه رجل من أصحاب على يقول له محمد: أسألك بحاميم، فيكف عنه، إلى أن حمل عليه الأشعث بن قيس، فقال له محمد: أسألك بحاميم، فلم يلتفت إلى قوله، فقتله وقال:

واشعثَ قوَّامٍ بآياتِ ربِّه ... قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مُسْلِمِ
تَناولتُ بالرمحِ الطويلَ ثيابَه ... فخرَّ صريعًا لليدين وللفمِ
يُذكِّرنى حاميمَ والرمحُ شاجرٌ ... فهلاَّ تلا حاميم قبل التقدُّمِ
على غير شيء غيرَ أنْ ليس تابعًا ... عليًّا ومَنْ لا يَتْبعِ الحقَّ يَنْدَمِ

وانظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ص١٩١، ١٩٢.

وفى شعر جابر بن حنى التغلبى:

تَناوله بالرمح ثم انثنى له ... فخرَّ صريعًا لليَدينِ وللفَمِ

راجع معجم البلدان (٧/ ٢٣٠، ٢٣١).

(٢) ذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص٥١٠ ولم ينسبه، وذكر صدره، وهو: «كأنَّ مُخَوَّاها على ثَفِناتها» وقال بعقبه: «وقعت على الجناجن»، ونسبه فى المعانى الكبير (٢/ ١١٩٠) للطرماح بن حكيم، وهو فى ديوانه ص١٦٧، وأمالى المرتضى (٢/ ٢٥، ٤/ ٣). وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص٤٣٩: «المخوى: مصدر خوَّى البعير تخوية ومخوى: إذا تجافى للبروك، ويقال للموضع الذى يبرك فيه: مخوى؛ أيضًا. والثفنات: ما أصاب الأرض من البعير إذا برك. والمعرس: موضع التعريس، وهو النزول فى السحر، ويكون مصدرًا أيضًا بمعنى التعريس. والجناجن: جمع جِنْجِن وجَنْجَن، وهى عظام الصدر. وصف ناقة بركت فشبه آثار ثفناتها فى الأرض - وهى قوائمها الأربع وصدرها - بآثار خمس من القطا وقعت على جناحيها فأثرت فى الأرض».

«إلى» مكان «مع»

قال الله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء:٢] أى: مع أموالكم.

ومثله: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:٥٢] أى: مع الله.

والعرب تقول: الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبلٌ[١]، أى: مع الذَّود.

قال ابن مُفَرِّغ:

شَدَخَتْ غُرَّةُ السَّوابِقِ فِيهِمْ ... فى وُجُوهٍ إلى اللِّمَامِ الجِعَادِ[٢]

أراد: مع اللِّمام الجِعادِ.

* * *

(١) المثل فى اللسان (٤/١٤٨)، ومجمع الأمثال (١/٢٨٨)، يضرب فى اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدى إلى الكثير. والذود: القطيع من الإبل، الثلاث إلى التسع.

(٢) البيت له فى أدب الكاتب ص٥١٨، واللسان (١٦/٢٥): «مع اللمام»، وهو فى (٣/٥٠٦) غير منسوب. وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص٤٤٩: «هذا البيت لابن مفرغ الحميرى مدح به قومًا، وأراد أنهم مشهورون بالسبق إلى الفضل كشهرة الفرس الذى شدخت غُرته حتى ملأت جبهته، وأن لهم لِممًا جعادًا، وهى الشعور التى تلم بالمنكب، واحدتها لِمَّة، فإذا لم تجاوز شحمة الأذن فهى وَفْرة، وأراد بالجعودة هنا غير المفرطة، وأما الجعودة المفرطة فليست مما يستحب». وفى اللسان (٣/٥٠٦): «قال أبو عبيدة: يقال لغرة الفرس إذا كانت مستديرة: وَتِيرة، فإذا سالت وطالت فهى شادخة، وقد شَدَخَتْ شُدوخًا: اتسعت فى الوجه».

«اللام» مكان «إلى»

قال الله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥] أى: أوحى إليها.

وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] أى: إلى هذا.

يدلك على ذلك قوله فى موضع آخر: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، وقولُه: ﴿هَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١].

* * *

«على» مكان «مِنْ»

قال الله تعالى: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] أى: مع الناس.

وقال صَخْرُ الغَيِّ:

مَتَى ما تُنْكِرُوها تَعْرِفُوها ... على أَقْطَارِها عَلَقٌ نَفِيثُ[1]

أى: من أقطارها.

ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾ [المائدة: ١٠٧] أى: منهم.

* * *

(١) سبق فى ص٣٦٤.

«مِنْ» مكان «الباء»

قال الله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:١١] أى: بأمر الله.

وقال تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [غافر:١٥] أى: بأمره.

وقال: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ﴾ [القدر: ٤، ٥] أى: بكل أمر.

* * *

«الباء» مكان «مِنْ»

تقول العرب: شربت بماء كذا وكذا، أى من ماء كذا.

قال الله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢٨]، و﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان:٦]، ويكون بمعنى: يشربها عباد الله، ويشرب منها.

قال الهُذَلىُّ وذَكَر السَّحائبَ:

شَرِبْنَ بماءِ البحر ثم تَرَفَّعتْ ... متى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ[1]

---

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى كما فى أدب الكاتب ص٥١٧، واللسان (٧/٧)، وشرح شواهد المغنى ص١٠٩، والاقتضاب ص٤٤٧، والجواليقى ص٣٦٧، وديوان الهذليين (١/ ٥١)، وفيه رواية أخرى وهى:

تروَّت بماء البحر ثم تَنصَّبتْ ... على حَبَشِيَّاتٍ لَهنَّ نَئيجُ

ويعنى بالحبشيات: السحائب السود. وقوله: نئيج: أى مر سريع. والبيت فى الصاحبى ص١٤٥ غير منسوب. وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص٤٤٧: «وصف سحابًا ارتفعت من البحر، وهذيل كلها تصف أن السحاب تستقى من البحر ثم تصعد فى الجو... وفى قوله: «متى لجج» قولان: قيل: أراد من لجج، كما قال صخر الغى: «متى أقْطارِها عَلَقٌ نَفِيثُ» أراد من أقطارها. وقيل: بمعنى وسط. وحكى أبو معاذ الهراء، وهو من شيوخ الكوفيين: جعلته فى متى كُمِّى. والنئيج: المر السريع معه صوت».

أي: شربن من ماء البحر.

وقال عَنْتَرةُ:

شَرِبَتْ بمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأصبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ[1]

وقال عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤] أي: مِنْ علم الله.

* * *

(١) البيت من معلقته فى شرح الزوزنى ص١٤٤، وشرح القصائد العشر ص١٨٦، واللسان (١٥/ ٩٥)، وسر الفصاحة ص٦٥، وأساس البلاغة (١/ ٢٨١)، وأدب الكاتب ص٥١٧. وفى أمالى المرتضى (٤/ ٣): «معناه: شربت الناقة من ماء الدحرضين». وقال ابن السيد: «والدحرضان ماءان، يقال لأحدهما وَشيع وللآخر الدُّحْرُض، فلما جمعهما غلب أحدهما على الآخر، وإنما يغلبون فى مثل هذا الأشهر أو الأخف لفظًا. هذا قول الأصمعى، ويقال: وسيع ووشيع، بالسين والشين. وقال أبو عمرو: هو بلد. وقال غيرهما: هو ماء لبنى سعد. وزوراء: مائلة منحرفة. وأراد بالديلم: الأعداء، وأصل الديلم: خيل من العجم. فشبه بهم أعداءه. هذا قول الأصمعى وابن الأعرابى. وقال أبو عمرو: الديلم الجماعة، ويقال: الظلمة، ويقال: أرض، ويقال: هو ماء فى أقاصى البدو. وحكى يعقوب فى «المعانى» عن الأصمعى قال: الديلم: ضَبَّة، وذلك أنهم دلمان فى ألوانهم، وذكر النفار عن حياضهم؛ لأن بنى عبس لما راغموا قومهم مروا بضبة فأرادت ضبة أخذ أموالهم، فنجوا ومالوا إلى بنى عامر مستجيرين، ثم ساروا على الدحرض ووسيع ورداعة، حتى عاذوا بمالك ذى الرقيبة القشيرى. فحكى عنترة ما كان. قال: وهذه مياه بنى أنْف الناقة بن بهدلة...».

«مِنْ» مكان «فى»

قال الله تعالى: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠] أى: فى الأرض.

* * *

«مِنْ» مكان «على»

قال الله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٧] أى: على القوم.

* * *

«عن» مكان «مِنْ»

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥] أى: من عباده.
وتقول: أخذت هذا عنك، أى منك.

* * *

«مِنْ» مكان «عن»

تقول: لَهِيتُ من فلان، أى عنه. و: حدثنى فلان من فلان، أى عنه.

* * *

«على» بمعنى «عند»

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ [الشعراء: ١٤] أي: عندي.

* * *

«الباء» مكان «اللام»

قال الله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[1] [الدخان: ٣٩] أي: للحق.

* * *

(١) في تفسير الطبري (٢٥/٧٧): «وقوله: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ يقول: ما خلقنا السموات والأرض إلا بالحق الذي لا يصلح التدبير إلا به، وإنما يعني بذلك - تعالى ذكره - التنبيه على صحة البعث والمجازاة».

وجدت في آخر كتاب المشكل تفسير بعض ما فيه من الأحاديث والأمثال فألحقته به[(١)]

١ ـ قول النبي ﷺ: «النَّاس كَإِبلٍ مائَة لَيْسَ فيهَا رَاحلَةٌ»[(٢)].

الإبل المائة: هي الرَّاعية، وإنما يجتمع منها في المرعى الواحد مائة، فتقام المائة مُقام القطيع. يقال: لفلان إبل مائة. وهي أيضًا هُنَيْدَةَ[(٣)].

وإذا كان الإبل مائة ليست فيها راحلة تشابهت في المناظر؛ لأن الراحلة تتميز منها بالتمام وحسن المنظر.

فأراد: أنهم سواء في الأحكام وفي القصاص، ليس لشريف فضل على غيره.

وهذا مثل قوله عليه السلام: «النَّاسُ سواء كأسنان المُشْط»[(٤)].

والعرب تقول في هذا المعنى: هم سواء كأسنان الحمار.

---

(١) هذا ما قاله ناسخ الكتاب بعد فراغه من نسخه في جمادى الأولى من شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وهو ما أقوله بعد فراغي من طبعه في ربيع الأول من شهور سنة ثلاث وسبعين بعد الألف.

(٢) ورد في ص١٣٣.

(٣) في اللسان (٤/ ٤٤٩): «وهنيدة: اسم للمائة من الإبل خاصة، قال جرير:

أعطوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهــا ثمانيةٌ ... ما في عَطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ»

(٤) البيان والتبيين (٢/ ١٩). وفي علل ابن أبي حاتم (٢/ ١١١): سألت أبي عن حديث رواه رود بن الجراح قال: حدثنا أبو سعد الساعدي قال: سمعت أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الناس مستوون كأسنان المشط، ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله. قال أبي: هذا حديث منكر. وأبو سعد مجهول.

والحديث برواية أخرى في ميزان الاعتدال (٢/ ٢١٧) عن المسيب بن إسحاق، حدثنا سليمان بن عمرو، حدثنا إسحاق بن عبد الله، عن أنس مرفوعًا: «الناس سواء كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية، والمرء كثير بأخيه، يَرْفِدُه ويَحْمِله ويكسوه».

وسليمان بن عمرو قَدَري كذاب كان يضع الحديث وضعًا، ويتظاهر بالصلاح.

راجع أيضًا: تنزيه الشريعة المرفوعة (٢/ ٢٩٤، ٢٩٥)، وكشف الخفاء (٢/ ٣٢٦)، والكنى للدولابي (١/ ١٦٨).

٢ ـ وقوله: إنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبيعُ ما يَقْتُل حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ[١].

فالحَبَطُ: أن تأكل الناقة فى المرعى فتكثر حتى تنتفخ بطنها. ولذلك قيل لقوم من العرب: الحَبِطَات؛ لأن أباهم كان أكل صَمْغًا حتى حَبِطَ بطنُه فسمى: الحَبِطَ. وهو الحارث بن تميم[٢].

وقوله: أَوْ يُلِمُّ؛ يعنى يقارب أن يَقْتُل.

وإنما نهى رسول الله ﷺ عن الاستكثار من الدنيا ومن غَضَارَتِها وحسنها إذا كان فى ذلك ما يهلك. فضرب استكثار البهيمة من العشب فى الربيع حتى يقتلها حَبَطًا مَثَلاً لذلك.

* * *

٣ ـ وقوله للضَّحَّاك بن سُفيان: إذَا أَتَيْتَهُمْ فَارْبِضْ فى دَارِهِمْ ظَبْيًا[٣].

يُرَادُ: أقم ولا تحدث شيئًا كأنك ظبىٌ قد استقر فى الكِنَاسِ.

* * *

٤ ـ وقوله: الكاسِيَاتُ العَارِياتُ لا يَدْخُلْنَ الجنَّةَ[٤].

يعنى النساء اللَّوَاتى يلبسن رِقَاقَ الثِّيَاب، فهن كاسِيات إذا لبسن، عاريات إذا كن لا يَسْتُرْهُنَّ.

* * *

(١) ورد فى ص١٣٣.

(٢) فى اللسان (٩/ ١٤١): «والحَبَط والحبِط ـ بفتح الباء وكسرها ـ الحارث بن مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم، سمى بذلك لأنه كان فى سفر فأصابه مثل الحَبَط الذى يصيب الماشية، فنَسبوا إليه، وقيل: إنما سمى بذلك لأن بطنه ورم من شىء أكله، والحَبِطات والحبَطات ـ بكسر الباء وفتحها ـ أبناؤه على جهة النسب، والنسبة إليهم: حَبَطِىٌّ، وهم من تميم، والقياس الكسر».

(٣) ورد فى ص١٣٣.

(٤) ورد فى ص١٣٤.

٥ ـ وقوله فى كتاب صُلْح: وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ عَيْبَةً مَكْفُوفَةً(١).

يريد: صدرًا نقيًا من الغِلِّ والعداوة، مُنْطَوِيًا على الوفاء. والعرب تسمى الصُّدُور: العِيَاب. قال الشاعر:

وكـادَتْ عِيَـابُ الوُدِّ مِنَّا ومِنْكُمُ ـ وإن قِيلَ أَبْنَاءُ العُمُومةِ ـ تَصْفَرُ(٢)

تَصْفَرُ: تخلو من المحبة.

والمَكْفُوفَةُ: المُشْرَجَةُ: يقال: أَشْرَجَ صَدْرَه على كذا؛ أى طَوَى.

قال الشَّمَّاخ:

وكادتْ غَـــدَاةَ البَيْنِ يَنْطِقُ طَرْفُها بِمَا تَحْتَ مَكْنُونِ مِن الصَّدْرِ مُشْرَجِ(٣)

* * *

٦ ـ وقوله ﷺ: «أَجِدُ نَفَسَ ربِّكُم مِن قِبَلِ اليَمَنِ»(٤).

يريد: أجد الفرَجَ يأتينى من قِبَل اليمن، فأتاه الله من جهة الأنصار.

وكذلك قوله: «لا تَسُبُّوا الرِّيحَ فإنها من نَفَس الرحمن»(٥).

يريد: أن الله يُنفِّس بها، ويُفرِّج بها. وقد فرّج الله بها عنه ليلة الأحزاب، قال الله جل اسمه: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾ [الأحزاب: ٩].

وقال: اللهم نفِّس عنى الكروب، ونفِّس عنى الأذى. كما قال: فرِّج عنى.

ومما يزيد ذلك وضوحًا قول عمر رضى الله عنه: الريح من رُوح الله فلا تسبُّوها.

---

(١) ورد فى ص١٣٤.

(٢) البيت غير منسوب فى اللسان (١١/ ٢١٤): «الود بينى وبينكم»، ولبشر بن أبى خازم فى أساس البلاغة (٢/ ١٦٢)، وللكميت فى المعانى الكبير (١/ ٥٢٧): «الود منا ومنهم»، وقبله:

لقد ما رأيتُ الناس أبناء علَّة وأرحامُهم أكراشُ دِمْنٍ تَجرَّرُ

الكرش تُمرَّغ فى التراب والسرجين ليَطيبَ ريحها، وعياب الود: الصدور، وتصفر: تخلو، ويقال: الكرش البعير بعينه.

(٣) ديوانه ص٨.

(٤) ورد فى ص١٣٤.

(٥) اللسان (٨/ ١٢٢).

٧ ـ وقول أبى بكر رضى الله عنه: نحن حَفْنَةٌ من حَفَنَات الله[١].

يريد: نحن وإن كنا كثيرًا فى العدد قليل عند الله كالحَفْنة، والحَفْنة: ما حَفَنَهُ الرجلُ بيده فألقاه. يقال: حفن له من المال؛ إذا أعطاه بكفِّه.

* * *

٨ ـ وقول عمر رضى الله عنه لِلْعَرِيفِ الذى أتاه بالمَنْبُوذ: عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا[٢].

فقال بعضهم: هو تصغير غار. وهو مثل للعرب. ويقال: إن أول من قالَه بَيْهَسٌ الذى يلقب بالنَّعَامة فى حُمْقِه، وكان قد وجد قاتلى إخوته فى غار فهجم عليهم فى ذلك الغار فقتلهم، فهو أحد من طلب بثأر فلحقه. وإنما عسى أن يكون الغوير أضمر لنا وأخفى أبؤسًا، وهو جمع بائس. ويقال: الغوير: ماء.

* * *

٩ ـ وقول علىّ كرم الله وجهه: مَنْ يَطُلْ هَنُ أَبِيه يَنْتَطِقْ به[٣].

يريد: منْ كَثُر إخوتُه عزّ بهم فامْتَنَع. وضرب النِّطاق مثلاً لذلك؛ لأنه يَشُدُّ الظَّهْرَ. ومثله قول الشاعر:

فلو شاء ربى كــــان أَيْرُ أبيكُمُ … طويلاً كأَيْرِ الحارثِ بنِ سَدُوسِ[٤]

والحارث بن سَدُوس من شَيْبان، وكان له أحد وعشرون ذكَرًا.

* * *

١٠ ـ وقول عمر رضى الله عنه: أَيُّما رَجُلٍ بَايَعَ عَنْ غَيْرِ مُشَاوَرَة، فلا يُؤَمَّرُ واحدٌ منهما تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلا[٥].

يريد: إذا بايع الرجل رجلاً عن غير مشاورة الناس، يعنى مبايعة الإِمْرَة، فلا يُؤَمَّر

(١) ورد فى ص١٣٤.
(٢) ورد فى ص١٣٤.
(٣) ورد فى ص١٣٥.
(٤) البيت غير منسوب فى جمهرة الأمثال ص١٨٧، ومجمع الأمثال (٢/ ٢٥٦)، واللسان (١٢/ ٢٣٣).
(٥) ورد فى ص١٣٥.

واحد منهما، لا المُبَايِعُ ولا المُبَايَعُ، حتى يكون ذلك عن اجتماع مَلإٍ من الناس؛ لأنه لا يُؤْمَنُ أن يُقْتَلا جميعًا.

وتَغِرَّةً ههنا: مصدر غَرَّرْتُ به تَغِرَّةً وتَغْرِيرًا، مثل عَلَّلْتُهُ تَعِلَّةً وتَعْلِيلاً. وهذا قول أبى عُبَيْدَة.

* * *

١١ ـ والعرب تقول: حَوْرٌ فى مَحَارَة(١).

والحَوْر: النُّقْصان. والمحارَةُ: المَنْقَصَة، وهذا كما يقول الناس: هذا نقصان فى نقصان، وخسران فى خسران.

* * *

١٢ ـ وقولهم: جَرْىُ المُذَكِّيات غِلاَبٌ(٢).

فالمُذَكِّياتُ: الخيل المَسَانُّ. والغِلاء: أن تتغالى فى الجرى، أى كأنها تتبارى فى ذلك، وليست كالصغيرة التى لا تتغالى. وقد يروى: «غِلابٌ» مكان «غِلاءٌ».

* * *

١٣ ـ وقوله: عِيلَ مَا هُوَ عَائِلُه(٣). مَثَل.

ومعنى عِيلَ: أى أُثقِلَ. يقال: عالَنى الشىءُ أى أثقلنى. كأنه قال: أُثْقِلَ ما هو مثله. كأنه يُدعَى له ويُدعَى على الذى أثقله. قال ابن مُقْبِلٍ يصف فرسًا:

خَدَى مِثْلَ خَدْىِ الفَالِجِىِّ يَنُوشُنِى ... بخَبْطِ يَدَيْهِ عِيلَ مـا هُـوَ عَائِلُهْ(٤)

---

(١) ورد فى ص١٣٦.

(٢) ورد فى ص١٣٦.

(٣) ورد فى ص١٣٦.

(٤) البيت له فى اللسان (١٣/ ٥١١): «ينوشنى بسَدْوِ يَدَيْه»، والمعانى الكبير (١/ ٥٨)، وقال ابن قتيبة فى شرحه: «خدى: من الخديان. ينوشنى: من النوش وهو التناول. يقول: يكاد يتناولنى بيديه من خبطه بهما، وذلك من نَزَقه ومرحه. عيل ما هو عائله، وإنما هو كقولك: عالنى الشىء أى أثقلنى، ولم يرد بذلك مذهب الدعاء عليه، وإنما هو كقولك للشىء يعجبك قائله: أخزاه الله، أى شدد هذا الشىء عليه وأثقله».

١٤ ـ وقولهم: إِنَّهُ لَشَرَّابٌ بِأَنْقُعٍ(١).

قاله الحجاج لأهل العراق: إنكم يا أهل العراق شاربون بأَنْقُع(٢). وأصله فى الطير، وذلك أن الطائر إذا كان حَذِرًا منكرًا لم يَرِد المياهَ التى يَرِدُها الناس؛ لأن الأشراكَ تُنْصَب عِنْدَها، ووَرَد النِّقَاعَ والمَنَاقِعَ التى فى الفَلَوات.

* * *

١٥ ـ وقولهم: عَاطٍ بِغَيْرِ أَنْوَاط(٣).

العاطى: المُتناوِلُ. ويقال: عَطَوْت؛ إذا تناولت، أَعْطُو. ومنه قول الشاعر فى صفة الظبية:

* وتَعْطُو بِظِلْفَيْها إذا الغصنُ طَالَهَا *

والأَنْوَاطُ المعَاليقُ، واحدها نَوْط. أراد أن هذا يصعب عليه ما يَرُومه كمن تناول بغير مِعْلاق.

* * *

١٦ ـ وقوله: إلاَّ دَه فَلاَ دَه(٤).

يريدون: إن لم يكن هذا الأمر لم يكن غيره. وهو مثل قول رُؤْبة:

* وقُوَّلٌ إلاَّ دَهٍ فلا دَهِ(٥) *

يروى أهل العربية أن الدال فيه مبدلة من ذال، كأنهم أرادوا: إن لم تكن هذه لم تكن أخرى.

* * *

(١) ورد فى ص١٣٦.

(٢) اللسان (١٠/ ٢٣٩).

(٣) ورد فى ص١٣٦.

(٤) ورد فى ص١٣٦.

(٥) ديوان رؤبة ص١٦٦، والعقد (٣/ ١٢٤)، واللسان (١٤/ ٩٢).

١٧ ـ وقولهم: النُّفَاضُ يُقَطِّرُ الجَلَبَ[١].

النُّفَاضُ: الفقر، يقال: أنفض القوم وأنفدوا؛ إذا ذهب ما عندهم.

وقولهم: يُقَطِّرُ الجَلَبَ، يريدون: أنهم يَجلبُونَ من البادية إلى المصر، ليبيعوها من فقرهم.

* * *

١٨ ـ وقولهم: بِهِ داءُ ظَبْيٍ[٢].

يريدون: أنه صحيح لا داء به، كما أن الظبى لا داءَ به.

* * *

١٩ ـ وقولهم: أَراكَ بَشَرٌ مَا أحارَ مِشْفَرٌ[٣].

يريدون: بشرة البعير ـ ومشفره: سِمته ـ تدلك على جودة أكله، وأحَارَ: رَدَّ إلى جَوفه.

* * *

٢٠ ـ وقولهم: أَفْلَتَ فُلانٌ بِجُرَيْعَةِ الذَّقَنِ[٤].

يريدون: أنه أفلت نفسه فيه، كما قال الهُذَلِيُّ:

نَجَـا سَالِمٌ والنَّفْسُ منهُ بِشِدْقِـهِ ... ولَـمْ يَنْجُ إلاَّ جَفْنَ سَيْفٍ وَمِئْزَرا[٥]

* * *

(١) ورد فى ص١٣٧.

(٢) ورد فى ص١٣٧.

(٣) ورد فى ص١٣٧.

(٤) ورد فى ص١٣٧.

(٥) البيت لحذيفة بن أنس الهذلى، كما فى ديوان الهذليين (٣/ ٢٢). والنفس بشدقه: أى كادت تخرج فبلغت شدقه. يريد: ولم ينج إلا بجفن سيف ومئزر، فلما حذف حرف الجر نصبه. وهو له فى اللسان (١٦/ ٣٤١): «وجفن السيف: غمده».

٢١ ـ وقولهم: غُبارُ ذَيْلِ المرأةِ الفَاجِرَةِ يُورِثُ السِّلَّ(١).

يريدون: من اتبع الفواجر ذهب ماله. ضرب السل فى البدن مثلاً لذهاب المال.

* * *

٢٢ ـ وقولهم: كبَارِحِ الأَرْوِى(٢).

يريدون أنه مَشْئُوم من وجهتيه، وذلك أن الأُرْوِىَّ يتشاءم بها من حيث أتت، وإذا برحت كان أعظم لشؤمها.

* * *

٢٣ ـ وقولهم: عَبْدٌ وخَلًى فى يَدَيْه(٣).

وهذا مثل يُضرب للئيم البَطِر. والخلى: هو. . . .(٤) عندهم الكلأ خَصِبُوا، والعبد لئيم، فإذا وقع فى الخِصْبِ بَطِرَ.

وهذا مثل قوله:

قَوْمٌ إذا نَبَتَ الرَّبيعُ لَهُمْ ... نَبَتَتْ عَدَاوَتُهُم مَعَ البَقْلِ(٥)

وقال آخر:

يَا ابْنَ هِشَامٍ أَفْسَدَ النَّاسَ اللَّبَنْ ... فكُلُّهُمْ يَمْشِى بِقَــوْسٍ وقَرَنْ(٦)

* * *

(١) ورد فى ص١٣٧ .

(٢) ورد فى ص١٣٧ .

(٣) ورد فى ص١٣٨ .

(٤) بياض بالأصل مقدار أربع كلمات. وانظر الهامش رقم (١) ص١٣٨ .

(٥) البيت للحارث بن دوس الإيادى يخاطب المنذر بن ماء السماء، كما فى المعانى الكبير (٢/ ٨٩٥، ٩٩٦)، واللسان (٣/ ٦٥).

(٦) لرؤبة فى الصناعتين ص٢٩١، ومن غير نسبة فى اللسان (١٣/ ٦٥، ١٧/ ٢١٨)، والبيان والتبيين (٣/ ١٠٧)، وإصلاح المنطق ص٦٣، والمعانى الكبير (٢/ ٨٩٥): «يقول: لما جاء الربيع وأصابوا اللبن قووا وغزوا. والقرَن الجَعْبة». وفى اللسان (١٧/ ٢١٨): «القرن ـ بالتحريك ـ الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تُخرَز، وإنما تُشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد».

٢٤ ـ وقولهم: رَمَّدَتِ الضَّأْنُ فَرَبِّقْ رَبِّقْ، وَرَمَّدَتِ المِعْزَى فَرَنِّقْ رَنِّقْ[١].

التَّرْمِيدُ: نزول اللّبن فى الضَّرْع.

وقولهم فى الضأن: أى هى الأرْبَاقُ لأولادها.

والأرْبَاقُ: عُرًا تُجعل فى حبال وتُدخل فى أعناق الصغار لئلا تتبع الأمهات فى المرعى، وهى الرِّبْق أيضًا، واحدها رِبْقَة. ومنه قيل: مَنْ فعل كذا وكذا فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه[٢].

وإنما أراد أن الضأن تُرَمِّدُ، أى تنزل اللبن فى ضروعها فى وقت وضع الحمل. والمعزى تُرَمِّدُ فى أول الحمل.

يقول: رنِّق رنِّق؛ أى انتظر، يقال: رَنَّق الطائرُ فى الهواء؛ إذا دار فى طيرانه ولم يجر. ورنَّقت السفينةُ؛ إذا دارت مكانها ولم تسر.

* * *

٢٥ ـ وقولهم: أفْوَاهُهَا مَجَاسُّها[٣].

يريد: أنها إذا كانت كثيرة الأكل أَغْنَتْكَ بذلك عن أن تجسها فتعرف كيف هى؛ لأن كثرة الأكل تدل على السِّمَن.

* * *

٢٦ ـ وقولهم: نِجَارُها نارُها[٤].

النار ههنا: السِّمَةُ. ويقال لكل شىء وُسِمَ بالمِكْوَى: نار. قال الشاعر:

حتَّى سَقَــوْا آبالَهُمْ بالنَّارِ والنارُ قَدْ تَشْفِى من الأُوَارِ[٥]

(١) ورد فى ص١٣٨.

(٢) اللسان (١١/٢٠٤).

(٣) ورد فى ص١٣٨.

(٤) ورد فى ص١٣٨.

(٥) فى اللسان (١٧/١٠٢): «أى سقوا إبلهم بالسمة، أى إذا نظروا فى سمة صاحبه عَرَفَ صاحبَه فسُقِى وقُدِّم على غيره لشرف أرباب تلك السمة، وخلَّوْا لها الماء».

والأُوَارُ: العَطَش. وسقيهم آبالهم بالنار: يريد أنهم قدموها على مواسمها فى الشرب؛ فقدموا الأعزَّ منها فالأعَزَّ أرْبَابًا.

والنِّجَارُ: الطبيعة والجوهر، فأراد أن سِمَاتِها تدلك على جواهرها.

* * *

تمّ كتاب مشكل القرآن وتفسير المشكل والأمثال التى فيه

بحمد الله ومنّه وحسن توفيقه، سَلْخَ جمادى الأولى

من شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

* * *



فهارس الكتاب

١ـ فهرس الآيات

٣ـ سورة آل عمران

رقم الآية	رقم الصفحة
٩	٣١٣
١٤	٢١٨
١٩	٥٠٠
٢٠	٥٠٠
٣١	٤٩١
٣٤	٢٥١، ٤٩٢
٣٥	٢٥١، ٤٩٢

٧٦ـ سورة الإنسان

رقم الآية	رقم الصفحة
١	٤٨٤
٦	٢٦١، ٥١٣
٩	٢٦٥، ٤٣٧
١٥	٨٦، ١٢٧
١٦	٨٦، ١٢٧
٢٠	٤٥٣

٧٧ـ سورة المرسلات

رقم الآية	رقم الصفحة
١	١٩٦، ٢٨٤
٢	٢٨٤
٥	٤٨٨
٦	٤٨٨
١٢	٢٨٤
١٣	٢٨٤
٢٩	٣١٤
٣٠	٣١٤
٣١	٣١٤
٣٢	٣١٤
٣٣	٣١٤
٣٥	٨٥، ١١٦

رقم الآية	رقم الصفحة
٣٦	٨٥، ١١٦

٧٨ـ سورة النبأ

رقم الآية	رقم الصفحة
١	٢٨٤
٢	٢٨٤
٩	٨٦، ١٢٦
٣٦	٤٦٥
٣٨	٤٤٢
٤٠	٢٧٢

٧٩ـ سورة النازعات

رقم الآية	رقم الصفحة
١	٢٤٢
٢	٢٤٢
٣	٢٤٢
٤	٢٤٢
٥	٢٤٢
٦	٢٤٢
١١	٢٤٢
٢٧	٨٥، ١١٧
٢٨	٨٥، ١١٧
٢٩	١١٧
٣٠	٨٥، ١١٧
٣١	٦٨
٣٣	٦٨، ٤٦٤

٨٠ـ سورة عبس

رقم الآية	رقم الصفحة
١٧	٢٨١
٣٢	٤٦٤

* * *

٢.فهرس الأحاديث

* * *

٣.فهرس الأمثال

٤ـ فهرس الأعلام

* * *

٥ـ فهرس القبائل والأمم والفرق

* * *

٦ـ فهرس الأماكن والبلدان

* * *

٧ـ فهرس الأيام

* * *

٨.فهرس القوافى

(حرف الهمزة)

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الدال)

وقصيدة قد بتُّ... ميلها وسنادها	ابن الرقاع	كامل	٨٠
ويَفْهَمُ قولَ... يَفُتْه سوادُها	العُمانى	طويل	١٥٤
لهم مجلسٌ... أحرارُها وعبيدُها	ذو الرمة	طويل	٢٣٣
وصَهْبَاءَ منها... شَهرًا عَديدُها	حميد بن ثور	طويل	٢٤٣
إذا رأيتَ... الخَراة والكَتَدْ	دُكَين	رجز	٢٠٦

(حرف الراء)

إذ يسفُّون... شيئًا فَطيرا	أمية بن أبى الصلت	خفيف	٢٦٢
وكادت فَزارةُ... أَوْلَى فَزَارَا	عوف بن الخرع	متقارب	٢٥١
ولا مِثل يوم... قَرْنِ أعفرَا	امرؤ القيس	طويل	٢٠١
الشمسُ طالعةٌ... الليل والقمرا	جرير	طويل	١٩٨
رمَوْها بأثواب... النعام المنفَّرا	ليلى الأخيلية	طويل	١٧٧
وحلَّتْ بيُوتى... الحمُولة طائرا	النابغة	طويل	١٥٩
مُفَزَّعةٌ تستَحيلُ... ما لا تَرى	حميد بن ثور	متقارب	١٥٧
وَقفتُ بها... إلاَّ سِرارا	عوف بن الخَرِع	متقارب	١٥١
أخبرتْ عن... اليباب والمَعمورا	الكميت	خفيف	١٥١
عسَل ما... وعالَتِ البَيْقُورا	أمية بن أبى الصلت	خفيف	١٣٩
وسِقْط كعَيْنِ... لمَوْقِعها وكْرا	ذو الرمة	طويل	١٣٩
نجَا سالِمٌ... سَيفٍ ومِئزَرا	حذيفة بن أنس	طويل	٥٢٣
تُسائل بِابْنِ... لم تعَارا	ابن أحمر	وافر	٥٠٨
فلما بَدَتْ... ولا شِبْرا	ذو الرمة	طويل	٢٤٢
رَعَتْه أشهرًا... فيها واستغارا	(الراعى)	وافر	٣٧٧
يا وَيح... للترابِ الأعفرِ	أبو كبير الهذلى	كامل	٢٩١
يا عاذلاتى... لى بأمير	—	كامل	٢٢٨، ٢٨٨

تَراه كأنّ. . . له وَفْرُ	الزبرقان بن بدر	طويل	٢٣٣
عَشيّةَ فَرَّ. . . القوم هَوبَرُ	ذو الرمّة	طويل	٢٢٤
إنَّ سِراجًا. . . ما تجهَرُه	—	رجز	٢٢٣
على العيَارات. . . سَوْآتهم هَجرُ	الأخطل	بسيط	٢١٩
فلما خشيتُ. . . الحبل حافرُهْ	الحطيئة	طويل	٢١٩
فلا تكُ. . . وهو ينظُر	أبو زبيد	طويل	١٦٧
ندمتُ ندامةَ. . . مطلقةً نوارُ	الفرزدق	وافر	١٦٦
زُورُوا بنا. . . بيننا القَدَرُ	ابن الدمينة	بسيط	١٦٥
أُقَدِّرُ أمْرًا. . . فاللهُ قادرُ	جميل	طويل	١٦٥
قَرَوْا جارَك. . . الشراب مَشافرُهْ	الحطيئة	طويل	١٨٦
إنِّي أتَتني. . . ولا سَخَرُ	أعشى باهلة	بسيط	١٨١
تَبرأُ مِن. . . القَتيلِ إزارُها	أبو ذؤيب	طويل	١٧٨
منها خُلقنا. . . لو أنّنا شُكُرُ	أمية بن أبي الصلت	بسيط	١٤٧
نجارُ كلٍّ. . . العالمين نارُها	—	رجز	١٣٨
إنِّي كبرتُ. . . يَمَلُّ ويَفْتُرُ	حميد بن ثور	كامل	٧٩
وكادَتْ عِيابُ. . . العُمومة تَصْفَرُ	بشر بن أبي خازم	طويل	٥١٩
وما تَجافَى. . . الخُضرِ حاضِرُ	ذو الرمة	طويل	٤٦٩
ولولا أنْ. . . النشأُ الصغارُ	نُصيب	وافر	٣٥٢
ولما رأيتُ. . . أحمَسُ فاجِرُ	وَعْلة الجَرْمي	طويل	٢٩٦
إذا نحنُ. . . ذلك يُذْكَرُ	ذو الرمة	طويل	٣٢٩
وإنك لا. . . الغيثُ ناصرُهْ	الفقعسيّ	طويل	٣٤٨
أقسَمَ بالله. . . ولا دَبَرْ	—	رجز	٣٣٩
تركوا جارهُمُ. . . ويَرْميه الشجَرْ	—	رمل	٢٠٦
إن تُنَوِّله. . . يَجرى بالظُّهرْ	طرفة	كامل	١٩٨
سلامُ الإلهِ. . . وسَماءُ دِرَرْ	النمر بن تولب	متقارب	٤٤٣

(حرف الزاى)

فذاق فأعطته... السهم حاجز	الشماخ	طويل	١٩٥

(حرف السين)

إذا ما الضجيعُ... فكانت لِباسا	النابغة الجعدى	متقارب	١٧٧
لقد فتنتْ... ولا نَفْسَا	ابن قيس الرقيات	طويل	١٦٦
وقد نظرتكُمْ... حَوْزى وتنْسَاسى	الحطيئة	بسيط	٣٦١
فلوْ شاءَ... ابن سَدُوسِ	—	طويل	٥٢٠
وقد تَعالَلْتُ... دَيمومَةِ كالترس	دُكَين	رجز	٢٠٧
فَلَسْنَا كمَنْ... والعَبَلِ اليَبْسِ	—	طويل	١٩٢
ولوْ أنَّ... الشَّيبِ قَوْنَسُ	مزرِّد	طويل	٢٠٨

(حرف الصاد)

رجعتُ لَمَا... ظُهرًا وبيصا	الأعشى	متقارب	١٩٩

(حرف الضاد)

إنَّ شكْلى... واخفضِى تَبْيَضِضّى	—	خفيف	٣٠٢
مَتى ما... على حَيَّضِ	أبو المثلَّم الهذلى	متقارب	١٨٩

(حرف الطاء)

يُمَشِّى بيننا... الصراصرَةَ القطاطِ	المتنخل الهذلى	وافر	٢٣٢
لما رأيتُ... بقُرونٍ شُمَّطِ	أبو القمقام الأسدى	رجز	٢٩٩

(حرف العين)

فأُقسم لو... لكَ مدفَعا	امرؤ القيس	طويل	٢٣٥

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

إنّ شَرْخَ . . . كانَ جُنونا	حسان بن ثابت	خفيف	٢٩٠
هَلاَّ سَأَلْتَ . . . أينَ أيْنَا	عبيد بن الأبرص	كامل	٢١٣
إذا ما . . . الحواجبَ والعُيونا	الراعى	وافر	٢٣٤
ألاَ هُبِّى . . . خُمورَ الأندَرِينا	عمرو بن كلثوم	وافر	٧٩
كأن متونهن . . . إذا جرينا	عمرو بن كلثوم	وافر	٧٩
وإنَّ بَنِى . . . يَحْفَظُهُ فَخَانا	النمر بن تولب	وافر	٤٣٦
إذا ما . . . عَرابةُ باليمينِ	الشماخ	وافر	٢٥٦
فما أدرى . . . أيُّهما يَلِينِ	المثقب العبدى	وافر	٢٤٥
يا مَسَدَ الخُوصِ . . . لِينًا فإنِّى	—	رجز	١٩٣
سأكسوكُما يا ابْنَىْ . . . ومِنْ قَطِرانِ	—	طويل	١٩٠
إنَّ دَهْرًا . . . يَهُمُّ بالإحسانِ	—	خفيف	١٧٠
تقولُ إذا . . . أبدًا وَدِينى	المثقب العبدى	وافر	١٤٨
اسجُدْ لِقرْد . . . فى سلطانه	العتابى	رجز	٣٩٢
دَرَسَ المَنَا . . . بالحبس فالسُّوبانِ	لبيد	كامل	٣٠٤
يا ابن هِشامٍ . . . بقَوْسٍ وَقرَنْ	رؤبة	رجز	٥٢٤

(حرف الهاء)

عَلفتُها تِبْنًا . . . هَمَّالةً عَيناها	—	رجز	٢٣٤
وإن اللهَ . . . خفتَها قَلاها	يزيد بن الصعق	وافر	١٩٥
أىَّ قَلُوصِ . . . فَطِرْ عَلاها	أبو الغول	رجز	١٠٤
فهْوَ لا . . . مِنْ نَفَرِه	امرؤ القيس	مديد	٢٨٢

(حرف الألف اللينة)

معطَّفةُ الأثناءِ . . . مَيّتٍ غَوَى	—	طويل	٣٨١

(حرف الياء)

* * *

أنصاف الأبيات

شطر (ء)

* قَبْلَ دُنُوِّ الأُفْقِ مِن جَوْزائِه *	أبو النجم	رجز	٢٢٠
* هَاوٍ تَضِلُّ الطيرُ فى خَوائِه *	أبو النجم	رجز	٢٠٥
* ومَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أرجاؤُه *	رؤبة	رجز	٤٨٣
* آذنَتْنا بِبَيْنِها أسْماءُ *	الحارث بن حِلّزة	خفيف	٢١٠
* كأنَّ لَوْنَ أرضِه سماؤُه *	رؤبة	رجز	٣٠١

شطر (ب)

* لا يُحسِن التعريضَ إلاّ ثَلْبَا *	—	رجز	٢٧٢
* فكأنما تُذكِى سَنابِكُها الحُبا *	أبو دؤاد	كامل	٣٠٥
* لَمَّا رأت ماء السلا مشروبًا *	—	كامل	٨٠
* وصار الجمر مثل ترابها *	الأعشى	كامل	٢٢١
* بل مَنْ يرى البرق بِتُّ أرقبُه *	لبيد بن ربيعة	منسرح	٤٨٢
* كلمعة البرقِ ببَرْقٍ خُلَّبُهْ *	أبو النجم	رجز	٢٢٦
* وَمِحْوَرٍ أُخْلِص مِن ماءِ اليَلَبْ *	—	رجز	٢٢٥

شطر (ت)

* وَحَى لها القرَارَ فاستقرّتِ *	العجّاج	رجز	١٥٢، ٤٤٦
* أو فضّةٌ أو ذهبٌ كِبريتُ *	رؤبة	رجز	٢٢٥

شطر (ج)

* ملعونة بعُقُرٍ أو خادج *	—	رجز	٢٤٠

* فكاد يسمو إلى الجُرفين فارتفعا *	الأعشى	بسيط	٤٨١
* نحن بنو أُمِّ البنينَ الأربعَهْ *	لبيد	كامل	٢٢٤

شطر(غ)

* يَغْمِسْنَ مَن غَمَسْنَهُ فى الأهيَغِ *	رؤبة	رجز	١٤٢

شطر(ق)

* إنْ تَدْنُ مِنْ فَنَن الألاءَة تَعلَقِ *	الكميت	كامل	١٢٥
* وجَفَّ أنواءُ السحابِ المُرْتَزَقْ *	رؤبة	رجز	١٧٢
* فعَفَّ عن أسرارِها بَعْدَ العَسَقْ *	رؤبة	رجز	١٧٧
* المالُ هَدْىٌ والنساء طَوالِقُ *	—	كامل	٢٨٨

شطر(ك)

* وَضَحِكَ المُزْنُ بها ثم بكَى *	—	رجز	١٧٣

شطر(ل)

* فِى لَجّةٍ أَمْسِكْ فلانًا عَنْ فُلِ *	أبو النجم	رجز	٢٧٢، ٣٠٥
* أقولُ إذ خَرَّتْ على الكَلْكال *	—	رجز	٣٠٢
* فأبْلاهُما خَيْرَ البلاءِ الذى يَبْلُو *	زهير	طويل	٤٣١
* وتَعطُو بِظِلْفَيْها إذا الغُصْنُ طالهَا *	—	طويل	٥٢٢

شطر(م)

* ودويِّة قفر تمشَّى نعامها *	الشماخ	طويل	٤٨٣
* قَوَاطِنًا مكّةَ مِنْ وُرْقِ الحَمِى *	العجاج	رجز	٣٠٥

* * *

٩. فهرس الفروق الخطية

صفحة	سطر	
٦٨	٨	د: ونحوه
٦٩	١٢	د: ارتدع من كان يهم بالقتل، فكان فى القصاص له حياة
٧٠	١	د: فكان
٧٠	٤	د: الجنة حين قال
٧٠	١٤	د: ولم يشترط
٧١	٦	د: بهاتين القبيلتين. وهذا فى القرآن
٧١	١١	م، د: الخبر
٧٢	٢	م، د: من الجبل
٧٣	٥	م: أرض الخورنق
٧٣	١١	د: من ذكرهم
٧٤	ـــ	م، د: خلتا من العنوان
٧٤	١٣	د: اجتمعت عليه
٧٥	٣	د: الأعجمين
٧٥	١٦	د: فى حروفنا
٧٦	٤	د: ودل بحذف
٧٧	٤	د: إذا سبه الناس
٧٧	٦	د: المعنيين بتغيير
٧٧	١١	د: ذلك قيل
٧٨	٧	د: وللنهم مبطون. وللعرب الشعر
٧٨	١٧	د: كما يخف
٧٩	٦	ج: هذا السطر منها
٨٠	٨	د: ذهب حرف
٨٠	٩	د: فقد ذهبت منه قوة من الحبل لما قال
٨٠	١٤	د: فمنها الاستعارة
٨١	٩	د: أنت وهو
٨١	١٤	م: لأديت
٨١	٢٠	د: وعرضت

صفحة	سطر	
٨١	٢١	د: ولو كان ما جروا إليه
٨٢	٥	م، د: سحر ومرة هو شعر، ومرة هو قول
٨٢	١٣	د: لإمام متبع
٨٢	١٥	د: أو أقضى فيه
٨٣	١	م: الحكاية عنهم. د: باب الحكاية عنهم
٨٣	١٥	م: من مصحفه المعوذتين وأم الكتاب
٨٤	١٠	د: هى خطأ
٨٤	١٥	د: ليس فيها كلمة: فقال
٨٧	١٣	د: الليل وقالوا
٨٨	١٣	م: صنوف التعذيب
٨٨	١٥	د: أراد بالقرآن والتبيان
٨٩	٦	م: لئلا يطول
٩٢	٣	م: فمن قرأ
٩٢	٦	د: وتقع الكلمة على الرسالة بأسرها
٩٢	٧	د: وكذلك الكلمة ألا ترى
٩٢	٩	د: الكفر وقال: ولقد سبقت
٩٢	١٥	د: وجه واحد ومذهب واحد
٩٢	١٩	م، د: وجوه الاختلاف
٩٣	١٢	د: فى الكلمة مما يعترضون بها فى الكتاب
٩٤	١٣	م: فى ذلك ما يشاء
٩٥	٢	م، د: يلفظ بها ويسمعها
٩٥	١٠	د: ولو أراد هؤلاء أن يزول
٩٥	١٥	د: وصلاتهم وصيامهم، وحجهم وصلاتهم وعتقهم
٩٥	٢١	د: وليست واحدة.
٩٦	١	د: أى بعد نسيان له فأنزله الله جل وعز على نبيه ﷺ بالمعنيين
٩٦	٥	د: فى غرضين. م: والمعنيان جميعًا
٩٦	١٦	د: يقال: هو الأترج
٩٦	١٧	م: جميعًا فى غرضين
٩٧	٩	م، د: وسوم طباعهم القرأة
٩٧	١٢	د: أن نعدده

صفحة	سطر	
٩٧	١٦	د: وزيادة مصحف أبى
٩٧	١٨	د: والرقية للعين
١٠٠	١	د: آخر السحور
١٠٢	٤	م، د: يقول فيه
١٠٢	٧	م، د: السبع من المثانى
١٠٢	٨	د: أو أقدم
١٠٤	١	د: باب الحجة فى اللحن
١٠٤	٢	د: غلط الكتاب وحديث عثمان فيما وقف عليه من اللحن فى المصحف فقد تكلم
١٠٤	١١	د: على أن القرأة
١٠٥	٦	م: سقط منها من قوله: «وكان يقرأ. . .» إلى آخر السطر الرابع
١٠٥	٨	م، د: وناجية بن مخ
١٠٥	١١	د: أبو حاتم السجستانى
١٠٦	١	د: يعنى الشك
١٠٦	٧	د: النبى ﷺ برفع الملائكة
١٠٦	١٢	م، د: إليك ﷺ ويؤمنون
١٠٦	١٧	د: النازلون
١٠٧	٢	م، د: والقرأة
١٠٧	٩	د: وهذهٰ وجه
١٠٧	١١	م: والطوافين
١٠٨	٩	د: وأنشد بعض
١٠٩	١٠	د: خطأ من الكاتب
١٠٩	١١	م، د: فى كتاب المصحف
١٠٩	١٤	د: يحذف فى المصحف
١١٠	٣	د: بلام وكتبوا
١١٠	٦	د: هى كسرة
١١٠	١٨	د: خلت من كلمة: وزلُّوا
١١١	٧	د: المذاهب كلها
١١٢	١١	د: من الخنسة
١١٦	١	د: باب الحجة فيما ذكروا أنه متناقض. م: باب التناقض

صفحة	سطر	
١١٦	٢	م، د: خلتا منه
١١٦	٦	د: «خمسون» وفيها. وفى م: ففى هذا اليوم
١١٦	١٧	د: تختصون. والجواب
١١٦	١٩	د: لأنهم يحتكمون
١١٨	٦	م: العرب بمعنى واحد
١١٨	١٣	د: ولا يشبع، والعرب تصفه
١٢٠	٣	م: الزقوم جنس من النار
١٢٠	١٦	د: أى وفيهم من يستغفر يعنى
١٢١	١٠	د: بشىء ولا أليق. م: بشىء وأليق
١٢١	١٣	م: ما أباح لهم من ملك اليمين لم يستطع العدل
١٢٢	١٧	م: فأربعوا
١٢٢	١٨	م: رجل واحد
١٢٣	١٧	م: لكل صبار مؤمن
١٢٤	٣	م: فى السلاح ومنه
١٢٤	٥	م: خلت من الشطر الأول
١٢٥	٤، ٥	د: لا فى الجنة ولا فى النار
١٢٥	٢٠	م: سقط منها من قوله: «أى تأكل...» إلى آخر السطر الثانى من ص١٢٦
١٢٦	٤	م: أفهل ترى
١٢٧	٢	د: سببت المرأة
١٢٧	٤	م، د: مال جثل. د: سدى واهلات
١٢٧	٩	م: ما فى الجنة من أنهارها وسررها
١٢٨	٤	م: وقال آخرون: مخططخطة
١٢٨	٥	م، د: خلتا من قوله: «أى حجر وطين»
١٢٨	١٥	م: من أكلة الوجبة
١٢٨	١٩	م: معناها
١٢٩	٢	م: مآكلهم
١٢٩	١٨	م: الرائعة
١٣٠	٣، ٤	م: ذلك صفتهم
١٣٠	١٦	د: رجل بعثه وليًا

صفحة	سطر	
١٣٠	١٨	م: فأعلمنى
١٣٢	١	م: المتشابه. د: باب الحجة فى المتشابه
١٣٢	٢	م: أراد الله
١٣٢	٤	م: العرب ومبانيها
١٣٢	٥	د: والإطالة للتوكيد
١٣٢	١٥	م: على حسب
١٣٢	١٧	م: عالمًا ولا متعلمًا ولا خفيًا ولا جليًا
١٣٦	٨	د: وغلط بعير أنواط وإلاده والنفاض
١٣٩	١٠	م، د: وأسفده
١٣٩	١٣	د: عاورت صاحبى، وهيأنا لموضعها
١٤٠	١	د: قال أبو حاتم: الرواية البيقورا، الباء قبل الياء. قال أبو محمد: هو خطأ من الرواة، هكذا رواه عسل ما
١٤٠	٩	د: عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال
١٤٠	١٣	د: وأنا والولاء
١٤١	١	د: قال: وفسره
١٤١	١٣	د: فى جوف الفرإ، مهموز ومقصور
١٤٢	٦	د: قال بوهم بعد أن
١٤٢	١١	د: ابن الأعرابى أراه كأنه
١٤٢	١٢	م: سقط منها قوله: «والخذع الميل»
١٤٣	٦	م: تعالى: لا يعلمه إلا الله
١٤٤	١٩	م: شجوه
١٤٦	٢	د: قال: وأما المجاز
١٤٨	١٦، ١٧	م: وإنما هو عبارة لتكوينهما فكانتا
١٥٠	٧	م: يقول للرائد: أعشبت، أى هذا عشب
١٥٠	١٣	د: فجعل يشمه
١٥٠	١٧	د: خلت منه
١٥١	٢	م: دلك بمعنى
١٥١	٣	م: أحداث، د: وبعتك أزمنة حفت
١٥١	٨	د: أراد أنه قد حفت فيها
١٥١	١٠	د: ابن الجرع

صفحة	سطر	
١٥٤	٣	م، د: قد أعطيت
١٥٤	٦	م: لأنها تصوت
١٥٥	٧	م: يعقد بها
١٥٥	١١	م: يحله فكلما
١٥٧	٢	م: قال عبيد بن ثور
١٥٧	٤	م: وأجناس الطير
١٥٩	٢	م: قال الأخطل: ترى الثعلب
١٥٩	١٢	م: البرزخ بعد الممات
١٦٠	١	د: من آمن بالشياطين. . . بتخبطه
١٦٠	٦	م، د: خلتا من قوله: «كما سمانا»
١٦٠	١٤	د: والنجى من الجن
١٦٥	٦	د: أبياتًا فى القدر. م: ينشد من الشعر فى إثبات القدر أبياتًا ذكرتها
١٦٥	٩، ١١	د: سقطا منها
١٦٦	٤	د: وقال: قد كنت. م: وقال قس بن ساعدة الإيادى
١٦٨	٤	د: ليس فيها ومكانه فيها: أحمـــــد الله فلا ند له بيديه الخير من شاء أضل
١٦٩	٣	م: العرب فى القدر ومذهب. د: وإن الله يعلم ما فى السماء. ما تركت
١٦٩	٤	د: ولم تقل
١٦٩	١١	ج: «والقرية لا تسأل». م، د: «والقرية لا تقصم». والأولى إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢]، والثانية إلى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء:١١].
١٧٠	٩	د: شملى بسلمى
١٧٠	١١	م: جعلوه كأنه
١٧٢	٢، ٣	د: العرب. م: من الآخر أو مجاوراً له
١٧٢	٨	م، د: ويقولون: ما زلنا
١٧٤	١	م: إلى المعاناة. . . عن ساقيه
١٧٤	٣	م، د: دريد بن الصمة يرثى رجلاً
١٧٤	٤	م: على الجلى
١٧٤	٨	د: النقرة فى طرفها
١٧٥	٢	د: وهو الفوقة

صفحة	سطر	
١٧٥	٩	م: خيرًا إلا أن
١٧٥	١٢	م: مكان التبيين
١٧٧	٢	د: بعد الغسق
١٧٧	١٢	م، د: خلتا منه
١٨٠	٣	د: الطريق يريد لم يجعل لى سبيلاً حين أعفى بما عليه فكأنه سد الطريق فكنى. م: حن أعفى بما عليه... الطريق ومضى فكنى
١٨٢	ــ	م: ورد فى هامشها: ومنه التحيات لله، يراد الملك لله، وأصله أن الملك كان يحيا بتحية الملك فيقولون: أبيت اللعن وأنعم صباحًا، فكنى عن الملك بالتحية، قال عمرو بن معديكرب: أسيرها إلى النعمان حتى ... أنيخ على تحيته بجندى أى على ملكه. وقال الآخر: ولكل ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحيه يقول: لما أملك فأحيا بتحية الملوك
١٨٣	٩	م: النصارى وردها على ملة إبراهيم
١٨٣	١١	د: تنظر ونكث
١٨٤	٤	م، د: ليس به من معد. د: غريب
١٨٦	٧	م: تقول: هم غليظ
١٨٧	١٣	د: لا يريدون بها دون
١٨٨	ــ	م: جاء فى هامشها: «حاشية: قال أبو محمد: أصل الميسم: موسم فقلبت الواو ياء للكسرة قبلها، فإذا اجتمعت انفتحت الميم وردت الواو إلى أصلها كما قالوا: ميزان، ثم قالوا: موازين، وقالوا: مواسم ومياسم، فمن قال: مياسم بالياء جمعه على اللفظ وجعله فرقًا بينه وبين مواسم العرب وهى أسواقهم».
١٩٠	٦	م: يحك على شجر
١٩١	٢	د: وصفه بالحلف والصلم والإثم والجفاء والدعوة
١٩١	٦	د: لحقته سمة
١٩٢	٣	د: لم يقطد!
١٩٢	٨	د: سقط منها هذا السطر وما يليه إلى قوله: «جلود الإبل» فى السطر السادس من ص١٩٣
١٩٥	١	د: سقط منها

صفحة	سطر	
١٩٥	٥	د: فى وصف فرس
١٩٥	٧	د: يريد أنه راز القوس
١٩٥	١٠	د: مطمئتين ينتحعون
١٩٦	٨	د: مستو يتبع بعضه بعضًا
١٩٦	١٤	د: لا يعلمون ولا يباعثهم
١٩٧	٢	د: ولا تجهم عليه
١٩٨	٢، ٣	د: وعمت. والسامع
١٩٨	٨	د: شجوها
١٩٨	١٥ـ١٧	د:خلت من هذه الأسطر
١٩٩	٢	د: سقط منها وما يليه إلى آخر الصفحة
٢٠٠	٨	د: يقاربون أن يعقلوا
٢٠١	٢	د: تبلغ القلوب الحلوق
٢٠١	٤	م: من شدة الجزع والفزع
٢٠٢	١	د: سقط منها وما يليه إلى آخر السطر الرابع من ص٢٠٦
٢٠٦	٩	د: سقط منها وما يليه إلى آخر السطر الثالث من ص٢٠٧
٢٠٦	١٤	م: ويقولون فى جميعه
٢٠٦	١٦	م: سقط وما يليه إلى السطر الحادى عشر فى ص٢٠٨
٢٠٦	١٨	د: وطاب ألوان
٢٠٧	٢	د: الشراب نبيذًا بأن يبال
٢٠٨	٥	د: أراد مكث
٢٠٨	٩	د: مكان «السدر» فيها بياض
٢٠٩	١١	م، د: على الوغم، ج: «على الرغم» وهى الصواب
٢١٠	٤	م: ومنه قول الشعراء.
٢١٠	١٤	د: سقط منها من قوله: «وأصل هذا...» إلى قوله: «فقتلوا» فى السطر الخامس عشر
٢١٤	١١	م: ولهذا جعلوا.
٢١٥	٢	م: مفرغ الحميرى
٢١٦	١٥	د: سقط منها من قوله: «قال الهذلى» إلى قوله: «لم يخفها».
٢١٧	٢	د: يأسك من غيره قال الشاعر: ألم ييأسوا أنى ابن فارس.
٢١٧	٣	م: قال الشاعر: حتى إذا

صفحة	سطر	
٢١٨	١٦	د: خلت من هذه الأسطر من السطر السادس عشر ص٢١٨ إلى قوله: «بلغك» فى السطر السابع ص٢١٩
٢١٩	٨	د: سقط منها هذا وما يليه إلى السطر الثالث عشر ص٢٢١
٢١٩	٩	م: حالف الحيات
٢٢٢	٤	د: أى بعض الضياطرة
٢٢٢	٥	د: أى يعطيون. وسقط منها ما بعد هذه الكلمة إلى آخر السطر الأول من ص٢٢٣
٢٢٤	٦	د: سقط هذا منها وما يليه إلى آخر ص٢٢٥
٢٢٥	١٥	م: سقط هذا منها وما يليه إلى آخر السطر السادس من ص٢٢٦
٢٢٦	٤ ـ ٦	د: خلت من هذه الأسطر
٢٢٦	١٦	د: سقط منها من قوله: «قال الفراء» إلى آخر السطر الرابع ص٢٢٧
٢٢٩	١	د: سقط منها من أول: «قال الأعشى» إلى آخر السطر السادس
٢٣١	١٥	م: سقط منها من قوله: «أى أجعلتم...» إلى قوله: «كمن آمن»
٢٣٢	٣	د: سقط منها وما يليها إلى آخر السطر التاسع من ص٢٣٣
٢٣٤	٣	د: سقط منها وما يليها إلى آخر السطر الثالث
٢٣٥	١٤	م: إنى لأمرها
٢٣٦	٢	م: والمعنى، والله أعلم
٢٣٦	٧	م: والمعنى: يقولون
٢٣٦	١١	م: وقال آخر
٢٣٦	١٦	م: ووصى ربك بالوالدين إحسانًا
٢٣٧	٥	م: فحذف الريح
٢٣٧	١٠	م، د: مرسل ولا مبعوث
٢٣٨	١٣	م: فى الكلام مكانه
٢٣٩	٤	م، د: وبعض النحويين يجعل
٢٤٠	٦	د: سقط منها وما يليه إلى آخر الصفحة
٢٤٠	١٢	م: سقط منها من قوله: «فإذا لم تحمل...» إلى قوله: «أقوى لها»
٢٤٠	١٥	د: سقط منها وما يليه
٢٤١	١٩	م، د: «أئذا متنا، كأنه قال والله أعلم: ق والقرآن المجيد لتبعثن، فقال الكافرون هذا شىء عجيب أئذا متنا نبعث» ولكن هذا غير موجود فى (ج) ولا فى (ق).

صفحة	سطر	
٢٤٢	٣	م: لعلم المخاطب. . . من قولهم
٢٤٣	١ ـ ٢	د: خلت منهما
٢٤٣	١٨	د: سقط وما يليه منها إلى آخر ص٢٤٤
٢٤٤	٢	م: وضاق به
٢٤٥	٢	م، د: قبل ذلك الإنسان
٢٤٥	١٣، ١٤	د: خلت منهما
٢٤٦	١٣	م: سقط منها من قوله «فحذف. . .» إلى قوله: «بالهدى» فى السطر الخامس عشر
٢٤٨	٢	د: تكرار الأنبياء. . . ثلاثة وعشرين
٢٤٨	١٦	م، د: بأمره وينتهوا بزاجره
٢٥٠	١٢	د: وثبه
٢٥١	٧، ٨	د: خلت منهما
٢٥٣	٦	د: وكثرت عنده
٢٥٤	٢	م: راجل أفتنكر هذا؟
٢٥٦	٧ ـ ٩	د: سقطت منها هذه الأسطر
٢٥٨	٤	د: يريد لئلا يعلم
٢٥٨	٨	م: تسخر فزاد لأن فى آخره جحدًا
٢٥٩	١ ـ ٣	د: خلت من هذه الأسطر
٢٥٩	٢	م: سقط منها وما يليه إلى قوله: «وأما زيادة» فى السطر الخامس
٢٦٠	٦ ـ ٨	د: سقطت منها هذه الأسطر
٢٦٢	١، ٢	د: خلت منهما
٢٦٢	١٤	د: سقط منها من قوله: «قال حميد. . .» إلى آخر السطر السادس عشر
٢٦٣	٣، ٤	د: سقطا منها
٢٦٣	٩	د: سقط منها من قوله: «كقول الشاعر. . .» إلى آخر السطر العاشر
٢٦٥	٢	د: سقط منها من قوله: «قال امرؤ القيس» إلى آخر السطر الثامن
٢٦٥	٥	م: قال الراجز
٢٦٥	٩	م: وقال: إن كانت الكنية
٢٦٧	١٦	د: ابن أبى طالب . . . أبى سفيان
٢٧٠	٤	م: فى المسمى والمكنى
٢٧٠	٣	د: سقط منها من قوله: «ولو كان من دعا» إلى آخر السطر الحادى عشر

صفحة	سطر	
٢٧٠	١١	م: فيها: «ثور» بدل «نمر»
٢٧٠	١٤	د: من المقسمين بالمسلمين. وفى م: وذهبْ قوم. وما أثبت من ج
٢٧١	٥	م: بيكر
٢٧١	٦	د: سقط منها من قوله: «وأن الخمر» إلى قوله: «وجهالاتهم»
٢٧١	١٤	م، د: سبب نزولهما
٢٧١	١٩	م: بسخط الله
٢٧١	٢١	د: «عتبة بن ربيعة والمغيرة وفلان». م: عتبة بن أبى ربيعة
٢٧٢	٧	د: سقط من قوله: «والشاعر. . .» إلى قوله: «كف» فى السطر العاشر
٢٧٣	٣	د: سقط وما يليه إلى آخر ص٢٧٤
٢٧٥	٧	د: سقط من قوله: «كما كنى. . .» إلى آخر السطر الثامن
٢٧٥	١٣	م، د: النسيان تعريضًا
٢٧٦	٧	م: فسلوهم النطق
٢٧٦	١٢	م، د: بعض السلف
٢٧٦	١٤	د: حاجزًا بين الحلال والحرام
٢٧٨	٤	د: سقط منها من هذا السطر إلى آخر السطر السادس من ص٢٧٩، وورد فيها مكان المحذوف ما يلى: قال على بن أبى طالب فى تأويل هذه الآية: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف:٤٥]: إنها نزلت ليلة أسرى به ببيت المقدس ونُشِرَ له النبيون أنزل الله عليه. ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾. وهذه الآية مقدسية نزلت ببيت المقدس. وهذا الكلام تفردت به (د) مقحم على الكتاب وليس منه فى شىء
٢٧٨	٨	م: فيك الضجاج
٢٧٩	٦	م: فى مدحه تفريط
٢٧٩	١٦	م: غير النبى ﷺ كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ﴾ [الانفطار:٦]
٢٨٠	١ ـ ٥	د: سقطت منها
٢٨٠	٨	م: جاء فيها بعد آخر هذا السطر ما يلى: قال: فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك والنبى ﷺ لم يشك، وقد قال ﷺ: لا أشك ولا أسأل. والله يعلم أن النبى ﷺ لم يشك، ولكن هذا مثل قول القائل: «إن كنت عندى، فكذلك إن كنت فى شك مما أنزلنا إليك»، أى لست أنت فى شك، هذا قول الفراء. وهذا الكلام الذى انفردت به (م) لم يرد كذلك فى القرطين، ولعله تعليق فى هامش أصلها أدمجه ناسخه فيها

صفحة	سطر	
٢٨٢	٦	د: سقط منها إلى قوله: «كأنه قال» فى السطر الثامن
٢٨٣	١١	م، د: بشاعر فاهجه اللهم والعنه
٢٨٥	١٦	م: ومسلمى زمانه
٢٨٦	١٠	م: سقط منها
٢٨٧	١٣، ١٤	د: سقطا منها
٢٨٨	٢ ـ ٤	د: سقطت منها
٢٨٨	٦	د: سقط هذا السطر منها وما يليه حتى نهاية الصفحة
٢٨٨	١٤	م: النساء طالق
٢٨٩	٢	د: ونعل أسقاط. م: أهدام ونعل أسماط، قال الشاعر
٢٩٠	٢	د: سقط منها وما يليه إلى آخر السطر الخامس
٢٩٠	١٣، ١٤	د: سقطا منها وورد مكانه: وأنشد لبعضهم... إلى آخر الصفحة
٢٩١	١٠	د: سقط منها من قوله: «قال الشاعر» إلى آخر الصفحة
٢٩٢	١٥	د: سقط منها من قوله: «وأنشد لبعضهم» إلى آخر السطر الثانى من ص٢٩٣
٢٩٤	١	د: سقط منها إلى آخر السطر الثالث
٢٩٤	٤	م، د: من الأعوان
٢٩٦	١٤	د: سقط منها من قوله: «قال وعلة» إلى آخر الصفحة
٢٩٨	١	د: باب تأويل الحروف... إلخ. م: تأويل المشكل الذى ادعى على القرآن به الاستحالة وفساد النظم
٢٩٨	٤	م: اختلف الناس
٢٩٨	٩	م: عليم
٣٠٠	٤	م، د: بالطور وبالعشر
٣٠٠	٦	د: يسميان
٣٠٢	٤	د: سقط منها من قوله: «كقول الشاعر» إلى آخر السطر الثانى من ص٣٠٣
٣٠٣	٧	د: سقط منها من قوله: «وقال ذو الرمة» إلى آخر السطر التاسع. كما سقط من (م) قوله: «يذكر حميراً».
٣٠٣	١٥	د: سقط منها من قوله: «ويقولان ولاك» إلى آخر السطر الرابع من ص٣٠٤
٣٠٤	١ ـ ٣	د: سقط منها

صفحة	سطر	
٣٠٤	١٠	د: سقط منها من قوله: «كما قالوا» إلى آخر السطر العاشر من ص٣٠٥
٣٠٤	١٤	م: سقط منها قوله: «يذكر بقرًا»
٣٠٥	٢	م: أراد نار الحباحب
٣٠٦	١٢	د: الرحم نون هو الرحمن
٣٠٦	١٤	م: وقد قال قوم
٣٠٨	٨	د: قال: وما كان له عليهم من سلطان. يقول: ما كان تسيلطنا
٣٠٨	١٧	د: جهاده وخبره
٣٠٩	٤	م: وساحر وكذاب. د: من خوضهم
٣١٢	١٢	د: سقط منها من قوله: «منزلاً» إلى قوله: «ليلة» فى نفس السطر
٣١٣	٤	م: فإذا أصاب
٣١٤	١١	م: فيكونوا فيه
٣١٥	٣	د: سقط منها من قوله: «قال الشاعر» إلى آخر السطر الخامس
٣١٨	١١	م: خلت من قوله: «وطفولة الولد»
٣٢١	١٦	د: سقط منها من قوله: «روى ذلك» إلى آخر السطر السابع عشر
٣٢٣	١٣	م: لا يقال عشرة كافر
٣٢٦	١	م: ويقولون لنا
٣٢٩	١٣	م: وشجرة وصنم
٣٢٩	١٨	د: ما قد أفضلنا
٣٣٠	٣	د: فلندعوه
٣٣٣	٣	م: فالأرحام تشتمل على الذكور والإناث، فكل
٣٣٤	١٠	د: يهز ويخزف
٣٣٥	١	د: فاكتبوا له مثل
٣٣٦	١٥	د: المحارم والفواحش
٣٣٦	١٧	د: أحرار العرب
٣٣٧	٢	د: الأدلاج والأطواف
٣٣٧	٤	د: سقط منها من قوله: «قول الشاعر» إلى آخر الصفحة
٣٣٨	١٣	د: طريق الإنسان
٣٤٠	١	د: سقط منها وما يليه إلى آخر ص٣٥٤
٣٤٠	٦	م: الجهات يعنى
٣٤٢	٦	م: ولا لأنفسهم إلا بها

صفحة	سطر	
٣٤٤	١٣	م: بل أدرك
٣٤٥	٧	م: أن يتعرف إليهم
٣٥٧	١	م: سقط منها وما يليه إلى آخر ص٣٧٦
٣٦٠	٨	م: حتى نحدثك ونكلمك
٣٦٢	١٥	م: وبين القرية
٣٧٢	١٣	م: ونحوه قوله
٣٧٤	١٠	م: سقط منها قوله: «بالخير لهلكوا»
٣٧٧	٨	د: سقط منها من قوله: «قال الراعى» إلى آخر السطر العاشر
٣٧٧	١٠	م: وخلاله
٣٧٨	٢	د: سقط منها وما يليه إلى آخر السطر السادس عشر من ص٣٨٢
٣٨١	١١	م: خلت من قوله: «يذكر قوسًا»
٣٨٢	٨	م: ولا تقول حائط
٣٨٣	١	م: ولا يراودهن
٣٨٣	٦	م: ولم يعلمها
٣٨٣	٨	د: سقط منها وما يليه إلى آخر ص٣٩٠. وجاء فيها بدل الساقط قوله: «وعصى آدم ربه فغوى، وليس فى غوى شىء... إلخ». وهذا موجود فى هذه الطبعة من السطر الأول فى ص٣٨٢ إلى آخر السطر التاسع منها
٣٨٣	١٧	م: بالتقام
٣٨٤	١٥	م: تساموا اللقاء
٣٨٨	٥	م: وتشديد الذال
٣٩١	٨	د: السجود التطامن
٣٩٢	٢	د: لقرد السوء
٣٩٤	٥	م: إذا أبطأ
٣٩٧	١٤	م: سقط منها من قوله: «يعنى» إلى قوله: «ويقال» فى السطر السادس عشر
٣٩٩	٥	م: أرض الجزية
٤٠٠	١٣	م: إلى مكة وينزل عليك القرآن ظاهرًا
٤٠٣	١	م: سقط منها من قوله: «فإن شئت أن تنصب» إلى قوله: «وإن شئت أن تكسرها» فى السطر الثالث

صفحة	سطر	
٤٠٥	٣	م: دون إلفه
٤٠٦	٦	م: فتنة عليهم
٤٠٩	١٢	م: سقط منها
٤١١	٣	م: سقط منها إلى قوله: «أى يكون العذاب» فى آخر السطر الثامن
٤١٢	٥	د: ثم تصير القضاء بمعان
٤١٤	٤	د: الإرشاد بمعنين
٤١٤	٧	م: هذه البيان
٤١٥	٥	د: والتماس الرزق
٤١٦	١	م: ذو دين واحد
٤١٦	٤	م: وشرعة
٤١٧	٢	د: العهد الإيمان
٤١٨	٨	د: سقط منها من قوله: «كما قال الشاعر» إلى قوله: «وقد قال الله» فى السطر العاشر
٤١٩	٢	م: سقط من قوله: «قال ابن عباس» إلى قوله: «إلا أن تودونى»
٤٢٠	٦	م: كمثل المصلى الصائم
٤٢١	٧	د: أصل القنوت
٤٢٢	٨ ـ ١٠	د: سقط منها من قوله: «ومنه قول القطامى» إلى قوله: «أى تذلك»
٤٢٣	١٢	م: موالى حليف
٤٢٦	٦	د: سقط منها قوله: «وقال الأعشى» إلى آخر السطر السابع
٤٢٩	١	د: سقط وما يليه إلى آخر الصفحة
٤٣١	١٣	د: سقط منها من قوله: «قال زهير» إلى آخر السطر الخامس عشر
٤٤٠	٥	م: ومن الضيق الإثم
٤٤١	٣	م: حركة البناء
٤٤١	٨	د: اللسان واللسن اللثغة
٤٤٤	٢	م: يكون بها
٤٤٩	١٨	د: فأصله كله
٤٥٢	٤	د: بمعنى الصفة
٤٥٤	٤	د: والنسيان: الحفظ كقوله جل اسمه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا﴾ [طه:١١٥].
٤٥٥	٨	د: والصاعقة نار
٤٥٦	٦	د: لا يقبل منها فدية

صفحة	سطر	
٤٦١	١٠	د: قول أبيه لإبراهيم
٤٦٣	٢	د: هو أن يحصن
٤٦٣	٣	د: ذوات الأزواج وإن لم يكن مزوجات. والمحصنات الحرائر ذوات الأزواج لأن الأزواج
٤٦٤	١٢	د: يعنى بيوت الخانات
٤٧٠	٤	م: فيها بعد ذلك: «أى متى يوم القيامة؟»
٤٧٥	٨	د: السلم. أراد كظبية
٤٧٧	٤	د: سقط منها من قوله: «وبقول الآخر» إلى آخر ص٤٧٨
٤٧٩	٦	د: ومتى تأتنى. وكما أدخلت ما مع إن لغوًا فتقول: متى تأتنى آتك ومتى ما تأتنى آتك. وكما أدخلت ما مع أى
٤٨١	١٠	د: بمعنى فعل، قال ذو الرمة: ولو أن لقمان
٤٨٢	١٢	د: حمول الجن
٤٨٢	١٢	م: وإفضاخ. والإفضاخ فى البسر أن يحمر أو يصفر مثل الزهو، وأصله الشهرة ومنه الفضيخة.
٤٨٢	١٣، ١٤	د: سقطا منها
٤٨٣	٢	د: منهل يأتى
٤٨٤	١٦	م: وهو عند
٤٨٥	٦	د: آمنت، أى فهلا، وكذلك لو ما تأتينا
٤٨٦	٣	م: رأيت جوابًا للولا
٤٨٦	٤	د: لأمر يقع
٤٨٧	٨	د: سقط من أول قوله: «جعل» إلى آخر السطر
٤٩٠	١٦	م: سقط من أول قوله: «ولم يتقدم» إلى قوله: «ثم قال» فى السطر التالى
٤٩٣	٢	د: قال ابن الأعرابى
٤٩٣	٣	م: كسبت. وقال الشاعر
٤٩٣	٧	م: ليس فيها كلمة «قال»
٤٩٧	٦	د: العرب هاتيك
٤٩٩	٦	د: وتخالفت الفراء فقال
٤٩٩	٧	م: انتقلت إلى ما بعدها
٥٠١	٦	م: من غير تصغير

صفحة	سطر	
٥٠٣	٢	د: سقط منه إلى قوله: «قال الأصمعى»
٥٠٧	٤، ٦	د: خلت منهما
٥٠٧	٦	م: وقال عتبة
٥٠٨	٢	م: أى أسأل عنه خبيرًا
٥٠٨	٥، ٦	م: خلت منهما
٥١٠	٥، ٦	م: خلت منهما
٥١٢	٨، ٩	م: سقطت منها
٥١٤	٢، ٣	د: خلت منهما
٥١٥	١٣	د: جاء فيها بعد ذلك ما يلى: تم كتاب المشكل والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله على محمد النبى سرمدًا دائمًا وآله وسلم كثيرًا، وحسبنا الله حياتنا وبعد وفاتنا ونعم الوكيل والمعين ربنا ونعم النصير. وكتب محمد بن أحمد يحيى رحمه الله فى شهر ربيع الآخر من سنة تسع وسبعين وثلاثمائة. رحم الله كاتبه ومن نظر فيه من المسلمين، آمين رب العالمين ويقول: سوف تبلى يدى ويبقى الكتاب. وقال: إن آثارنا تـدل علينـا فانظروا بعدنا إلى الآثار
٥١٧	١٠	م: سقط عنها بعد ذلك ما يلى: لا تستضيئوا بنار المشركين، يريد لا تستشيروهم، جعل السراج فى الظلمة مثلاً للرائى فى الحيرة
٥١٩	٤	م: وإن قل
٥١٩	١١	م: الأنصار وهم من اليمن
٥٢٠	١٥	م: وعشرون ذكورًا
٥٢١	١٧	م: جرى مثل جرى
٥٢٢	١٠	م: نواط
٥٢٣	٩	م: إياك نشر ما أحار... يريدون نشرة

* * *

١٠.فهرس المراجع

* أدب الكاتب لابن قتيبة (الرحمانية ١٣٥٥هـ).
* الأصمعيات للأصمعى (ليبسك ١٩٠٢م).
* أساس البلاغة للزمخشرى (دار الكتب ١٣٤١هـ).
* الإتقان للسيوطى (حجازى ١٣٦٠هـ).
* الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (بولاق ١٢٨٥هـ).
* أمالى المرتضى (السعادة ١٣٢٥هـ).
* أمالى ابن الشجرى جـ١ (الأمانة ١٩٣٠م).
* أمالى ابن الشجرى جـ ٢ (حيدرآباد ١٣٤٩هـ).
* أمالى الزجاج (المحمودية ١٣٥٩هـ).
* أمالى اليزيدى (حيدرآباد ١٣٦٧هـ).
* إصلاح المنطق لابن السكيت (المعارف ١٣٦٨هـ).
* الاقتضاب لابن السيد (بيروت ١٩٠١هـ).
* الأمالى لأبى على القالى (دار الكتب ١٣٤٤هـ).
* أمثال العرب للمفضل الضبى (الجوائب ١٣٠٠هـ).
* الإنصاف لابن الأنبارى (الاستقامة ١٣٤٦هـ).
* أبواب مختارة من كتاب يعقوب الأصفهانى (السلفية ١٣٥٠هـ).
* الأزمنة والأمكنة للمرزوقى (حيدرآباد ١٣٣٢هـ).
* إعجاز القرآن للباقلانى (السلفية ١٣٤٩هـ).
* الأشربة لابن قتيبة (الترقى بدمشق ١٣٦٦هـ).
* الأضداد لابن الأنبارى (الحسينية ١٣٢٥هـ).
* الأضداد لابن السكيت (الكاثوليكية ببيروت ١٩١٣م).
* الأضداد للسجستانى (الكاثوليكية ببيروت ١٩١٣م).
* الإصابة لابن حجر (السعادة ١٣٢٣هـ).
* أحكام القرآن للشافعى (السعادة ١٣٧١هـ).

* البحر المحيط لأبى حيان النحوى (السعادة ١٣٢٨هـ).
* البيان والتبيين للجاحظ (لجنة التأليف ١٣٦٩هـ).
* بغية الوعاة للسيوطى (السعادة ١٣٢٦هـ).
* البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى (لجنة التأليف ١٣٧٣هـ).
* تأويل مختلف الحديث (كردستان ١٣٢٦هـ).
* تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (السعادة ١٣٤٩هـ).
* تهذيب التهذيب لابن حجر (حيدرآباد ١٣٢٥هـ).
* تفسير الطبرى (بولاق ١٣٢٩هـ).
* تفسير ابن كثير (عيسى الحلبى ١٣٧٣هـ).
* تيسير الوصول للشيبانى (السلفية ١٣٤٦هـ).
* تهذيب الألفاظ لابن السكيت (بيروت ١٨٩٥م).
* تهذيب إصلاح المنطق (السعادة ١٣٢٥هـ).
* ثمار القلوب للثعالبى (الظاهر بالقاهرة ١٣٢٦هـ).
* جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى (بمباى ١٣٠٦هـ).
* الجمهرة لابن دريد (حيدرآباد ١٣٥١هـ).
* جمهرة أشعار العرب (بولاق ١٣٠٨هـ).
* جمهرة أنساب العرب لابن حزم (المعارف ١٤٩٨م).
* الجمل للزجاج (الجزائر ١٩٢٦م).
* الحيوان للجاحظ (مصطفى الحلبى ١٣٦٤هـ).
* حياة الحيوان للدميرى (بولاق ١٢٨٤هـ).
* حماسة البحترى (الكاثوليكية ١٩١٠م).
* حماسة ابن الشجرى (حيدرآباد ١٣٤٥هـ).
* خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى (بولاق ١٢٩٩).
* خلاصة تذهيب الكمال للخزرجى (الخيرية ١٣٢٢هـ).
* ديوان جرير (الصاوى بالقاهرة ص ١٣٥٣هـ).
* ديوان الخرنق (بيروت ١٨٩٩م).
* ديوان ذى الرمة (كمبردج ١٩١٩م).

* ديوان امرئ القيس (الرحمانية ١٩٣٠م).
* ديوان أمية بن أبى الصلت (الوطنية ببيروت ١٣٥٢هـ).
* ديوان رؤبة (ليبسك ١٩٠٢م).
* ديوان أبى العتاهية (بيروت ١٩١٤م).
* ديوان العجاج (ليبسك ١٩٠٢م).
* ديوان الأعشى (فيينا ١٩٢٧م).
* ديوان كعب بن زهير (دار الكتب ١٢٦٩هـ).
* ديوان الأخطل (بيروت ١٨٩١م).
* ديوان النابغة الذبيانى (المصباح ببيروت ١٣٤٧هـ).
* ديوان الفرزدق (الصاوى ١٣٥٤هـ).
* ديوان الشماخ (السعادة ١٣٢٧هـ).
* ديوان لبيد (فيينا ١٨٨٠م).
* ديوان المغانى لأبى هلال العسكرى (القاهرة ١٣٥٢هـ).
* ديوان الهذليين (دار الكتب ١٣٦٩هـ).
* ديوان أبى ذؤيب الهذلى (دار الكتب).
* ديوان الحطيئة (التقدم ١٣٢٥هـ).
* ديوان طرفة (قازان ١٩٠٩م).
* ديوان قيس بن الخطيم (ليبسك ١٩١٤م).
* ديوان عنترة.
* ديوان الطرماح (ليدن ١٩٢٧م).
* ديوان جران العود (دار الكتب ١٣٥٠هـ).
* ديوان المسيب بن علس (بيانة ١٩٢٧م).
* ديوان جميل بثينة (الوطنية ببيروت ١٣٥٢هـ).
* ديوان عبيد بن الأبرص (ليدن ١٩١٣م).
* ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات (فيينا ١٩٠٢م).
* ديوان علقمة الفحل (المحمودية بالقاهرة ١٣٥٣هـ).
* ديوان كثير عزة (الجزائر ١٩٢٨م).

* ديوان زهير (دار الكتب ١٣٦٣هـ).
* ديوان حسان (الرحمانية ١٣٤٧هـ).
* ديوان القطامى (برلين ١٩٠٢م).
* الدر اللوامع للشنقيطى (الخانجى ١٣٢٨هـ).
* رغبة الآمل للمرصفى (النهضة ١٣٤٨هـ).
* زهر الآداب للحصرى (الرحمانية ١٩٢٥م).
* سيبويه (بولاق ١٣١٧هـ).
* سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى (المصرية . . .).
* سر الفصاحة لابن سنان (الرحمانية ١٣٥٠هـ).
* سمط اللآلى للميمنى (لجنة التأليف ١٣٥٤هـ).
* شرح القصائد العشر للتبريزى (السلفية ١٣٤٣هـ).
* شرح شواهد المغنى (البهية ١٣٢٢هـ).
* شرح شواهد الشافية للبغدادى (حجازى ١٣٥٩هـ).
* شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (الحلبى ١٣٢٩هـ).
* شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (القدسى ١٣٥٠هـ).
* الشعر والشعراء لابن قتيبة (الحلبى ١٣٧٠هـ).
* شرح المعلقات للزوزنى (طبع الرافعى).
* شرح حماسة أبى تمام للتبريزى (حجازى ١٣٥٧هـ).
* شرح حماسة أبى تمام للمرزوقى (لجنة التأليف ١٣٧١هـ).
* شرح الألفية لابن الناظم (العلوية بالنجف ١٣٤٢هـ).
* شرح أدب الكاتب للجواليقى (القاهرة ١٣٥٠هـ).
* الصاحبى لابن فارس (المؤيد ١٣٢٨هـ).
* صفة جزيرة العرب (ليدن ١٨٨٤م).
* الصناعتين لأبى هلال العسكرى (الآستانة ١٣٢٠هـ).
* طبقات القراء لابن الجزرى (السعادة ١٣٥١هـ).
* الطرائف الأدبية (لجنة التأليف ١٩٣٧م).
* طبقات الشعراء لابن سلام (المعارف ١٩٥٢م).

* عيون الأخبار لابن قتيبة (دار الكتب ١٣٤٣هـ).
* العمدة لابن رشيق (حجازى ١٣٥٣هـ).
* العقد الفريد لابن عبد ربه (لجنة التأليف ١٣٥٩هـ).
* غرائب القرآن للنيسابورى (بهامش الطبرى).
* القراءات الشاذة لابن خالويه (الرحمانية ١٩٣٤م).
* القرطين لابن مطرف الكنانى (الخانجى ١٣٥٥هـ).
* القرطبى (دار الكتب ١٣٥٤هـ).
* الفائق للزمخشرى (الحلبى ١٣٦٦هـ).
* فقه اللغة للثعالبى (الحلبى ١٣٥٧هـ).
* الفاخر للمفضل بن سلمة (ليدن ١٩١٥م).
* الكامل للمبرد (مصطفى محمد ١٣٥٥هـ).
* الكنايات للثعالبى (السعادة ١٣٢٦هـ).
* لسان العرب (بولاق ١٣٠٨هـ).
* المؤتلف والمختلف للآمدى (القاهرة ١٣٥٤هـ).
* المجتنى لابن دريد (حيدرآباد ١٣٦٢هـ).
* مجمع الأمثال للميدانى (القاهرة ١٣٥٢هـ).
* المعانى الكبير لابن قتيبة (حيدرآباد ١٣٦٨هـ).
* المحلى لابن حزم (النهضة ١٣٤٧هـ).
* معجم الشعراء للمرزبانى (القاهرة ١٣٥٤هـ).
* مقاييس اللغة لابن فارس (الحلبى ١٣٦٦هـ).
* مجاز القرآن لأبى عبيد (مخطوط).
* مسند أحمد بن حنبل (المعارف ١٣٦٥هـ).
* الموشح للمرزبانى (السلفية ١٣٤٣هـ).
* المعارف لابن قتيبة (الإسلامية بالقاهرة ١٣٥٣هـ).
* المفضليات (المعارف١٩٥٢م).
* مبادئ اللغة للإسكافى (السعادة ١٣٢٥هـ).
* المخصص لابن سيده (بولاق ١٣١٨هـ).

* المختار من شعر بشار (الاعتماد ١٣٥٣هـ).
* معجم البلدان لياقوت (السعادة ١٣٢٣هـ).
* الموازنة بين الطائيين (حجازى ١٣٦٣هـ).
* مجالس ثعلب (المعارف ١٣٦٩هـ).
* مجموعة المعانى (الجوائب ١٣٠١هـ).
* مجمع البيان للطبرسى (العرفان بصيدا ١٣٥٤هـ).
* مختارات ابن الشجرى (العامرة ١٣٠٦هـ).
* ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن للمبرد (السلفية ١٣٥٠هـ).
* المقصور والممدود لابن ولاد (السعادة ١٣٢٦هـ).
* الميسر والقداح لابن قتيبة (السلفية ١٣٤٣هـ).
* المزهر للسيوطى (الحلبى ١٣٦١هـ).
* النشر فى القراءات العشر (مصطفى محمد).
* النقائض (ليدن ١٩٠٥م).
* نقائض جرير والأخطل (ليدن ١٩٠٥م).
* نوادر أبى زيد (الكاثوليكية ١٨٩٤م).
* نظام الغريب للربعى (أمين هندية).
* النكت فى إعجاز القرآن للرمانى (دهلى ١٩٣٤م).
* نقد الشعر لابن قدامة (الجوائب ١٣٠٢هـ).
* النهاية لابن الأثير.
* نسب قريش (المعارف ١٣٧٣هـ).
* الوحشيات (مخطوط).
* وفيات الأعيان لابن خلكان (السعادة ١٣٦٧هـ).
* وقعة صفين لنصر بن مزاحم (الحلبى ١٣٦٥هـ).
* الوساطة للجرجانى (الحلبى ١٣٦٤هـ).
* الهاشميات (شركة التمدن ١٣٣٠هـ).

* * *

١١.فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضــــــــــــــوع	الصفحة

فهارس الكتاب

* * *